

ناتج

نَجْدُ الْحَدِيثِ وَمُلْحَقَاتُهُ

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى نَبَاتَاتٍ ثَلَاثٍ فِي

نَوَاحِي نَجْدٍ

وَمُحَمَّدٌ بِهِ الْوَقَابُ وَالْوَقَابَةُ

وَالسَّعُودُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ إِلَى عَمِيدِ السُّلُوكِ مُحَمَّدٍ بِهِ الرَّشِيدُ عَلَى نَجْدٍ



عَبْدُ الْحَكِيمِ بْنِ عَبْدِ الْحَكِيمِ الْفَيْصِلِيُّ السَّعُودِيُّ

مَلِكُ الْحِجَازِ وَنَجْدٍ وَمُلْحَقَاتِهِمَا

مُتَالِفٌ

أَمِينُ الرِّسَالَةِ

الطبعة الأولى

المطبعة العلمية ليوسف صادر • بيروت
١٩٢٨

يُحَقِّقُ الطَّبْعُ وَالتَّرْجِمَةُ بِحِفْظٍ لِلْمُؤَلَّفِ



الملك عبد العزيز

عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود

خرج من الكويت غازياً في شتاء ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م)

وبويع في السنة التالية في الرياض على ان يكون امام الوهاية وامير نجد

وفي صيف ١٣٣٩ هـ (١٩٢١ م) عقد مؤتمر في الرياض ، حضره علماء نجد ورؤساء القبائل ، فنودي بالامير عبد العزيز سلطاناً على نجد وملحقاته وفي ٢٥ جمادى الثانية ١٣٤٤ (١٥ يناير ١٩٢٦) بويع في مكة ملكاً على الحجاز

وفي ٢٥ رجب ١٣٤٥ (١٩ يناير ١٩٢٧) نادى به اهل نجد ، في اجتماع عقد في الرياض ، ملكاً على نجد وملحقاته

تقديم الكتاب

صاحب الجلالة الملك عبد العزيز المعظم

ياطوبل العمر

منذ عهد الخليفة عمر حتى بداية عهدكم السعودي لم يسعد العرب
بمن يجمع شملهم ، ويوحد كلمتهم ، ويعزز شؤونهم ، فيجعلها تحت
السيادة التي فيها الخير الاكبر للجميع اي السيادة العربية الواحدة .
كان في بني امية معاوية ، وفي بني العباس المأمون ، وفي
الايوبيين صلاح الدين . ثلاثة من عظام العرب ، بل من عظام الرجال
في التاريخ العام . ولكنهم وان وصلوا الى ذرى المجد ورفعوا اعلام
العرب في اقاصي البلدان ، فلم يتمكنوا من بسط سيادتهم على شبه
الجزيرة كلها . ولا كان يهمهم العنصر الاكبر فيها ، اي البدو ، الا
كخطب للحروب .

ما استطاع الامويون ان يوفقوا حتى بين القيسية واليمانية في
النظام . ولا استطاع العباسيون ان يسيطروا نفوذهم حتى على عشائر
الاحساء . وما فكر صلاح الدين ، على ما يظهر ، في تحسين حال
البدو ونزع العداوات المتأصلة بينهم .

ولت الالف والثلاثمائة سنة وهؤلاء العرب لا يزالون كما كانوا .

• ما غير الزمان شيئاً في احوالهم المدنية او بالحري البدوية ، ولا عمل
فيهم عامل من عوامل التطور الاجتماعي .

الف وثلاثمئة سنة ! ثم كُتِبَ لهم بعمَر ثانٍ ، بُعث اليهم بعبد
العزیز ابن سعود ليجمع شملهم ، ويوحد مقاصدهم ، ويعزز جانبهم ،
ويؤسس ملكاً عربياً هو منهم ، وهو فيهم ، وهو لهم .

ياطوِّبل العمر ، ان ما قمت به من تحضير البدو ، وتأسيس الهجر ،
لمن امجد ما تركم القومية ، ومن خير اعمالكم الاصلاحية . غير ان هناك
عملاً آخر فيه كذلك الخير الجزيل ، بل فيه للعرب الخير الاكبر .

كانت الهجرة الاولى ، هجرة البدو ، من الشرك الى التوحيد في
الدين ، ومن البادية الى الحضارة . فعسى ان تكون الهجرة الثانية من
الأمية الى الالفباء ، من الجهل الى العلم ، من الظلمات العقلية الى النور .
بنيتم ياطوِّبل العمر البيوت للبدو . هي الخطوة الاولى في تمدينهم .
فعسى ان تخطوا الخطوة الثانية فتبنون لهم كذلك المدارس . ان في
المدارس تحقيق كل ما تشدوون . المدارس تكمل عمل السيف .
المدارس تمهد السبيل الى الوحدة العربية النابتة ، الوحدة الشاملة ،
الوحدة العزيزة الوثيقة العرى .

واني اسأل الله ان يطيل بايامكم لتتمموا الاصلاح الذي
ياشرتموه ، ولتحققوا الامل العربية الكبرى المنوطة بجلالتكم .
الصديق المخلص لجلالتكم وللعرب

الحسين
الحسيني

الفهرس

د	تقدمة الكتاب	٥
١	في المراجع والاسانيد	
١٢	النبة الاولى	نواحي نجد
٢٢	النبة الثانية	محمد بن عبد الوهاب والوهاية
٢٣		نسب محمد بن عبد الوهاب
٤٨		جدول امراء آل سعود
	النبة الثالثة	آل سعود منذ نشأتهم الى حين استيلاء
		محمد ابن الرشيد على نجد
٥٠		الدور الاول الفتوحات
٦٤		الدور الثاني الفوضى
٧٩		الدور الثالث الحروب الاهلية

سيرة الملك عبد العزيز

٩٤	نسب آل سعود
٩٥	تمهيد
١٠٣	الفصل الاول
١٠٧	الفصل الثاني
١١٤	الفصل الثالث
١١٩	الفصل الرابع
١٢٥	الفصل الخامس
١٣٢	الفصل السادس
١٣٥	الفصل السابع
	وقعة الصريف
	احتلال الرياض
	الحرب في الحرج
	الاستيلاء على القصيم
	البكيرة
	الاتراك يفاوضون ويتفرجون
	كبوات الشيخ مبارك

ذبيحة ابن الرشيد	الفصل الثامن	١٣٨
الأتراك يرحلون	الفصل التاسع	١٤٣
ليلة الظافر	الفصل العاشر	١٤٨
تعددت الاعداء	الفصل الحادي عشر	١٥١
كسرة ابي الخليل	الفصل الثاني عشر	١٥٦
الاقارب والعقارب	الفصل الثالث عشر	١٦٠
الشيخ مبارك يستغيث	الفصل الرابع عشر	١٦٥
الشيخ حسين يشتر الاردان	الفصل الخامس عشر	١٧١
العرائف	الفصل السادس عشر	١٧٤
لا نصر ولا انكسار	الفصل السابع عشر	١٧٧
الترك والوحدة العربية	الفصل الثامن عشر	١٨١
فتح الحساء	الفصل التاسع عشر	١٨٤
المفاوضون يتسابقون والشيخ يهلك يتعثر	الفصل العشرون	١٩٠
هزيمة اليهود ومفرقة الوفود	الفصل الحادي والعشرون	١٩٥
يوم جراب	الفصل الثاني والعشرون	١٩٨
العجمان	الفصل الثالث والعشرون	٢٠١
الانكاز والعرب	الفصل الرابع والعشرون	٢٠٦
هدايا وتعنيف من بلاد الشريف	الفصل الخامس والعشرون	٢١٠
وفود الانكاز والعرب	الفصل السادس والعشرون	٢١٣
وقعة تربة ومقدماتها	الفصل السابع والعشرون	٢١٩
البدو والهجر	الفصل الثامن والعشرون	٢٣٢
صلح صغير	الفصل التاسع والعشرون	٢٤٠
الاخوان في الكويت	الفصل الثلاثون	٢٤٣
فتح حائل	الفصل الحادي والثلاثون	٢٤٩
مأساة بيت الرشيد	الفصل الثاني والثلاثون	٢٥٦

ح

جدول امراء حائل	٢٦٦
نسب بيت الرشيد	٢٦٧
آخرة آل عائض	٢٦٨
الاخوان في العراق	٢٧٤
مؤتمر العقير	٢٧٨
النكاس ، والذي يوسوس في صدور الناس ،	٢٨٥
ذروة المجد والخطر	٢٩٢
الاخوان على ابواب عمان	٣٩٦
سقوط الطائف	٢٩٩
يوم الانقلاب	٣٠٤
الشريف حسين	٣١٠
الآباء يأكلون الحصرم ٠٠٠٠	٣١٧
رسل السلام	٣٢٢
الى مكة	٣٢٦
اشاعات وحقائق	٣٣٤
الكتاب والسنة — والسيف !	٣٣٨
المفاوضات	٣٤٦
الطيارات	٣٥٢
علينا وعلى رسل الرحمة	٣٦٠
المناجزات والمكالمات	٣٦٤
الملك علي يرحل	٣٨٣
عبد العزيز ملك الحجاز	٣٨٨
جدول اهم الوقعات في هذا التاريخ	٣٩٢
الملحق وفيه نرى العلماء ونصوص المعاهدات ولائحة الهجر	٣٩٣
فهرس الاء م	٤١٧

فهرس الخرائط والرسوم

صدر الكتاب	الملك عبد العزيز
١٧—٠١٦	خارطة البلاد العربية وحدود ملك ابن سعود
٣٣—٠٣٢	الجامع الكبير في الرياض
٧٣—٠٧٢	عبدالله بن سعود الكبير
٨١—٠٨٠	الغرب (العدة) فوق القليب (البئر) لرفع المياه
٩٧—٠٩٦	الملك عبد العزيز بين مدافعه
١١٣—١١٢	الامير سعود ابن الملك عبد العزيز
١٢١—١٢٠	الامير فيصل ابن الملك عبد العزيز
١٤٥—١٤٤	الملك عبد العزيز خارجاً من سيارته
١٦١—١٦٠	الحرم الشريف والكعبة
١٨٥—١٨٤	الشقاديغ لنقل الحجاج الى مكة والمدينة
٢٠٩—٢٠٨	الملك عبد العزيز والمؤلف امام الطيارة بجده
٢٢٥—٢٢٤	الامير عبدالله ابن الملك حسين امير شرقي الاردن
٢٢٩	وقعة تربة
٢٤١—٢٤٠	الملك حسين والبلاد العربية
٢٦٥—٢٦٤	المدينة المنورة
٢٧٣—٢٧٢	الامير فيصل ابن الملك عبد العزيز
٢٨١—٢٨٠	اعضاء مؤتمر العقير — القصر في الرياض
٢٩٧—٢٩٦	الملك حسين في عمان يوم بوع على الخلافة

جيش الحجاز النظامي	٣٠٥—٣٠٤
مكة المكرمة والحرم الشريف	٣١٣—٣١٢
الملك علي في موكبه	٣٢١—٣٢٠
الملك عبد العزيز (بين اخصائه)	٣٢٩—٣٢٨
الملك علي في الورشة يجده امام احدى المصفحات	٣٣٧—٣٣٦
جده . الحي الشمالي	٣٤٥—٣٤٤
حسين العويني	٣٥٣—٣٥٢
مقر الهلال الاحمر	٣٦١—٣٦٠
خارطة جده وخط الدفاع	٣٦٨
المحمل المصري	٣٧٧—٣٧٦
الملك عبد العزيز في المطار وامامه المؤلف ^٢	٣٨٥—٣٨٤

المراجع والاسانيد

كنا في ارياض نسر ورجال التاريخ من آل سعود ، المعاصرين منهم والاقدمين . وكان الفضل في السمر التاريخي للسلطان عبد العزيز الذي ارسل الي كتابين طبعوا في الهند لانتين من ادباء نجد ومؤرخيه ، الاول روضة الافكار لحسين بن غنام الحنلي ، والثاني علو المجد في تاريخ نجد ، لعثمان بن عبد الله بن بشر . قرأت التاريخ فصرت أحسن الحديث وعظمة السلطان عن اجداده ، وطالعت في «الروضة» شيئاً كثيراً في محمد بن عبد الوهاب وله ، فصرت افقه معنى النهضة الروحية التي قام بها في وادي حنيفة كبيران من ربعة هما هذا النيسبي ابن وهاب وذاك المانعي الوالي ابن سعود .

ولكني وانا اطالع الكتابين اسفرت لاسلوب مؤلفيهما القديم ، ذاك الاسلوب انكاف المسجع الذي لا يجب مطالعة التاريخ الى قراء هذا الزمان ، ووددت لو ان احد المشائين العصريين يلخص ابن بتر ، او يعد كتابة تاريخ نجد منذ قرن ونصف قرن . ايطالع العامة واخاصة على ما جرى في وادي حنيفة من الامور الدينية والسياسية ، التي كان لها التأثير الأكبر في العرب بعد البعثة النبوية .

وكنتم قد تذوقت السحر السلطاني في العقير ، فروى عطمة شياً من اخبار حروبه وابن الرشيد ، وكان في الرواية فصيحاً ، بلعاً ، جذاباً — ومنصفاً لخصه . فقلت في نفسي ، وقد فتح لي باب في الكناية عيب ، هذا القصة كلها ادونها للناس — قصة هي تاريخ كله حديث ، واكثره انيد مفيد .

لم اجرؤ يوم كنا في العتير ان افصح السلطان عن رغبتى هذه ، ولكني قلت لرفيقي السبد هائم الرفاعي اني احب ان اكسب سعة السلطان عبد العزيز ، وان

مباشر العمل . وفي الحقيقة كنت قد دونت في مذكراتي الواقعة التي سمعت خبرها في الليلة السابقة .

وعند ما جئنا الرياض ، وبدا من عظمة الساعات ذاك التعطف الخاص الجميل ، فانزلني في القصر وكانت يشرف منزلي كل ليلة بعد صلاة المساء ، تشجعت فاستأذنت بان اكون مؤرخه ، فاجاب ، وكان الجواب مبهجاً : ما يخالف (لا بأس) فاستويت واقفاً وشكرته ، ثم قامت : وخير البر عاجله . انبداً اذا امرته الان .

— ما يخالف

وكان على المنفذة الورق والخبر فجلست اكتب ما رواه تلك الليلة من اخباره الاولى في الكويت .

وبعد ذلك ، اثناء المدة السعيدة التي اقمته في الرياض ، اي ستة اسابيع ، كان عظمته يروي من اخباره ما يستغرق ساعة واحدة كل ليلة ، فنتعاون انا والسيد هاشم في التدوين . وكنت استوقف عظمته في بادىء الامر مراراً لافهم معنى انظة من الناخذ ، او عبارة نجدية الاصطلاح . وكنا فوق ذلك ، رغبة في التدقيق والتحقيق ، نقرأ قبل ان نبشر الكتابة ما كتب في الليلة السابقة ، فيصلح عظمته ما قد يكون فيها من الخطأ .

هوذا المصدر الاول الاعلى لهذا التاريخ . أضف الى ذلك رسائل عدة ووثائق : سمية اطاعني عظمته عليها ، واذن بنسخ بعضها .

.....

بعد ان وصلنا في تاريخ نجد الحديث الى مؤتمر العقير عدت الى ابن بشر وعقدت النية على تلخيص ما جاء فيه من الاخبار . وابن بشر ، بقطع النظر عن سوابه ، مدقق في الاجمال وصادق الرواية . الا انه ينتهي في تاريخه عند سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٥٠ م) فيكون بينه وبين النكبة الاخيرة (اي خروج آل سعود من نجد) فترة مقدارها اربعون سنة ، لم يروِ السلطان اخبارها لانه لم يكن

محققها كلها ، ولا اذن احد علماء الرياض ، للسبب نفسه ، بروايتها .
ولكنه ، عند ما ازمعت الرحيل ، اعطاني كتاباً الى احد عماله في شقراء ،
هو محمد السباعي ، يأمره بان يكتب الى الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى في
أشيقر (قرب شقراء) ليرسل اليه تاريخه الخطي ، فاطلع عليه وانسخه ، ثم يعاد
الى صاحبه .

جئت شقراء ، وراح نجاب السباعي الى أشيقر ، فوجد بيت المؤرخ مقفلاً ،
وقيل له ان الشيخ ابراهيم في عنيزه . وكنا في طريقنا الى عنيزه ، فرجونا ان
نجتمع بالمؤرخ فيها . ولكن السباعي ، سآحه الله ، لا يثق كل الثقة بالنقادير ،
فأمر نجا به بازجوع الى أشيقر يوم رحلنا من شقراء وقال لي : اذا ظفر بالتاريخ
رسله اليك حيث تكون في بریده ، او في عنيزه ، او في الحفر . واذا اجتمعت
بصاحبه في طريقك فامسكه يا امين بتلايبه .

وصلنا الى عنيزه فلم نجد فيها المؤرخ ، ولا جانا من السباعي التاريخ ، ولكن
غداة دنونا من بریده خرج النجاب يلاقينا ، وكان قد جاءها رأساً من أشيقر ،
فسلم واخرج التاريخ من جيبه قائلاً : بعد ان تقضي حاجتك منه رده الى
السباعي فيرده الى صاحبه . وهكذا كان .

قد مرني من تاريخ ابن عيسى ، على ما فيه من ركافة وسذاجة ، انه
خلو من النقر والسجع . واليك بمثال واحد منه .

« خرج عليهم (محمد ابن الامام فيصل على اهل عنيزه) واقتتل
الزيمان قتالاً شديداً ، وصارت الهزيمة اولاً على محمد ابن الامام ومن
معه ، وتتابعت هزيمتهم الى خيامهم ، فامر الله سبحانه وتعالى بالمطر ،
وكان غالب سلاح اهل عنيزه البنادق ، فبطل عملها من شدة المطر ،
فكر عليهم محمد واصحابه ، فهزموهم ، وقتلوا منهم اربعة عشرة رجلاً »

في ابن بشر وابن عيسى معا يتم اذن تاريخ آل سعود منذ نشأتهم الى حين
سنيل . محمد بن الرشيد على نجد . ولولاهما لما تمكنت من كتابة النبذة الثالثة
من هذا التاريخ . على انه ، وانا اكتبها ، خطر في ان اقابل بين المؤرخين

الوطنيين والمؤرخين الاجانب ، خصوصاً في الحملات التي جردها على نجد محمد علي باشا وابناه طوسون و ابراهيم .

والتاريخ ذو تنجوت ، فقد جرتني فتوحات سعود الكبير الى الحجاز ، فكة المكرمة ، فالتقيت هناك بعض الاوربيين المستشرقين المتكربين ، فاستكشفت اخبارهم واثارهم لاطلع على رأيهم في الوهاية يومئذ وفي ادل نجد ، فعرفت ان السويسري بر كهارت كان مقرباً من محمد علي ، والاسباني باديا اي ابلنج كان جاسوساً لنبوليون الاول . على انهما متفقان في نزعتها العلمية ، وصدق الرواية ، وان اخذنا في المقاصد السياسية .

جاء بر كهارت الحجاز ، قادمًا من السودان ، يوم كان محمد علي في العائف . وعندما وصل اليها سأل الباشا عن احوال تلك البلاد التي كانت يحكمها يومئذ ابنه ابراهيم .

قال بر كهارت في رحلته الحريمية John Lewis Travels in Arabia, Burkhardt. London: Henry Colburn, 1829

« وسألني الباشا اذا كان ابنه ابراهيم محبوباً هناك فاجبته بلغة الصدق : ان متايخ اقري كلهم يكرهونه لانه ردعهم عن الاستبداد بالانلاحين . اما الفلاحون فيحبونه حباً جما »

ولا شك ان محمد علي الكبير كان يحب بر كهارت اعلمه ، ويحترمه اصدق لهجته ، فاذنه بالدخول الى مكة وبزيارة المدينة .

اما المستشرق الاسباني الذي اتخذ اسم علي بك العباسي فلم يكن له من اولي الامر نهير ، وما فاز بغير حده ودماة . اصبحت ان اطالع على رحلته التي طبعت بالانكليزية بانندن ، فكتبت الى كتيبي مشهور هناك اطلبها ، فاجاب ان الكتاب غير موجود في المكتب ، وعرض ان يعلن في المرائد على هناك احداً عنده نسخة يبيعها ، فقبحت . وبعد نهر جاني منه كتاب يقول انه حيلي بنسخة من الطبعة الاولى ، سايمة تامة بمجادة بجلد ثمين ، ثمنها عشرون ايرة انكليزية فقط !

وكننت يومئذ اراجع التواريخ الافرنسية في نهضة محمد علي المصرية، فقرأت ما كتبه ادوار غوان (L'Egypte au XIX Siècle, Edouard Gouin, Paris 1847) ويمت المكتبة الشرقية لاطالم تاريخ مانجن (Histoire de l'Egypte sous le Gouvernement de Mohammed Aly , Felix Mengin, Paris 1823) فلا اجد منه غير الجزء الثالث ، وهو ملحق للتاريخ ، كتبه جومار E. F. Jomard فحُت مكتبة الجامعة الاميركية ، فحظيت فيها ليس بمانجن فقط بل برحلة علي بك ايضاً ! وهي طبعة اميركية عن الطبعة اللندنية الاولى (Travels of Ali Bey Philadelphia : John Conrad, 1816)

ما مانجن فقد وجدت في ما راجعت لغرضي انه ينقل احياناً عن تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار في التراجم والاخبار) ووجدت ان ازواية في ما يختص بحوادث نجد لا تختلف كثيراً عن رواية ابن بشر . الا ان في تاريخ المصري ، وبالتالي الافرنسي ، بعض الاشياء التي فات ابن بشر ذكرها ، او انه كان يجهلها . كاصندوق الصغير مثلاً الذي حمله عبدالله بن سعود الى الاستانة ، وفيه بعض اطلاق الحجرة النبوية التي كان يأمل ان يسترضي السلطان بها ، فيعطيه الامان ويأذنه بالرجوع الى بلاده . هذا في ما يختص بالنبذة النائية .

.....

ما النبذة الثانية ، محمد بن عبد الوهاب والوهابية ، فقد كان لي في كتابتها عون آخر غير ابن غناء . اجل ، قد طالعت ، وانا في الرياض ، رسائل ابن تيمية وغيرها من الرسائل الخنبالية في كتاب طبع بمطبعة المنار بمصر .

وها انا ، وقد ذكرنا النبذات عكساً ، في النبذة الاولى : نواحي نجد ، وهي لا تحو من صعوبة اذا تحوينا التدقيق في ضبط الاسماء ، اسماء البلدان . فكتب السياح المستشرقين تضلل غالباً في اعلامها ، وكتب الاقدمين العربية تروي اسماء بلدان دُترت ، واسماء للبلدان التي لا تزال في عالم الوجود غير المصطلح عليها فظاً ومبني . لا بد اذن من الاستعانة باحد علماء نجد المعاصرين . وبما ان الوقت

كان قد ضاق دون ذلك يوم كنت في الرياض التمسست من عظمة السلطان ان،
 يأمر احد العلماء بان يرسل مطلوبي الى الفريكة . فأرسل اليّ بدل اسماء النواحي
 والبلدان نسخة من كتيب خطي عنوانه : مثير الوجد في معرفة انساب ملوك
 نجد ، تأليف راشد بن علي الحنبلي . فجاء عوناً لي في تحقيق انساب آل سعود ،
 وابن عبد الوهاب ، وعرب الشمال اي مضر وربيعة .

وكنت قد استعنت عند ما مررت بعنيزة بالشيخ عبدالله بن محمد العبد
 العزيز البسام ، فكتب لي لائحة باسماء بلدان القصيم وسدير والعارض ، وبت
 انتظر وصول المعلومات الاخرى ، فمرت الايام ، وتزاحمت الحوادث في نجد ، ولم
 تمكث النبذة الاولى .

وكانت حرب الحجاز . وكان من حظي ان اتشرف ثانية بزيارة السلطان
 عبد العزيز . فذكرته ، ونحن في جده ، بتلك النبذة وبما وعدني به لتمامها .
 فقال : ما يخالف . ولكني وجدته مشغولاً في مسائل أهم منها ، فسكت ثم سألت
 الدكتور عبدالله الديملوجي عن بعض البلدان فقال : لا يستطيع ان يجيب
 استلتك هذه غير السلطان ، وهو الملقب بجغرافية البلاد العربية .

السلطان الاستاذ ! ولحسن الحظ ، عند ما جئته ذات يوم بعد الظاهر حسب
 العادة ، لقيته يطالع كتاباً للسيد محمود شكري الالوسي ، عنوانه تاريخ نجد
 (المطبعة السلفية بمصر) فسألته رأيه فيه فقال : لا بأس به ، ولكنه لا يخلو من
 اغلاط في اسماء البلدان . فقات ، وقد تمسكت بتلايب الفرصة : اذن ، يا طويل
 العمر ، عليكم باصلاحها .

واخرجت القلم والدقتر من جيبي قائلاً :
 اتأمرون بان تكونوا الان الاستاذ وان اكون انا التلميذ ؟ اتأمرون بان
 ابدأ سؤالاتي ؟

فاجاب عظمته : وما هي ؟ فذكرت بعضها ، فقال : الامر يطول . تأذنه
 اذن بان امد رجلي .

فقلت مبتسماً : وهل في ذلك اشارة الى قصة الامام ابي حنيفة ؟ ^(١)
 فرفع يديه ضاحكاً وقال : لا والله . لا والله . القصة لا تنطبق عليك
 وكانت ساعة نادرة ذكرتني بليلي الرياض ، ومكنتني من كتابة النبذة
 الاولى

اما مراجع هذا التاريخ الاخرى فاهمها ما يأتي :
 الكتاب الاخضر النجدي ، كتاب الوفد الهندي
 الكتاب الاحمر الحجازي
 تقرير المندوب السامي لحكومة بريطانيا العظمى في العراق من اول
 اكتوبر سنة ١٩٢٠ الى آخر مارس سنة ١٩٢٢
 تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد (المطبعة العصرية بغداد)
 مذكرات الفريق شفيق كالي باشا (متصرف عسير والقائد العام فيها
 من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١٢ ، ووالي البصرة سنة ١٩١٣) نشرت تباعاً
 في الاهرام في شهر يولي فوفبر وديسمبر سنة ١٩٣٤
 عنوان المجد في احوال — بغداد وبصره ونجد تأليف ابراهيم فصيح
 الحيدري البغدادي (نسخة خطية)
 ومن الكتب الانكليزية :

قلب البلاد العربية H. St. John Philby. The Heart of Arabia.
 Constable : London,

الطواف في البلاد العربية Charles M. Wanderings in Arabia.
 Doughty. Duckworth : London,

التغلغل في البلاد العربية D. G. The Penetration of Arabia.
 Hogarth. Alston Rivers, London,

(١) كان ابو حنيفة يخطب في صلاة من تلاميذه في ان صلاة الفجر ينبغي ان تكون
 قبل طلوع الشمس ، وبينما هو يخطب ، وقد جاس جلسة الائمة ومد رجلاه ، دخل شيخ جليل
 الطلعة ، وتبوا مكاناً في الائمة ، فترجم الامام اكراماً له ، واستمر في كلامه ان صلاة الفجر
 ينبغي ان تصلى قبل طلوع الشمس ، فسأله الشيخ : واذا طلعت الشمس قبل الفجر : فقال
 الامام : وهو يعود الى جلسته الاولى : عندئذ يعد ابو حنيفة رجلاه ولا يبالي .

انك ترى اذن مما تقدم ان اهم مصادر النبذات الثلاث هي نجدية ، اي ان ابن بشر هو ركن النبذة الثالثة ، وابن غنام وابن تيمية ركننا النبذة الثانية ، والسلطان عبد العزيز ، الملقب بجغرافية البلاد العربية ، والشيخ عبدالله البسام الذي قال فيه عظمة السلطان انه من العارفين المدققين ، هما مرجعي في النبذة الاولى .

اما السيرة فقد قصصت قصتها . وقد اشفعت المصدر الاول الاعلى بما استوجبه التدقيق من مراجعات ما طبع في البلدان المجاورة لنجد ، وما نشره السياح المستشرقون ، وبعض الترك والعرب ، في ما يختص بالبلاد العربية لمخمين سنة .

ولا بد من ذكر مرجع آخر هو رحلتي العربية الاولى ، ورحلتي الثانية الى الحجاز . فقد كنت انما ذك استقي الاخبار من مصادرها العليا ، واسمع من ذوي العرفان ممن حدثتهم ما يثبت او يكمل الرواية السلطانية . فقد كان عظمته يقتضب الكلام في ما يتعلق بشخصيته ، فيمسك النفس عما فيه فخرها والثناء عليها . واني اختم هذا الفصل بقصة واحدة من القصص العديدة التي كنت اسمعها ، والتي تمثل الحلم والكرم في شخصية هذا العربي الكبير .

عند ما كانت الحرب قائمة بينه وبين اثاربه « العرايف » في الحساء ارسل خصمه سلمان بن محمد بن سعود وفداً من قبله الى قطر ، وعمان ، ومسقط ، والبحرين يستنجد سيوخيها على السلطان عبد العزيز . وكان العجمان يومئذ حلف « العرايف » وكان احد رجال الوفد من هذه القبيلة ، فسافروا الى عمان ، ومنها جازوا الحايك الى انجا على الشاطىء العجمي ، وهم يقصدون سلطان الحمادى حاكم تلك الناحية الذي يدعى ان العجمان من العجم ، فاعطاهم لذلك مئة بندقية واربعة الاف روية . ثم جاوا البحرين فاعطاهم الشيخ عيسى مئة بندقية واثنى عشر الف روية . وقد ساءلهم آل زايد بعان باكثر من ذلك .

عاد رجال الوفد موفقين . وبينما هم مسافرون الى العقير التي كانت يومئذ بيد العجمان ، ومعهم ما جمعوا من الاسلحة والمال لتجارية ابن سعود ، علم بهم الشيخ

عبد الرحمن بن سوّيلم امير القطيف . فسارع الى ارسال عساكر في مراكب
شراعية ، طاردوا مركب العدو بين البحرين والعقير ، ثم حاقوا به فحجزوه ،
والقوا القبض على ثلاثة من رجاله .

حدثني احد الثلاثة ، وهو العجماني ، قال : جاءوا بنا الى القطيف وارسلونا
مقيدين الى السلطان عبد العزيز بالحسا . فلما وصلنا امر بفك قيودنا وبأخذنا الى
المقيف . وبعد ثلاثة ايام أحضرنا الى المجلس وكل واحد منا لا يرى من قسمته
غير الموت ، فخطبنا السلطان قائلاً : يا عيالي نحن لا نقهر احداً . فمن كان منكم
يبغي معز به (شيخه او اميره) فاليه به . ومن كان منكم يبغينا فاهلاً ومرحباً .
فقال واحد منا : انا يا طويل العمر افضل نارك على جنة سلمان ، فامر له ببندقية
وكسوة وادخله في الجيش . وقال الاخران : ودنا نروح الى معزنا نعتز واياه
وننذبح واياه . فامر لكل منهما بكسوة ، وذلول ، وثي من الماء ، ثم اطلق
سراحهما .

وفي التاريخ بقية القصة التي انتهت بتسليم العرايف ، فكان الحلم انجح بهم
من السيف .

النبيذة الاولى

نواحي نجد

نواحي نجد (١)

ليس في نجد ارض يستوي سطحها وسطح البحر . فانك اذا جئت البلاد من خليج فارس تمر بالحساء ، ثم تأخذ بالتصعيد — والعرب يقولون التسنيد — وتستمر مصعداً ، دون ان تدرك ذلك في اغلب الاحاين ، الى العارض (١٨٠٠ قدم) فالشعره (٢٠٠٠) فالخرة الصغيرة (٤٠٠٠) فرأس السيل (٤٥٠٠) ومن هناك تنحدر الى مكة .

واذا جئت نجداً من البحر الاحمر ، من جدة مثلاً ، فتصعد الى الطائف (٦١٧٠ قدم) وتشرف بعد ذلك على جبل حضن — من رأى حضناً فقد انجد — ومنه تنحدر الى نجد ، وتستمر في الانحدار دون ان تدرك ذلك لانه في اكثر الاحاين غير محسوس ، حتى تصل الى الحساء .

وبكلمة اخرى اذا شطرناسبه الجزيرة شطرين من جده الى العقير على خليج ، يظهر نصفها في هذا الشكل المخروط :



(١) في كتاب الالوسي صفحات ٦ و ٧ و ٨ شيء من كلام الاقدمين المتناقض المتضارب في ما هو تحد وما هي حدوده ، فللقارىء الراغب بمثل هذا العلم ان يرجع اليه اما حدود السلطنة النجدية الحاضرة فالذي قررته الطبيعة حد واحد فقط هو الاحقاف او الريم الخالي في الجنوب . اما الحدود الاخرى فقد قرر ابن سعود الشرقية والغربية منها بالسيف ، وقد تقررت الحدود الشمالية ، والشمالية الغربية والشرقية ، بالاتفاق وصاحبة الانتداب في العراق وشرقي الاردن ، اي حكومة بريطانيا العظمى . وهذه الحدود ظاهرة في الخارطة الملحقة بهذا التاريخ .

ان نجداً ليصدق اذن معنى اسمه ، اي هو المرتفع من الارض . وفي هذه الاراضي المرتفعة ، شمالاً او غرباً وجنوباً ، اما كن تختلف في العلاء والوطاء بعضها عن بعض . فالقصيم مثلاً على الف قدم فوق العارض ، وحائل تعلو نحو ذلك فوق القصيم ، واليمامة هي خمسمئة قدم دون الرياض .

وفي هذه البلاد السهول والجبال ، وصحاري الرمال ، والاوودية والتعاب والواحات والقفار . هناك من الاراضي المنبسطة القصبية التي لا كلا فيها ولا ماء كالصمان ، ومن صحاري الرمل التي تكثر فيها المراعي كالدهناء ، من السهول التي تزرع مرتين في السنة كلوهم ، ومن الواحات التي تنزر فيها المياه ، وتعدد البساتين ، كلعارض ، والاحساء ، والافلاج . ومن البقاع العالية الطيبة التربة والهواء كالقصيم وجبل شمر .

اما اطول سلسلة من جبالها فهي التي كانت تدعى قديماً العارض او عارض اليمامة . والعارض ما عارض او برز في الارض . قال الشاعر :

واعرضت اليمامة واشمخرت كاسيا فبايدي مملتنا

وبما ان هذه السلسلة من الجبال تطوق قلب نجد من القصيم الى وادي الدوادر فاهل نجد يسمونها جبل طويق . وبما ان الاسرة السعودية اتخذت الرياض مركزاً لها ، وقاعدة لبلاد نجد ، فقد اطلقوا على البلد اسم الناحية اي العارض ، فنقول اليوم طويق والعارض كما كان الاقدمون يقولون اليمامة .

واليمامة هذه ، التي كانت من اشهر البلدان النجدية قديماً ، والتي لا يزال اسمها يرثى في كتب الادب والشعر ، هي اليوم واحة صغيرة تكاد تخنقها النشود ، فيها اربع قرى وبعض « القصور » مساحتها نحو ميل واحد مربع ، وعدد سكانها لا يتجاوز الالفين ، كلهم مزارعون من بني مرة وتخطات وبني هاجر . وهم يزرعون في بساتينهم الرمان والعنب والتين ، وبعض القطن ، والحنطة والبرسيم الذي يسمونه الجت . هذه البقية من اليمامة هي في وادي الخرج المنخفض الذي تصعد منه جنوباً الى الافلاج ، وشمالاً الى الرياض . واكتفينا قبل ان نعود الى العارض سنعل القارىء بالنواحي الكائنة جنوباً منه . ان اكبرها واخصبها

الافلاج

التي تكثر فيها الابار ، والعيون ، والنخيل ، وتزرع فيها الحبوب والثمار وشيء من القطن . قاعدتها ليلي ، على سبعة مراحل من الرياض ، واكبر قراها البديع ، والاحمر ، والهدار . وفي هذه الناحية بقعة تدعى السيج ، من العيون السائجة ، بل فيها بحرات عدة هي من مياه جبل طويق التي تصب غرباً بجنوب تحت ارض الوشم وفي وادي حنيفة ، ثم تظهر على وجه الارض بصورة دائمة في الافلاج . اما العرب الذين يقطنون هذه الناحية فهم من قحطان ، والدواسر ، وسبيع . ان بعد الافلاج الى الجنوب الغربي

وادي الدواسر

وفي طرفه الشمالي ناحية تدعى السليل وفيها من القرى الدمام ، وحنابج ، ورويسه ، وفرعه وغيرها . وفي طرفه الجنوبي ناحية ثلث ومن قراها العَمَق ، ومطايه ، وعين ، وخرَيْقه . اما سكان الوادي فاغلبهم من عرب الدواسر الاتساوس البدو منهم والحضر . بعد الوادي جنوباً ، على ثلاثة مراحل منه

نجران

ابني يام الذين كانوا في الماضي خارجين على كل سلطة مشروعة ، فما دانوا لاحد غير شيوخهم . ولكنهم منذ ثلاث سنوات دخلوا في الرعوبة السعودية فصاروا يدفعون الزكاة طائعين . ان اكبر قرى نجران مخلاف وجبونه ، وعند نجران تنتهي الحدود الجنوبية الغربية لسلطنة نجد . نعود اذن شمالاً بشرق الى الافلاج ومنها الى

الخروج

تلك الناحية الخصبة التربة ، الغزيرة المياه ، التي تُزرع في ارضها الجبوب ، وفي بساتينها الثمار على انواعها ، من مشمش ودراق وتين وعنب ، وتُرى فيها احسن الجمال . اما قاعدة الخرج فهي الدلم على ثلاث مراحل من الرياض ، واهم بلدانها زميقه ، ونعيجان ، واليمامة ، والسلمية في طرفها الشمالي .

ثم وادي الفرع الى الجنوب ، وفيه بلدان ، او بلادين كما يقول اهل نجد ، وسط جبل اليمامة ، اكبرها الحوطة التي تبعد عن الدلم جنوباً ثمانية واربعين ميلاً . وفي اعلى الوادي الحريق على مسافة اربعة وعشرين ميلاً من الحوطة . اما اهل هذين البلدين فن بنى تميم الاشداء ، ومن غلاة الحنبلية المحافظين على تقاليدهم وعزاتهم ، الفيورين على استقلالهم .

عند ما دانت بلاد نجد لابن الرشيد ظل اهل الحوطة ، التي تدعى حوطة بني تميم ، خارجين عليه متمردين . وعند ما عاد ابن سعود ونازعه السيادة ابن عمه سعود العرافة نصر اهل الحوطة والحريق سعوداً على الشاب عبد العزيز . وكان ما هو مدون في هذا التاريخ من انتصار عبد العزيز . ولكنه ضمن لاهل هذه الناحية ، اي الفرع ، استقلالهم النوعي على شريطة ان يعترفوا بسيادته ، فيدفعون الزكاة ويلبون الدعوة للجهاد . ومن البلدان الاخرى في الخرج نعام ، ومفيقر ، والحلوة التي يغلب في سكانها عرب عنزي .

ثم حائر في طرف وادي حنيقة الجنوبي ، على مسافة خمسة وعشرين ميلاً من الرياض ، وهي تدعى حائر سبيع لان سكانها من عرب هذه القبيلة النازحين من الغرب . وفيها ايضاً السهول خلفاء سبيع .

ومن حائر شمالاً بعد بضع ساعات من السير ، نعل اى البلدة التي كانت قديماً تشاطر اليمامة الشهرة والمجد . هي المنفوحة بلدة الشاعر زهير بن ابي سلمى القريبة جداً من الرياض ، والتي امست اليوم منفوحتين ، الواحدة القديمة ولا تزال خرائبها بادية للعيان ، والثانية الجديدة على رمية سهم منها .

ان السبب في بوار اودية مثل وادي الرمة (العرب يلفظونها مخففة) ، وخراب مدن مثل اليمامة والمنفوحة ، هو اما اتقطاع المطر اعواها متواليه فنجف العيون والابار فينزع اهليها ، واما تهطل الامطار التي ترسل السيول في البلاد فتغمر ما يكون في طريقها من العمران وتتركه خراباً بباباً . ان من هذه الاخرية ما شاهده في الخرج ، وفي وادي حنيفة ، وفي الباطن من وادي الرمة .

العارض

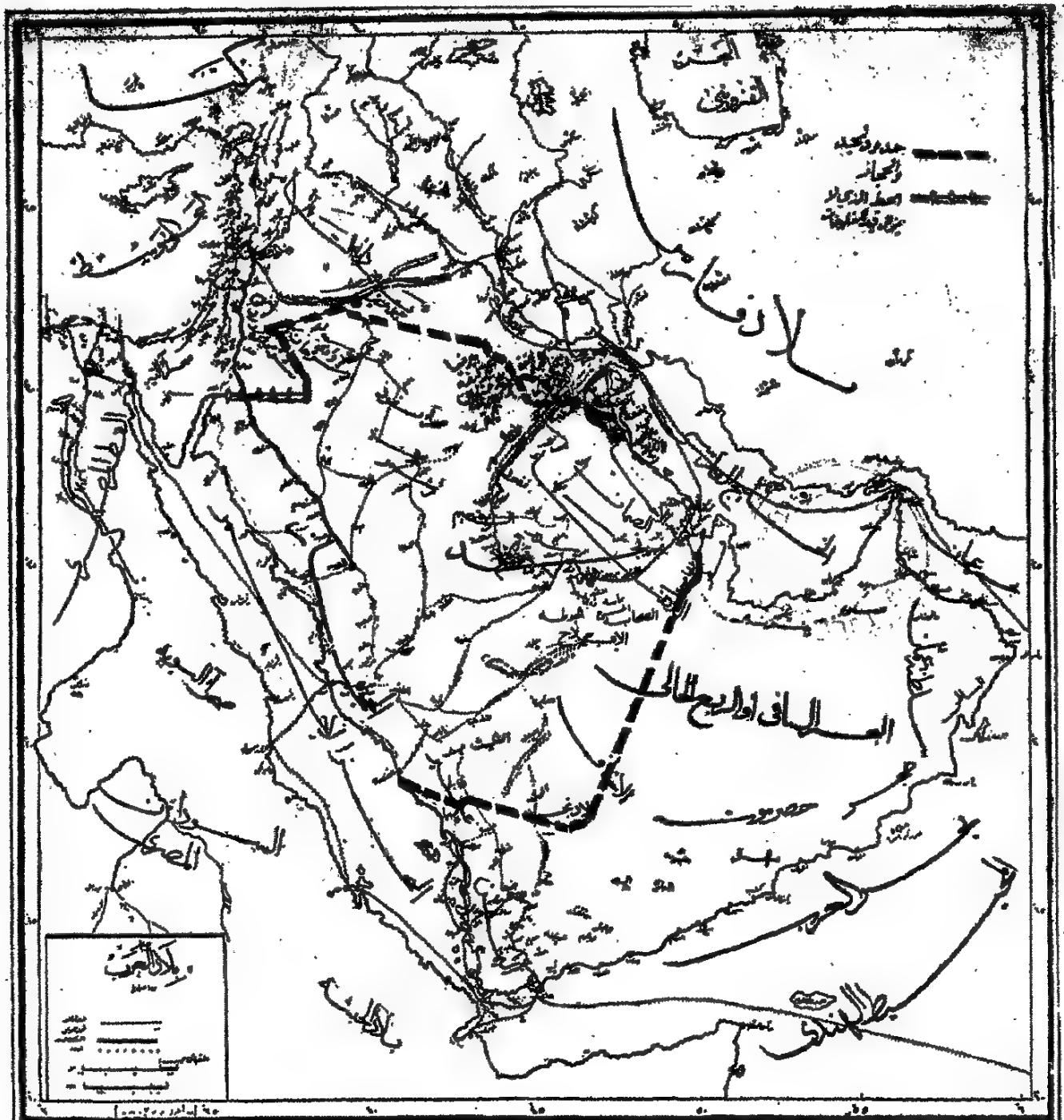
قلت ان العارض هو اسم الناحية والعاصمة معاً ، فيه واحة جميلة تمتد من سفح جبل طويق شرقاً الى المنفوحة ، وفيه العيون العذبة ، والقلبان — الآبار — المتعددة ، والبساتين التي يزدهي فيها النخيل ، وتماوج في ظلالها اخضرار الجت والبقول .

وبلحق بالرياض او العارض عدة ترى كبيرة ، كالدرعية الحديثة ، على ثلاث ساعات الى الشمال منه ، وعزرة ، وابوكباش ، التي كانت مسكن آل سعود الاقدمين قبل ان اسست الدرعية ، والعارية ، والجبيلة ، احدى قرى بني حنيفة ومسكن مسيلحه قديماً ، والعيينة بلد آل معمر ومسقط رأس محمد بن عبد الوهاب .

وهناك جنوب العاصمة المنفوحة ، والمصاح ، وحار سبع التي مر ذكرها . وغرباً منها ، في طرف الحماة الجنوبي ضرمه (تلفظ اضرمه) المؤانة من قصور ومزارع عديدة تسمى المراحيات . جنوبي ضرمه الغطفط بلدة الاخوان المشهورين بـ التهم ، اخوان عنيبه . ثم الرث على مرحلة منه شمالاً ، وهي اول بلدة في الجهة الجنوبية من الوشم . اما

الحماة

التي ذكرت فهي سهل يمتد من الشمال الى الجنوب بين جبل طويق ونفود



الخط البارز في هذه الخارطة هو خط الحدود لملك ابن السعود

السر ، وفيه الزلّقي وغيرها من القرى ، بعضها في النفود الكائنة بينها وبين عنيودة وبعضها في السهل ، ومن هذه القرى مليح ، بين الزلّقي والفاط ، وفريسان ، وهما هجرتان من هجر مطير . وجنوبي فريسان الداهنه من هجر عتيبه .
 ، اما الفاط التي هي بين الجمعة قاعدة سدير وبين الزلّقي ، على مرحلة واحدة من الاثنتين ، فهي مشهورة بأنها مسكن « السداره » من اعيان اهل سدير ، الذين صاهرهم آل سعود قديماً وحديثاً^(١) وأمروهم في البلاد . فقد كان تري السديري اميراً على عُمان في الزمن الغابر ، وكان ولده احمد ، جد عبد العزيز ، اميراً على الاحساء في عهد الامام فيصل ، وولده محمد وعبد المحسن متولين الحكم في القصيم وفي الجمعة .
 نعود الان الى النواحي التي هي شمالي الرياض ، واولها

الشعيب

التي تفصل بين العارض وسدير ، قاعدتها حريملة على مرحلتين من الرياض ، (عمرت سنة ١٠٤٥ هـ) . واهم بلدانها قربنه (عمرت سنة ١١٠١ هـ) ، ومامم ، وصُلبوخ ، وسَدوس التي فيها اثار قديمة قيل انها حميرة . ثم

المحمل

وثادق قاعدتها ، التي عمرت سنة ١٠٧٩ هـ ، والصُفَرَات ، هي والبير تسمى كليا الليزوه . اما الصُفَرَات فهي عدة بلادين قريبة من ثادق . وهناك البير جنوبي الصُفَرَات (عمرت سنة ١٠١٥ هـ) ، ورغبه (عمرت سنة ١٠٧٩ هـ) .
 من الشعيب والمحمل نستمر مصعدين في جبل طويق الى

سدير

اكبر نواحي الجبل ، وقاعدتها الجمعة (عمرت سنة ٨٢٠ هـ) التي يقال لها

(١) ام جلالة الملك عبد العزيز من السدارة

والحرمة منبىخ ، والتي تبعد مئة ميل عن عنيزة الى الشرق ، تفصل بين البلدين
قنود كبيرة تمتد جنوباً الى وادي السر . اما بلدان سدير فعديدة ، ومن
اكبرها واقدمها حرمة (عمرت سنة ٧٧٠ هـ) ووشي ، وجوي ، وجلجل ،
والتويج (عمرت سنة ٧٠٠ هـ) والداخلية ، والحصون ، والجنوبية ، والعطار ،
والجنيفه ، والعودة ، وعشير ، والخطامه ، وتميريم ، والخييس ، والروضة (روضة
سدير)

الوشم^(١)

هذه الناحية هي غربي جبل طويق ، وغرباً بمجنوب من سدير . قاعدتها
شقراء ، واهم بلدانها ثرمدا ، والجربفة ، والقراين ، واشيقر على ساعتين من شقراء ،
والفرعه على رمية سهم من اشيقر ، والقصب على ثمانية عشر ميلاً من شقراء ،
ومرآة بلد امرى القيس ، ثم الحرفف على مرحلة واحدة من روضة سدير .

القصيم

نه تكن تعد في الماضي من نواحي نجد ، وقد لا يجوز ان نعدّها اليوم الا من
ملحقاته . فقد طالما تنازعت السيادة فيه كبيرتا بلدانه ، عنيزة وبريده ، ونزعت
كلتاهما الى الاستقلال عن ابن الرشيد وعن ابن سعود .
ان في هذا التاريخ الكفاية عن البلدين وامرائها ، وفي «ملوك العرب»^(٢)
الكفاية في وصف اهل القصيم ومجاياهم المرنة التي تختلف عن مجايا اهل الجنوب .
اما اهم بلدان هذه الناحية ، بعد بريدة وعنيزة ، فهي البكيره (عمرت سنة
١١٨٠ هـ) والهلالية ، والخبراء (عمرت سنة ١١٤٠ هـ) والبدايع . وكلها لا تبعد
عن عنيزة اكثر من خمسة وعشرين ميلاً . ثم الرأس وملحقاته ، وهي على مسافة
خمسة وثلاثين ميلاً غربي عنيزة . ثم النبهانية على مرحلتين منها الى الغرب ،
والمذنب على مرحلة منها الى الجنوب ، والقصييا على مرحلتين منها الى الشمال ،

(١) راجع ملوك العرب ، الجزء الثاني ، صفحات ١٠٧ / ١٠٩

(٢) الجزء الثاني ، الفصل الخامس عشر ، صفحات ١١٠ / ١١٧

والاسياح ، وعين فهد ، والطرفية على مرحلتين شرقاً من بريدة .. وهناك شمالاً
بغرب من القصيم ، على خمسة مراحل منه

جبل شمر

اي جبلاطي ، اجا وسلمى ، وما يتبعها من السهول والجبال . اما حائل ،
عاصمة شمر ، فهي من اكبر المدن العربية واجملها ، سكانها نحو ثلاثين الف وهم
مثل اهل القصيم يكترون الاسفار والاتجار ، وپارون بالترفه اهل الامصار ،
وبالبسالة والشجاعة اهل القفار .

وهناك قرى عديدة منها قفار ، وقبة ، وبقعاء ، وسميراء ، وكهفة هي كلها
تابعة لحائل . واذا سرنا منها شمالاً بغرب واجتزنا النفود الكبرى نصل الى جوف
آل عمرو او

وادي سرحان

التي كانت لعرب الروله من عنزي فاستولى عليها ابن الرشيد ، ثم بعد سقوط
حائل دخلت في حوزة ابن سعود . قاعدتها الجوف واهم قراها سكاكه ، وكاره ،
وقرايا الملح ، وآثره ، وقراقر . هناك عند الطرف الشمالي من وادي سرحان
الحدود الشمالية الغربية لسلطنة نجد .

الاحساء

هي اكبر واخصب النواحي ، بعد جبل شمر والقصيم ، التابعة لسلطنة نجد .
جاء في الكامل للمبرد ^(١) : « الاحساء جمع حسي وهو موضع رمل تحته صلابه ،
فاذا امطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابه ان يفيض ، ومنع
الرمل السائم ان تنشفه . فاذا بحت ذلك الرمل اصيب الماء . يقال حسي »

(١) الجزء الاول صفحة ٧٦ طبعة آيبسيك سنة ١٨٤٦ في ٤ اجزاء

أحساء ، وحساء .

هذا الوصف علمي صحيح . الا ان في الاحساء واحات متفرقة اهمها واحتا الحساء والقطيف ، وبينهما ارض رملية مثل التي وصفها المبرّد . وفي هذه الواحات المياه الجارية ، والعيون العذبة ، والبساتين الغناء ، والارض التي تصلح للحراثة ، فتزرع فيها الحنطة ، والشعير ، والسمسم ، والذرة ، والارز . وفي الحساء قرب الهفوف عيون معدنية متنوعة ، ماءها حارة وباردة ، اهمها عين نجم قرب المبرّز التي يتغنى الشعراء بمائها العجيب — مائها المعدني الحار .

قد كانت الحسا في ايام القرامطة عاصمة مقاطعة هجر ، ثم استولى عليها الامراء العيونيون^(١) وفي سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠ م) في عهد السلطان سليم الاول ، دخلت في حوزة الدولة العثمانية التي كانت قد استولت على اليمن ، فعدت الحسا من الولايات الثمانية . ثم اخاتها الدولة فاستولى عليها بنو خالد الى حين ظهور آل سعود الذين ادخلوا بني خالد في طاعتهم .

وعلى اثر التساق الذي حدث بين ابناء الامام فضل سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٧٠ م) يوم كان مدحت باتا متوليا على بغداد ، عادت الدولة الى الاحساء فاحتلتها ، واطلقت عليها تيمنا اسم لواء نجد . وكنها في مدة اربعين سنة لم تتمكن من بسط سيادتها على باع من الارض خارج الواحات .

هذي هي نواحي نجد واهم ما يحقانها ، ما عدا عسير ، وفيها يسكن اصغر من اهل البلاد . اما البدو فسكانها الحياء ، وقد قل عددهم في عهد السلطان عبد العزيز بسبب الهجرات القرى المسندة التي شرع في تأسيسها منذ عشرين سنة^(٢) فسكان نجد اذن هم اليوم اساسا ثلاث طبقات اي البدو ، واهل الهجر ، والمخضر .

(١) راجع «ملوك العرب» الجزء الثاني صفحة ٢١٤
(٢) في الملحق اسماء هذه الهجر وعددها وعدد سكانها .

النبة الثانية

محمد بن عبد الوهاب والوهابية

ولد سنة ١١١٥ هـ ١٧٠٣ م

توفي سنة ١٢٠٦ هـ ١٧٩١ م

من مؤلفاته

التوحيد في ما يجب من حق الله على العبيد
 السيرة المختصرة
 كشف الشبهات
 كتاب الكبار
 اصول الايمان
 فضائل الاسلام
 احاديث الفن
 مختصر زاد المعاد
 مختصر صحيح البخاري
 مسائل الجاهلية
 مجموع الحديث
 استنباط القرآن
 رسائل عدة ذكرها ونقل بعضها حسين بن غنام في تاريخهم

نسب محمد بن عبد الوهاب

عدنان
معد
زار
|
|
| ربيعة | مضر
| الياس
| طابخه
| اد
| نعيم
| مالك
| حنظله
| شداد
| قاسم
| محمد
| يزيد
| راشد
| احمد
| محمد
| علي
| سليمان
| محمد
عبد الوهاب

محمد به عبد الوهاب

حسن	علي	عبد الله	ابراهيم	حسين
عبد الرحمن				حسن علي محمد
اسماعيل	اسحق	عبد اللطيف		
	عبد الرحمن	ابراهيم	عبد الله	
		محمد		

« إن الدعاء كله لله ، يكفر من صرف منه شيئاً لسواه »

محمد بن عبد الوهاب

« محبة الاولياء والصالحين انما هي اتباع هديهم وآثارهم والاستنارة بضياء انوارهم » .

محمد بن عبد الوهاب

« المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثاناً تعبد من دون الله ، والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته »

من رسالته الى عبد الله بن سحيم

محمد بن عبد الوهاب

والوهابية

١

في وادي حنيفة ظهر مسيلمة الذي حارب النبي والاسلام فكان مدحوراً .
 قتله خالد بن الوليد في وقعة الروضة . وفي وادي حنيفة ، بعد الف ومئة سنة ،
 ظهر محمد بن عبد الوهاب الذي كلف البدع والخرافات فكان من الفائزين .
 قبل ظهور هذا المصلح النجدي كان العرب في نجد ، بل في الشطر الشرقي
 من شبه الجزيرة ، منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف ومن الاهواز ،
 او بالحري من بلاد فارس . فكان لا يزال لاياحات القرامطة اثر في الاحساء ،
 وكانت للقبور شفاعاة لا شفاعاة فوقها ، فحلبها الناس المحل الاعلى في العبادة
 والتوسل . والحق يقال ان هذه البدع ، او هذه الخرافات القديمة ، ابدت العرب
 بادية وحاضرة عن حقيقة الدين الكرى وجوهره الازلي الحي .
 ابدتهم عن الاسلام الذي جاء به بطل عبادة الاوثان وكل ما فيه رائحة
 العبودية لغير الله . فعادوا الى ما كان فيه اجدادهم وامعنوا اكثر منهم في
 الحرعبلات والاضاليل ، فلم ينوسلوا فقط الى قبور الاولياء بل تعددت القباب
 فوق القبور فصارت التسفاعة الكبرى للاججار . بل كانوا يعبدون حتى الاشجار ،
 فيعلقون على اغصانها الرقامع ويقدمون لها النذور . ومن هذه الاعتبار في نجد ،
 خصوصاً في كهوف جبل ملويق ووادي حنيفة ، ما كانت تفوق سواها شهرة ،
 وتتماز اسماً وفعلاً ، في نفلر عبادها الذين كانوا يجيئون منها من اقصى نواحي الجزيرة
 متبركين متوسلين .

فكان ان هذه العبادات ابدت العرب عن الاسلام بل انستهم حقائقه

واركانه ، فقل منهم من كانوا يقرأون القرآن ويفهمون . قال المؤرخ النجدي : « اهل الناس الصلوة والزكوة والحج وكانوا لا يعرفون حتى مركز الكعبة » . وبكلية اوضح عادوا الى الوثنية ، فجاء ابن عبد الوهاب يعيدهم الى الاسلام . فكان منذ نشأته الى يوم وفاته يدعو للرجوع الى الكتاب والسنة ، وقد انتشرت دعوته في نصف قرن بين الحاضرة والبادية ، وعمت في عهد سعود الكبير البلاد العربية جمعا .

نعم قد كان في نجد علماء يتبعون الامام احمد بن حنبل في المذهب والاحكام . ولكن علمهم لم يخل مما يشوب طريقة المجتهدين والمتصوفين . فكانوا من هذا القبيل يشبهون علماء الكنيسة المسيحية في القرون الوسطى .

ومن كبار اولئك العلماء النجديين جد صاحب الترجمة محمد بن سليمان بن علي التميمي . قد كان الشيخ محمد رجلاً فاضلاً كريماً ، تولى منصب الفتوى في نجد ، ودرس علمي التفسير والحديث ، وكان لجه العلم ينفق على الطلبة من ماله الخاص ناهيك بان يينه كان على الدوام مفضوحاً للفقراء والمظلومين اللاجئين الى يره واحسانه .

وكان ابنه عبد الوهاب مثله من رجال العلم والحجى ، تولى القضاء في بعض بلدان العارض فكان عادلاً حكيماً ، وألف رسائل عدة في الفقه والتفسير ، ولقن ابنه محمداً شيئاً من العلوم التي كان يحسنها . اما سمجته الكبرى ، تلك التي تميز العالم الحقيقي عن سواء من الناس ، انما هي الوداعة والاتضاع . وناهيك بها من سمجة تحمل صاحبها على الاقرار بالفضل حيثما كان في ولد صغير ، او في خصم كبير . فقد طالما استعان الشيخ عبد الوهاب بابنه محمد في حل المضلات الفقهية والدينية ، وهو القائل : « قد استفدت من ولدي محمد فوائد ننتى في الاحكام » .

كانت ولادة محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن سليمان بن علي التميمي في السنة الخامسة عشرة والمئة بعد الالف (١٧٠٣ هـ) في العيينة بوادي حنيفة ، وقيل في حريملة . على ان المؤرخ ابن بشر يزيل على ما ارى الريب في الرواية الاولى اذ يقول : « ولد في العيينة قبل ان ينقل ابوه الى حريملة » : فكان

عبد الوهاب نقل يوم كان ابنه صغيراً فتضاربت بعدئذ الآراء في أية البلدين .
مسقط رأسه . والاقرب الى الصحة رواية ابن بشر .

ولد محمد على شيء من الشذوذ ، وكان سباقاً في عقله وفي جسمه ، سريع البلوغ
في الاثني عشر ، متوقد الذهن ، حاد المزاج . فقد أظهر القرآن قبل بلوغه العشر ،
وبلغ الاحتلام قبل اكمال الاثني عشرة سنة . قال ابوه . « ورأيت اهللاً للصلاة
في الجماعة وزوجته في ذاك العام » . وما عتم بعد ذلك ان حج وأدى المناسك
على التمام واقام شهرين في المدينة . ثم عاد الى بلده واخذ في القراءة على والده
ولكنه لم يكتف بذلك فرحل طالباً المزيد . زار الحجاز والأحساء والبصرة مراراً
وكان الشيخ عبد الله بن ابراهيم آل سيف النجدي والشيخ محمد حيوة السندي
المدني من اساتذته . فغرس في ذهنه مذاهب دلت في غوها الضئيل على ما
تأصل فيه بمسقط رأسه تحت سقف والده من مذهب الامام احمد بن حنبل .
وقد كانت أكثر اقامته في البصرة حيث قرأ الكثير من كتب اللغة والحديث
على الشيخ محمد المجموعي . ولم ينحصر جهده في الدرس بل شرع يبشر هنالك
بما تجلى له من حقائق التوحيد . انما هو القائل : « كان اناس من مشركي البصرة
يأتون الي بشبهات يلقونها علي فأقول وهم يعود لدي ، لا تصالح العبادة كها الا
لله ، فيبيت كل منهم ، فلا ينطق فاه . »

اما النفوذ الاكبر في البصرة في تلك الايام فكان لا يزال للشيعة ، مكبرة
الاولياء . ولكن ابن عبد الوهاب الشاب لم يحجم عن القول الحق حسب اعتقاده ،
فادهش الناس واثارهم عليه ، فاخرجوه ذات يوم من البصرة . مشى في الهجرة
مطروداً يقصد الى الزبير ، وكان في زيمته ان يزور الشام ، ولكنه لضيق زاده اثنى
عن عزمه وعاد الى نجد فأنام ووالده عبد الوهاب في حريمه . ثم شرع بيت مبدأ
التوحيد وينادي باخلاص العبادة لله وحده ، فكان شديد اللهجة ، قوي الحجة .
وكن في حريمه قبيحان لاحدهما رهط من العبيد كثيري الفساد والنسق ،
فحاول الشيخ محمد ان يردعهم فاغضبهم ، فقاموا عليه ذات ليلة يريدون قتله ،
ففر هارباً الى العيينة .

بعد عودته الثانية الى مسقط رأسه بدأ فعلاً نشر الدعوة . بل قد شبت
 . هناك نيران حربها ، فرفعت بين الانصار اعلام التوحيد ، ولعت سيوف الحق
 المسلول . اردعوا المعاندين والمعارضين ! وكان الشيخ محمد يزداد شدة يوماً
 فيوماً ، فاشتهر امره في جميع بلدان العارض ، في حرملة والعينه والدرعية
 . والرياض والمنفوحة ، وتعددت اتباعه واعداءه . بل ظهرت الانصار وكان ثنيان
 بن سعود واخاه مشاري في طليعتهم .

ولكن النصير الاول الكبير هو عثمان بن معمر الذي كان يومئذ امير العينه .
 وقد انفق ابن معمر وابن عبد الوهاب على العمل الاول الخطير في نشر الدعوة ،
 العمل الذي أضرم نار الحماس ونار العداء في الناس .

قلت ان عرب نجد كانوا يومئذ يقدسون القبور ، بل كانوا يعبدون القباب
 فوق القبور ، والاشجار التي يزرعونها في ظل القباب . فأول ما باشره الشيخ
 محمد هو انه امر الامير عثمان تلميذه الاول من الامراء الحاكين ، بهدم القباب
 والمساجد المبنية في الجبيلة على قبور الصحابة ، وبقطع الاشجار التي كانت تتوسل
 اليها الناس .

قبل الامير ، وخرج والشيخ وجماعة من الانصار الى الجبيلة فهدموا قباب
 القبور ، قبور الصحابة هناك . ثم لناول الشيخ محمد القاس بيده وانزال به على
 الشجرة التي كانت مشهورة في وادي حنيفة بعجائبها ، شجرة « الذيب » ولية
 الفتاة طالبة الحبيب ، والارملة ذات القلب الكئيب ، والزوجة حاملة الطيب ،
 تبغي الابن الحبيب .

صارت الشجرة العجيبة وهي تهوى الى الارض ، فكان لصوتها الرهيب صدى
 تردد في شعاب الوادي وفي جبال سدبر . ثم اقتدى التابعون بامرائهم فشرعوا
 يهدمون القباب ويجمعون القبور مسندة كقبور الصحابة .

هذا هو الحادث الاول الخطير في تاريخ الدعوة . اما الحادث الثاني فهو
 اشد من خطورة لان فيه قطع امرأة لا قطع شجرة . انت تعلم ان الشرع
 الاسلامي يوجب قتل الزانية رجماً . ودعوة الشيخ انما هي الرجوع الى الشرع —

الى القرآن قبل كل شيء . الزانية ، هي ذي في العينة . وقد ثبت زناها باقرارها^(١) وبشهادة اربعة اعيان^(٢) فجئ بها الى الساحة وامر الشيخ ان تشد عليها ثيابها وترجم . رمى الامير عثمان بن معمر الحجر الاول ، وتبعه الراجمون ليتم الحكم المشروع بالسنة والاجماع . لم يذكر التاريخ اختلا هذه الفاجعة ، فكأن الشيخ رأى فيها الارهاب الكافي .

رُجمت الزانية ! فسرى خبرها سير البرق في البوادي والحضر ، ووقع وقع الصاعقة في القلوب الاثيمة والقلوب الطاهرة ، فسكت أناس ، وصاح اخرون . ومن هؤلاء اهل الحساء الذين قاموا يمتحجون ، فقد كانوا كما قلت مستمتعين باشياء . من الاباحات القرمطية ، فكتب اميرهم سليمان آل محمد رئيس بني خالد الذي كان يحكم يومئذ حتى في العارض ، وكان ابن معمر عاملاً له ، يهدد الشيخ المصلح بالقتل اذا كان لا يرجع عن غيّه « في تخريب قلوب المسلمين وافساد دينهم » .

لم يرجع الشيخ المصلح عن دعوته . فارسل الامير سليمان الى عامله الامير عثمان يأمره بقتل محمد بن عبد الوهاب . فرأى الامير ان خير طريقة لحفظ منصبه ، وخلاص صاحبه ، هي ان يغادر الشيخ العيينة .

رحل المصالح الى الدرعية^(٣) فكانت الهجرة الثالثة وهز في النانية والاربعين من سنه . وقد نزل هناك ضيفاً على احد تلاميذه احمد بن سويل ، فتهافت عليه الانصار . بالغوا في اكرامه . الا ان محمد بن سعود امير الدرعية تردد في مقابله ، فاتعّ عليه بذلك اخواه ثبيان . مستاري ، فغلب متردداً . ثم جأ الى زوجته^(٤) وكانت من النساء العاتلات النبيلات ، فأخبرها بما يدعو الشيخ اليه ، بما ينهي عنه ، فأتراحت الى ذلك ووعدتهما خيراً . انما عما بنا يدل على ما للمرأة حتى داخل

(١) وقيل ان امرأة بني جاءت الى الشيخ تلتبس التوبة على بده فردده اولا وثانية وثالثا . ثم حكم عليها بالرجم .

(٢) في كتابي « ملوك العرب » الفصل ١٤ ص ١٠٢ وما يلي من القسم الخامس . (الجزء الثاني) وصف لوادي حنيفة وبلدانه .

(٣) هي موضي انت اب وهطان من آل كبير

الحريم ووراء الحجاب من الناثير الطيب ، اللهم اذا كانت عاقلة ، وعالمة بشؤون الامة . قالت هذه « الخديجة » الفاضلة لاميرها ابن سعود : « ان هذا الرجل ساقه الله اليك وهو غنيمة ، فاغتنم ما خصك الله به » .

قبل الامير قولها « وقذف الله في قلبه محبة الشيخ ومحبة ما دعا اليه » فاراد ان يدعو للمقابلة ، فقال اخوه مشاري : « سر برجالك ، اظهر تعظيمه وتوقيره ليس من اذى الناس » فسار محمد بن سعود الى بيت ابن سويلم ورحب بابن عبد الوهاب قائلاً : « ابشر ببلد خير من بلادك وبالعز والمنعة » . فقال الشيخ : « وانا ابشرك بالعز والتمكين اذا عاهدتني على كلمة التوحيد التي دعت اليها الرسل كلها » .

وفي ذاك اليوم عقد العهد الذي جمع بين عقيدة المصلح وسيادة الامير — بين المذنب والسيف — فتعهد ابن سعود بنشر دين التوحيد في البلاد العربية ، وتعهد ابن عبد الوهاب بان يقيم في الدرعية معلماً ، وان لا يحالف اميراً آخر من امراء العرب .

ولا يزال هذا العهد مرعياً بين البيتين بيت سعود وبيت الشيخ^(١) حتى اليوم .

٢

كن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العقد الرابع من العمر عندما بايع ابن سعود^(١) ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ م) على ان يكون اماماً يتبعه المسلمون ، وتعاهد الاثنان على كلمة التوحيد ونشرها بين العرب .

ولما علم الامير عثمان بن معمر بذلك جاء يسترضي صديقه ويسأله الرجوع الى العيينة فلم يفرز ببغيته . ذلك لان الشيخ عاهد ابن سعود على ان يقيم في الدرعية ، فجعلها مقره الدائم ، فاصبحت في الشطر الثاني من حياته قطب دين التوحيد ، ومطلع انوار العلم التي كانت تنبثق من شمسها المشرقة . فقد تخرج عليه اناس كثيرون ، كان يرسلهم الى البلدان القاصية والدانية مبشرين ، معلمين

(١) في نجد يعرف محمد بن عبد الوهاب بالشيخ وتدعى سايته بيت الشيخ .

حُرشدِين ، مَنْذَرِين •

كانت الدرعية يومئذ بلدة صغيرة قليلة اسباب الرزق والثروة • ولما كثر الوافدون على الشيخ ضاق بهم العيش فكانوا يحترفون في الليل ويتعلمون في النهار • وما دنا القرن الثاني عشر من الزوال حتى اصبحت اكبر مدينة في البلاد العربية ، يقيم فيها العرب من اليمن وعمان ومن الحجاز والعراق والشام •

قد رأى ابن بشر الدرعية في زمن سعود بن عبد العزيز فدهش مما شاهده من مظاهر الثروة والعمران • وقد وصف موسمها فقال « نظرت الى موسمها جانا في مكان مرتفع وهو في الموضع المعروف بالباطن بين منازلها الغربية التي لآل سعود المعروفة بالطريف ، وبين منازلها الشرقية المعروفة بالبحيري التي فيها ابناء الشيخ ، ورأيت موسم الرجال في جانب ، وموسم النساء ^(١) في جانب آخر ، وما فيهما من الذهب والفضة ، والسلاح والابل والاغنام ، وكثرة ما يتعاطون من البيع والشراء ، والاخذ والعطاء • وهو مد البصر لا تسمع فيه الا كدوي النحل الاصوات ، والدكاكين الى جانبيه الشرقي والغربي وفيها من الثياب والقماش وانواع الالبسة والسلاح ما لا يوصف » •

عمرت كلمة التوحيد الدرعية ، فأضحت في ايام سعود الكبير عاصمة البلاد العربية ، وصار الشيخ محمد فيها المرجع الاعلى في العلوم والاحكام • على انه ظل مع ذلك يعلم يبشر ويؤلف ويراسل وبناقش نشرأ لمذهبه ودفاعا عنه • حتى ان اولاده الخمسة حسن وحسين وعلي وعبدالله وابراهيم كانوا عوناً له في التعليم • قال ابن بشر : « قد رأيت لهؤلاء الخمسة مجالس ومحافل للتدريس في بلد الدرعية ، وعنده الطلبة الكثيرون من سائر نواحي نجد ومن اهل صنعاء وزيد وعمان وغيرها من الاقطار •

اما التعليم فقد كان مجانياً ، بل كان للطلبة نفقة جارية من بيت المال ، وللاذكياء منهم جوائز فوق ذلك من مال وكسوة • هناك تالأت انوار الدين والفقه والحديث ، فكانت الدرعية في تلك الايام مثل رومه في العهد المسيحي

(١) للنساء حتى اليوم في نجد سوق خاص بهن اليمن وبشتين فيه

اللاوسط ، وكانت مدارس الشيخ محمد واولاده مثل المدرسة الكبرى برومه
لشتر الايمان . ولد هذا الحدي الكير وشأ في بيت العلم والهد فاهرب روحه
بنيه ، واحد احفاده واباؤهم العلم عنهم وعه ، مهم لا يرالون حتى اليوم محافظين
على هذا الارت التمين ، الا انه يقصهم تي من المرونة العقلية والروحة ، فلا
يعادون عتاً سة التطور والعمران .

لم يتدخل الشيخ محمد في شؤون الملك المدنية ولكن الامير محمداً واهه عبد
العريز كانا يستشيرانه في الاحكام الشرعية ، وكانت له الكلمة الاولى في المايعة
على الامامة .

٣

دالت الدرعية تظناً للعلم والمعلم الى يوم دمرها ابراهيم باشا المصري .
وبعد ان استوطنتها السح مرء يكاب . رثساء والمتاح يحددهم من التشر-
ويدعوهم لدين الله دين الوحيد . وكان آد . رايح آل محمد اء . الحدا ، وان
معلق امير القطيف ، وان تربي اء را في البصرة ، وان دواس حاكماً سقلا
في الرياض ، وكانهم اعداء لذهب اسر حيد . هم الامراء المعادون . وهما العلماء
السيون والشيوعون الذين سحر واهمه ، واه رها اء ، و سرعوا يهموه بكلمة
انهم اء احوارح من قبل . حتى ان عسهم سعى لدى الحكاه في قتله .

اول من ضلله وكهره ، وسعى الى العلماء في البصرة والاحساء والحرمين في
مقاومته وقتله ، اما من مطاوعة الرياض فها محمد بن سحيم واهه سليمان ، فقالا
ان ان عبد الوهاب خارجي ، ان من اقبح المصالح والكسار ، وان احوارح
والفجار . ومن حملة من رمض دعوته ورد له في سى . الام اءوه سلمان
بن عبد الوهاب الذي كان مواليا القضا في حرما . كاه احدى عدد وتاب ،
فأقر بخطاه وادال ان كتابه لم يكن لوجه الله .

حارب المصلح العلماء اعداء اء . ولكن الحملة ، في عامة الناس اء
انارهم العلماء . انه لا يترادون ، قلما يء . من ملايمرون في الريارة والعمادة



٢٢ - ٢٧

الجامع الكبير في الرياض

مثلاً ، وبين الأكرام والتوسل . قيل لهم ان ابن عبد الوهاب ينكر كرامة الاولياء ، وهو لا ينكر غير الدعوة لهم . وقيل انه يحرم زيارة القبور وهو لم يحرم غير عبادتها والتشفع بها ، ولكن العربان لا يقرأون وقلما يفهمون غير لغة العنف والقوة . وقد احرز المصلح في تحالفه وابن سعود سيفاً بشاراً . فالذي لا يفهم بالقلم يفهم بالسيف ، والذي لا يرتدع بالحسنى يرتدع بآبن عمها .

استل محمد بن سعود الحسام وراح ينهي الاعراب عن افعال الجاهلية ، ويدعوهم لدين الحق الذي هو الاسلام المجرد من الخرافات ، وياخرهم بالعمل بالكتاب والسنة . وكان اتباع ابن عبد الوهاب يدعون انفسهم بالمسلمين واعداءهم بالمشركين .

أشهرت الحرب على المشركين في السنة الاولى (١١٥٧ هـ) من العهد الوهابي السعودي ، فكانت الواقعة الاولى في الرياض بين رجال ابن سعود ورجال دهم بن دواس . وداهم هذا عصامي دون فضيلة اخرى له تذكر الا الثبات . راغبتص الامارة ، وهو من خدام القصر واستمر اميراً ثلاثين سنة في زمن الزعازع الدينية والفتن والحروب .

كان دهم خادماً لعبد يدعى خميس قتل قاتل امير الرياض زيد بن موسى ابا زرعه وتولى مكانه . ثم فر هارباً فتولى الامارة دهم خادمه ، فقامت عليه الاهالي ، فاستنجد بابن سعود فانجده واقره في مركزه . ولكن العبيد منا كيد فكيف بنجداهم ؟

دعا ابن سعود صديقه ابن دواس لدين التوحيد فابى . ثم انذره فاستكبر وقال : ومن هو ابن مقرن ليحمل مفاتيح الجنة وينذر الناس بالنار ؟ شبت الحرب . وكان ابن دواس فيها اشد اعداء التوحيد وآل سعود ، حاربهم في الدور الاول عشر سنين وهو يحتل اليوم بلداً ويخليه غداً . وحاربهم كذلك بالدسائس والفتن . فقد ظهرت الردة في سنة ١١٦٧ هـ في بعض بلدان العارض التي كانت في حوزة ابن سعود وكان هو من عواملها الخفية .

ولكن المصلح غلب المفتن . بادر الشيخ محمد الى نجدة ابن سعود في تأديب

المرتدين . جاءت الكلمة النارية تشحذ السيف وتعضده . فقد دعا الشيخ الرؤساء والزعماء من جميع البلدان الى الدرعية ، وخطب فيهم باسم الله ، فاعاد الى قلوبهم قبس الايمان ، واضرم فيهم ثانية نار الجهاد .

ومع ذلك فقد استمر ابن دواس يحارب ابن سعود عشرين سنة ، يحاربه بالمقاتلة والمخاتلة . والاه ثم عاداه مراراً . عاهده اربع مرات حباً بدين الله والسلام ، ونكث اربع مرات عهده . حتى انه انضم مرة الى جيشه وحارب المشركين . على انه بعد تعدد الوقعات والهدنات والمعاهدات والخيانات دُحر في سنة ١١٨٢ هـ (١٧٢٣ م) الدحرة التامة النهائية . دحره الامير عبد العزيز بن محمد الذي دخل الرياض ظافراً . لكنه لم يقز بداهم الدواس الذي فرّ هارباً الى بلاد الخرج وتوفي هناك .

وكان للحوادين عدو اخر لدود يدعى عريعر ، خلف الامير سليمان رئيس بني خالد في الحساء . فقد جاء بجيش جرار من العربان ، وفيهم جنود من عنزي كبيرهم ابن هذال ' ' ، وبمدافع حملتها الجمال فاجتازت بها الدهناء . نصبت المدافع وحوصرت الدرعية . وانضم الى العدو كثيرون من اصحاب الردة ، ومن اهل الوثم وسدير الذين ترددوا في قبول التوحيد .

وقد كان عريعر صاحب مكر وحيلة ، بل كان مخترعاً . فبعد ان حاصر الدرعية شهراً دون نتيجة يشكر عليها اختراع آلة جديدة للحرب سميت الزحافة . وهي صندوق من خشب يسير محمولاً على دراريج ، يجلس فيه من العشرة الى العشرين رجلاً ، وهم في امن من رصاص العدو ، فيسوقونه الى السور يربدون هدمه . وما اشبه زحافة عريعر بدبابة اليوم . ثم حاول عريعر ان يصب مدفعاً كبيراً يدمر به الدرعية فامر بجمع الحديد والنحاس لهذه الغاية وباشر العمل . شبت النيران ، ونفخت المناخ ، وذابت في المراحل المعادن ، ولكنها في النهاية صدت الطالب ، وعصت القالب . قال مؤرخ ذاك الزمان : « كلما افرغها

(١) كانوا ولا يزالون من اعداء التوحيد وآل سعود ، وكبيرهم اليوم فهد بك الهذال شيخ العمارات ، فهد من عنزي .

في القالب ابت »

وكان لعربع ابن اسمه سعدون لم يرغب مثله في التوحيد فحمل على اهله في الجنوب . اجتاز الدهناء بجيشه ، ومعه المدافع ايضاً ، وهو يبغى اليامة لينجد اهلهما على الموحدين . ولكنه ، بعد ان جاء اليامة بمدافعه ، عاد منها بدونها ، مثلاً عاد ابوه من الدرعية . ولا تزال هذه المدافع محفوظة في برهده .

كُسر الاب وكسر الابن ، فجاء للمرة الثالثة موحدين قواهما — لا بد من التوحيد على الاقل في القتال — وحاصراً برهده ، فاستمر الحصار اربعة اشهر ، واستخدمت فيه الزحافات التي لم تحفف عن الاب والابن وجيوشهما ذل الخيبة والاندحار .

ولكن اهل التوحيد لم يستغيثوا من هذه الغلبات المتوالية لان وجود العدو في نجد كان يشجع على العصيان اولئك الذين اكرهوا في دينهم ، واولئك الذين تخاذلوا . لذلك تعددت الردات في الشمال وفي الجنوب . فكان الموحدون اذا امسكوا القصب يتفلت من ايديهم الخرج ، واذا وُحِدَت الجمعية تعود اليامة الى شركها القديم .

اول من باشر الجهاد في سبيل الدعوة الامير محمد بن سعود واخوانه . ولكن بطل التوحيد الاول هو عبد العزيز بن محمد الذي كان يغزو في الجزيرة شمالها وغربها وشرقها وجنوبها ست غزوات في بعض الاعوام ، فوصل في الجنوب الغربي الى وادي الدواسر ، وفي الشمال الشرقي الى السماوة بالعراق . باشر الغزو في سبيل التوحيد وهو شاب ، وباشره كذلك ابنه سعود — سعود الكبير فاتح الجزيرة .

قد عاش محمد بن عبد الوهاب ليسمع بهذا النصر المبين ويشاهد ثمار دعوته في من كانوا يؤمنون الدرعية من سائر الاقطار ليسلموا عليه . ولكنه لم يعيش ليسمع بفتح الحجاز ودخول سعود ظافراً الى مكة المكرمة . فقد كانت وفاته قبل ذلك باثني عشرة سنة ، اي في السنة السادسة والمئتين والالف (١٧٩٢م) يوم كان سعود يحارب عرب المنتفق خارج البصرة ، ويوم كانت جيوش الشريف

غالب زاحفة من الحجاز لمحاربة اهل نجد .

٤

ان في الصفحة الثالثة من كتاب^(١) يتضمن عدة رسائل لمحمد بن عبد الوهاب وابن تيمية ما يلي :

اعلم رحمك الله ان يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل . والعمل بها :

اولاً — ان الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا مهملين بل ارسل الينا رسولا . فمن اطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار . والدليل قوله تعالى .

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا . فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا .

(سورة المزمل آية ١٥)

الثانية — ان الله لا يرضى ان يشرك معه في عبادته احد ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل . والدليل قوله تعالى .

وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا .

(سورة الجن آية ١٨)

الثالثة — ان من اطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاته من حاد الله . ورسوله ولو كان اقرب قريبا . والدليل قوله تعالى .

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ .

(سورة المجادلة آية ٢٢)

انك ترى اذن ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مثل ابن تيمية والامام

(١) طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار بمصر على نفقة عيسى بن ربيع من اهالي نجد وهو يوزع مجانيا . وكذلك «التعفة السنية» التي طبعت على نفقة الامام جلالة الملك عبدالعزيز

احمد بن حنبل، يعود في هذه الاصول الى المصدر الاول الاعلى — الى القرآن — فكل ما هو مبني عليه من العقائد والاحكام لا يُرد ولا ينتقد . ولكن الحنابلة والوهابيين لا يختلفون في هذا والائمة الاخرين . انما الخلاف في التفسير والاجتهاد . فالجعفريون اي علماء الشيعة ، وهم على جهة الاجتهاد في التطرف ، يفتحون الباب على مصراعيه . والحنابلة وهم على الجهة الاخرى المناقضة يقفلونه . يقرأ الجعفريون بين سطور الكتاب ، وفي تلايف الآيات ما يبتنون عليه الاحكام ، وما لا يخلو في بعض الاحايين من ابهام ، فيتخذون التفسير وسيلة للفرار من معنى الآية الحرفي . ويقول العلماء الحنابلة ان لا باب بعد الخلفاء الراشدين للاجتهاد ، ان كل ما في الكتاب واضح جلي . وهناك بين الفريقين ، علماء المذاهب الاخرى اي الحنفيون والشافعيون والمالكيون الذين يثبتون حق التفسير ولا يغالون في استخدامه .

بعد الكتاب تجيء السنة وهي محترمة متبعة عند الحنابلة والوهابيين . ولكن الاسناد في السنة لا يكون دائماً محققاً فيثبت بعض المحدثين بعض اعمال النبي واقواله ، ويثبت كل المحدثين بعضها ، ويختلف المحدثون في جملة منها . هوذا منشأ الاختلاف بين الشارحين والمفسرين .

ولكن الامام احمد بن حنبل اهتدى على ما ارى الى الطريق التي فيها العلم الوضعي ، الواضح الجلي ، في ما هي السنة . وكأنه غرّبيل الاحاديث ونبذ كل ما ليس عليه الاجماع ، فلا يقبل الا ما يثبته كل الائمة . وقد توصل والحال هذه الى اصح الطرائق العملية وجاء بمذهب في الانتخاب ، ولنا ان نقول في التفسير ، يصح ان يدعى بالمذهب العقلي الوضعي .

هي القاعدة التي وضحها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قوله : « الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب ، وما قاله وعمل به الاصحاب ، وما اختاره الائمة الاربعة المقلدة في الاحكام المتبعة ، فقد انعقد على صحة ما قالوه الاجماع » . ثم قال : « والسنة في عرف العلماء المتأخرين هي السالمة من الشبهات في الاعتقادات » .

وقد قام ابن تيمية في القرن الثامن للهجرة بنصر ابن حنبل وبنشر مذهبه ،
مل بنصر ما رآه حقاً ، وبين ان مذاهب الائمة كلها لا تختلف في الحق بعضها
عن بعض . فالف الرسائل في الحديث والعبادات ، وفي زيارة القبور ، وكانت
للائمة مثل الرسول بولس للمسيح .

قد اسلفت القول ان اهل نجد ، على ما كانوا فيه من سخياف العبادات ، هم
اصلاً حنابلة . وقد كان جد الشيخ محمد وابوه وغيرهما من القضاة يسخرجون
الاحكام على مذهب الامام احمد . اما الشيخ محمد نفسه فقد طالما تمثل بهذه
الايات :

باي لسان اشكر الله انه لدو نعمة قد اعجزت كل شاكر
هداني الى الدين القويم تفضلاً علي وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد بن حنبل عليه اعتقادي يوم كشف السرائر
قد كان الشيخ محمد معجباً ايضاً بان تيمية مكثراً من مطالعة كتبه . وهو
القائل : « لست اعلم احداً يجاري ابن تيمية في علم الحديث والتفسير بعد الامام
احمد بن حنبل » . انك ترى اذن ان المذهب الوهابي هو في اصوله المذهب
الحنبلي . وازيدك علماً ان كثيرين من اهل نجد — من اهل التوحيد — يدعون
انفسهم حنابلة وبؤثرون هذا اللقب على سواء .

ما فضل ابن عبد الوهاب اذن ؟ ان فضله بالرغم عما ذكرت لعظيم . ليس
من الواجب ان يكون المصلح مبتكراً طريقته او مكتشفاً لنا موسى جديد في الكون
او في الحياة . ان المصلح لمخلص اولاً في يقينه لا يهاود فيه ولا يحابي ، وهو
مخلص في عمله لا يخرج فيه عن يقينه . وانه اذا ما بلغ هذ الدرجة من الاخلاص
لمتعصب . والمتعصب مقاتل حتى يستقيم المعوج ، وتصفو موارد العبادة واليقين .
اما مواد العمل واسباب الاصلاح فقد يجدها مدفونة في زوايا النسيان لا
في ظلمات الماضي ، مكفنة بالغبار والصداء والعنكبوت ، ولا يزال الرمق فيها .
لا تزال ، رغم ما أثقلت به من الخزعبلات والخرافات ، على شيء من الحياة .
ان المصلح ليجد هاهنا دعوته ومصدر العمل والالهام . اجل ، حيثما الحياة هناك

ايضاً بذورها ، وحيثما البذور هناك النشو والنمو والخلود .

اننا نقول اذن ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو الذي اتقذ المذهب الحنبلي مما كان يكتنفه في نجد من اسباب الفساد والاضمحلال . هو الذي اكنشف يذور الحياة فيه فاعاد زرعها وجدد موسمها . فهل ندعوه مجدداً ؟ انه كذلك فوق ذلك . هل ندعوه مصلحاً ؟ قد كان ولا شك الباعث الاكبر لاصلاح كبير في نجد ، ولكنه قصر ، اذا توسعنا بمعنى الكلمة ، دون الاصلاح الاكبر في الاسلام . عاد الشيخ محمد الى الكتاب والسنة فجاء في حملاته على التبهات والخرافات شي من الشدة في التحريم لا نظنها تدوم . هل ندعوه معلماً ؟ نعم هو معلم كبير ، وقد تجاوز في رسالته التعليم . فقد علم اهل نجد دين التوحيد الذي كانوا قد نسوه ، وتفتح فيهم فوق ذلك روحاً قومية عظيمة ، تلك الروح القومية التي مكنتهم ، وهم محصورون بيوار من الرمال في قلب البلاد العربية ، من التوسع والاستيلاء ، فقلبتهم من القوة سيفاً نبوياً ، ومن التفوق رجماً حنيفياً ، ومن النقشف والصبر والثقة بالنفس ، بعد الثقة بالله ، درعاً من دروع الصحابة . هوذا الفضل الاكبر للشيخ محمد بن عبد الوهاب . ان دعوته في نتائجها سياسية كما ترى ودينية معاً . وما كانت كذلك لولا تمسكه في اكثر الاحايين بمعاني الكتاب والاحاديث الطاهرة اي بمعانيها الحرفية .

خذ لك مثلاً مسألة من أدى الشهادتين ولم يصل ولم يركع . فان الامام الشافعي وابا حنيفة لا يحكمان بكفره اذا كن لا يجحد الصلاة وغيرها من اركان الاسلام . ومجتمهما في ذلك حديث رواه عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : خمس كتبهن الله على العباد من اتى بهن كن له عند الله عهد ان يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، ان شاء عذبه وان شاء غفر له . اما الامام احمد فيحكم بكفره ، ويحتج باحاديث منها : بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة . ومنها : امرت ان اتامل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وبقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . وهناك مسألة اخرى في الصلاة والعبادة . يقول العالم الوهابي : من قال :

لا اله الا الله ومحمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات ، وتفرج الكربات ، فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال . اما اذا وحّد الله تعالى ولم يشرك به شيئاً ولكنه ترك الصلوة والزكوة تكاسلاً فقد اختلف العلماء في كفره . ولا عصمة للعلماء الا في الاجماع . كل واحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله . جاء في الكتاب : فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله . وقال العلماء : الرد الى الله هو الرد الى كتابه .

العود اذن الى الكتاب وما فيه من آيات يلزمها شرح او تفسير ، وغيرها ما هي واضحة جليلة الا انها اتزات لغرض معلوم ، في وقت معلوم . فمن عاد الى التاريخ ، ولجأ الى مفاتيح التفسير ، رحب لديه ولدى اتباعه مجالس الفكر ، وضاق غالباً مجال اليقين . ومن تمسك بالمعنى الظاهر كانت النتيجة عنده وعند اتباعه عكس ما ذكرت . اما اليقين فقد يضع او يضعف في تعدد الشروح والتفاسير ، والعزم يضعف في ضياع اليقين ، وبشر المذهب اذا ضعف العزم في رجاله لا يتم وقد يستحيل .



لم يكن محمد بن عبد الوهاب خشن الطبع قاسي القلب عتياً ، بل كان في حياته الخاصة والعامة لطيفاً ، محسناً ، شفوqاً ، حلماً . على انه في يقينه ، شأن كبار المصالحين ، لم يكن ليهود او يدين . علم الناس معرفة الله ومعرفة النبي ومعرفة الدين بالادلة القرآنية ، والاحاديث النبوية ، على طريقة الصحابة ، خلافاً لعلماء المسلمين في الامصار الذين يعلمون هذه المواضع الثلاثة على طريقة المتكلمين . قد ناله من الجهلاء وادعياء العلم ما نال كل مصلح كبير . لا سيما وقد جاء يردعهم عن عادات الاباء الاسلاف الذين درجوا على حب البدع والخرافات . على انه لم يكفر احداً من هؤلاء بل كان يقول : معاذ الله ان اكفر من قال : لا اله الا الله . واكفنه في رجوعه الى الكتاب والسنة اصطدم بآيات واحاديث نهت فيه نكرة الاقدمين فخرض على الاعمال التي شوهت في المائني كل دين .

على ان الاصلاح ، في باديء امره ، لا يكون بغير الهدم ، ولا يقوم بغير شيء من الارهاب .

قد جد الشيخ محمد واجتهد في نفع الناس ، ولكنه رآهم واكثرهم من البدو لا يفقهون دقيق الكلام ، ولا يساقون بالبرهان ، فقال بالجهاد ، خصوصاً والكتاب يقدم السلاح ، والسنة تقدم الدخيرة .

« وَانَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا »

(سورة الجن آية ١٨)

• امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وقيموا الصلوة وآتوا الزكاة (الحديث)

قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .

(سورة الزمر آية ٤٥)

عليهم اذن ! فأنهم وان قالوا : لا اله الا الله وهم يرجون شفاعته غيره ، او يشركون بالشفاعة غيره ، انهم لمشركون . قد أمرت ان اقاتل الخ . هوذا مصدر الشدة ، ومبرر القتال . وقد كتب الشيخ محمد الى عبدالله بن سحيم مطوع الرياض يقول :

« الغلو في علي بن ابي طالب مثل الغلو في المسيح . من غالى في نبي ، او صحابي ، او رجل صالح ، وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يقول : يا سيدي فلان اغثني . او انا في حسبك ، فهذا كافر يستتاب فان تاب والا قتل » . ومن كتاب اليه ايضاً :

« المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثاناً تعبد من دون الله ، والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقييل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته » .

وقد قال النبي : خير القبورس الدوار . . ان الشيخ محمد ليستشهد اذن بالكتاب والحديث ، وبأقوال الصحابة والائمة الاربعة ، على قتل الكفار

والمشركين . ولكنه في بعض رسائله يتسكو ويعتذر . فقد جاء في واحدة منها :
« ولا يخفاكم اب الذين عادونا في هذا الامر هم الخاصة لا العامة
فكاتبناهم وخاطبتناهم بالتي هي احسن وما زادهم ذلك الا نفوراً »

وفي كتاب الى عبد الرحمن السويدي في العراق يقول :
« اما القتال فلم قاتل احداً الى اليوم الا دون النفس والحرمه وهم الذين
اتونا في ديارنا ولا ابقوا ممكنا . ولكن قد تقاتل بعضهم على سبيل المقاتلة .
وجزاء سيئة سيئة مثلها »

ان هاهنا شيئاً من الغلبة للطبع الانساني ، ولكنها غلبة لا تثمر دائماً ،
خصوصاً اذا اصطدمت بالنزعات والنعرات ، فتقوم الآيات مقام الحسنات ، فلا
يرى المصلح اذ ذاك غير مشرك حلال الدم والمال ، وقبور ذي قباب لا تصلح
لغير الهدم . ولكن الاثر اك درجات ، وفي الآيات معاني ظاهرة او باطنة يتسلح
بها من قاوموا الشيخ وضلوه .

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ . (الاية)

(سورة السبا آية ٢٢)

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (الاية) (سورة البقرة آية ٢٥٦)

قال المقاومون : ورسول الله مأذون ، وبالتالي ملائكته ، فتوسع المتطرفون
في المسئلة وقالوا : والمقربون كذلك من رسول الله وملائكته ، اي الاولياء
مأذونون ، فجاء ذلك الى الشرك العميم ، والكفر الذميم .
هي ذي حجة ابن تيمية وابن عبد الوهاب الكبري . ليس للملائكة ولا
لاحد من المخلوقات سهم واحد في ملك الله ، وليس له اعوان تعاونه كما تكون
للملوك اعوان .

واكن — « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له » (الاية) .
اذن هناك شفاعة ، وهي تنفع اذا كان المتشفع به مأذوناً له . وها هنا يختلف
العلماء والمفسرون . كيف السبيل الى معرفة من اذن له الله بالشفاعة ؟ قد اجاب

ابن تيمية على هذا السؤال واحسن التخلّص فقال: « وفي كل حال الاذن من الله فالامر اذن كله له تعالى » . لا تزال في الدائرة التي لانهاية لها . انت تردني الى الكتاب وانا اردك الى الله . واذا رددتني الى الله اردك الى كتابه تعالى وسنة رسوله .

اما الدعاء وهو نوع من التشفع ، فقد حلّله ابن تيمية في قوله ما معناه : ان كل ما لا يستطيعه الا الله لا يجب ان يطلب الا منه تعالى ^(١) ولا يجوز ان يقول الانسان لملك او لنبي او لشيخ ، سواء كان حياً ام ميتاً ، اغفر ذنبي او انصرني على عدوي الخ . ومن سال ذلك فهو من المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والصور والتماثيل . ولكن هناك نوعاً من الدعاء يجوز ، كأن تقول لجيرانك عند ارتحالك عنهم : ادعوا لنا بالخير والسلامة . هذا ما يسميه العلماء اجابة غائب لغائب . ثم توسعوا فيه فقالوا ان الناس لما اجذبوا سألوا النبي ان يستقي لهم فدعا الله لهم فسقوا . وفي الصحيحين ايضاً ان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس فدعا فقال : اللهم انا كننا اذا اجدبتنا نتوسل اليك بعم نبينا فأسقنا فسقوا .

هي ذي حجة اصحاب الاولياء . فاذا استجاب الله طلبة النبي وعمه النبي افلا يستجيب كذلك طلبة صهره وابنته وابنيها والصالحين من سلياتيها ؟ ولكن ابن تيمية وابن عبد الوهاب يردان عليهم في قولهما ان هذا من باب طلب الانسان الحي ما يقدر عليه فان حقيقة التوسل بالنبي وعمه هو طلب الدعاء منهما في حياتهما . وذلك جائز . اما الميت فلا يستطيع امرأ .

قد نهى النبي حتى عن التعظيم . لذلك لا يقبل اهل نجد يد سلطانهم ، ولا يخضعون امامه او يطاطئون له الرأس . لا يجوز السجود والتعظيم لغير الله . وقد نهى النبي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فتعطي صلاة الفجر قبل الشروق وصلاة المغرب بعد الغروب ، ليبعد المسلمين عن العقائد التي

(١) قد ذكر ابن تيمية شفاء الامراض — امراض الادهين واليهائم — والنصر على الاهداء وغفران الذنوب ، وتعلم القرآن ، واصلاح القلوب ، كلها من الامور التي لا يجوز ان تطلب من غير الله .

كانت شائعة في الجزيرة خصوصاً في اليمن وفي الاحساء ، اي عقائد عبدة الشمس والكواكب ، المجوس والصابئين ، فلا يسجدون مثلهم للشمس .
 اما زيارة القبور فمشروعة شائعة عند الوهابيين ، والدعاء للميت هي بمنزلة الصلاة على جنازته . فاهل نجد الذين يواظبون على هذه العادة يقولون : سلام عليكم اهل ديار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون . يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين . نسأل الله لنا ولكم العافية . اللهم لا تحرمننا اجرهم ولا تفتننا بعدهم .
 هو دعاء جميل . واجمل منه جواب النبي لرجل قال له : ما شاء الله شئت . فقال النبي : « اجعلني لله ندأ . ما شاء الله وحده » . وقد قال ايضاً : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد . ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد » . وهذي هي القاعدة التي يجري عليها اليوم اهل نجد فيقولون مثلاً : ما شاء الله ثم ما شاء ابن سعود ، نسأل الله ثم ابن سعود ، لولا الله ثم ابن سعود لهلكنا .
 اما التوسل فهو على ثلاث درجات :

الاولى — ان يأتي المرء الى قبر نبي او ولي او يعتقد انه قبر نبي او رجل صالح ويسأله حاجته في ما لا يقدر عليه الا الله ، فهذا شرك صحيح يجب ان يستتاب صاحبه . فان تاب ، والاُتُتِل .

الثانية — ان يطلب المرء من النبي او الولي او الشيخ الصالح ان يدعو له كما يقول للحجي . ادع لي كما كان الصحابة يطلبون من النبي الدعاء . هذا مشروع في الحجي لا في الميت من الانبياء والصالحين . دليل ذلك ان الناس في زمن عمر استسقوا بالعباس عم النبي ولم يجيئوا قبر النبي مستغيثين به . وقد قال النبي لا تتخذوا قري عيذاً ، وصلوا علي حيثما كنتم فان صلوكم تبلغني ^(١) .

(١) ليس في المذهب الوهابي او الحنبلي ما يعمم المسلم عن الحج او يوجب هدم قبر النبي ولكن الخائلة والوهابيين يختلفون عن سواهم من المسلمين في انهم يزورون القبور للسلام كما قلت والدعاء لا للتوسل والاستغاثة . وقد كان الصحابة اذا زاروا قبر النبي يسلمون عليه فذا ارادوا السقاء ينحرفون عنه ويستقلون القبلة ويدعون الله وحده . وكانوا ينهون عن التسح بالقبر والتقييل . قال ابن تيمية . « ليس في الدنيا من الجمادات ما يشرع تقيلها الا الحجر الاسود . وقد ثبت في الصحيحين ان عمر رضي الله عنه قال والله اني لاعلم انك حجر لا تقدر ولا تنقم ولولا اني رايت رسول الله يقبلك ما قبلتك .

الثالثة — ان يقول المرء : اللهم بجاه فلان عبدك او ببركة فلان ، او بجرمة فلان ، اسألك كذا وكذا . هذا سائع بين الناس ولكن لم ينقل عن احد من الصحابة انهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء . وانهم اذا اجازوا التوسل بحق احد الصالحين او بشفاعته فيجب ان يكون ذلك في حياته وحضوره .

هذي هي درجات التوسل الثلاث ، ومنها واحدة فقط فيها الشرك الصحيح فيحلل ابن تيمية وابن عبد الوهاب قتل صاحبه ان لم يتب . اما الدرجتان الثانية والثالثة فالذنب فيها شبيه بالخطيئة العرضية عند المسيحيين ، ولا يجوز قتل من .

عدّ توسله .

النبذة الثالثة

آل سعود

منذ نشأتهم الى حين استيلاء محمد بن الرشيد على نجد

١١٥٧ — ١٣٠٩ هـ

١٧٤٤ — ١٨٩١ م

اصراء آل سعود

١١٤٠ هـ	توفي	١٧٢٧ م	سعود بن محمد بن مقرن
١١٧٩ هـ	توفي	١٧٦٥ م	محمد بن سعود
١٢١٨ هـ	توفي	١٧٦٥ م	عبد العزيز بن محمد
١٢٠٢ هـ	توفي	١٧٨٨ م	سعود بن عبد العزيز
١٢٣٤ هـ	توفي	١٨١٣ م	عبد الله بن سعود

فترة الاستيلاء المصري .

محمد بن مشاري بن معمر } تنازعا الامارة نحو سنة ونصف سنة
ومشاري بن سعود

١٢٤٦ هـ	توفي	١٨٣٠ م	تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود
١٢٣٦ هـ	توفي	١٨٢٠ م	مشاري بن عبد الله بن حسن بن مشاري بن سعود

١٢٥٥ هـ	نزل	١٨٣٩ م	فيصل بن تركي (الدور الاول) تولى الامارة
١٢٥٧ هـ	توفي	١٨٤١ م	خالد بن سعود بن عبد العزيز تولى الامارة
١٢٥٨ هـ	توفي	١٨٤١ م	عبد الله بن ثنيان بن سعود تولى الامارة

امراء آل سعود

٤٩

١٢٨٢ هـ	توفي	١٢٥٨ هـ	فيصل بن تركي (الدور الثاني) تولى الامارة
١٨٦٥ م		١٨٤٢ م	
١٢٩١ هـ	الى	١٢٨٢ هـ	عبدالله وسعود ابنا فيصل
١٨٧٤ م		١٨٦٥ م	من تنازعا الامارة تسع سنوات
١٣٠٢ هـ	نزل	١٢٩١ هـ	عبدالله بن فيصل تولى الامارة
١٨٨٤ م		١٨٧٤ م	
١٣٠٢ هـ	الى	١٣٠٢ هـ	محمد بن الرشيد تولى على نجد من
١٨٨٩ م		١٨٨٤ م	عبد الرحمن بن فيصل حكم نحو سنة
			فترة الاستيلاء الرشيدي نحو عشر سنوات
١٣١٩ هـ			الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن
١٩٠١ م			

آل سعود

الدور الاول — الفتوحات

في عهد السلطان احمد الثالث { ١١١٥ - ١١٤٣ هـ / ١٧٠٣ - ١٧٣٠ م } وقبله ، ايام كانت بلاد الشام تن من مظالم الولاة وفظائع الانكسار به ، لم يكن للدولة العثمانية اثر يذكر او يشكر في شبه جزيرة العرب . ولكن شبه الجزيرة نفسها لم تكن في حال تغبطها عليه جاراتها الشام والعراق . فقد كان الانراف يحكمون في الحجاز وعسير ، والسادة العلويون يحكمون في اليمن . وكان الامراء وشيوخ القبائل كل في قطرة ، وفي قبيلته ، يحكم مستقلاً عن الامراء الاخرين ومعادياً لهم في اكثر الاحيان . وكانت بلاد نجد والاحساء من الشعري الى قطر والكويت ون الافلاج الى جبل شمر ، مقطعة الاوصال ، مشتتة الاحوال لا صلة لقبيلة باخرى ثمر خيراً او تدوم ، ولا بين الحواضر المستقلة بعضها عن بعض صلات ولا نادراً . لم يكن والحق يقال غير السيف فاصلاً واصلاً ، ولم يكن غير الغزو سبيلاً الى الاستيلاء ، وسبيلاً رحياً الى الرزق والثراء . اجل قد كان القتل طمعاً بالاستيلاء من الامور المألوفة . وهناك بيت من الشعر طالما سمعت امراء العرب يتعثلون به :

بسفك الدما يا جارتى تحقن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل
هذا اذا استقام الامر لامير واحد فيحكم في الجميع حكماً ابوياً ركنه
المساواة والحكمة . اما العدل فامراء العرب على الاجمال يعرفونه وبعزونه غالباً في احكامهم . ولكن القتل عندهم لا يكون دائماً دون الحرمة والنفس ، ولا يكون دائماً من اجل المساواة والعدل . قد كان القتل على الاجمال الطريق الاقرب والاسهل الى الاستيلاء والسيادة . انا صاحب الرياض وانت صاحب الدرعية ، فاما ان اقتلك او اغلبك ثم اجلوك عن البلاد واستولي عليها ، واما ان

تفعل انت ذلك فيكون لك في ما ارپده فيك . السابق الى القتل الفائز .
ولم يكن القسم الجنوبي من نجد الذي يدعى بالعارض ليخرج عن هذه
القاعدة . فقد كانت بلدانه في حوزة امراء من بيوت وقبائل شتى يتوالون
ويتغازون عملاً بمصلحة ، او طمعاً بكسب ، او دفعاً لمحنة او خطر . هذي هي
الجماعة وهي في عزلة عن المنفوحة . وهذي هي المنفوحة وهي تابعة للرياض اليوم
ولخصم الرياض غداً . وهذي هي الرياض وهي مستقلة عن الدرعية ، والدرعية
وهي لا تقر بالسيادة لا للعيننة ولا للرياض ، وقس على ذلك . اما المسافة بين
اقصى البلدين من هذه البلدان فلا تتجاوز الخمسة وسبعين ميلاً .

ومن اولئك الامراء حکام ذلك الزمان مقرن بن مرخان الندي يمت بنسبه الى
بكر بن وائل ، فجديلة ، فربيعة ^(١) . ومن كبار اجداد مقرن الاولين الامير
مانع الذي بسط سيادته على الاحساء وقطر والقطيف . هو جد الموانعة الاسرة
المعروفة في نجد ، ومؤسس الدرعية . ولكن ملكه الذي تجاوز حدود نجد لم يدم
طويلاً ، ولم يكن ملك ابنائه ليختلف كثيراً عن ملك سواهم من الامراء ، فما
اشتمل على غير بلدين او ثلاثة والقرى التابعة لها . هي حال بني مقرن في طليعة
القرن الثاني عشر للهجرة ، فقد كان محمد بن سعود بن محمد بن مقرن اميراً على
الدرعية ، وهو على ولاء وابن معمر امير العيننة وابن دواس امير الرياض . وفي
عهده ظهر محمد بن عبد الوهاب مجدد المذهب الحنبلي ورسول التوحيد ، فعقد
بينهما العهد الذي جاء ذكره في النبذة السابقة ، وكان امير الدرعية
واخوانه ثنيان ومشاري وفرحان اول من باشروا الجهاد في سبيل
الدعوة الوهابية .

اما اول من قاوم المجاهدين فهو كما اسلفت القول دهام بن دواس او دياس
صاحب الرياض . قد حدثت المناوشات الاولى في المنفوحة ، التي حمل عليها دهام
لان بعض اهلها تمذهبوا بالمذهب الجديد فبادر ابن سعود الى الدفاع عنهم وعن

(١) كل من اتسب الى بكر بن وائل ومت بنسبه الى ديبعة بن نزار يجتمع مع النسي في
نزار بن معد بن عدنان .

بلدتهم . هذي هي فاتحة الحرب الدينية السياسية بين صاحب الدرعية وصاحب الرياض ، ثم بين صاحب نجد واصحاب الاقطار العربية الاخرى .

وقد انتصر اهل التوحيد انتصاراتهم الاولى في البلدان المجاورة لهم بوادي حنيفة ، اي في العيينة والجيلة وحريملة وقراها . ثم استمروا غازين متقدمين حتى وصلوا شمالاً الى الزلفى وجنوباً الى الخرج . على ان المناوئين في وسط البلاد ، في الوشم وسدير ، ظلوا يقاومونهم اكثر من عشرين سنة وهم يحالفون اعداءهم الكبار مثل الدواس والعربيع عليهم .

قد كان سعود الاول اذا اخذ بلداً يولي عليه احد ابنائه ، اي ابناء ذلك البلد المتوجهين ، كما فعل في العيينة التي كان عثمان بن معمر متولياً الامارة فيها لصاحب الحساء . فقد تذبذب عثمان وتردد بين صاحبه وبين المؤرخين ، فقتل في المسجد بالدرعية ، فولى سعود ابنه مشاري بن معمر مكانه . وذلك برايه كما يقول ابن بشر « لا برأي الناس الذين ارادوا انقراض بيت معمر » . وهذه الخطة التي اتخذها سعود الاول هي خطة الملك عبد العزيز اليوم .

قلت ان اهل الوشم وسدير لم يقبلوا في اول الامر التوحيد بل ظلوا يقاتلون اهله ، ويعيشون في بلدانهم ، فيغرونهم على الردة . لولا ذلك لما تمكن ابن دواس من محاربة آل سعود ثلاثين سنة ، فكأن اذا ضاق في الجنوب ذرعاً يشغلهم بالدسائس في الشمال .

ولم تكن الوقعات في بادىء الامر كبيرة . — واشتد القتال في وقعة دلقة في قلب الرياض امام القصر فقتل من الفريقين عشرون رجلاً . ولم تكن الغارات كلها ويلاتاً وثبوراً . — شن ابن سعود ورجاله الغارة على دهام في قصره بالرياض فرموه بالرصاص في عليته وخرجوا سالمين . كانهم خرجوا الى الصيد . وان هي الا نزعة في بعض الاحايين .

الا انها حرب في تاثيرها بالناس وفي اعم نتائجها ، حرب متقطعة طويلة العهد . وقد كانت الوقعات تزداد شدة والقتلى يزدادون عدداً كلما توسعت سيادة ابن سعود . بيد انه لم يقتل في مدة ثلاثين سنة غير اربعة الاف من العرب ، الف

وسبعمئة من الموحدين والفان وثلاثمئة من اعدائهم ، اي مئة وثلاثة وثلاثون رجلاً كل سنة . وقد لا يخلو حتى هذا العدد من المبالغة ، خصوصاً اذا كانت الوقعات او اكثرها مثل التي يصفها ابن بشر في قوله :

« وفي هذه السنة سار المسلمون واميرهم عبد العزيز الى الرياض وجرت وقعة عظيمة على اهل الرياض تسمى وقعة ام العصاير قتل فيها اربعة من اهل الضلال ولم يقتل من المسلمين غير واحد . ثم انقلب المسلمون الى بلادهم ، بعد تحصيل مرادهم » .

« وقعة عظيمة » قتل فيها « اربعة من اهل الضلال » . هذا الذي يحتملني على الاعجاب بابن بشر . فهو المؤرخ العربي الوحيد ، على ما اظن ، الذي لاتصعد ارقامه في عد الجيوش والقنلى الى الالاف ، الا في الفتوحات الكبرى التي سيجي ذكرها .

بعد محمد بن سعود واخوانه الانصار ظهر عبد العزيز بن محمد الذي شرع في عهد ابيه بشن الغارات ، فحمل رايات التوحيد الى اقصى الاقطار العربية ، وزرع بذور السيادة السعودية في البوادي والحضر . ولكنه على تعدد غزواته واتساع مجال جولاته ، لم يكن غير ممد السبيل لابنه سعود الفاتح الاول الاكبر .

وصل عبد العزيز في غزواته الغربية الجنوبية الى وادي الدواسر ، ١١٧٨هـ فخرج عليه اهل نجران ، فتقهقر الى بلاد الخرج فتبعوه . وقد اصطدم الجيشان في حائر سبيع فكانت الغلبة لاهل نجران الذين قتلوا اربعمئة من الموحدين . اما الفاجعة الاخرى في هذه الوقعة فهي ان دعام بن دواس الذي كان قد حالف آل سعود خذلهم بل خانهم فانضم بجيشه الى اهل نجران . ولما رجع عبد العزيز من هذه الوقعة الكبيرة عزاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب قائلاً : لا تموتوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين .

في السنة التالية لوقعة حائر سبيع توفي الامير محمد فبويع على الامامة ابنه عبد العزيز الذي ظل يغزو الغزوة تلو الاخرى واكثرها على الرياض حتى تمكن من فتحها بعد خمس سنوات من امامته ، اي في السنة السابعة والثمانين والمئة

والالف ، فقر ابن الدواس هارباً .

ولم يأت بعد ذلك بحركة تزعج اهل التوحيد او غيرهم من اهل نجد . مات دهام في الدلم ، على حاشية الربيع الخالي المحرقة ، وهو بعد هذه السنين الطوال يستحق الرحمة . فقد كان ، رحمه الله ، ثابتاً في النضال والضلال ، ثابتاً في تصليه وثقلبه .

بعد فتح الرياض بسنتين اجتاز عبد العزيز برجاله النفود فوصل ١١٨٩ هـ الى القصيم ووقف امام بريده فحاصرها ثم دخلها ظافراً . وكان قبل ذلك قد دحر مراراً اعداء التوحيد الاخرين اي عربعر بن دجين وابنه سعدون وعربانهم الحسوبين والعراقيين ، وغنم مدافعهم التركية التي جاءوا بها من الحسا محملة على الجمال . ولم ترضه هذه الانتصارات في بلاده فخرج يتبع العريعر فغزا الاحساء التي كانت يومئذ لبني خالد وعاد منها ظافراً بغنائم كثيرة . ولكنه في غزواته وفتوحاته لم يلق الدولة ويزعج المسلمين الا عند ما دخل ١٢١٥ هـ ابنه سعود كربلاء ، محط رحال الشيعة ، ونقطة الدائرة في شفاعة ١٨٠٠ م الاولياء ، فالتحمت رجاله باهلها ، وبعد مذبحه هائلة في الاسواق هدم الموحدون القبة التي قيل انها كانت فوق قبر الحسين ، ونهبوا البلد . ثم زحفوا الى المشهد (النجف) ، وخارج سورها مدينة اخرى هي مدينة القبور ذي القباب ، فردم عنها يومئذ بجرها ^(١) .

اما غزوة كربلاء التي ضج لها المسلمون ، خصوصاً الشيعة منهم ، فقد ادت الى اغتيال الامام عبد العزيز وهو يصلي العصر في الجامع بالدرعية . قتله في نهر رجب من هذه السنة رجل شيعي جاء من العراق متنكراً كدرويش . ١٢١٨ هـ وقيل ان الرجل كردي من اهل العمادية قرب الموصل . ولكن الرواية الاولى هي اقرب الى الصواب .

وكان قبل وفاته بخمس عشرة سنة قد عين ابنه سعوداً خلفاً له ، فبايعه الناس

(١) كان بحر النجف هوراً مثل الاهوار التي تكند عند ملتقى الرافيدين وحول البصرة . ولم يبق منه اليوم قبر ارضه المجوفة الجافة .

اذ ذاك على الامامة عملاً برأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ولا عجب اذا اعتزل عبد العزيز العمل في شيخوخته ، وهو الذي قضى اكثر من اربعين سنة من حياته في الغزو والحروب ، فلاك ولا مل ، ولا قعد بعد هزيمة ، ولا لها بعد انتصار . قد كان يزحف برجاله من اقصى البلاد الى اقصاها في يومي البؤس والنعم ، فيهب يوماً على حواشي الربع الخالي ويوماً في القصيم ، يوماً في الحساء ، ويوماً في السماوة بالعراق ، وآخر في وادي الدواسر ، كانه من العناصر كالمطر او السموم . وقد كان مطراً للموحدين وسموماً لاعدائهم ، يغزو في بعض السنين ست غزوات ويعود بالغنائم الى الدرعية فيقسمها على السواء بين رجاله .

اما ابنه سعود فكان قد باشر الغزو قبل ان يبيع على الامارة والامامة ، فظهرت فيه قوى التوحيد ، توحيد الدين وتوحيد السيادة العربية ، بأروع وأتم مظاهرها . هذا بالرغم عمن تظاهر عليه من الاعداء الاشداء ، وقوة كل واحد الحربية تفوق قوتي العريعر والدواس معاً . كيف لا وهم من ولاية الدولة العثمانية او من حلفائها تعضدهم وتقدم بالسلاح والرجال ، وبالذخيرة والمال .

ومن هؤلاء الاعداء الشريف غالب بن مساعد شريف مكة في ذلك الزمان . فقد كان على ما يظهر حائراً في بداية امره لا يربد ان يعادي ابن سعود او يواليه . ولكنه اظهر في الموالاة ميلاً مريباً عندما كتب الى عبد العزيز ابي سعود ينسأله ان يرسل اليه عالماً من علماء نجد ليفهمه دعوة ابن عبد الوهاب . فارسل الامام احد قضاة نجد يحمل كتاباً من الشيخ الى العلماء الاعلام في بلد الله الحرام . ولكن اولئك العلماء لم يرغبوا في مناظرة القاضي النجدي ، ولا كانوا مع الشريف في ما اظهر من حب المسالمة والولاء . وقد يكون هو المصانع وهم خدام قصده الحقيقي ، اذ انه شمر منذ ذاك الحين ، وهذي هي الحقيقة التي لا ريب فيها ، عن ساعد العداوة لاهل نجد ، فارسل اخاه الشريف عبد العزيز بجيش من عرب الحجاز ، وقد انضم اليه كثيرون من عربان شمر ومطير وقحطان ليهاجموا الدرعية . ولكنهم توقفوا في وادي السر ، فحاصروا قصرأ من قصوره دون طائل . ثم جاء الشريف غالب نفسه ينجد اخاه ، وعادوا بعد اربعة اشهر الى الحجاز دون ان

بصيبوا مغنياً .

على انه قد كان لهذه الغزوة نتيجة سياسية ظهرت في قيام عرب شمر ومطير على الموحدين ، فضربهم سعود في وقعة العدو^(١) ضربة شتت شملهم ثم غزا جبل شمر فادخل اهله في دين التوحيد .

ومن اعدائه سليمان باشا والي العراق الذي لم يكن في قصده مخاتلاً . فقد سير العساكر الى الاحساء لمحاربة اهل نجد فيها ، وكان ابن سعود قد احتل الهفوف والمبرز ، فعادت عساكر الدولة مدحورة .

اما تويني بن عبدالله الذي كان عاملاً في المتفق والبصرة ، والذي انهزم مراراً في حملاته على اهل نجد ، فامرته عجيب . عند ما عزله والي بغداد لجأ الى عدوه الامير عبد العزيز في الدرعية فآكرمه واغدق عليه . ثم عاد فليجأ الى الوالي سليمان عند ما كان يجهز حملة جديدة على آل سعود . جاء تويني متندماً ، ثم جاء متبجحاً — انا الذي يجمع الاموال ، ويقتل الرجال ، وينتصر في كل حال . فخدع الوالي ثانية وامره على الجيش فجاء بالمدافع الضخمة يحاصر بريده فحاصرها ، وترك مثل عريعر مدافعه وكثيرين من رجاله تحت اسوارها .

لم تهزم لسعود راية في غزواته كلها وقتوحاته ، ولا حالت دونها اوعار شبه الجزيرة واهوال بواديه . فقد اجتازت جيوشه حتى الحرة . قال ابن بشر : « سار بالمسلمين يعتسف من الفيا في السهل والصعب ، ويطوي من اديم الارض كل موحشة بباب ، لا يسمع فيها غير اصوات العرج والذباب ، يضل فيها القطا ، ويحير الخريت في مهامها ، لا يرى بقفرها أنيس ، ولا يصير في رحبها اثر العيس . مظأة يحاكي لون اديمها زرقة السماء ، مغبرة الافق والارجاء ، يحس الساري بما للجن فيها من الغمضة والزمزمة . وبعد انضاء الاعوجيات ، وارقال المهریات^(١) وسباسب الفلاة تبين له سواد الحرة » .

الحرة ! تلك المفازة البركانية وهي في حصاها المسنمة وحجارتها التي كالسياخ

(١) من مزارع شمر قرب حائل

(٢) الارقال نوع من السير والمهریات نوع من الابل تنسب الى مهره اسم قبيلة .

١٠ أكثر أهوالاً مما وصف، وكان في وصفه صادقاً . اني اتخيّل ابن سعود ورجاله يرددون دائماً بيت ابن ثعلبة :

ولا تجهمني ليل ولا بلد ولا تكاءدني عن حاجتي سفر
رفعوا رايات التوحيد في ما وراء الحرة ، وفي جبال شمر وعمان ، وشيد سعود
قصرًا للحامية في البريمة على حدود مشقط الف قدم فوق البحر^(١) ووصل الى رأس
الخيمة على الخليج ، وزحف الى تربه فاحترب والشريف غالب فيها فكسره .
ثم بايعه اهل البلد « ودينوا »^(٢) فكانت فاتحة المأساة الحجازية التي
خُتمت بنصر ابن سعود ثانية في العقد الثاني من القرن العشرين .

قيل والقول سديد ، ان تربه مفتاح الطائف ، والطائف مفتاح مكة . ومن
مدهشات التاريخ في ما يعيده من اخباره ما ساقص الان . كان للشريف غالب
وزير من بيت المضايقي اسمه عثمان بن عبدالرحمن^(٣) ولم يكن على ما يظهر مداجياً ،
فوقع بينه وبين الشريف خلاف ، فطرده من مكة ، فجاء المضايقي الى ابن سعود
ببايعه . ثم جمع له من اهل البادية والحاضرة ، من بيشة ورنية وتربه وقراها
جيشاً كبيراً لمحاربة الشريف . فزحفت الجيوش الى الطائف وكان الشريف
غالب فيها ففر مهزوماً الى مكة ، فنقاه سعود والمضايقي بالجنود . وكان
وقت الحج فهمّ الحجاج بمقاتلة الفاتحين واكنهم يتخاذلوا وعاد كثير
منهم الى اوطانهم . دخل سعود مكة ظافراً ، وكان الشريف غالب وعساكره واتباعه
قد رحلوا الى جده ، فاعطى اهلها الامان . ثم شرع ورجاله يهدمون القباب التي
بنيت فوق القبور^(٤) .

(١) قد زار الدكتور زويمر Zwemer بريمه سنة ١٩٠١ فوجد الناس هناك مقيمين
على دين التوحيد مع انهم من رعايا صاحب مشقط .

(٢) يقول اهل نجد « دين » اي دخل في دين التوحيد .

(٣) من حسنات امراء العرب والاشراف انهم يحافظون على البيوتات التي تخلص لهم
الخدمة . فقد عرفت واحداً من بيت المضايقي في خدمة الشريف علي ملك الحجاز السابق .

(٤) خذ الذبحة الثانية لهذه الصفة وقد كتبت بعد مئة وعشرين سنة . الشريف خالد
بن لؤي هو نسيب الملك حسين السابق ، وقد كان بين الاثنين خلاف تأصل فانخرج خالد
واخرجه . خرج على الشريف حسين فجمع العربان من تربه والحرمه ورنية وقراها وانضم الى

وقد كتب سعود كتاباً الى السلطان سليم الثالث هذا معناه :

« من سعود الى سليم : اما بعد فقد دخلت مكة في الرابع من محرم سنة ١٢١٨ وامننت اهلها على ارواحهم واموالهم بعد ان هدمت ما هناك من اشباه الوثنية ، والفيت الضرائب الا ما كان منها حقاً . وثبت القاضي الذي وليته انت طبقاً للشرع فعليك ان تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المحجىء بالمحمل والطبول والزمر الى هذا البلد المقدس فان ذلك ليس من الدين في شيء . عليك رحمة الله وبركاته » .

بعد فتح مكة بسنتين استولى الوهابيون على المدينة ، وكانت الدعوة اثناء ذلك اي دعوة التوحيد ديناً وسياسة تنتشر في عسير واليمن حتى كادت تعم تهامة بامرها . وكان الزعيمان عبد الرحمن ابو تقطه وطامي بن شعيب من اكبر حلفاء سعود هناك ، فبايعته الاحية ثم الحديدية وبيت الفقيه ، وكانت قد بايعته اشد القبائل بأساً ، منها رجال ألمع في عسير وعرب اليام في نجران .

بعد فتح المدينة اتجهت انظار اهل نجد الى الشمال فوصلوا في ١٢٢٠ هـ ١٨٠٥ م غزواتهم الى الجوف والبتراء ، واجتازوهما الى حوران والكرك ، فوقفوا منتصرين عند ابواب الشام وفلسطين . وقد ارسل الامام سعود كتباً الى الولاة هناك يدعوم فيها الى دين الله . ولكنه في طموحه الى بلاد الشام لم يكن ذاك الرجل الذي دوخ البلاد العربية كلها فدانت له العرب حتى على حواشي الريح الخالي في نجران وعمان . ومع انه حاول ان يتخذ له انصاراً من اولياء الامر في سورية جرياً على طريقتة في الاستيلاء فان منعه للحج ومعاملة رجاله للحجاج افسدا الامر عليه . قال محمد كرد علي في كتابه خطط الشام :

« خرج عبدالله باشا العظم (والي الشام يومئذ ١٢٢٠ هـ) بالمحمل فحدث بينه وبين الوهابيين امور عظيمة ، فهلك عسكره وانتهب الحاج » وفي السنة

الاخوان جيش ابن سعود في حملتهم على الحجاز ، فاكتمت الجيوش الطائف وقد كان فيها الشريف علي فتقهقر الى مكة . ثم دخلوا مكة محرمين يوم كان الملك حسين المغلوع وابنه الملك علي والجنود والاتباع قد انسحبوا الى جدة .

التالية منع الامام سعود الحجاج غير الموحدين عن الحج واخرج من مكة من كان فيها من الترك . اصف الى ذلك انه لم يؤمن الاورويين الذين كانوا في جده ، فخرجوا منها سنة دخوله الى مكة ، وكانوا في مجرد عملهم ذاك حجة على حكمه .

اما الدولة العثمانية ، وقد اصبح العدو على ابواب اغنى واجمل ولاياتها ، فلم تستطع في فساد احوالها ان تقوم مباشرة بعمل خطير . ولكنها بعد ان كسر الوهايون الجيوش التي ارسلها عليهم ولايتها في العراق والشام ادارت بنظرها الى مصر ، فطلبت من محمد علي باشا ان يتولى بنفسه انقاذ الحرمين واخراج اهل نجد من الحجاز .

قد تردد محمد علي في باديء الامر لا لانه لم يكن ليرغب فيه او يستطيعه بل لان المماليك كانوا يومئذ مسيطرين وكان يخشى ان يترك البلاد وشؤونها في ايديهم . اعاد الباب العالي الطلب مراراً وقد هدد الباشا اذا كان لا يذعن للامر ، والباشا راغب فيه ، الا انه كان يتحين الفرص . وقد رأى في الاذعان ثلاث فوائد كبرى لنفسه : الاولى انه يبعد جيشه الالباني عبر المنظمة الكثير التمرد فيتمكن اثناء غيابه من تنظيم جيش مدرب على الطريقة الغربية . والثانية انه يأخذ من الدولة الاموال التي كان في حاجة اليها بمحجة لزومها انتقات الحرب المقدسة . والثالثة ان هذه الحرب تجمع عواطف المسلمين في العالم على حبه وولائه بصفته منقذ الحرمين ومعيد مناسك الحج .

وفي هذه الاثناء كان الامام سعود يجمع ورجاله كل عام ويكسوا الكعبة « بالقيلاب الفاخر » . وكان نه تصالح والشريف غالب فاذه بالعودة الى مكة ، وكان الانان يتراوران ويتبادلان الهدايا . اما المؤرخ ابن بشر فهو لا يحسن الظن بالشريف ، وقد قال في هذه المهاداة : « واعطاه غالب مثل ذلك خدعة والمؤمن غر كرم » هي كلمة لا تخلو من حق ، فقد كان الشريف غالب مستمراً في سعيه الخفي لاجراج سعود وجماعته من الحجاز .

في خريف هذه السنة بعد قتل المماليك وانجاز اسطول من السفن ١٢٢٦ هـ في السويس ، لبي محمد علي طلب الباب العالي ، فارسل ابنه طوسون ، ١٨١١ م

الذي كان لا يزال في السابعة عشرة من سنه ، يقود ثمانية الاف من الجنود .
جاءوا بجرأ وبرأ^(١) الى ينبع ، ومعهم ضباط اوروبيون وعدد من المجازفين المسترزقين
الذين كانوا في عسكر بونايرت . زحف هذا الجيش من ينبع بمعداته ومدافعه ،
وكان اهل نجد قد استعدوا للقائه ، فخرج ثمانية الاف منهم بقيادة عبدالله ابن
الامام سعود الى مكان يدعى الخيف بوادي الصفري قرب المدينة . هناك التحم
الجيشان في العشر الاواخر من ذي القعدة ، وكانت الغلبة بعد ثلاثة ايام من
المقاتل الشديد لاهل نجد ، فانهزم المصريون تاركين وراءهم الخيام والمدافع
والذخيرة والارزاق وعدداً كبيراً قيل خمسة الاف من القتلى والجرحى والشاردين
ما عدا الخيل والرواحل . اما العرب فقد قتل منهم نحو ستمئة . واذا فرضنا
للمبالغة في العددين فوقعة الصفري تظل مع ذلك اكبر وقعات الحرب الوهاية
حتى ذاك الحين .

ثم تقرب طوسون بما تبقى من جيشه المنهزم الى ينبع ، فارسل منها يطلب
التجندات .

وفي هذه السنة التي هي خاتمة المجد لآل سعود الاولين حج الامام سعود
للمرة السادسة او السابعة وكسا الكعبة على عادته بالقيلان والديباج الاسود .
ثم طاف رجاله في اسواق مكة يردعون الناس عن الخبائث ، وينهون عن
المكر ، فمن رأوا منه عملاً مخالفاً للشرع ادبوه في الحال بموجب الاحكام
الشرعية . وقد ادت هذه الشدة الى الردة في بعض البوادي كما سبلي .

قال ابن بشر ان الامام سعودا ارسل التجندات الى المدينة وامر بتحصينها
ثم عاد الى نجد . ولا نعلم السبب في عودته في مثل تلك الحال وهو يعلم ان طوسون
مرابط في ينبع ينتظر التجندات ، وان عرب الحجاز يتذبذبون بينه وبين اهل
نجد وقد ينقلبون عليهم .

جاءت التجندات المصرية في السنة التالية ، فاعاد طوسون الكرة
على المدينة ، بعد ان احتل ينبع النخل ، وضم الى جيشه كثيرين من

(١) جاء ستة الاف بالسفن ، وجاء برأ الغان من الحياة الترك والعرب يقودهم طوسون

عرب جهينه وحرب . وقد كان في المدينة سبعة الاف من اهل نجد فحاصرها المصريون . حصاراً شديداً دام خمسة وسبعين يوماً . صوبوا على القلعة المدافع ، وحفروا اليها السرايب التي اشعلوا فيها تحت الاسوار البارود ، ثم قطعوا عن المدينة المياه ، وجاءت الامراض تساعد على المرابطين المحاصرين . بل قام الاهالي ايضاً على النجديين فأمسوا بين نارين ، والوباء يساعد في حصادهم . مات منهم اربعة الاف ، قاله ابن بشر ، قبل ان انفتحت ابواب المدينة للمصريين .

قد استبشر الشريف غالب بهذا النصر فباشر السعي جهرآ في تحقيق ١٢٢٨ هـ المقاصد التي كان يطمحها . ثم بدت في هذه السنة قرون الفتنة فانتشرت الردة في مكة والطائف ، فدخلها طوسون بمساعدة الشريف بدون قتال . ولكن النكبات التي توالى على النجديين لم تبقى حتى على عدوهم الشريف . ولم ينبج المصريون من احوالها الطامية الجارفة . فقد مات منهم مئات بالوباء الذي كان حليفهم على اعدائهم ، وقد قدرت خسارتهم كلها في الحملتين بثمانية الاف من الرجال . ثم جاء محمد علي نفسه بنجدة جديدة . جاء بسرعة بانجاز العمل الذي باشره ابنه وخسر فيه هذه الخسارة الجسيمة ، فوصل الى جده في ٣٠ شعبان (٣١ آب) من هذه السنة ، فاستقبله فيها الشريف غالب مرحباً مكرماً ، ثم رافقه الى مكة .

وعندما استقر محمد علي هناك جازى الشريف في ان قبض عليه وعلى اولاده عملاً بامر شاهاني كما ادعى وارسلهم اسرى الى مصر . ثم حجز جميع ما كان في خزائن غالب من الذهب والفضة ، واخرج حرمه من قصر جياد ، ونصب مكانه ابن اخيه الشريف يحيى بن سرور .

اما آل سعود فلم يكونوا اوفر حظاً لدى القضاء من بيت عدوهم الشريف . فبعد اربعة اشهر من جلائهم ، اي في ١١ وقيل في ٨ جمادى الاولى من السنة التاسعة والعشرين والمئتين والالف (٢ ايار سنة ١٨١٤) مات في الدرعية الامام سعود وهو في الثامنة والستين من عمره . مات ، لا بالحمل كما قال هو غارت نقلاً عن احد المستشرقين الذين كانوا يومئذ في مكة ، بل بعلّة في المثانة ، وقل بعلّة

اخرى هي نكة اهل نجد في الحجاز التي عجلت ولا شك في اجله . وقد كانت ولايته احدى عشرة سنة اذا حسبناها من يوم وفاة والده عبد العزيز ، وسبع وعشرين سنة اذا عدت من يوم بوبع بالامارة في السنة الثانية والمئتين والالف .

هو يدعى بالكبير ، وقد خص بتلك السجايا او باكثرها التي تؤهل رجل التاريخ لهذا اللقب . فقد كان في عظمته متواضعاً ، وفي حكيمته ورعاً ، وفي عدله حليماً ، وفي سياسته جامعاً بين المرونة والمضاء . اصف الى ذلك ذكاء لم يكن عادياً ، ولم يقف به عند حد السياسة . فقد كان مولعاً بالعلم ، محباً للعلماء وللطلاب ، فلم يستنكف من عقد مجالس القراءة والتدريس في قصره وتحت متارفيه عند ما يكون في العاصمة . بل كان هو يتولى التعليم في بعض الاحايين فيدهش حتى العلماء بما كان يحسنه من علمي التفسير والفقه . وبالرغم من تعدد مشاغله ومشاكل ماكنه البعيد الارزاء كان يزور مجالس التدريس العامة ، فيطلع على اعمال الطلبة ويجزي منهم الاذكياء المجتهدين .

وقد كان سعود كبيراً في اخلاقه مثله في اعماله ، لا ينكر الفضل على ذويه وان كانوا من اعاديه ، ولا يقف في احسانه ومكرمه عند شبهات النفس واهوائها . مثال ذلك معاملته للشريف غالب على ما كن يبطنه الشريف من الكيد والعل . فلو كان فاتح مكة غير سعود ، لو كان محمد علي مثلاً ، لما اذن للشريف بالعود اليها بعد ان فر منها هارباً الى جده .

اما في غزواته وفنوحاته فلم يكن ليخرج عن القاعدة ان الحرب خدعة . وللعرب في ذلك اساليب تقترن فيها السذاجة بالدهاء . فقد كان سعود اذا اراد ان يغزو الى جهة الشمال يظهر انه يريد الجنوب او الغرب والعكس بالعكس . وعند ما نزل الرقعة في غزوة الاحساء امر رجاله ان يوقد كل واحد منهم ناراً وان يطلقوا كلهم البنادق عند طلوع الشمس ليرهبوا اهلها . فلما اطلعت الشمس فعلوا ذلك دفعة واحدة فارتجت الارض واطلمت السماء واسقط كثير من الحوام في الاحساء . هذه الطريقة في الحرب طريقة الارهاب والترويع مألوفة عند العرب خصوصاً عند اهل نجد .

ولا حاجة لذكر البسالة في سعود الكبير والاقدام ، وعلو الهمة والمرام . فان في فتوحاته الشاهد الاكبر على ذلك . اما حكمه فقد كان له مزبنتان كبيرتان رائعتان هما الامن والعدل — الامن وكان اساسه العقاب الشديد السريع بموجب الاحكام الشرعية ، والعدل كان اساسه الامتن المساواة وعدم المحاباة . بيد انه لم يكن على شيء من الادارة ، ولا كان النظام ، ما عدا بعض قواعد اساسية تتعلق بالجيش ، معلوماً . فلم يكن ليربط النواحي القصية بعضها ببعض غير كلمة الامير ، ولم يكن يحفظها وثيقة العرى غير صولته . فاذا ذهبت الصولة ذهب الملك .

آل سعود

الدور الثاني — الفوضى

لم يكن طوسون الشاب قوي البنية او الارادة ، ولا كان على شيء من الحزم كبير ، فأعيبته حرب الحجاز واضنته . ولولا عرب الحجاز لما عقد له النصر في حملته الثانية على عرب نجد . بيد انه كان مثل ابيه واخيه ابراهيم منساهلاً في دينه ، عاملاً بتساهله في امور شتى سياسية وغير سياسية . وكان يميل خصوصاً الى الاوربيين ويحب الانتفاع بعلومهم واختراعاتهم . قد اشرت الى اولئك المجازفين منهم المسترزقين الذين كانوا في الجيش المصري . ومن اغرب امورهم ، مما يدل على التساهل الذي ذكرت ، ان احدهم وهو اسكتلندي اسمه ثوماس كيث تولى برهة حكم المدينة المنورة .

على انه لم يكن بينهم اديب عالم يدون حوادث تلك الايام ، او ينقل الينا شيئاً من معلوماته هناك . ولا اظن ان احداً منهم دخل مكة ولو خلسة عند ما استولى طوسون عليها ، لانه لم تكن لهم العقلية العلمية التي تحمل صاحبها على الكشف والاستطلاع ، الا احداً ذكره هوغارث وقال ان ما كتب بعد تافهاً على ان هناك ثلاثة لم يجيئوا الحجاز محاربين ، ولا جاءوا مع المصريين ، وهم جديرون بالذكر لانهم من العلماء المستشرقين المستعربين الذين دخلوا مكة يوم كان الوهابيون مستولين عليها ، فأوهم من كذب وكتبوا عنهم بدون تحيز او تحامل .

اول هؤلاء رجل اسباني اسمه دومنغو باديا اي لبلخ^(١) انتحل اسماً ونسباً وديناً عربياً وجاء من قادش عن طريق الجزائر الى الحجاز . هو علي بك العباسي الامير المكرم ، والعالم المحترم ، والحاج الورع الموقر ، رسول بونايرت الى البلاد

(١) Domingo Badia y Leblich (١٧٦٦-١٨١٨)

العربية . اجل قد جاء حاجاً ، مستكشفاً ، فنزل في جده تحف به الخدم والحشم ، وسار الى مكة المكرمة محرماً ، مثل من جاءوها من اهل نجد ، فدخلها في ٢٣ يناير سنة ١٨٠٧ (١٤ ذي القعدة ١٢٢١) . وقد شاهد جموع الوهابيين ، وحج معهم واعتمر .^(٢) سمع العج ، وحضر الشج ، وكان في ظاهره عربياً حقاً ، ومسلماً حقاً ، لا تعيبه كلمة يقولها ولا تخونه فعلة او اشارة ، فما شك احد في دينه او في نسه .

وقد اجتمع علي بك بالشريف غالب فقال انه في العقد الرابع من العمر وانه على جهله ذو حصافة ودهاء . رآه لأول مرة في مجلسه وهو يدخن النارجيلة التي كانت محبوبة خوفاً من الوهابيين . فلم ير السائح الاوربي غير التبريج الذي كان يتصل من خرق في الحائط بالنارجيلة وراءه في الغرفة المجاورة للمجلس . والعباسي هذا كان عالماً يحمل في حقائبه ادوات للرصد والمساحة ، فاستخدمها في مكة وجوارها دون ان يعترضه احد من الناس . بل كان محترماً من الجميع . وقد حاز فوق ذلك شرفاً لم يحزه سواه من المستشرقين ولا يحوزه الا الافراد القلائل من المسلمين . الا وهو شرف كناسة الكعبة . ولكنه على ما يظهر لم يفلح حتى النهاية في تنكره . فعندما قصد الى المدينة زائراً صده عنها الوهابيون فعاد الى ينبع ومنها الى مصر فباريس حيث اجتمع بنابليون وعين في حاتية اخيه يوسف بوناپرت . وقد عاد علي بك الى الشرق في سنة ١٨١٨ . فسافر من دمشق ليرحل رحلة ثانية في البلاد العربية ، ولكنه وهو لا يزال في اول الطريق أصيب بالديزنتاريا فمات في المزاريب .

اذا صرفنا النظر عن مهمة علي بك السياسية فانه كعالم صادق الرواية . وهو اول اوربي شاهد الوهابيين في مكة وقضى ايامهم مناسك الحج . وصفهم وهم يتزاحمون عند الحجر الاسود ويتسابقون اليه فقال (الجزء الاول صفحة ٧٢) انهم 'مرهبون' ولكنهم

(٢) كان الامير سعود وابو قطعه يتقدمان الى عرفات الحجاج وهم خمسة واربعون الفا . ومعهم علي بك

« لا يسلبون الا ما كان حلالاً في مذهبهم اي مال العدو والكفار . وهم اذا اشتروا شيئاً يدفعون ثمنه كما انهم يدفعون اجرة من يخدمونهم ، فلا يصادرون ولا يسخرون . ومنهم الفقراء الذين كانوا يدفعون رسوم زمزم والكعبة من البارود والرصاص الذي كان معهم . وبما انهم يطيعون اميرهم طاعة عمياء فهم يحتملون من اجله كل شدة ساكتين صابرين ، ويسرون اذا امرهم الى اقصى اطراف الارض » .

من فضل الوهابيين في فتحهم الحجاز انهم لفتوا نظر العالم الى البلاد العربية ، ونهبوا العلماء المستشرقين الى تكشف احوالها ، فجازفوا بحياتهم ، وفادى اكثر من واحد بها ، طلباً للعلم .

ومن هؤلاء العالم الالماني ألريخ زتسن^(١) الذي قضى عشرين سنة يدرس ويتأهب لرحلته في الشرق . فجاء سورية سنة ١٨٠٥ واقام في الشرق الادنى يضع سنين ، وكتب في رحلته كتاباً باللغة الالمانية قيماً^(٢) ثم سافر الى الحجاز في ذي درويش اسمه الحاج موسى فدخل مكة حاجاً سنة ١٨١٠ ، وارتحل منها الى اليمن ، فزار صنعاء ونزل الى عدن . قد كان في نية زتسن ان يجتاز شبه الجزيرة الى الخليج ليسوح في الشرق الاوسط ، فعاد من عدن ووجهته الجبال . ولكن عند مروره بتعز اعترضه بعض الناس وقد اراهم امره فقتلوه . لم يكن هذا المستعرب الالماني على ما يظهر مثل علي بك العباسي بارعاً بالتكر ، ولكنه كان اوفر علماً وانزه قصداً .

هو الذي قابل الامام سعوداً في مكة وكان قد تربى بقيافته واسلامه . ولكن كبير الوهابيين بل كبير العرب يومئذ لم يمانع العالم الافرنجي في تجواله . قال هوغارث : « كان زتسن نباتياً مشهوراً في اوربه ، وهو من العلماء الافاضل ، له نظرات تاقبة صائبة في الاشياء وفي الناس » . وان من يقرأ ما كتبه عن

(١) Ulrich Jasper Seetzen. (١٧٦٧ — ١٨١١)

(٢) قد نشرت مجلة الكلية في سنتها العاشرة خمس مقالات للاستاذ هارلد نلسن عن زتسن ورحلته في سورية ولبنان .

بعض الحكام في سوربه ، وبعض النباتات والصناعات في لبنان ، ليتأكد ذلك ويأسف جداً لان كتبه ومذكراته فقدت بعد موته في اليمن ، فخرمنا رأيه في الوهابيين واميرهم الاكبر سعود .

ولكن المستشرق الثالث الذي ساه في الحجاز في العقد الثاني من القرن التاسع عشر كان اوفر حظاً من زميله الالماني والاسباني . هو الحاج عبد الله اي السويسري المشهور بر كهارت^(١) صديق محمد علي وصديق العرب والاسلام . جاء الحجاز عندما كان محمد علي هناك ، فنزل في جده في ١٥ تموز سنة ١٨١٤ ، وسار منها الى الطائف ، ثم دخل مكة المكرمة في ١٩ رمضان ١٢٣٠ (٢٤ اغسطس ١٨١٤) بعد استئذان صديقه العظيم ، وهو يومئذ سيد الحرمين ، فخرج مع من حجوا في ذاك العام ، واقام في مكة ثلاثة اشهر . ثم سافر الى المدينة فادى الزيارة في ابريل سنة ١٨١٥ يوم كان محمد علي باشا هناك . ولكنه مرض في المدينة فعاد الى القاهرة في ربيع ذاك العام ، وتوفي فيها وهو في ربيع الشباب . كان بر كهارت في قيافته وفي اسلامه محترماً موقراً . وقد قال يصف نعمة تبجح فيها . « ما شعرت في مكان آخر بمثل الطائفة التي كنت اشعر بها وانا في مكة » .

ولكنه لم يجمل او يتجاهل ما اشتهر به المككيون والترك يومئذ من قببح العادات والتقاليد ، فذكرها كلها ، وقد قال في كلامه على الوهابيين انهم حقاً جاءوا يطهرون الحجاز — ثم قال :

«وما الوهابية اذا جئنا نصفها غير الاسلام في طهارته الاولى . واذا ما جئنا نبين الفرق بين الوهابيين وبين الترك مثلاً فما لنا الا ان نعدد الخبائث التي اشتهر هؤلاء بها » .
هناك شهادة الاجانب وهي شهادة العلماء المزهين عن الاغراض الخصوصية والمذهبية . « جاء الوهابيون يطهرون الحجاز » .

وجاء الترك او بالحري المصريون ينقذون الحرمين من المطهرين فانقذوهما

٨١٢٢٩
٢١٨١٣
وجلس محمد علي في مكة يصدر الاوامر الى جيشه في المدينة ليزحفه الى نجد ، وجيشه في الطائف ليحتل ترابه ، وجيشه الثالث ليذهب براً وبحراً الى القنفذة فيؤدب عرب عسير المدّينين ، انصار ابن سعود وزعيمهم ابن شعيب .

كان المصريون قد احتلوا القنفذة في اذار من هذه السنة فاغار العرب عليهم بعد شهرين بقيادة طامي ابن شعيب ، فهزموهم فلاذ من سلم منهم بالسفن . وقد غنم العرب المدافع والذخيرة كلها مع عدد كبير من الخيل والجمال .

اما الحملة الاولى التي سيرها محمد علي على ترابه في صيف هذا العام بقيادة ابنه طوسون فقد عادت مدحورة تشكو الحر والجوع . والحملة الثانية عادت تحدث عن بدوية^(١) باسلة كانت في طليعة العربان تحرضهم على القتال . فجهز محمد علي حملة ثالثة مؤلفة من الفين جندي والفين من عرب الحجاز وخمسمئة خيال ، كما جاء في البلاغ الذي ارسله بعدئذ الى اهل المدينة ، التبيه ببلاغات الدولة العلية في الحرب العظمى ، وراح هو بنفسه يقود تلك الحملة ، فالتقى في بسل بين الطائف وترابه بجيش عظيم ، قدّره بأربعين الف ، من اهل نجد وعسير يقودهم فيصل بن سعود وحليفه طامي بن شعيب . التحم الجيشان هناك وكان القتال شديداً من الفجر حتى المساء ، فغسر اهل نجد مستعثة من رجالهم وتشتت الباقون . ثم واصل المصريون الزحف الى ترابه فاحتلوها بدون قتال .

وقد جاء في البلاغ الذي اشرت اليه المؤرخ في صفر ان قد غنم الجيش الظافر في وقعة بسل خمسة الاف خيمة وخمسة الاف من الجمال ما عدا الارزاق الكثيرة .

استراح محمد علي قليلاً في ترابه ثم زحف الى رنيّه وفيها عرب سبيع

(١) هي غالية امرأة احد مشايخ سبيع وقد هاجت بنفسها جيوش مصطفى بك قائد الحملة فهزمتهم شر هزيمة .

عُسلمت . وبعد أربعة أيام ، وهو يواصل السير جنوباً بشرق ، وصل الى بيشة^(١) مفتاح اليمن الشرقي وفيها بنو سالم فقاوموا يوماً وسلموا .

ومن بيشة مشى الظافر الى جبال عسير . ولكن تلك الانتصارات نهكت الجيش وأفقرت له لانه لم يكن في البلدان التي اكتسحوها شيء يذكر من الغنائم ، قتل الزاد ، وكثرت المشقات ، وكانت الخسائر خصوصاً في الركائب كبيرة . قيل انه مات مئة رأس من الخيل في يوم واحد . ترجل محمد علي ومشى مع الماشين وهو يعدم بالغنائم العظيمة في اليمن . فلما صاروا في جبال زهران ، بعد خمسة عشر يوماً من السير ، التقوا بطامي الذي انهزم في وقعة بسل ومعه بضعة آلاف من العربان ، فنازلهم محمد علي وكان في الجولة الاولى مهزوماً . ثم عاد الكرة عليهم فأخرجهم من معاقدهم في الجبال ودحروهم في القتال فشنت شملهم . ومن غنائم هذه الوقعة ان ابن شعيب أخذ اسيراً ثم أرسل الى مصر ومنها الى الاستانة ، فضرب عنقه بعد ان سُهر في الاسواق هناك .

بعد هذا الفوز في عسير عاد محمد علي الى مكة فولى فيها احد رجاله . ثم سافر الى المدينة ليؤدي الزيارة ، وكان قد حج في العام السابق ، ولينطلع على احوال الحجاز الشمالي . بيد انه لم يلبث طويلاً في المدينة لان الاخبار التي كانت قد جاءت انبأت بفتنة في القاهرة وبفرار نبوليون من جزيرة الباء . فسافر فجأة في شهر يونيو سنة ١٨١٥ وهو ببغى صون ملكه من الاخطار الداخلية والخارجية . من حسنات محمد علي في الحجاز انه وزع كثيراً من المال والارزاق على المحتاجين ، وخفض رسوم الجمر في جده ، وابطل الضرائب التي كان قد ضربها التشریف غالب ، ومثل بالاشقياء ، وعاقب بشدة كل من تعدى على الاجانب . بيد انه لم يحسن عملاً في ابقاء جنوده بعسير . اذ بعد سفره اعاد عرب ألمع وغامد وزهران الكرة على اولئك الجنود في تهامه وفي الجبال ، فدحروهم دحرات متعددة ، وردوهم خاسرين برأ الى الطائف وبجراً الى جده .

(١) تربه هي على مسافة ثمانين ميلاً من الطائف شرقاً بجنوب . وبيشة تبعد نحو مئة ميل من تربه .

أما طوسون فكان قد جهز حملته على نجد وزحف إلى الرّس^(١) فاحتلها بالاتفاق مع أهلها ، فجاء عبدالله بن سعود بجيشه يخرج منه . ولكن عبدالله مثل طوسون من أولئك القواد الذين يضعفون ما عندهم من قوة بما ينقصهم من زعامة وأقدام . وقف الضعيفات في القصيم وقفة المنازل الراغب في الصلح المتظاهر بعكس رغبته ، فتناوشت الجنود وتقهقرت ، وتخاذلت ، وثقاعست ، حتى سثم أولو العزم في الجانبين الحالة وقام منهم من يطالب بشيء يشفع بتردد القائدين وتذبذبهما . قال أهل نجد لعبدالله : أخرج إلى طوسون أو أخرج عليه أي صالحه أو حاربه . وقد توفق الفريقان إلى عقد صلح فيه تعهد المصريون أن يخرجوا من نجد ، وتعهد النجديون أن يأذنوا بالحج ، ويؤمنوا السبل ، ويرجعوا ما سلب من الحجرة النبوية .

عاد طوسون بجيشه إلى المدينة ومعه وفد من أهل نجد يحمل معاهدة الصلح إلى محمد علي ليصدق عليها . وكان محمد علي قد رحل فتبعه الوفد إلى مصر : قال ابن بشر « وصل الوفد إلى مصر ورجع منها وانتظم الصلح » . والقول مبتسر . فقد تعاكست الأقدار على الجميع في هذه السنة ، فلا خدمت أهل نجد ولا خدمت خصمهم . أمر محمد علي ابنه طوسون بالرجوع إلى بلاده . وقد مات بعد بضعة أشهر في الإسكندرية ، قيل من مرض غشاء في الحجاز وقيل من استرساله في اللذات . وفي هذه السنة أيضاً توفي عدو النجديين الآخر الشريف غالب وهو في منفاه بسالونيك . وكان صاحب مصر قد نقض عهد الصلح الذي أقره^(١) وجيز ابنه إبراهيم بحملة جديدة على أهل نجد .

(٦) الرّس والقرى التابعة لها هي على مسافة مئتين وسعين ميلاً شرقاً بشمال من المدينة وخمسة وثلاثين ميلاً غرباً بجنوب من عنيزة .
(١) في المسئلة روايتان : قال ابن بشر أن فريقاً من عرب الرّس المعادين لعبدالله سافر إلى مصر ليقابل محمد علي ويضد علي وفد الصالح عمله فأفلح سعيه . وقال المؤرخ الأفرسي أن محمد علي لم يعد الوفد بالصالح ولا استقبله حتى بوجهه بأش . بل أفلظ له الكلام وختمه بقوله : « سأسير عليكم ابني إبراهيم فيهدم دياركم حتى لا يبقى فيها حجر على حجر » .

كان ابراهيم صلب العود ، شديد البطش ثابتاً في عزمه ومقاصده . ولكنه لم يكن ماهراً في تعبئة الجنود ، ولا كان باهراً في المفاجئات الحربية . انما كان جلدأ كدوداً ، بطيء منشأ الفكر ، سريع منشأ الهوى ، ارادته من حديد ، وقلبه مثل ارادته .

جاء وهو في السابعة والعشرين من سنه يطوي بساط الجزيرة ليصل الى قلبها الملتهب فيطفيء النار فيه ويفرغ منه الحياة . جاء بجيش لا يتجاوز الاربعة الاف وفيهم الالباني والمغربي والسوداني وقد اضاف اليهم في مروره بالصعيد الفين من الفلاحين للاشغال والخدمة .

وكان معه مهندس افرنسي ^(١) واربعة اطباء وصيادلة ايطاليين ^(٢) ومدافع ضخمة ترمي القناير التي روتعت العرب ^(٣) . سافر ابراهيم من القاهرة في النيل في ١٠ شوال ١٢٣١ (٣ ايلول ١٨١٦) الى قنا ، ومنها براً الى القصير على شاطئ البحر الاحمر ، ومنها بجزراً الى ينبع ، فوصلها في ٨ ذي القعدة ١٢٣٠ (ايلول) . وسار منها دون مقاومة الى المدينة ، فزار قبر النبي وقبور الصحابة ، ثم نقل بجيشه الى الحناكية ^(٤) وعسكر هناك .

اقام ابراهيم في الحناكية ولبث يراقب كالصياد طرائده ، فكان يُغير تارة على البدو وطوراً ينتظر اغارتهم عليه ، فينصب لهم شراكاً من الوعود الخلابّة التي كانت تتخللها الهدايا ونبيء من الذهب الوهاج . ولم يكن على ما يظهر في ما يستوجب العجالة . اقام ستة اشهر على ذاك الماء وهو ينتظر العربان ليخون بعضهم بعضاً وينضموا الى جيته . وكذلك كان . جاءت حرب ^(٥) وجادت عتية وجاءت

(١) Vaissiere

(٢) Scoto. و Gentili و Todeschini و Sacio

(٣) منها مدافع افرنسية محفورة عليها هذه الكلمات : صنعت في باديس في السنة الثانية من عهد الجمهورية . الحرية والاخاء والمساواة . قال ابن بشر بصف مدافع ابراهيم : كل مدفع يشور (يطالق) مرتين مرة في بطنه ومرة تنور رصاصة وسط الجدار بعدما اندبت فيه فتهدمه .

(٤) الحناكية ماء معروف على مسافة تسعين ميلاً شرقي المدينة .

(٥) «فانم بن مضيان شيخ من مشايخ حرب انضم الى جيش ابراهيم بالف من رجاله وهم ممرنون ومسلحون» — ادوار فوان

مطير^(١) — والله يا ابراهيم رحماً (بحس) ما بي (لا سعي) اهل محمد . حمار حالك
وحياة الله ! وكانوا يقولون مثل هذا القول لاس سعود .

بعد ان اقام ستة اشهر في الحماكية يستعوي العربان ويخدمهم رحف في
شتاء السنة التالية (٥ ربيع ثاني ١٢٣٢ = ٢٢ فبراير ١٨١٧) الى محمد فوصل
الى الرس التي سلمت قملًا لاجيه طوسون وات ان تسلم لابراهيم ، فكانت عليه
حرناً عواناً . احسرت في المحجمات الاولى تمامة من رحاله فمعت يطلب السحدات
من المدينة . وكان اهل الرس رجال وساء يدافعون من وراء الاسوار عن
بلادهم ، فيردون على قناير المصريين برصاص السارق ، ويطلقون فعل العامهم بالعام
اخرى يحمروها اليها .

حانت السحدات من المدينة فتد على البلدة الحصار وصاعف صرب اسوارهم .
لم يكن ابراهيم ايض حتى برحاله . وبعد دحبات هائلة في الخيتين طلب عبد الله
بن سعد الصلح ، فطلب ابراهيم البلدة من اميرها محمد ابن مرروع فقال الامير :
تعال حدها .

استؤف القفال . وكان ابراهيم في المحجمة الاولى على رأس الف حمال فكوا
باهل الرس ، فدحوا منهم اربعمئة واكلوا منهم . كانوا يقطعون رؤوس الرعماء
ويرمعوها على الرماح لبراها الحديدون . اما عبد الله فاسمر يفاوض بالصلح ،
ممسك ابراهيم بشروطه واهمها ان يقدم اهل الرس الي رأس من الخيل ،
والفن من الجمال ، ومؤونة الخيش اسنة اسير ، ورهينتين من اولاد عبد الله .
استؤف القفال . واسمر العوروه لاهل الرس ، فتارل ابراهيم اد داك
عن سره طه الا تشرطاً واحداً هو ان يصع الحاصروب سلاحهم ، وقيموا على
الحياة فلا يعاوبون ان سعود ولا يعرضوب للحيوش المصرية . فمعلوا ذلك
ورفع الحصار الى اسمر ثلاثة اشهر وسعة عشر يوماً والى حسر فيه ابراهيم
ثلاثة الاف واربعمئة من عسكره الطائي .

بعد ان سلمت الرس رحف ابراهيم الى عميره ، وكان عبد الله قد لحا اليها

(١) مطير يومئذ ملها اليوم برعامة ابن الدويش



عبد الله بن سعود الكبير عن رسم دُسم في مصر يوم اعتقاله هناك

فصالحه اهلبا ، والى المراتلون في القصر الا القنالب ، ماطلقت عليهم المدافع ليلة ونهاراً فسلموا .

تم حمل على بريده وكان عبدالله قد رحل من عبدة اليها فرحل اذ دلك منها الى الدرعية . راح يستمر اهل نجد الوادي والحصار ليجمعوا في العاصمة للدفاع عن الوطن .

• يوم حصار بريدة الالة ايام . وبعد ان سلمت المدينة عاد ابراهيم بحسه الى المدب احرق بلدة في جنوب القصيم ، مبادر اهلبا الى التسليم . تم دحل اوم داك السهل الكائن بين وادي السر ووادي حبيمة فوصل الى شقرا ام لداه — ام لداه الوشم — في ١٨ صفر ١٢٣٣ (٢٨ ديسمبر ١٨١٧) وحاصرها ستة ايام مدافع اهلبا عنها ما استطاعوا تم سلموا . ومما هو حدير بالكر ابراهيم اسس في شقرا مستقلى للحرى حباية ابن من الاطباء والعيادة الافرح ايت كانوا معه . ولكن هذه الرحمة لا تشمل غير حرى حيثه . فقد كان يأمر بقتل الا برى . وقد قطع حدوده في شقرا اذان القتلى المحدث فامسها مع رسول الى والده بمصر .

استمر الحرس الطاهر زاحقا في اليوم مسلمت بعة لداه بدون قنالب . ولكن عندما وصل الى صرمة (١) اضطده هاله آهالا وهم الف ممال مكوا لاند ميل اهل ارس . حسب الماسا مدامه . صرمت الملة هدم سورها رانها حدوده مدحاها ماكن مكسره . ربح حتى الحريم من سورة ل من سهوة الحموس الضاعة ، وقد دى بائة في السوب والاسواق حربا وحدة . قام ابن سر : « كان الروم (٢) يأتون اهل البيت او العصاة الخمسة فيصوب الامان ، مياحدهن سلاحهم ويقتلونه » .

مدان من الروم صرمة وهكو عرض حرمها ، ودحوا بني اهلبا ممر الماقه هارن ، دمرها تدميرا وساروا الى وادى حسة ، قروا الحيلة تم

(١) لعطها اهل نجد اضرمه

(٢) كان العرب يدعون المصريين والترك بالروم

بالعيّنة ثم اشرفوا في اواخر جمادى الاولى على الدرعية، وكان عبدالله بن سعود واخوه فيصل وغيرهما من آل سعود قد خرجوا بجمع من اهل المدينة للدفاع، فتوزعوا في الوادي واقاموا فيه وفي منعطفاته المتاريس. كانت الدرعية قائمة على الاكام الى جانبي الوادي^(١) ولا يتمكن منها الجيش القادم من الوشم او من سدير الا اذا اجتاز واديها وصعد الى الربوة الشرقية. فنصب مدافعه هناك. لذلك خرج اهل المدينة يصدون المصريين ويناجزونهم ليمنعهم من احراز ذاك المركز الخطير.

كان جيش ابراهيم باشا عندما وصل الى الدرعية وباشر حصارها في ٢٩ جمادى الاولى ١٢٣٣ (٦ ابريل ١٨١٨) مؤلفاً من اربعة الاف من المصريين والالبانيين، وخمسمئة من المغاربة، وبضعة الاف من عربان مطير وحرب وعتيبه وبني خالد، ونحو الفين من العمال والخدم، وعشرة الاف من الجمال حاملة المؤن والذخيرة.

استمر الحصار خمسة اشهر وبضعة ايام فتعددت فيه الوقعات واشتدت الحملات، وكانت الغلبة غالباً لآل سعود. ولكن التجددات كانت ترد متوالية على ابراهيم. فتجيثه الجنود والذخيرة من مصر، والارزاق من البصرة والمدينة، والغنم والسمن من القصيم. ومع ذلك فقد نكب في ١٦ شعبان (٢١ يونيو) نكبة كادت تقضي عليه. فبعد ان انهزم يومئذ في وقعة قتل فيها مئة وستون من رجاله هبت ريح السموم فحملت شرارة من نار احدى الخيم الى مستودع الذخيرة، فاشتعل البارود، وتفجرت القنابل، وأتلف كل ما كان هناك. بل امتدت النيران الى مستودع القمح ايضاً فاستحال في ذاك اليوم رماداً. قال ابراهيم لطيبه الافراسي: خسرنا كل شيء ما عدا شجاعتنا وسيوفنا. والحق يقال ان لولا الشجاعة والعزم والثبات، تلك السجايا الكبيرة فيه، لعاد من الدرعية بعد تلك الفاجعة مدحوراً.

ولكنه ثبت في مراكزه واستعاض عن القتال بالمناوشة والمخادعة الى ان

(٢) راجع [ملوك العرب] الفصل الرابع عشر من القسم الخامس [الجزء الثاني]

جاءته النجدات من المدينة والندخيرة والمؤن من القصيم . وكان قد شاع ان اياه جهز محافظ الاسكندرية بحملة ليرسله الى نجد ، وقد ولاء القيادة العامة ، فأثار هذا الخبر غضب ابراهيم وحميته ، فحمل على اهل الدرعية في متاريسهم وفي معانهم ، وفي ابراجهم ، وفي بيوتهم ، حملات شعواء استُخدمت فيها المدافع الضخمة ، والقبوس النارية ، والبنادق والسيوف . ثم احاطت جيوشه بالمدينة واحتلت حياً من احيائها فبدأت تتزعزع عزيمة المدافعين ، فطلب فریق منهم الصلح ، فاجى ابراهيم الا ان يسلم عبدالله بن سعود .

رفض آل سعود . ونهضوا نهضة واحدة يستأنفون القتال فحملوا على الجنود المحتلين قسماً من المدينة فذبجوا عدداً كبيراً منهم واخرجوا الباقين . ذلك تمهيداً لصلح شريف . ولكن ابراهيم ادرك قصد العدو فأفرغ كل ما لديه من المدافع على الدرعية وقصورها ومعقلها حتى وعلى المسجد الجامع فيها .

وكان ذلك في آخر الشهر الخامس من الحصار فاضطربت في المدينة النيران بعد ان هلك كثيرون من اهلها^(١) وتفرق كثيرون من المجاهدين ، فخرج عبدالله بن سعود الى ابراهيم باشا في اليوم الثامن من ذي القعدة (٩ سبتمبر) ١٢٣٣ هـ / ٢١٢١٨ م فاستقبله ابراهيم في خيمته ، فقال عبدالله : « ما غلبتنا جنودك ، انما الله اراد ذلنا » .

سلمت الدرعية ، وأرسل عبدالله ، ومعه بعض رجاله وعبيده بمحافضة اربعمئة من الجنود الى المدينة ، ومنها الى القاهرة ، فوصلها في ١٨ محرم ١٢٣٤ (١٨ نوفمبر ١٨١٨) ومثل بين يدي محمد علي ، فسأله رأيه بابنه ابراهيم فقال : « هو عمل واجبه ، ونحن عملنا واجبنا ، وما شاء الله كان » .

لم يلبث عبدالله غير يومين في القاهرة ، ثم ارسل اسيراً الى الاستانة ومعه كاتب سره ورجل آخر من رجاله كرها ان يفارقاه . وهناك عند وصولهم طوفوا بالاسواق ونفذ فيهم في اليوم الثالث حكم الاعدام .

(١) قيل انه قتل من اهل نجد في حصار الدرعية الف وخمسة ومن المصريين اكثر من تسعة الاف

• اما ابراهيم فعندما دخل الدرعية امر بالقبض على بعض الزعماء والعلماء ونكل بهم تنكيلاً شنيعاً . فمنهم من طرخوا مقيدين تحت سنايك الخيل، ومنهم من وضعوا مكبلين عند فوهة المدفع فقطعهم ارباً ارباً « طير اوصالهم في الفضاء » قال ابن بشر : « وكان الشيخ العلامة القاضي احمد بن رشيد الحنبلي صاحب المدينة في الدرعية عند عبدالله فامر الباشا بضربه وتعذيبه وقلع جميع اسنانه فقلعت . » وقال المؤرخ الافرنسي « سام الشيخين احمد الحنبلي وعبد العزيز بن محمد عذاباً شديداً ولكنه ندم بعد ذلك على استرساله في غضبه . »

ولم تكن هذه خاتمة المظالم والفظائع التي ارتكبتها الظافر تأديباً وانتقاماً . قيل ان محمد علي هو الذي امر بتدمير الدرعية — ولو سئل محمد علي لقال ان الامر جاءه من الاستانة . فقد طالما تذرع الاب والابن بالاوامر الشاهانية في تنكيلهم بالعرب . على ان هذا الامر يشين صاحبه ايأ كان . ولا فضل للظافر في تنفيذه، ولا مجد، ولا فائدة . الا ما الفائدة بعد كسرة اهل نجد من تدمير عاصمتهم ؟ قد امر ابراهيم باخراج من تبقى في الدرعية من اهلها، وكان قد اجلى الى مصر فريقاً كبيراً^(١) من آل سعود وآل الشيخ، ثم بتدميرها، فدمر عساكره قصورها، واتسعلوا النار في دورها، وقطعوا النخيل في بساينها . ثم فعلوا كذلك في البلدان الاخرى التي اكتسحوها اي في العارض وفي الخرج، وهدموا الحصون والقصور في الوشم وفي القصيم .

قال هوغارث : « لم يكن يطمع محمد علي بضم البلاد العربية الى ملكه ، لذلك لم يحسن معاملته اهلها . وجل ما ابتغاه ان يظلوا كما كانوا قبل ظهور المذهب الوهابي نهب الشقاق والفوضى . »

هي الحالة التي كانوا فيها عندما انسحب ابراهيم باشا بجنوده من نجد في فصل الصيف من سنة ١٨١٩ بعد ان اقام سبعة اشهر في الدرعية ، فضربت الفوضى اطنابها في البلاد، وجاءت عساكر الترك تحل محل العساكر المصرية ، فكانت

(١) قيل اربعة ومئتين منهم اربعة من ابناء سعود الكبير اخوان عبدالله هم : فهد ومشاري وسعد ومخالد . اما الاربعة الآخرون اي فيصل وابراهيم وناصر وتري فقد قتلوا في الحرب

ضغناً على ابالة . قال ابن بشر : « كان الناس يهجرون بيوتهم ، فييهدون على وجوههم في البراري فراراً من التسخير والارهاق والقتل والتعذيب ، فانحل في البلاد نظام الجماعة ، وشاعت المحرمات ، فصرت لا ترى من ينهي عن منكر ، او يأمر بمعروف » .

وفي هذه الآونة قام رجل من بيت معمر هو محمد بن مشاري يحاول الاستيلاء على قسم من البلاد ، فافلح بادىء ذي بدء سعيه . قد دانت له الوشم والعارض وسدير ، ولكنه لضعف عزمه لم يحكم سنة كاملة ، ولم يكن في تلك الايام الوحيد الطالب السيادة من اي وجه كان .

عندما وصل عسكر الترك الى عنيزة بقيادة رجل يدعى عبوش اغا كتب اليه ابن معمر يقول انه طائع للسلطان وانه التى القبض على ابناء سعود الخ . فأقره عبوش في مركزه .

كن ابراهيم باشا كما اسلفت القول قد اجلى آل سعود الى مصر . واكن مشاري بن سعود الكبير عاد منها هارباً ، وتركى بن عبدالله بن محمد كان قد لاذ بالخرج عند تسليم الدرعية . فلما عاد مشاري يطالب بالامارة قاومه ابن معمر وتمكن من القبض عليه فسلمه الى الترك فقتلوه . وكان تركى قد عاد من الخرج فنازع ابن معمر الامارة ، وحمل عليه ثم قتله انتقاماً لمشاري . وفي ذاك اليوم كان قد جاء وفود اهل سدير والمحمل ببايعون مشار ، فبايعوه في الصباح ، ثم بايعوا تركى بعد الظهر .

وفي هذه المبايعه ينقل الحكم من سليمة عبد العزيز بن محمد الى ١٢٣٦ هـ سليمة عبدالله اخي عبد العزيز ، ويستمر فيها الى اليوم . اما لولا تركى لما أُنقذ في تلك الاونة بيت آل سعود . بيد انه لم يستطع في مدة امارته ، التي استمرت عشر سنوات ، ان يعيد الى هذا البيت سالف مجده ، والى ذاك الحكم تلك الصولة التي كانت لابن عمه سعود الكبير . ولا اظن ان سعوداً نفسه ان يستطيع ذلك بعد ان توالى على نجد النكبات ، وانتشرت بين اهله الردات ، ففسدت اخلاق الناس ، وتلاشت فيهم القوى المعنوية والروحية .

مع ذلك فقد استطاع الامام تركي ان يستعين بما تبقى من شتات الفضيلة في قوم مغلوب ليحفظ السيادة السعودية في زمن الزعازع والفتن ، بل في زمن كانت عساكر الروم (الترك) محتلة قسماً كبيراً من البلاد .

على انه مات شهيداً . فقد قتله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن الذي يمت بنسبه الى الثالث من ابناء سعود الاول ، قتله طمعاً بالامارة ، ولكنه لم يتمتع بها اكثر من اربعين يوماً ، لان فيصل بن تركي قام يثأر لابيّه ، فهجم رجاله على القصر بالرياض ، وادركوا مشاري فيه فقتلوه .

آل سعود

الدور الثالث - الحروب الاهلية

ان في قتل مشاري قاتل الامام تركي منشأ إمارة بيت الرشيد في حائل ، فالحادث اذن جدير بالاسهاب . يوم قتل الامام كان ابنه فيصل في القطيف ومعه جنوده من قبائل شتى ، فلما جاء يثار لايه ودنا من الرياض خرج اليه وفد من المدينة يطلب منه ألا يأذن بالدخول اليها غير اهله من الجنود ، لانه اذا هجم عليها النجديون من غير الرياض قد يقاومهم الاهالي ليمنعهم من احتلالها ، فيحدث قتال في المدينة ، فتولد المحنة محنة اخرى اشد منها .

وكان مع فيصل رجل يدعى عبدالله بن الرشيد طرده من حائل امرأؤها يومئذ آل علي فلاذ بآل سعود ، فلما هم الجنود ابناء الرياض بالدخول الى المدينة استفزت الحمية عبدالله فاستأذن فيصلاً بأن يكون معهم فاذن له ، فدخلوا الرياض بدون قتال لان اهله كانوا من حزب تركي ، وهجموا على القصر الذي تحصن فيه مشاري (هو قصر الملك اليوم وقصر دهام بن دواس سابقاً) اما عبدالله بن الرشيد فقد سبق المهاجمين الى « مفتول » (برج) من مفاتيل القصر ، فرأى فيه رجلاً اسمه سويد ، كان اميراً في جلاجل بسدير ، وكان قد جاء يسلم على الامام تركي دون ان يعلم بما حل به ، فرحب به مشاري وانزله ذاك البرج في القصر .

قال عبدالله يخاطب سويداً : وما دخلك انت بآل سعود ؟ فاجابه سويد : اني مغضوب . فقال عبدالله : اذا جئتكم بالامان من فيصل اترمي لنا حبلاً لنصعد الى القصر ؟ فقال سويد : اني من رجال تركي وساساعدكم على شرط ان يعطيني فيصل الامان ويهيني نخل الداهنة ^(١) .

(١) الداهنة هجرة من مجر الروقة وهم فخذ من عنيه

تواثق الرجال ورمى سوبد بجبله فصعد ابن الرشيد الى القصر وصعد وراءه عشرون من جنود فيصل، فتصادموا ورجال مشاري وتجالدوا، فخرج عبدالله في يده جرحاً بليغاً شوهها . ولكنه ورجال فيصل استولوا على القصر وهاقوا بمشاري ومن معه فقتلوه .

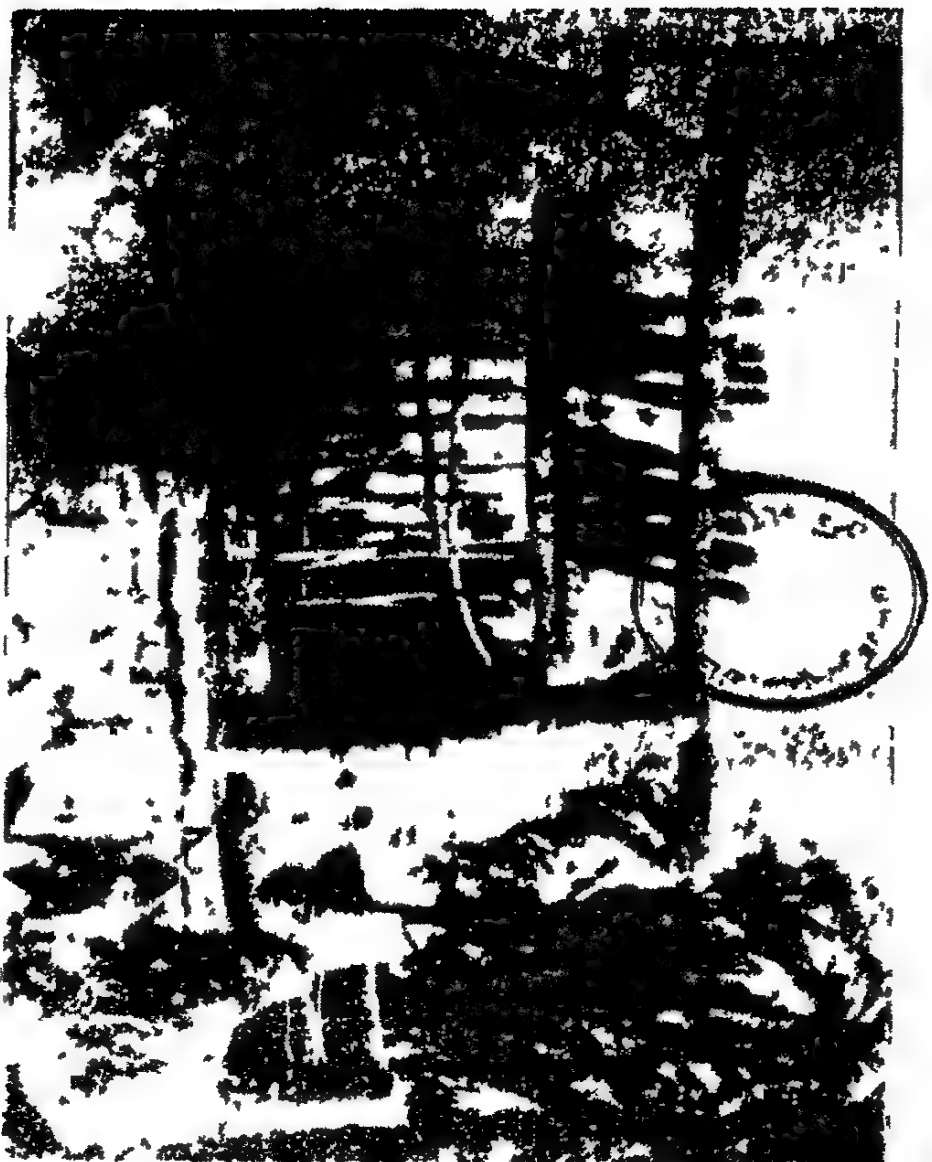
مر فيصل خصوصاً بشجاعة عبدالله بن الرشيد . وعندما رأى جراحه قال له : لك مني ما تريد . فقائـ عبدالله : اطلب منك ان تأتـرني في حائل وان تكون الامارة لي ولعائلي بعدي . فاجاب فيصل طلبه ، فكان عبدالله هذا مؤسس امارة بيت الرشيد . وسنعود الى ذكره وذكرها في فصل آخر .

يقسم عهد فيصل الى دورين ، الاول يتدى في توليه الامارة ٨١٢٤٦
٢١٨٣٠ بعد قتل ابيه ، وهو دور الاضطرابات والفن ، وينتهي بعد تسع سنين في تسليمه الى القائد خورشيد باشا . وكان قد عاد من مصر خالد بن سعود احد الذين اجلاهم ابراهيم باشا ، وهو حائز على نقه محمد علي ومحبوب من المصريين . بل جاء خالد مع خورشيد ليساعده في الاستيلاء على نجد والقضاء على فيصل . فعندما قرب الجيش من الرياض رحل فيصل الى الدلم في بلاد الخرج لانه لخلافـ كان بينه وبين اهل الرياض لم ير من الحكمة ان يحاصر فيها .

كان اهل الدلم اصدقاء لفيصل مخلصين فاجأ اليهم ، فنعقبه خورشيد بجيشه وحاصره هناك . قد ثبت فيصل اربعين يوماً في الدفاع ، ولكنه عندما اشتد الحصار ، خصوصاً على اهل الدلم ، ظور في مظهر من كرم الاخلاق يندر مثله في المتحاربين . اجل ، قد عرض على خورشيد ان يسلم نفسه بشرط ان يعفو القائد عن الاهالي ويؤمنهم على ارواحهم واموالهم .

قبل خورشيد ، وسلم فيصل في ٢٣ رمضان من هذه السنة (١٠ ديسمبر) ما كان معه من عتاد الحرب الى اهل الخرج ، ثم سلم نفسه الى القائد ، ٨١٢٥٤
٢١٨٣٨ فبراً بوعدة اذ عفا عن الاهالي . وقد احسن معاملة فيصل فاستصحبه الى مصر ، وولى مكانه خالد بن سعود .

وخالد هذا هو اخو عبدالله من جارية حبشية . كان متوقد الذهن ، رقيق.



العرب (العدة) فوق القليب (البئر) لرفع المياه

الشعور، مسترسلاً في اللهو واللذات . نشأ في ذرا محمد علي فتمصر، وجاء يحكم في نجد حكماً عسرياً، فنفر النجديون منه وعدوه اجنبياً . ثم اجمعوا على خلعهم فخلعوه بعد ان قاوموه سنتين ، فتولى الامارة بعده عبدالله بن تليان بن ابراهيم بن ثنيان بن سعود وكان مستبدّاً عادلاً . بيد انه ارهق الناس بالضرائب فلم يصبروا على حكمه اكثر من سنة . ولكنهم لم يخلعوه كما فعلوا بسلفه خالد . فقد صدف ان فيصلاً ، الذي اطلقه محمد علي من السجن في هذه السنة ليعيده حاكماً الى نجد ، وصل الى القصيم يوم كان عبدالله بن تليان محاصراً عنيزه ، فدعاه للطاعة فاجابه عبدالله انه لم يحكم نجداً الا بالنيابة عنه . وكانت خدعة منه يتوسل بها الى القبض على خصمه .

سار فيصل مخدوعاً الى عنيزه ، ولكن القدر والا . فقبل ان يدخل المدينة جاءه رجل يعلمه بنية ابن ثنيان ، فأخذ للامر اهبة ، ودخل برجاله ليلاً وهم ينادون ان الحكم لفيصل . فنجت عنيزه لهذه المفاجأة وخذل اهلها ابن ثنيان ففرّ هارباً الى الرياض ، فتعقبه فيصل وحاصره عدة ايام ، ثم صفح عنه واعطاه الامان . خرج ابن ثنيان من القصر شاكراً حامداً ولم يكنه بعيد ذلك اصيب بمرض اودى بحياته .

استقام الامر لفيصل . فبايعه اهل نجد وتمتعوا بالنعم الجمّة في عهده الذي استمر في الدور الثاني اربع وعشرين سنة . حكم فيصل حكماً عربياً سعودياً ، مثل ابني عمه عبد العزيز وسعود ، فاقام العدل ، وعزز الامن ، واعاد الى نجد شيئاً من اليسر وسالف المجد . بل الى ما وراء نجد ، فقد بسط سيادته على الشطر الاكبر من شبه الجزيرة ، فدانت له الاحساء والقطيف ووادي الدواسر وعسير والجبل والقصيم . دانت له حياً لا كرها .

ولكن الدولة العلية ، او بالحري الحكومة المصرية ، لم تهمل امره كل الاهمال . وبما انها تكبدت الخسائر الفادحة في حملاتها السابقة على اهل نجد ، رأت من الاوفر والاسلم ان تسيّر قواتها على من يدين لابن سعود في عسير . وما كانت تهامة باسوغ لقمة من نجد .

قد سير عباس الاول عشرة الاف جندي نظامي الى جبال عسير في هذه السنة ، فنازلهم هناك العربات يقودهم طائض ابن مرعي رئيس الك عائض ، وهزموهم شر هزيمة ، فتقهقر من سلم منهم الى تهامة . كانت الغلبة في هذه الحرب لآل عائض وبالتالي للامام فيصل . الا ان فيصلاً كان يتعاشى ما استطاع سفك الدماء . عندما حاصرت جنوده برده كانت خطته العسكرية ان يمدد الحصار فيحمل الاهالي على التسليم بدون قتال . وقد استنجد اهل القصيم يومئذ بالامير طلال بن الرشيد فلم ينجدهم خوفاً من ابن سعود . ثم استنجدوا بامير مكة فابي كذلك . ثم ارسلا يفوضون الحكومة المصرية فنفضت يدها منهم . مما يدل على ان فيصلاً كان عزيز الجانب رهيباً .

وكان محبوباً ولا غرو . فقد جمع في سياسته بين الشدة واللين ، فكان كريم الاخلاق ، قوي الارادة ، سمحاً حليماً ، محباً للعلماء ، رؤوفاً بالناس ، محسناً اليهم ، حريصاً على مصالحهم .

جاء بلغراف^(١) نجداً في عهده فساح في الجبل والقصيم ، ونزل من برده الى العارض عن طريق سدّير ، فاقام في الرياض وضواحيها خمسين يوماً ، ثم رحل الى الاحساء ومنها الى الخليج . كان بلغراف شديد اللهجة في انتقاده الوهاية والوهايين ، بل كان متحاملاً . وقد جاء البلاد العربية من قبل نابوليون الثالث ، كما جاء قبله بخمسين سنة باديا الاسباني (علي بك) من قبل نابوليون الاول ، مستكشفاً مستخبراً . وللاثنين غرض سيامي ينقدم الغرض العلمي . بيد ان بلغراف ، على ما كان من الشدة والنفرة في انتقاده اهل نجد المتعصبين (وهو الانكليزي اليهودي اليسوعي^(٢) المتساهل) قد انصف الامام فيصلاً . فقد قال يصف حكمه : « ان القوافل تجتاز القصيم وسدير والوشم

(١) William Gifford Palgrave (١٨١٦ - ١٨٨٨ م)

(٢) ولد بلغراف عبرانياً - اسم اسرته كوهن - فصار بعدئذ مسيحياً ، ثم اباً يسوعياً ثم سياسياً ملحداً . وكان في سورية مع الابهاء اليسوعيين يدهى الاب ميخائيل . اما رفيقه بركات وترجمته في البلاد العربية فهو الذي ارتقى بعدئذ الى السدة البطريركية الكاثوليكية فصار البطريرك بطرس الجريجي وكان مشهوراً .

«ومقاطعات نجد الاخرى آمنة، بفضل الحكم الوهابي، شر البدو وتعدياتهم». ويسير
التجار والحجاج والفلاحون في البلاد بأمن وسلام» .

ولكن عهد فيصل السعيد لم يكن اطول عمراً من عمره . فبعد وفاته يفي

٢١ رجب (١١ ديسمبر) من هذه السنة ، تنازع انجاله الملك كما سترى
وأضاعوه . انجاله ، وهم عبدالله وعبد وسعود وعبد الرحمن مثلوا

الدور الاخير المحزن من رواية آل سعود الملأى بانواع الحوادث التاريخية .

بعد ان نهك الترك والمصريون اهل نجد بحملاتهم المتعددة ، وبددوا
صفوف وحدتهم القومية والدينية ، عادت الى الوجود تنكاً الجراح تلك العداوات
القديمة لآل سعود اي عداوات القبائل . فانتقضت قحطان ، وعصت العجمان ،
وتمردت عنزي ، ونقلت مطير ، وتذبذبت عتيبة ، وصال بنو مرة ، وتتمر بنو
خالد . ناهيك بالاخوة وابناء العم من البيت نفسه ، وقد قام بعضهم على بعض
يتنازعون السيادة ، فكانوا في حروبهم مغنماً لهذه القبائل النازعة الى الغزو
المستزرقة منه .

قامت القبائل توالي هذا الامر وتناوى الاخر اخاه او ابن عمه طمعاً
يكسب ، او شفاءً لغيل ، او حباً بسيادة يحققونها في انفسهم . وكان عبدالله قد
حمل على العجمان لتعديهم على الحجاج فكسروهم في وقتين قرب الكويت ، فرحلوا
شمالاً وتحالفوا ورؤساء المنتفق على اهل نجد .

ثم اجلى عبدالله بعض العجمان الى وادي الدواسر . فلما قام سعود يتنازع
اخاه الامارة بعد موت ابيهما ، لجأ الى ابن عائض في ابها فردّه خائباً لان آل
عائض في تلك الايام كانوا مواليين لآل سعود . عاد سعود بن فيصل من ابها
الى نجران وكان العجمان هناك ، فاجتمعوا حوله ينصرونه على اخيه ، وانضم اليهم
عدد كبير من الدواسر وبني مرة . هذي هي بداية الحرب السعودية التي اشتركت
فيها قبائل نجد ، فكانت يوماً لهم ويوماً عليهم — وكانت في الحالسين على آل
سعود . هي الحرب الاهلية التي استمرت متقطعة اكثر من ثلاثين سنة
فاستثمرتها الدولة العثمانية ، وكانت في النهاية المغنم الاكبر لامراء بيت الرشيد .

ولكن ابن الرشيد كان لا يزال في بداية الحرب يدين لابن سعود ، وعند ما خرج عبدالله الى وادي الدواسر غازياً سار معه الامير متعب بن الرشيد الذي قُتل بعد تلك الغزوة ، فتولى اخوه بندر الامارة بعده وأقره فيها الامير عبدالله . وكان محمد بن فيصل مع اخيه عبدالله على اخيه سعود ، فاحتربوا في وقعة المعتلا ، فخرج سعود وانهزم ، ثم سار ، بعد ان داوى جروحه عند اهل مرة « الى عمان يستنجد صاحبها فلم ينجده . وراح من عمان الى البحرين فلباه شيخها . ثم حالف العجمان في الاحساء واعاد الكرة على اخويه محمد وعبدالله ، فالتحمت جنود الاخوة عند ماء يسمى جودة ، وكانت الغلبة لسعود . قال ١٢٨٨ هـ
١٨٧١ م ابراهيم بن عيسى : « والسبب في ذلك ان بعض جنود محمد وهم سبيع خانوه واقلبوا على اصحابهم ينهبونهم » . قد قتل اربعمئة من جنود الفريقين في وقعة الجودة ، وأسر محمد فاعنقل في القطيف . ثم دعا سعود اهل الحساء للمبايعة فجاءوه على عين جودة مبايعين .

بعد وقعة الجودة احتل مدحت باشا ، يومئذ والي بغداد ، الحساء وذلك بمساعدة عربات الكويت الذين جاءوا بجرأاً الى العقير وبرأاً الى القطيف بقيادة الشيخ مبارك الصباح . وفي احتلال الحساء في هذه السنة قطع مدحت الصلة بين نجد وعمان ، ووسع ثلثة العداء بين سعود واخويه ، فاطلق محمداً من سجنه في القطيف ، ووعد عبدالله بان يعينه « قائماً ولاية نجد » . واكن عبدالله خشي الخدعة — قيل ان مدحت كان ينوي القبض عليه — ففر هارباً الى الرياض ، فاستقبله اهله ومرحبين مهللين .

ولكن سروره لم يدم طويلاً . فقد زحف سعود في السنة نفسها اي سنة ١٢٨٨ هـ الى الرياض ، فدخلها ظافراً ونهب رجاله المدينة . ثم كتب الى رؤساء البلدان ان يقدموا اليه للمبايعة فجاءوا يبايعون . اما عبدالله فكان قد جمع بدو قحطانات وانسحب الى وادي حنيفة ، فتعقبه سعود بجيش من آل مرة ، والعجمان ، وسبيع ، والسهول ، والدواسر . وبعد وقعة في البرة انهزم عبدالله وعاد الى الحساء .

قد كانت هذه السنة (١٨٧١ م) والتي تليها سنتي قحط في نجد ، فجاءت المجاعة تتجدد الحرب على اهل . نعم قد توالى النكبات وتعددت ، فمن لم يمت بالسيف مات جوعاً . وكان الناس يأكلون جيف الحمير ويحرقون جلود الابل ، ويدقونها ، بل كانوا يدقون حتى العظام ويأكلون مسحوقها .

لم يصف الجو والحال هذه حتى لسعود ، فقد قام اهل الرياض عليه في هذه الآونة فأخرجوه ، بعد ان أمّنته على حياته ، من المدينة . ثم تولى الحكم فيها عمه عبدالله بن تركي .

رحل سعود الى الدلم بالخرج ومنها الى الاحساء يستنفض العجمان وآل مرة على الترك ، فاجتمع حوله جيش من تلك البوادي وهجموا على الاحساء ، فخرج الترك اليه في الحويرة وبادروه القتال فهزموه . على ان الفشل لم يكن ليثني هذا السعودي عن عزمه . فقد عاد يقطع الدهناء الى الافلاج ، وحمل على اخيه الآخر وابناء عمه هناك ، فانتصر في وقعة الدلم التي فر منها محمد بن فيصل هارباً ، وأسر فيها عبدالله بن تركي الذي مات بعد ايام قليلة في السجن .

استمر النصر بعد ذلك حليفاً لسعود . فخارب اهل ضرمه وهزمهم ، ثم اهل حريملا فادخلهم في طاعته ، ثم اعاد الكرة على الرياض ، وكان اخوه عبدالله قد عاد اليها ، فخرج واهلها عليه ، فاحتربوا في الجزعة وكانوا مهزومين . ارتحل بعد ذلك عبدالله ومعه بعض خدامه الى ناحية الكويت ، فاقام على ماء الصبيحية هناك عند بادية قحطان . ودخل سعود الرياض ثم امر رؤساء البلدان ثانية ان يقدموا اليه وبيايعوه ففعلوا .

سنة واحدة استقام الامر فيها لسعود بن فيصل فتنفس الصعداء وقال للحرب استريح . ولكن ابن الامام فيصل الرابع وهو عبد الرحمن قام يخطب ودها فبادرت اليه . وكان قد نهض بحلف من العجمان وآل مرة يريد اخراج الترك من الاحساء ، فهجم عليهم هناك وكاد يظفر ببغيته لولا نجدة جاء بها ابن السعدون من العراق ، فكسرت العجمان وشتت شملهم . عاد عبد الرحمن الى الرياض

فالفى سعوداً في القصر مريضاً ، وقد توفي في هذه السنة ، فتولى
الامارة بعده ، وكان اخواه عبدالله ومحمد اذ ذاك مع بادية عتية .

جاء محمد بجيش من عتية يحارب عبد الرحمن فحشد عبد الرحمن جيشاً من
اهل الرياض والخرج وبوادي العجمان ومطير ليحارب محمداً . وقد التقى الجيشان في
ثرمدا ، فكانت هناك وقعة تلاحا صالح بين الاخوين . اما ابناء سعود فقد كانوا مع
عبد الرحمن في هذه الوقعة ، ثم انقلبوا عليه ، فراح يقصد اخاه الاكبر عبدالله
وهو يومئذ في بادية عتية ، فاكرمه وعاد واياه الى الرياض لمحاربة ابناء اخيهما
الثائرين . على انه لم يدركهم في المدينة لانهم كانوا قد انسحبوا منها وارتحلوا الى
الخرج فاقاموا هناك .

صفا الجو لعبدالله ، او بالحري صفا الجو في بيت النجال الامام فيصل ،
فكان الاخوان محمد وعبد الرحمن مطيعين لاختيهما الامام . ولكن ابناء سعود
ظلوا عاصين متمردين . وهناك غيوم اخرى اخذت لتلبد في الافق الشمالي .
حدثني جلالة الملك عبد العزيز قال : « لم يستقم الامر لعبدالله لثلاثة اسباب :
اولاً — وجود ابناء اخيه في الخرج يجرضون القبائل عليه . ثانياً — مناصرته
لآل عليان امراء القصيم السابقين على اعدائهم آل مهذا الامراء الحاكين في
ذاك الحين . وكان هذا جهلاً من عبدالله لانه في وقت ضعفه ليس من الحكمة
ان يتحزب لبیت مغلوب فيضعضع نفوذه في القصيم . ثالثاً — ظهور محمد بن الرشيد
الطامع بحكم نجد . فقد تحالف مع آل ابي الخليل (من آل مهنا) وكانوا كلهم يداً
واحدة على ابن سعود .

النزاع الذي اشار اليه جلالة الملك يستوجب الشرح . ورأس هذا النزاع
بربعة التي كانت في الماضي ماء لآل هذا آل من شيوخ عنزي . فاشتراها منهم
سنة ٩٥٨ هـ راشد الدريبي العنقري التميمي من آل عليان ، ثم عمرها وسكنها
ومن معه من عشيرته ، فاستمرت رئاستهم فيها الى ان تغلب عليهم آل مهنا من
عنزي في آخر القرن الثالث عشر للهجرة .

ولكن آل عليان ظلوا يدسون الدسائس لآل مهنا ويستنجدون بهذا وذاك

عليهم ، فافضى العداة الى قتل منها ابي الخليل في عهد عبدالله ، فكتب اولاده الى الامام يشكون الامر اليه ، فلم يسمع شكايته . بل انحاز كما قال جلالة الملك الى آل مُعَايَاث . اما آل منها فاستنجدوا ابن الرشيد الامير محمداً ، فجاء هذا بريدته ، وطفق يحفر تحت سيادة ابن سعود فيها .

وعندما حدث الخلاف بين الامام عبدالله وبين اهل المجعة فآدى الى الحرب كان محمد بن الرشيد قد اتفق واهل ذاك البلد على ان يكون حليفهم وحاميهم ، وان يكونوا من رعاياه ، فاستنجدوه عندما بلغهم خبر قدوم عبدالله بن فيصل ، فبادر الى نجدتهم بجيش مؤلف من بوادييه شمر وحرب . وعندما وصل الى بريدته انضم اليه اميرها حسن آل منها ابو الخليل ومعه جند من القصيم . ثم زحفوا الى الزلفى ، وكانت عبدالله ومن معه من اهل المحمل وسدير والوشم وبادية عتيبة قد عسكروا في ضرمه ، فلما علموا بتحالف ابن الرشيد وابن منها وزحفهما الى الزلفى انسحبوا من ضرمه وعادوا الى الرياض .

دخل ابن الرشيد المجعة وامر عليها احد رجاله ، فكانت بعد فوزه في القصيم الخطوة الثانية في استيلائه على نجد . اعاد الامام عبدالله الكرة على المجعة فاستغاث اهلها بامير الجبل ابن الرشيد وامير بريدته ابن منها فاغاثاهم ، فآدى ذلك الى وقعة بينهم وبين الامام ، كانت الغلبة فيها لابن الرشيد الذي كتب بعد ذلك الى رؤساء البلدان في الوشم وسدير يدعوه اليه في الحمادة مكان الوقعة فجاءوه طائعين ، فعزلهم من وظائفهم وامر في كل بلد من بلدانهم واحداً من رجاله . وكانت وقعة الحمادة الخطوة الثالثة في استيلائه على نجد .

بعد هذه الوقعة بعث الامام عبدالله باخيه محمد رسولا الى ابن الرشيد فاكرمه وتفاوض واياهم . وقد عاد محمد من حائل يحمل الى اخيه من امير الجبل هدية وتعهداً بان يترك له بلدان الوشم وسدير ، فبادر الامام الى عزل من اراد عزله في تلك البلدان ، فزاد ذلك في الشقاق والتخاذل ، اذ لم يستقم نفوذ ابن سعود فيها ، ولا اقلص نفوذ ابن الرشيد .

اما اولاد سعود بن فيصل الذين نزحوا الى الخارج فقد قام منهم محمد ينصر عمه عبدالله ، فشد جيشاً من عتية وراح يطلب الخصم الجديد ابن الرشيد ، فالتقى به عند ماء يسمى عروى فنازله هناك وكان هزوماً . هذي هي بداية العداء بين ابن الرشيد وبين اولاد سعود بن فيصل .

واكنهم لم يكونوا يداً واحدة على خصمهم . فقد قاموا في هذه السنة على عمهم عبدالله يحاولون انتزاع الحكم منه ، فقبضوا عليه والقوه في السجن ، فجاء ابن الرشيد يقطف على عادته ثمار الخلاف . جاء فزعاً كما ادعى وكان قد كتب الى رؤساء البلذان في نجد يشجب عمل اولاد سعود ويدعو لنصرة عمهم عبدالله . فلبى الناس دعوته ، ومشوا معه الى الرياض ، فخرج اليهم عند ما دنوا منها وفد للمفاوضة يرأسه عبد الرحمن بن فيصل ، فقال ابن الرشيد : ما قصدي والله غير ان اخرج عبدالله من السجن وان تكون الولاية في بلدكم اكم يا آل سعود . ثم عاهدهم على ذلك .

اما اولاد سعود بن فيصل فلما رأوا اتحاد الناس عليهم طلبوا من ابن الرشيد الامان فامنهم على دماهم واموالهم ، فعادوا الى الخارج . وبعد ان دخل ابن الرشيد الرياض واستولى عليها ظهر في مظهر الفاتح القهار ، اذ اطلق عبدالله من السجن وارسله واخيه عبد الرحمن وعشرة اخرين من آل سعود اسرى الى حائل . ثم اقام سالم السبهان (بيت السبهان اخوال بيت الرشيد) اميراً في الرياض .

وبعد خمسة اشهر جاء سالمًا وفدمتظلم من الخارج الذي كان اهله قد اختصموا وابناء سعود بن فيصل ، فراح سالم يحسم الخلاف هناك . وقد حسمه حسمًا تستحيل عنده المماودة ، اذ انه قتل ابناء سعود محمدًا وسعدًا وعبدالله ^(١) اولئك الذين امنهم ابن الرشيد على حياتهم ، واجلى اهلهم الى حائل . ضج الناس وقاموا يحتجون على السبهان ، فعزله ابن الرشيد وامر مكانه فهناد بن رخيصة من كبار شمر .

وفي السنة التالية مرض عبدالله بن فيصل في الجبل فاذا له ولاخيه

سعود ابن راح اسمه عبد العزيز وقد كان وقتئذ مع المجاوين في حائل .

عبد الرحمن وامرتيها بان يعودوا الى الرياض . وقد عاهد عبد الله على ان يكون اميراً في بلاده . ولكنه توفي في ٢ ربيع الثاني (٢٦ نوفمبر) من هذه السنة بعد وصوله الى الرياض ، فكتب عبد الرحمن الى ابن الرشيد يخبره بذلك ويسأله ان يعزل عامله حسب العهد المذكور ، فكان جواب ابن الرشيد ان عزل فهاد بن رخيص وعين مكانه سالم السبهان ، اي انه نكث عهده . وفي ١١ ذي الحجة من هذه السنة بلغ عبد الرحمن ان ابن السبهان قادم ليسلم عليهم سلام العيد ويقبلهم . فاحتاطوا للامر . وعندما وصل السبهان امر عبد الرحمن بان يجمع آل سعود ليلقي عليهم كلاماً من ابن الرشيد ، وكان في نيته ان يفتك بهم فيذبجهم جميعاً . على ان السعوديين سبقوه الى شبه ما كان يبتطن ، فوثبوا عليه وعلى رجاله وقتلوا عدداً منهم .

بلغ خبر هذا الحادث اهل القصيم ، وكانوا قد اختلفوا وابن الرشيد ، فكتبوا الى عبد الرحمن يعاهدونه على الطاعة والتعاون . وعندما مر ابن الرشيد ببلادهم وهو قادم الى الرياض ليثبت ابن السبهان في مركزه ، وقفوا له في الطريق وصدوه ، فعلمهم بالوعود—وعد بان يعطيهم بادية مطير «والخوّة» التي كانت تفرض على الحجاج—فرضوا بذلك ونكشوا عهدهم مع ابن سعود عبد الرحمن .

زحف ابن الرشيد الى الرياض بجيشه فحاصرها اربعين يوماً . ثم دعا اهلها للصالح فخرج اليه محمد بن فيصل والشيخ عبدالله بن عبداللطيف (من آل الشيخ^(١)) ومعهما ابن عبد الرحمن عبد العزيز الذي كان يومئذ في الحادية عشرة من سنه ، فتفاوضوا مع ابن الرشيد وتصلحوا على ان تكون الامارة في العارض لعبد الرحمن بن فيصل . الا انه كان صلحاً مموهاً لان ابن الرشيد لم يتمكن في الحصار من فتح المدينة ، ولا تمكن اهلها من رده عنها .

اما اهل القصيم فعندما عاد الامير محمد الى الجبل طلبوا منه ان يبر بوعده فسوف وتردد ، فنهضوا ثانية عليه وحشدوا قواتهم للحرب . وما كان هذا الامير الشعري ليرد طالباً ، فقد استنفر قبائله وتلاقى واهل القصيم في القرعا ، فتصادموا

وٹناوشوا في العشر الاول من جمادى الاولى من هذه السنة وكانت
 ١٣٠٨ هـ ١٨٩٠ م الغلبة لاهل القصيم ، فاقترح بعض رجال ابن الرشيد ان يخرجوا من
 ذاك المكان كأنهم منهزمون ويسيروا الى البادية حيث لا « ضلعان » — تلال —
 ولا « مزابن » — اما كن يكن فيها — فيظن العدو انهم انهزموا ، فيتقاهم ، فيقطعون
 ساقته بالخليل . قال الراوي : « واهل القصيم اناس تتجاعتهم كثيرة ورأيهم قليل »
 فلما رحل محمد بن الرشيد صاحوا : انهزم ، انهزم ! ولحقوه ، فبعدوا عن مراكزهم
 ومواشيهم ، فهجمت عليهم الحيل ، فاجتزت مؤخرهم . وكانت الهزيمة عظيمة .
 قيل انه قتل الف رجل من اهل القصيم في تلك الوقعة التي تدعى وقعة المليدة
 والتي كانت الخطوة الكبرى النهائية في استيلاء ابن الرشيد على نجد .

لم يبق لآل سعود قائم بعدها . فقد كان الامام عبد الرحمن خارجا برجاله
 من الرياض لينجد اهل القصيم ، ولكنه عندما علم وهو في منتصف الطريق
 بوقعة المليدة ، عاد الى الرياض ، فأخرج حريمه واولاده . انها وارتحلوا الى الحساء
 التي كان يومئذ طاكف باتسا متصرفها .

وكان طبيب الجيش هناك شابا لبنانيا هو الدكتور زخور عازار الذي اشده
 المتصرف ليفاوض ابن سعود ، وبعرض عليه شروط الدولة . فاجتمع الدكتور
 زخور على عين النجا قرب المبرز في جمادى الثانية سنة ١٣٠٨ (يناير ١٨٩١ م) .
 بالامام عبد الرحمن وكان معه ابنه الصغير عبد العزيز . وقد عرض عليه ولاية
 الرياض يحكمها من قبل الدولة ، اذا اعترف لقاء ذلك بسيادتها ، ودفع بمنابة
 الخراج شيئا ، الف ريال او اقل مثلاً ، في السنة . فرفض الامام عبد الرحمن
 قائلاً ان بعد ذبح بندر بن الرشيد ^(١) «فلتت العشائر فصارت خائنة بعضها لبعض ،
 وللأمرأء الحاكمين كذلك . وانه لا يستطيع والحال هذه ان يثق بها
 وينكل عليها .

وكان صاحب قطر قاسم بن تاني خارجا يومئذ على الدولة فشاع ان الدكتور
 زخور يسعى في عقد اتفاق بين ابن سعود وابن تاني لخراج الترك من الحساء .

(١) ذبحه عمه الامير محمد وذبح اخوته الاربعة الاخرين كما سيجيء في ما يلي .

فأوقف خمسة عشر يوماً في المهفوف ثم استدعي الى بغداد وكان بعد التحقيق -
برهناً . ولكنه مع ذلك إني ان يعود الى منصبه .

اما الامام عبد الرحمن فبعد تلك المفاوضات رحل واولاده الى الكويت ،
فمنعم الشيخ محمد الصباح الحاكم يومئذ من الدخول اليها ، فعادوا الى البادية
واقاموا بضعة اشهر مع العجمان . ثم أمّوا قطر فأقاموا فيها شهرين . وكانت
الدولة لا تزال تبغي عقد اتفاق مع ابن سعود لتأمين حركاته وسكناته ، فارسل
متصرف الحسا يستدعيه اليه فلبى الدعوة . وقد تم بعد ذلك الاتفاق على ان
تدفع الدولة الى الامام عبد الرحمن ستين ليرة مشاهرة — وقلما
كانت تدفعها — وان يقيم وعائلته في الكويت . فقبل ابن الصباح
اذ ذاك ان يتوطنوا بلاده .

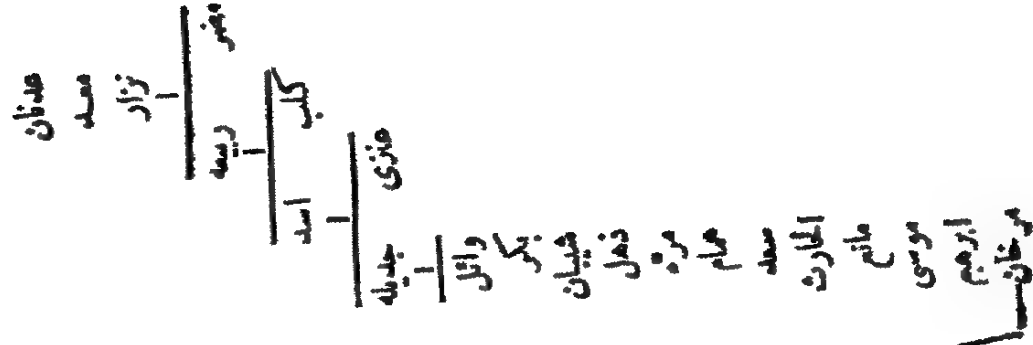
سيرة

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن

آل فيصل آل سعود

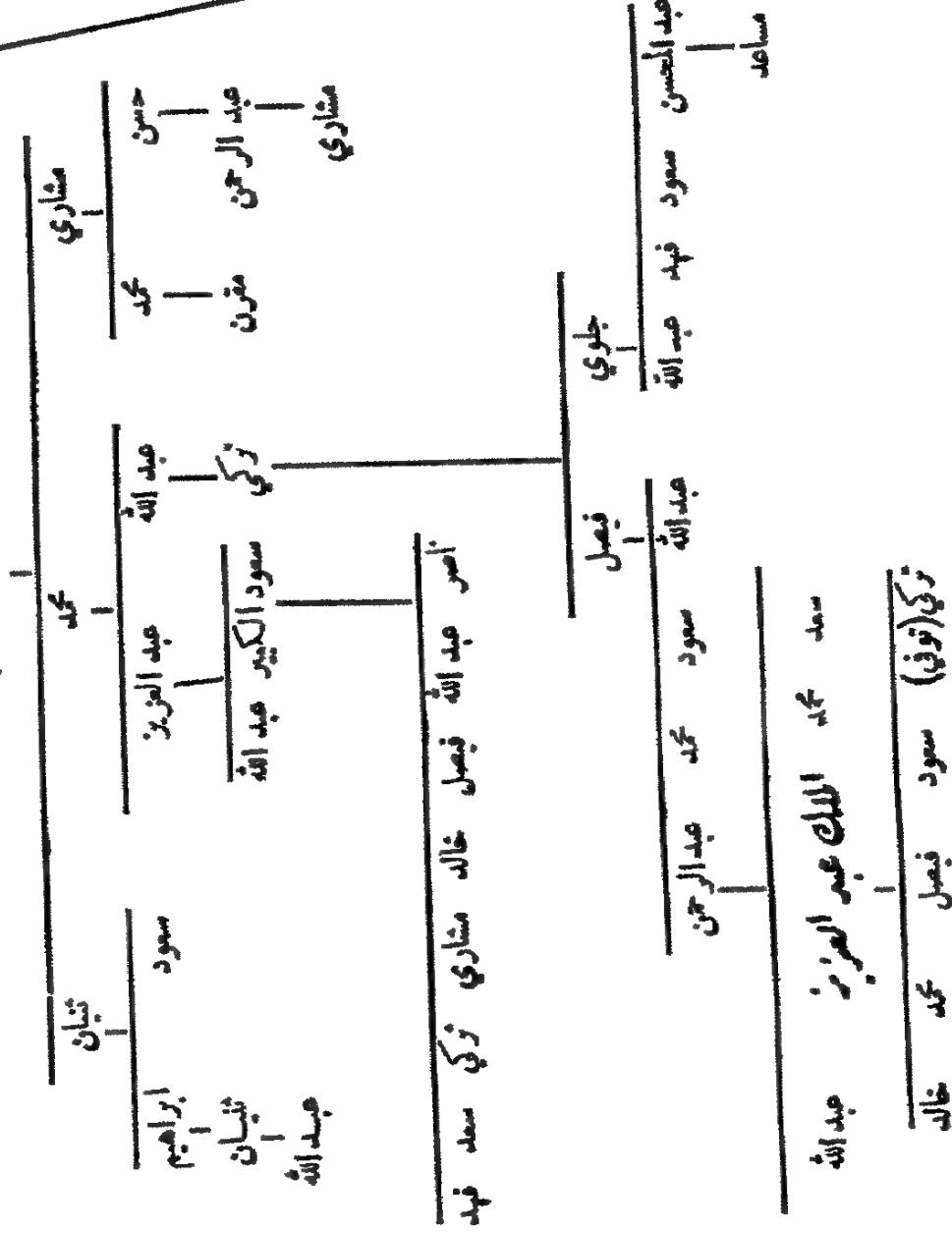
ولد في { ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ هـ
٢ ديسمبر ١٨٨٠ م }

نسب آل سعود



مقرن

سعود بن محمد بن مقرن بن مرغان



تهليل

بعض الامراء الذين كانوا سائدين في الشطر الشرقي
او في قسم منه من شبه الجزيرة يوم كان
ابن سعود متغياً في الكويت

الشيخ مبارك الصباح • امير الكويت (١)

كان حاد المزاج ، شديد البأس ، كثير التقلب . فيه شيء من
الاسد واشياء من الحرياء . بدوي الطبع ؛ حضري الذوق ، تارة
يجبه الخصم وطوراً يحامله . وكان كريماً جواداً ؛ بل كان مسرفاً .
يسترسل الي الترف والبذخ ، ويقدم بعد حبه للمجد والسيادة ،
نواعم العيش ونوافله على كل شيء سواها .
اما سيف مبارك فكان مثل سياسته ذا حدين . قتل اخويه
محمدآ وجراًحاً طمعاً بالامارة ، وحبا بالمجد ؛ فكان اميراً مجيداً . هو
من اولئك الحكام المتفردين بالحكم الذين يرهقون الامة بالضرائب
ليحسوا لها حللاً من الفخر والعز باهرة .
شيد قصوراً في الكويت وهدم قصوراً في السياسة . كان

(١) تولى الامارة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) توفي ١٣٣٦ هـ (١٩١٥ م)

يلقب بـ « الحواقة » من حاق ومرادفاتهما مثل دار ولف ، اي ما يراود به السير على عكس الخط المستقيم . نصف عمله سر لا يدركه سواء ، والنصف الاخر خدعة باهرة ، او خدعة مضحكة ، او خدعة كشيقة مدلهمة .

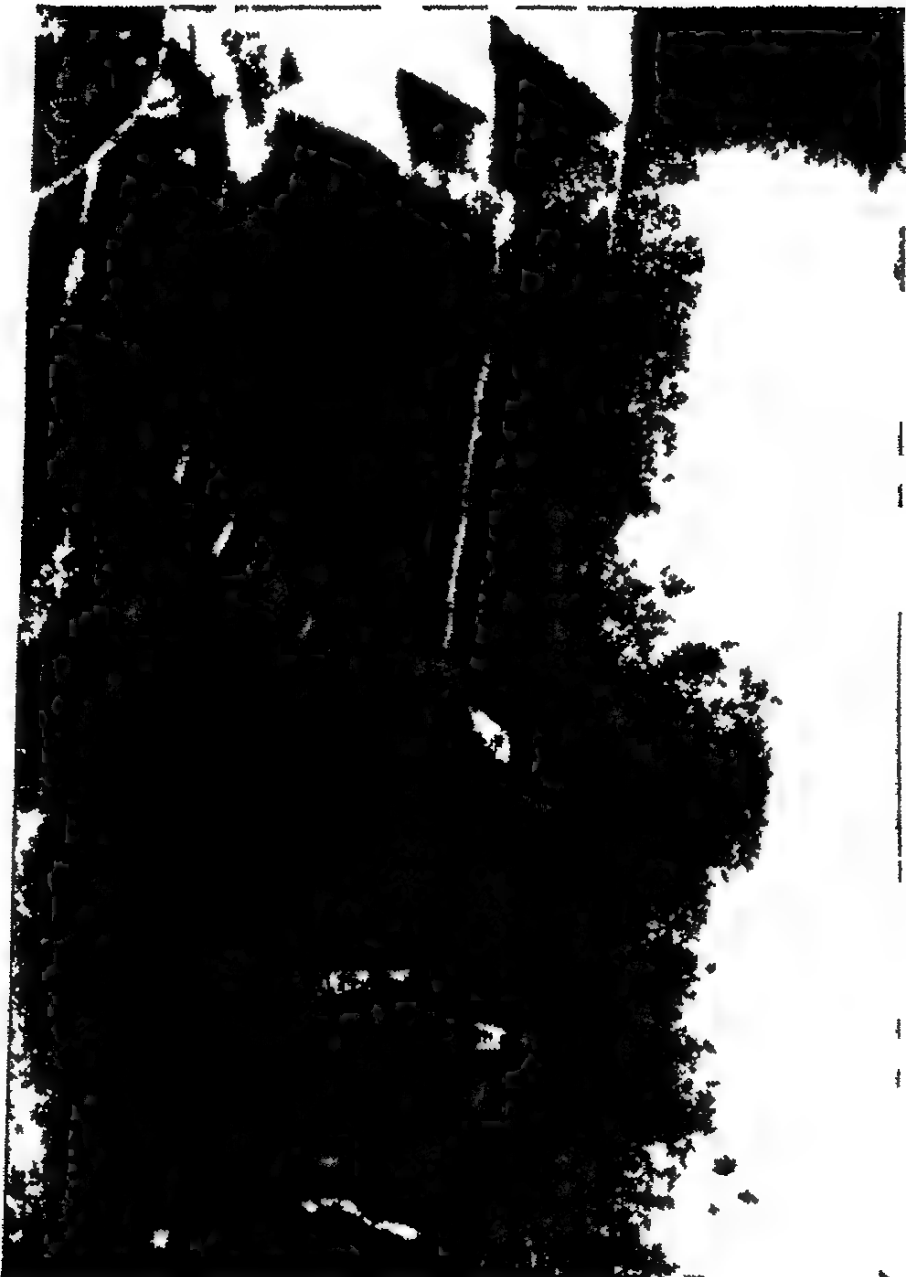
لاعب العشار وغالبها ، وما كان دائماً من الفاترين . أجزل لها العطاء ، فاخذت ماله وهداياهم ، ودعت لاعدائه .

خطب الدولة العلية ولاهر غير الحب والاخلاص - تقسم بالله العلي العظيم اننا نخلصون للدولة ونفديها بدمنا - فكتب كتابه عليها ، ففتحت له قلبها المحنط المضئخ بالطيب . ثم انقابت عليه . غازل الدولة البريطانية ، فبادرت اليه ولهانة ويدها على قلبها المقفل بعشرة اقفال ، ثم بنت لها حصصاً في ظلال قصوره .

احب آل سعود فطوقهم بذراعيه -- انتم اعز من اولادي - ثم ضرب بهم عدوه ابن الرشيد .

احب العجمان ، ثم حاربهم ، - نخزمكم كالحطب بالله ونحرقكم ونحرق دياركم - ثم اشعلهم حرباً على ابن سعود .

ولكنه احب الامير خزعلاً حباً جماً ، صافياً ، فبنى له قصرأ في الكويت ، وبنى خزعل لمبارك قصرأ في الحمرة ، فكان الاثنان يجتمعان على ضفاف قارون او على شاطئ الخليج ليقضيا اياماً وليالي بين سرب من القيان والراقصات ، ولسان حالهما يقول : بعداً . للسياسة والحروب .



الامير محمد به الرئيد . امير نجد . (١)

كان امير الحاج العراقي يوم كان بندر ابن اخيه طلال متولياً الامارة . وعند ما قام بندر واخوه بدر على عمهما متعّب فقتلاه رحل محمد عمهما الثاني الى الرياض ، ولاذ بالامام عبد الله بن سعود ، فوفق الامام بينه وبين ابني اخيه . وكان بندر قد تولى الامارة ، فأمن عمه محمداً على حياته ، فعاد الى حائل واستمر اميراً للحاج . ولكنه طمع بامارة اكبر منها ، فقام بعد ثلاث سنوات يحقق مطامعه . بل قام كما قيل يثار لـ اخيه ، وقيل انه قام يرد السيف الذي ذبح اخاه وكان يومئذ مستلاً عليه . على ان القول الذي لا ريب فيه هو ان سيف الامير محمد تقاضى خمسة رؤوس بدل الرأس الواحد . فقد قتل بندراً واخوته الاربعة ابناً اخيه طلال .

يا لك من قنبرة بمحجر خلا لك الجو فيضي واصفري
صفر الامير محمد للقبائل فلبته مختارة او مكرهة ، فكتب له النصر في حروبه كلها . ولكنه قال في خطبة خطبها في ساحة حائل يبرر قتله ابناء اخيه :

« يا مسلمين ما قتلتم والله الا خوفاً على هذه (وضرب رقبتك بيده) هموا بقتلي فسبقتهم ومنعتهم . وهل تظنون ان من ذبح اخي متعباً يعفو عني ؟ » .

تولى الامير محمد الامارة فكان كبيرها ، وكبير شر ، بل

(١) تولى الامارة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) توفي ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م)

كبير العرب في ايامه . فقد استولى على بلاد نجد كلها حتى وادي الدواسر ، وكان في حكمه عادلاً بل كان حليماً حكيماً . على ان البدو كانوا يسخرون ، فقد قالوا ان الامير محمداً لا يحسن الحكم لانه لا يكثر من قطع الرؤوس . كأن كبير بيت الرشيد آلى على نفسه بعد ذبحة ابناء اخيه الخمسة ألا يقطع رؤوساً الا في الحرب .

اما في السياسة فلم يختلف كثيراً عن زميله « حوآقة » الكويت . ولكنه كان ابعد نظراً واسد رأياً منه ، فيقدر الناس بعقولهم ، ويعاملهم بموجب ذلك .

قد كان للامير محمد طرائق ثلاث في التغلب والاستيلاء هي الكرم ، والسيف ، والارهاب . فيستميل اليه من يستطيع استمالتهم بالهدايا ، ويمتشق الحسام على من لا تغرهم هداياه ، ويمشي الى غرضه على ظهور اولئك الذين يخشون سطوته . قد كان ولا غرو مهاباً ، ولكنه على الاجمال لم يكن محبوباً .

الامير عبد العزيز بن عبد الله الرشيد .^(١)

حدثني اعرابي من شمر قال : كان عبد العزيز جالساً للناس في الفلاة يوماً من الايام فأحس بشيء يلذعه في ظهره ، فخاف ان تكون حشرة لا تستحق الاهتمام ، فسكت وتجلد حتى انتهى من عمله . ثم دخل الى الخيمة وطلب احد عبيده ، فرفع العبد ثياب عبد

(١) تولى الامارة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) توفي ١٣٢٢ هـ (١٩٠٦ م)

العزیز فاذا ما بین كتفيه عقرب كبير يقرص جلده . صاح العبد
مذعوراً ، وخشي ان يمس العقرب ، فتناولہ عبد العزیز بيده ورماه
خارج الخيمة . ثم امر العبد ان يذرّ على مكان اللدع رماداً حامياً
قفعل ، ونام الامير بعد ذلك كأن لم يكن شيئاً .

قد سمعت غيرها من القصص التي تدل على ان عبد العزیز
الرشيد كان جباراً ، وقد كان في الحرب فارساً مغواراً . قال فيه
القائد التركي الفريق صدقي باشا : « هذا فارس كعلي » . ولكنه لم يكن
كعلي في غير ذلك . ولا اظنه سمع بالبيت القائل :

« الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اول وهي المحل الثاني »
طمع بالاستيلاء على الكويت ، وهو ينبغي منفذاً على الخليج ؛
خاصطدم هناك بالشيخ مبارك ، فظهرت الصدمة عدواً آخر ، عدواً
جديداً له ولييته ، هو سميّه عبد العزیز بن سعود ، فخاربه ،
خفقضى في الحرب نجه ، بعد ان خسر نصف ملكه .

الشيخ خزعل بن مرداؤ . امير الحمرة سابقاً .

راجع الفصل الخامس من القسم السادس من كتاب « ملوك العرب » الجزء .
الثاني صفحة ١٢٠

الشيخ عيسى ال خليفة . امير البهرية .

راجع الفصل السادس من القسم السابع من « ملوك العرب » الجزء الثاني
صفحة ٢٣٥

الشيخ قاسم بن ثاني . امير قطر .

ولد سنة ١٢١٦ هـ وتوفي سنة ١٣٣١ فيكون قد عاش مئة وخمس عشرة سنة ، قضى معظمها في اكثار النسل الانساني . فقد تزوج على ما قيل بتسعين امرأة وبعدد من الجواري عديد . وكان له من الاولاد والاحفاد وابناء الاحفاد ذكوراً واناثاً ما نضرب صفحاً عن عددهم فلا تنتهم بالمبالغة . ولكنه كان اذا ركب يركب ستون فارساً في موكبه من صلبه .

لم يكن الشيخ قاسم ، او جاسم كما تلفظ هناك ، سيداً على غير عشيرته يوم كانت قطر تابعة لحكومة البحرين . فقام ، وكان يومئذ قد تجاوز الخمسين من سنه ، يدعو العشائر كلها الى الاستقلال فلبت دعوته . وبعد وقعات بحرية وبرية مع اهل البحرين ، وكسرات وغلبات ، حازت قطر استقلالها . وكادت تستولي على البحرين .

من عجائب السياسة في الخليج انه كان للانكليز يد ، ولنا ان نقول يد سابية ، في استقلال قطر . اي ان حكومة بريطانيا العظمى ارسلت عليها سفينة من سفنها الحربية ، فضربت الزبارة عاصمتها بالمدافع ومنعت القطارنة عن التوسع والاستيلاء . ثم ارضتهم بان فصلت شبه جزيرتهم عن جزائر آل خليفة .

اما الترك فقد حاربهم ابن ثاني فكسره في وقعات عديدة ، وذبح عدداً كبيراً منهم ، ولكنه لم يتمكن من اخراجهم من الحساء . والحق يقال ان الحرب لم تكن من الاوليات في حياة الشيخ جاسم ،

ولا همه ان يكون له صفحة ذهبية، او بالحري قرمزية، في التاريخ .
بل كان همه الا كبر اكثار النسل الانساني كما قلت . وهمه الآخر
ان يحسن تجارة اللؤلؤ (كان له خمس وعشرين سفينة للغوص)
وان يجمع المال من هذي التجارة ويبدله في سبيل البر والاحسان .
ومن احسانه انه كان ولوعاً في جمع العبيد وعتقهم . قيل انه
عتق في حياته اكثر من خمسين عبداً، وان بماليكه الاحرار اسسوا
بلدة في قطر سموها السودان .

ومن دواعي احسانه الورع والتقوى . فقد كان حنبلي المذهب،
متصلاً فيه، يصرف واردات اوقافه على الجوامع والخطباء . بل كان
هو نفسه يعلم الناس الدين، ويخطب فيهم خطبة الجمعة .
اضف الى الورع والتقوى اذن فصاحة اللسان، والى
الفصاحة العلوم الدينية والفقهية، والى العلوم الضمير الحي واليقين،
والى ذلك كله الثراء والجود، فيكون المجموع رجلاً ولا كالرجال،
عاش قرناً ويزيد في قطر، فكان اميرها، وخطيبها، وقاضيا،
ومفتيها، والمحسن الاكبر فيها .

الاب المجهول

ولد في الرياض عاصمة ملك اجداده، فرأى عمومته يتنازعون
الملك ويتحاربون، ورأى العدو على ابواب العاصمة وهو يطمع
بالاستيلاء، على نجد اجمع، ورأى اباه يحارب في الوقعة الاخيرة

ويستسلم الى الله . ثم سمعه وهو جالس الى جنبه في الحساء يرفض شروط الدولة العلية ، فسُدَّت امامه الابواب كلها الا الباب الى الصحراء ، فلجأ الى خيام الشعر وهو مثل اصحابها لا يملك فتراً من الارض ، وليس له غير تلك الثقة الوطيدة العالية ، الثقة بالله ، التي هي كنز الاعرابي الاكبر .

ثم سكن الاب الكويت ، وصار الصبي شاباً ، فكانت الذكري الاليمة رفيقة افكاره وسميرة احلامه . قرأ شيئاً من العلوم هناك ، وهو يفكر في الملك المفقود . جلس امام البحر وهو لا يدري اذا ركبته الى اين تحمله الاقدار ، ثم نظر الى البادية وهو يهجس بالملك المفقود . عاشر الامراء والعلماء ، وجلس ساكناً متأدباً في مجلس الشيوخ ، وهو يحلم بالملك المفقود . فتح الكتاب ثم القاه جانباً ، وهو يرمق السيف بنظرة ككها شوق وامل .

عاش مجهولاً في الكويت ، مجهولاً الا في الاسم والنسب ، وفي ما يبدو للعين المجردة . فقد كان الناس يعرفون ان ذاك الشاب القوي البنية ، الطويل القامة ، البراق العين ، هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود . وما كان كبار القوم فكراً وفراصةً ليعرفون اكثر من ذلك . بل كانوا كلهم في ظلال سور الغيب . كالاطفال . جهلوا ما كان يحمله حتى اقرب الناس الى عبد العزيز ، حتى ابوه وامه . جهلوا ما كان يحمله التاريخ . جهلوا ما كان يحمله الشاب المجهول نفسه . جهلوا ما لم يكن يعلم به غير الله .

الفصل الاول

وقفه الشريف

ما كاد الشيخ مبارك الصباح يجلس على العرش الملطخ بدم اخويه حتى قامت عليه الاعداء من كل جانب، واهمهم من غير الحكام خال ابناء المقنولين ١٣١٣هـ
١٨٩٥م يوسف آل ابراهيم كبير تجار اللؤلؤ في ايامه واغنامهم . فقد بذل يوسف ثروته كلها ، ووقته وجهده ، وجازف بحياته ، طالباً الانتقام . ثم سافر الى قطر والى البصرة والى حائل والى الحجاز يحرض الامراء والحكام على الشيخ مبارك ^(١) .

وكان يومئذ الشيخ قاسم بن ثاني نائماً على مقنصب الحكم في الكويت فنصح ليوسف ان يذهب الى حائل مستنجداً بابن الرشيد . وقد كتب صاحب قطر كتاباً الى الامير محمد يزين له احتلال الكويت ، وبعده بالمساعدة الحربية . على ان ابن الرشيد ، وهو يومئذ كبير العرب ، عقلاً وحنكةً واقتداراً ، لم تسفزه كلمات ابن ثاني ، ولا استغوته اموال ابن آل ابراهيم . قيل انه اوصى وهو على فراش الموت ابن اخيه عبد العزيز الذي تولى الامارة بعده الا يطمح ١٣١٥هـ
١٨٩٧م بانظاره الى الكويت ، والا يباشر صاحبها العداء .

ولكن الامير عبد العزيز لم يحفظ وصية عمه . وعندما جاءه يوسف آل ابراهيم وأحد الموتورين خالد بن محمد يحرضانه على مبارك نهض الامر وشرع يشن

(١) قد رويت الحوادث وبيئت اسبابه في الفصل الثاني من القسم السادس من ملوك العرب ، وما قلت ان القتل كان بالسيف فكتب احد ادباء الكويت مقالاً يشير فيه الى بعض الاغلاط ويصلحها . قال ان القتل كان بالبندقية . تعددت الاسباب والموت واحد .

ثم قال متقدي ان يوسف آل ابراهيم لم يسافر الى الاستانة بعد حادث القتل واعكته سافر الى الحجاز يحمل الهدايا الثمينة الى شريف مكة ليتخذه عوناً في تحريك نفس السلطان على الشيخ مبارك . تعددت الاسفار والوطر واحد .

الغارات على الكويت تمهيداً للهجوم والاستيلاء .

قد كان الشيخ مبارك عالماً بالقصد الأكبر من هذه الغارات ، وبما تقدمها من المؤامرات عليه ، فأرسل رسله الى العراق مستنجداً بالدولة . ولكن يوسف آل ابراهيم كان قد سبقه الى ذلك ، فأقنع اولى الامر بما بذله من المال ، فأرسلت حملة مؤلفة من اربعة طوابير الى الزبير لتهدد صاحب الكويت . بيد انها أبطأت جداً في السير — ظلت ستة ايام في الطريق بين بغداد والزبير — وقيل ان الحكومة تعمدت هذا الابطاء املأ بأن يقضي الامر قبل وصول الحملة ، وطمعاً بالمزيد مما كان يذله بدون حساب خال الموتورين .

واكن مباركاً لم يقبل كل الفشل في العراق ، فقد حالفه سعدون باشا ابو عجمي رئيس عشائر المنتفق وخرج معه بعدئذ على ابن الرشيد . اما حلفه الاكبر ، وان كان يومئذ لميل ذات اليد ، فهو صاحب نجد السابق الذي كان عنده في الكويت ، اعني به الامام عبد الرحمن آل سعود . فقد تعاهد الاثنان ان يكونا يداً واحدة على ابن الرشيد . وبعد ذا التعاهد خرج عبد الرحمن بجيش من الكويت وأغار على عشائر قحطان في روضة سدير .

اما الشيخ مبارك فكان قد رمى بشيكتين في بحر السياسة دفعا للحرب واستعداداً لها ، اذ ارسل الى ابن الرشيد يفاوضه بالصلح ، وكتب الى بعض الرؤساء من اهل نجد يستنهمهم على ابن الرشيد . وكان الامام عبد الرحمن قد غزا غزوته وقفل راجعاً ، فارسل اليه يأمره بان لا يرجع الى الكويت ، ولم يأذنه عند ما قرب من المدينة بالدخول اليها ليشاهد عائلته . قد كان للشيخ مبارك في ذلك مأرب سياسي ، ولكنه عندما علم ان ابن الرشيد رفض التوسط بالسلام جهز جيوشه وخرج يقودها بنفسه ، ومعه اخوه حمود والامام عبد الرحمن آل سعود وابنه عبد العزيز . اما ابو عجمي السعدون فكان قد خرج بعشائره يطارد ابن الرشيد الذي كان قد وصل في اغاراته الى اطراف العراق . والظاهر ان الغلبة في الواقعة الاولى كانت على ابي عجمي فارسل يطلب النجدة من الشيخ مبارك الذي كن اذ ذلك في الجهري ، فبادر الى نجدة .

زحف الى السماوة حيث كان ابن الرشيد . ولكن حكومة البصرة مانعت في سيره عند ما وصل الى ما بين الزبير والخميسية ، فاستغرب مبارك الامر ، وطلب مقابلة الوالي فوافاه الى قرب الزبير . وبعد المفاوضة اذن لاختيه حمود وعبد الرحمن ابن سعود ان يطاردا ابن الرشيد ، فلما وصلا بالجيش الى عين صيد رحل الامير الشمري من السماوة .

ولما عاد حمود وعبد الرحمن شرع مبارك يعد العدة للغزوة الكبرى غزوة نجد . فاستنفر القبائل فلبته مطير باجمعها ، ولباه العجمان وآل مرة وغيرهم . من بوادي الجنوب . ثم جاء ابو عجمي السعدون بعشائره من الشمال . ناهيك بان بعض الزعماء من اهل نجد كانوا قد كتبوا اليه يعدونه بالمساعدة فانضم عدد منهم الى جيشه ، وفيهم آل سليم امراء عنيزة وآل مهنا امراء بريدة .

زحف هذا الجيش ، وعدده نحو عشرة الاف ، يقوده الشيخ مبارك . فقطع الصمان ثم الدهناء ونزل على ماء دونها يعرف بالشوكة . وهناك اذن عبد العزيز بن عبد الرحمن ، اجابة لطلبه ، بان يسير بفرقة من هذا الجيش ، الف رجل من البادية ، الى الرياض فيستولي عليها .

افترق الجيشان في الشوكة ، فزحف عبد العزيز سعود جنوبا بغرب الى عاصمة اجداده التي وصلها بعد يومين وكان في باكورة غزواته موفقا . فقد احتل المدينة ما عدا الحصن الذي تحصنت فيه حامية ابن الرشيد ، فعزم على حفر نفق اليه ، وبأثر ورجاله العمل .

اما مبارك فكان قد احتل بلدانا عدة في نجد بدون قتال . بل كان اهلها يرحبون به املهم ان حليفه ابن سعود . اما ابن الرشيد فكان قد تقهقر وهو لا يريد ان ينازل جيشا اكبر من جيشه . وظل يتقهقر حتى جر العدو الى قلب القصيم فوقف له عند الطرفية التي تبعد خمسة عشر ميلا من بريدة الى الشمال .

وفي جوار هذه القرية ، في مكان يدعى الصريف ، في ٢٦ ذي القعدة من هذه السنة (١٦ فبراير سنة ١٩٠١) انتابك الجيشان وتلاحما طيلة ذاك النهار فكانت الوقعة من اعظم وقائع العرب الحديثة ، ودارت فيها الدوائر على ابن الصباح

وحلفائه . خسر الشيخ مبارك عدداً كبيراً من قومه ، وشيثاً كثيراً من عتاد الحرب ، فعاد ومن تبقى من الجيش منهزمين الى الكويت .
 وكان الظافر قاسياً عتياً ، فقد امر بقتل الامرى اجمعين . ثم زحف الى البلدان النجدية التي كانت قد سلمت الى صاحب الكويت ، فنكل برؤسائها ، ونزع السلاح من اهلها ، وضرب عليهم الضرائب الفادحة .
 اما عبد العزيز بن سعود فلما علم بوقعة الصريف اخلى الرياض ، التي احتلها اربعة اشهر فقط ، وعاد ب رجاله الى الكويت ، فاستولى بعد ذلك ابن الرشيد كل الاستيلاء على نجد اجمع . ولكن هذا الاستيلاء لم يدم طويلاً لان وقعة الصريف كانت فريدة في نتائجها وعواملها . هي وقعة كان الظافر فيها مغلوباً . هي اول خطوة باهرة في سقوط ابن الرشيد عبد العزيز ، كما ان حملة عبد العزيز بن سعود على الرياض هي اول خيبة في فتوحاته .

الفصل الثاني

امتهول الرياض

بعد وقعة الصريف واستتباب السيادة الرشيدية في نجد شد الظافر ثانية على ابن الصباح ، فنزل الحفر الماء المعروف الكائن في منتصف الطريق بين القصيم والكويت^(١) . وراح يوسف آل ابراهيم يشحذ بالاصفر الرنان عزم الدولة او بالحري عزم اولي الامر من رجالها في العراق .

وكانت شكوى الموتورين ابناء اخوي الشيخ مبارك قد وصلت الى الاستانة ففتحت لها السياسة اذنها وبريطانية العظمى وقتئذ وراء السنار . قال السفير الكلمة التي طالما اصاخ لها الباب العالي فأندر صاحب الكويت . نعم ، انقلبت الدولة العلية على الشيخ مبارك ، وهو الذي ساعدها لتستولي على الحساء ، فديرت الى الكويت باخرة حربية .

وكان ابن الرشيد قد زحف الى اطراف البلاد وهم بالهجوم على الجهرى ، تلك البلدة الكائنة وراء الخليج على ضفة الجون الغربي ، على مسافة خمسة عشرين ميلاً من العاصمة . احاط الاعداء بالشيخ مبارك ، حاصرت « بالخواقة » الاخطار . ولكنه لم يفقد من عزمه ودهائه شيئاً . فعند ما رأى نفسه وبسلاده في شبه الحصار فتح قلبه للدولة الاخرى الراسية بواخرها الحربية عند التناطىء الفارسي من الخليج . ارسل الى ابي شهر يستنجد الانكليز ، فجاءه بعد ثلاثة ايام مركب حربي ورعى في مياه الكويت عشرين يوماً .

تلبد جو السياسة في بغداد والبصرة ، فابتسم مبارك وهو يجهز الحملة الثانية على ابن الرشيد . بل ضحك وهو زاحف الى الجهرى ، والمركب الحربي سائر في

(١) راجع الفصل السابع عشر ، الحفر ، من القسم الخامس (الجزء انساني) من « ملوك العرب »

مرأى من الجيش إليها — اتبعون حصاري برأ وبحراً ؟ ها انا ذا جئتكم بحراً وبراً بالقوات التي لا تغلب .

ولم يطلق المركب الحربي مدفعاً . الا ان الربان اذن ببعض المدافع الرشاشة فانزلات في الزوارق الى البر ومعهما ضباط علموا الكويتين استخدامهما . ثم خطر في بال ذاك الربان الذكي ان يهرب العربيان بالاسهم النارية ، فارسلها ليلاً في الفضاء وكان لها التأثير المطلوب . قيل ان ابن الرشيد ورجاله لاذوا بالفرار عندما رأوا النيران تشتعل في كبد السماء .

بعد هذا الحادث وتلك الاسهم النارية ادرك الامير الشمري انه بدون مساعدة الدولة مباشرة لا يستطيع الاستيلاء على الكويت . عاد اذن بجيشه الى الحفر ، وشرع يفاوض الترك في بغداد . فلما علم الشيخ مبارك بذلك اراد ان يشغله بنجد وراء الدهناء .

وكان السعد في وجود آل سعود بالكويت خادماً لمبارك . هوذا عبد العزيز وهو يأتي ان يقف في الغزو عند خيبتة الاولى . هوذا عبد العزيز وهو منذ رجوعه من الرياض يلح على والده ليستأذن من الشيخ مبارك باعادة الكرة على ابن الرشيد ، فاذن الشيخ حباً وكرامة .

واكن الغزو يكون جماعة . والجماعة — اربعون رجلاً من عائلة آل سعود وخداميه السابقة — حاضرون ، لا يلزمهم غير الركائب والبنادق والارزاد ، ونبي من المال . اجاب الشيخ مبارك الطلب فاعطى عبد العزيز اربعين ذلولاً ، وثلاثين بنديقية ، ومئتي ريالاً ، وبعض الزاد .

كان عبد العزيز في الواحد والعشرين من سنة عند ما خرج ١٣١٩ هـ بهذه الشرذمة من الكويت . خرج « ينحر » - يقصد - البوادي عليه يزيد . في الاقل عدد رجاله . ينحروا العتبان فتردد الرؤساء فيهم ولكن كثيرين من العامة انضموا الى غزو ابن سعود . وكذلك آل مرة وسبيع والسهول ، فاشتد ساعد عبد العزيز . اصبح معه بدل الاربعين ذلولاً ألف ذلول واربعمئة خيال .

هو جيش في البادية يذكر . ركب القائد الشاب على رأسه يقطع الصمان والدهناء فوصل الى مكان يقال له العرض بنجد وغزا هناك عرب فخطان الذين كانوا تابعين لابن الرشيد ، فاصاب منهم مغناً كبيراً ، وماد الى ناحية الحساء . عند ما علم ابن الرشيد بهذه الغزوة هجم في اطراف الكويت على قبائل عربيدار^(١) ليظهر انه لا يبالي بمثل هذا العدو .

ولكن ابن سعود بعد ان موّن جيشه في الحساء خرج غازياً مرة اخرى ، فوصل الى سدير ، فاغار هناك في مكان يدعى عشيرة على قبيلة من قحطان واخرى من مطير فاخذهما ورجع بالغنائم فنزل ثانية في اطراف الحساء . وكان جيشه يزداد في كل غزوة حتى اصبح الف وخمسمئة ذلول وسنة خيال .

اما ابن الرشيد فعاد بجيشه الى الحفر . ولما بلغه خبر غزوات ابن سعود الموفقة ارسل رسولا اسمه الحازمي الى الشيخ ناسم بن ثاني يستنهضه على هذا العدو الجديد . ثم كتب الى حكومة البصرة لتوعز الى حكومة الحسا بطرد ابن سعود من تلك النواحي وبتحرير البوادي عليه . اجابت الحكومة طلب ابن الرشيد ، فشرّد خوفاً منها ومنه اكثر من الف هجان ومئة خيال من جيش ابن سعود ، فلم يبال بذلك لانه لم يكن ايركن الا لرجال الاربعين الاولين .

غزا بما تبقى معه الغزوة الثالثة فوصل الى جنوبي نجد واغار هناك على قبائل من الدواسر فلم يصب مغناً كبيراً . ولكنه عاد الى ناحية الحسا . وكان وقت الشتاء فتفرق البدو طالبين المرعى لمواشيهم . لم يكن ليربطهم بابن سعود الا حب الكسب ، فمن اين له والحال هذه ان يكرهم على البقاء .

اربعون رجلاً ظلوا اربعين بعد ان ذاقوا حلاوة النصر ومر الفشل والخسران . ولم يكن لعبد العزيز الشاب ما يشحذ عزمهم ، ويفتح لامالهم ولو كوة من النور . استمر ابن الرشيد يحرّض الترك وصاحب قطر عليه ، فكتب اليه والده والشيخ مبارك يسألانه ان يرجع الى الكويت فابى . وعندما اشتد عليه ضغط الحكومة ، حكومة الحسا ، فرّ ورجاله هاربين جنوباً فوصلوا الى مكان بين حرّض وواحة

(١) يطلق هذا الاسم على خليط من العرب لا ينتسبون الى قبيلة من القبائل

جبرين ، واقاموا هناك شهراً .

وكان ابن الرشيد لا يزال في الحفر وهو يستنجد الاتراك في احتلال الكويت ، ويستحثهم على عدوه الجديد بل على آل سعود كلهم . فقطعت الدولة معاش كبيرهم ، وسدت ابواب الحسا على صغيرهم ، وهم ابن الرشيد ان يحصر هذا الصغير سميته في تلك الواحة القصية على حاشية الربع الخالي^(١)

تشتت جيش عبد العزيز ، وتزعزت اماله ، فنهض يائساً يضرب الضربة الاخيرة ، وهو يرجو ان تكون القاضية اما عليه واما على خصمه . اعتزم الهجوم ثانية على الرياض فاما ان يستولي عليها واما ان يقتل في سبيلها .

وكانت قوته يومئذ ستين رجلاً لا غير ، اي انه لم يبق معه من ذاك الجيش الذي بلغ عدده الفين غير عشرين مقاتلاً . وكان في الرياض قلعتان الواحدة ضمن الاخرى شيدهما ابن الرشيد واقام فيهما تسعين من رجاله يرأسهم امير اسمه عجلان .

خرج ابن سعود والستين البسلاء من مراحهم بين حرّض وجبرين في رمضان ووجهتهم الرياض ، فوردوا ليلة العيد ابا جفان ، وساروا منه في اليوم التالي فوصلوا في ٤ شوال الى حدود الرياض ، ونزلوا في الساعة الثالثة عربية (التاسعة ليلاً) في ضلع يبعد ساعتين عن العاصمة

ترك عبد العزيز عشرين من قومه هناك كجيش احتياطي ، وتقدم بالاربعين الآخرين ، وفيهم اخوه محمد وعبد الله بن جلوي امير الحسا اليوم . فلما وصل الى البساتين خارج السور اقام اخاه محمداً ومعه ثلاثون رجلاً هناك ، ومشى بالعشرة الباقين الى غرضه . ولكنه لم يتمكن من الدخول الى الحصن الخارجي اي حصن السور الا من البيت المجاذي وهو لفلاح يتجر بالبقر .

قرع عبد العزيز الباب فاجابت امرأة تقول : من انت ؟

عبد العزيز : رجل من رجال الامير عجلان اريد من رجالك ان يشتري لنا

(١) واحة جبرين هي على مسافة مئة وستين ميلاً من الحسا جنوباً ومئة وخمسة وسبعين ميلاً من الرياض شرقاً بجنوب

بقراً صباح الغد .

الامراة : مُخسئت يا شبه الرجال — ما جئت تبغي البقر يا فاجر بل جئت تبغي الفساد .

عبد العزيز : لا والله ليس هذا مأربي . بل ابني صاحب هذا البيت فاذا لم يخرج الي الان فالامير يقتله صباح الغد .

سمع الرجل هذا التهديد فجاء يفتح الباب ، وكان عبد العزيز يعرفه من الهجوم الاول في السنة الماضية ، ويعرف حريمه وفيهن من كنّ خادمت سابقاً في بيت سعود . فلما خرج امسكه بيده قائلاً : اذا تكلمت قتلتك في الحال . فصاح النساء وقد عرفنه : عمنا ، عمنا عبد العزيز^(١) .

عبد العزيز : لا بأس عليكن اذا سكتن . قال هذا وقد ادخلن الى غرفة واقفل عليهن الباب .

ثم تسلق الجدار الى البيت الاخر عند الحصن فاذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد ، فلفهما بالفراش وحملهما الى غرفة صغيرة ، فاودعهما هناك واقفل الباب .

اطمان من عبد العزيز البال ، فارسل يطلب اخاه محمداً والباقيين فجاءوا دون ان يشعر احد بهم واجتمعوا كلهم في ذاك المكان .

وكان البيت الاخر الى جانب الحصن للامير عجلان ، وفيه احدى نسائه وهو يزورها تارة في الليل وطوراً في النهار . مشى عبد العزيز وعشرة من رجاله الى ذاك البيت ، فدخلوه طافوا بغرفته ، فوجدوا في احداها اثنين نائمين على فراش واحد ظنهما عبد العزيز الامير عجلان وامراته .

دخل متسللاً ومعه رجل يحمل سراجاً . فلما دنا من الفراش رفع الغطاء فاذا هناك امرأتان ، فأيقظهما ، فاستوتا جالستين دون ان يعراهما شيء من الخوف . وكانت الواحدة منهما امرأة عجلان والاخرى اختها امرأة اخيه . عرفت امرأة عجلان الرجل فبادرته بالقول : انت عبد العزيز . فاجابها :

(١) في بعض اقطار البلاد العربية كنجدة والحجاز ينادي الخادم سيده : عمي

نعم . فقالت : من تعي ؟ فأحاطها : ابي روحك . فقالت وهي تقسم بالله : اني احب ان تقتل كل من في البلد من شمر الا روحي . ولكي احتسني عليك معهم ، احتسني ان يقتلوك يا عبد العرير .

عبد العرير : ما سألك عن هذا الامر . انما تريد ان تعرف متى يخرج عجلان من الحصن الداخلي .

امراة عجلان : لا يخرج الا بعد طلوع الشمس ساعة .
عبد العرير : هذا كل ما بعينه مكني ، ولا بأس عليكي اذا سكتن . قال هذا وهو ورحاله يسوقون الامراتين ونقية النساء الى عرفة واحدة ، فحسوهن فيها . ثم كسروا الباب الذي يوصل الى البيت الذي كتب فيه قية الرحال فدخلوا منه ، واحتدموا كهم في بيت عجلان .

وكت الساعة البامة عرية (الاية بعد نصف الليل) فاستراحوا ، واكلوا السم ، وسروا القهوة ، وناموا قليلا . ثم سرعوا عند اساق الفجر يدورون طريقة للحموه على الحصن الداخلي . وبعد قليل منح داك الحصن فاحرج بعض العبيد الحيل الى الشمس . فلما راي عبد العرير النواصة مفتوحة حرج عاديا ، فسهه من رحاه خمسة عشر رجلا فقط .

وايق ان الامير عجلان كان قد حرج من الحصن عند هجومهم سايه وهو قاده الى بيته . فلما رآهم عراه الدهش والرعب فكس ورحاله على اعقابهم وهم يبعون الرجوع . ولكن النواصة الا الحوحة (الباب الصغير فيها) كانت قد اقفلت ، وبين كان ورحاله يدخلون من داك الواي اطلق عبد العرير السدقية عليه فاصاه ولم يقتله . ثم ادركه وقد صار يصعه داخل النواصة فامسكه برجله وسحبته الى الخارج فتصارع الاثنان برهة .

اما الرجال الذين كانوا قد دخلوا الحصن فصعدوا الى احد الابراج المشرفة على السوق ، وترعوا يطلقون النار من المصاليات على رجال اس سعود ، فخرجوا اربعة منهم وقبضوا على .

تراجع المهاجمون الا عبد الله بن حلوي فكان اول من دخلوا الحصن ، وراح



الامير سعود ابن الملك عبد العزيز

يعدو وراء عجلان الذي كان قد تمت من عبد العزيز ، فرماه بالرصاص فخرّ
لوحه قتيلا .

نادى عبد العزيز برجاله واسنفزهم فاقنفوا اترعبد الله . همعوا على الحصن
هجمة واحدة ، فصاحوا بمن فيه وفكواهم ، فقلوهم الا عشرين رجلا كانوا قد
تحصنوا في حمة منه . ولكن عبد العزيز آمنهم على حياتهم فسلموا .

وبعد سقوط الحصن في الخامس من شوال ١٣١٩ (١٥ ايار سنة ١٩٠٢)
والاستيلاء على الرياض باقر الامير السعودي الشاب بباء السور الحديد القائم
اليوم حول اقسام متهدمة من السور القديم ، فتم باؤه في نحو خمسة اسابيع .

الفصل الثالث

الحرب في الحرج

لم يحدث احتلال الرياض امراً جديداً في السياسة الدولية اي بين الدولة العلية والحكومة البريطانية . فظلت الاولى مذبذبة مراغة ، واستمرت الثانية مراقبة ومن وراء الستار حاكمة بامرها .

اما الشيخ مبارك فقد كان احتلال الرياض برداً وسلاماً على قلبه . ولم يكن عكس ذلك ظاهراً في ابن الرشيد . فقد سمع الخبر غير مكترث به وضرب له الامثال فقال : اربة محجرة واهلها مقيمون ، اي انه يستطيع اي يوم شاء ان يخرج ابن سعود من الرياض . لذلك لم يتزعزع من الحفر فاقام هناك اربعة اشهر يفاوض الترك في بغداد وهو يعال النفس باحتلال الكويت .

وكان الترك يرحبون برسله وهداياهم ، ويعدونهم بالمساعدة ويتقاعسون . انت تذكر ان الحملة التي ارسلوها مرة على الشيخ مبارك ظلت ستة اشهر في الطريق من بغداد الى الزبير . وقد اشرت الى السبب بل السببين في ذلك . فاهيك بانه لم يكن للدولة آنئذ في ابن الرشيد الغرض الذي ولدته الحوادث في ما بعد . بل كانت اميل الى مبارك وهو على البحر منها الى امير في داخل البلاد العربية .

وايكن مباركاً والى الانكليز ، ودعاهم الى بلاده ، فاستحق لذلك اهمال الدولة بل تقمتها . وبما انها كانت عاجزة عن اظهار تلك النعمة في مظهر من القوة يليق بعظمتها ، فقد اكتفت بان تظهر ولائها لابن الرشيد ، وتأذن له بان يفاوضها في محاربة ابن الصباح . وقيل ان الحكومة البريطانية كانت تضغط عليها لمنعها من مساعدة ابن الرشيد مساعدة حربية . ولا غرو ، فالسبب في ذلك — السبب المعروف — هو انها بعد ان استقرت في الكويت ، وتطاهدت

«وابن الصباح ، أصبحت حاميةً لبلاده .

الشيخ المبارك المسعد ! قد حماه الانكليز من البحر ، وحماه ابن سعود الشاب من البر . كيف لا وهو يشغل عنه عدوه ابن الرشيد . — ولدي عبد العزيز تولاك الله ، وطافاك ، وقواك ، وجعل النصر دائماً اخاك ! ارسل مبارك يهنئ ولده ويبارك له . ثم بعث اخاه سعد بن عبد الرحمن بالنجدة التي طلبها .

ومشى عبد العزيز الى غرضه فاستولى اولاً على النواحي الجنوبية اي الخرج والحوطة والحريق والافلاج والدواسر . اما النواحي الشمالية ، مثل الشعيب والحمل والوثم وسدير ، فظلت في حوزة ابن الرشيد مع انها كانت موالية لابن

سعود .

في اوائل هذا العام اغار عبد العزيز مرتين على قبائل من قحطان ١٣٢٠ هـ كانت نازلة حلبان ^(١) في اطراف نجد فأخذهم . ولكنه مرض في الغزوة الثالثة وهو على ماء الحسي شمالي الرياض . ثم خرج اخوه محمد غازياً لمفخذ من عتبية يرأسهم ابن ربيعان وهم في مكن قرب الشعري ^(٢) .

اما عبد العزيز بن الرشيد فلما يش من مفاوضات الترك وبان له من امر «الارنية المحجرة» ما لم يكن ليخطر في باله ، امر بشد الرجال واسند (العرب يقولون سند) عائداً الى حائل ، فعبأ جيشاً جديداً من شمر والقصيم وسدير والوشم ، وزحف به في ربيع الاول من هذا العام قاصداً الرياض .

فلما علم ابن سعود بذلك ارسل الى ابيه في الكويت يقول ان الحرب قائمة ، وان الاستيلاء على الرياض يقتضي ان يكون هو اي الامام عبد الرحمن فيها . جاء الوالد مسرعاً ، ولم يمنعه الاسراع من ان يغزو في طريقه قبائل من الظفير وشمر المواليين لابن الرشيد . وخرج عبد العزيز ورجاله فسادوا مسافة ثلاثة ايام ليستقبلوا الامام الذي عاد الى الرياض عودة الظافر ، وكانت قد خرج منها منذ

(١) العرب يلفظونها آخيلان

(٢) الكمي يدرك القاري . شيئاً من مشقات النزوح عند العرب يجب ان يعلم مقدار المسافات التي يقطعونها غازين . فالمسافة بين الرياض مثلاً ووادي الدواسر هي نحو ثلاثمائة ميل اي مسير خمسة عشر يوماً ، ومثل ذلك تقريباً بين الرياض والشعري .

احدى عشرة سنة مهاجراً .

ثم حدث خلاف بين الاب والابن نادر المثال . فقد ارسل عبد العزيز من القصر الى الوالد في بيته يقول : الامارة لكم وانا جندي في خدمتكم . فجمع الوالد العلماء واعلمهم بالامر ، ثم ارسل الى ابنه الصغير يقول : اذا كان قصدك في استدعائي الى الرياض لأتولى الامارة فيها فهذا غير ممكن ، ولا اقبله مطلقاً ، ولا أقیم في المدينة اذا الححت به .

تدخل العلماء في الامر فقالوا لعبد العزيز : على الابن ان يطيع اياه . وقالوا لعبد الرحمن : انت كوالد عبد العزيز رئيس عليه ، وبالتالي على اهل نجد . فقال عبد الرحمن : ولكن الامارة له

فقال عبد العزيز : اني قابلها بشرط ان يكون والدي مشرقاً على اعمالي دائماً فيرشدني الى ما فيه خير البلاد ، ويردعني عما يراه مضرّاً في مصالحها . كذلك تمت البيعة لعبد العزيز . وكان يومئذ سميّه ابن الرشيد نازلاً في رعيه من بلدان المحمل ، وقصده محاصرة الرياض ، فأرسل سالم السبهان بجيش من قطران الى ضربه ايهجم عليها من الجنوب الغربي ، وأمر الحازمي مندوبه في الحسا بان يستنهض العجمان وآل مرة بمؤازرة الحكومة فيهجمون من الشرق الجنوبي .

ولكن ابن سعود ارسل اخاه محمداً وابن عمه عبدالله جلوي الى تلك النواحي الجنوبية يستنجدان الدواسر وآل مرة ، فظفرا بما لم يظفر الحازمي والترك اعوانه . وقد علم ابن الرشيد ان كثيرين ممن كان يظنهم من اتباعه قد انضموا الى ابن سعود ، فاقام شهرين في رعيه واسبوعين في الحسي ، وهو يعجز عن الهجوم على الرياض . ثم رحل الى الحفر ليحول دون تموين العدو من الكويت .

اكل امير من امراء العرب دائرة استخبارات ، واكنهه هناك يسمون الاشياء باسمائها الحقيقية . قال السلطان عبد العزيز : « فلما علم ابن سعود من جواسيسه ، ان ابن الرشيد ينوي ان يصادر الارزاق التي تجي ، الى نجد من الكويت والحساتذاكر ووالده فعقدت النية على حيلة تقربه منهم فيتلاحمون واياه .

ويقضون عليه او في الاقل يحولون دون تنفيذ خطته» .

خرج عبد العزيز من الرياض ووجهته الجنوب ، وراح شمالاً الى مناخ ابن الرشيد من اشاع ان ابن سعود خائف من خصمه وانه فر هارباً . فلما سمع ابن الرشيد ذلك شد الرحال مسرعاً ودرهم^(١) فنزل على ماء بنبان^(٢) ولم يكن بينه وبين الرياض غير عشرين ميلاً او اقل . ثم جاءه الخبر اليقين وهو ان الرياض محصنة وان ابن سعود في حائر سبيع بالخرج ، فامسى في حيرة مزعجة ابت عليه النقهر وحالت دون الهجوم .

وكان لابن سعود سرية في الدلم عاصمة الخرج بقيادة احمد السديري ، فأمره ان يتأهب للزحف معه الى الرياض اذا هجم ابن الرشيد عليها . اما اذا تجنبها ومشى الى الخرج فاهل الرياض يتقفونه بالسلاح وعبد العزيز يفزع الى السديري في الدلم . بعد هذا التدبير وكّل ابن جلوي بمن كان معه من الجنود فاقامهم في عليته ، وهو ضلع حصين بين الحريق والحوطة ، قارب منها . ثم ارسل اخاه سعداً الى الحريق يستنجد اهلها ، وراح هو للغاية نفسها الى الحوطة ، فبلغه في اليوم الثاني هناك خبر هجوم ابن الرشيد على الدلم — طاح في الشرك الذي نصب له ! فبادر ابن سعود الى ذاك المكان .

جمع جيوشه من اهل الحوطة والحريق فلحقوا مع من كانوا في ضلع عليته الف وخمسمئة مقاتل . اجتمعوا في ماوان على مسافة عتشر ساعات من الخرج واسروا فوصلوا الى الدلم قبل انبثاق الفجر . وكان ابن الرشيد قد نزل في تعبان على مسير ساعين من البلدة ، فلم يدرك بدخول ابن سعود اليها . على انه في عصر ذاك النهار ارسل سرية مستكشفة فخرجت لها خيل ابن سعود ، فتهاجم القربقان وتطاردا ، فانهزمت خيل ابن الرشيد .

كثيراً ما تكون الحرب عند العرب مناورات ومجاولات ، وهم قلما يسارعون الى الملحمة التي تطيح فيها الرؤوس . ولكنهم يسرون اليها على طريقتهم سير

(١) درهم يدبرهم من اصطلاحات اهل نجد والدرهم سير سريم بين الحبيب والقارة.

(٢) بنبان هو على مسير سبع ساعات شمالي الرياض بينها وبين الحسي .

الهُون ، وهم يغزون ، ويعتزون ، ويناشون ، وينقهرون . اما ان الحرب خدعة فكلهم يعرفون الآية ويؤمنون بل يعملون بها .

في فجر اليوم التالي راح ابن سعود بكن لابن الرشيد ، وكان قد علم ان من عادته ان يخرج وبعض رجاله صباح كل يوم ، فيطوفون في البساتين يرعون ابلهم ويقطعون النخيل . وكان ابن الرشيد أحس ان خصمه في الدلم فلم يخرج كعادته باكراً ، فارسل ابن سعود خيالة مستكشفين ، فعادوا يقولون انه متحصن في نعبان . ولم يكن لابن سعود ان يهجم عليه في النهار ، لان خيله قليلة ولأن الهجوم يبعده عن الحصون .

على ان الكشافة لم يصدقوا اميرهم الخبر لانهم لم يصلوا جيناً او جهلاً الى مكان الاستكشاف . فبعد ان عاد ابن سعود الى البلدة بلغه الخبر ان ابن الرشيد قد خرج على عادته يجول في النخيل ، فبادر بقسم من جيشه اليه .

وكانت المواجهة الاولى بين العزيزين خارج الدلم وسط النخيل . تواجها واحتربا ، فكانت الواقعة شديدة ، واستمرت ست ساعات حتى غروب الشمس . ولكنها لم تسفر عن شيء كبير . فقد امر رجال ابن سعود جماعة من رجال ابن الرشيد يدعون باهل لبلده فحصرهم في القصر ، ففروا منه في المساء . وطارد ابن سعود ابن الرشيد فنقهروا الى معسكره .

لم تكن الذخيرة متوافرة عند ابن سعود فنفدت او كادت في تلك الواقعة ، فارسل يطلب قسماً من الحوطة . اما ابن الرشيد فشد في اليوم التالي الرحال وسار جنوباً الى اسفل الخرج ، فنزل السايمية التي تبعد ست ساعات عن الدلم ، فتقفاه ابن سعود بعد وصول الذخيرة ونازله في السايمية فاخرجه منها .

ولكنه لم يتمكن من تعقبه فادراكه ، لقلة خيله وركائبه ، وكثرتها مع ابن الرشيد . فقد كان جيش الشمري مؤلفاً من اربعة الاف ذلول واربعمئة خيال ، بين ان الجيش السعودي لم يكن يتجاوز الالفين ولم يكن فيه غير اربعين من الخيل . ومع ذلك فقد انهزم ابن الرشيد في الخرج ، وثبتت سيادة ابن سعود فيه ، بل في النواحي الجنوبية كلها .

الفصل الرابع

الاستيلاء على القصيم

لم يغير فوز ابن سعود في الخرج موقف الترك تجاه ابن الرشيد وابن الصباح ، فظلوا يجاثفون هذا ويعللون ذاك بالوعود . ومع ذلك فقد عاد ابن الرشيد الى الحفر بعد تلك الهزيمة واستأنف الغزو ، فاغار على عريبدار قرب الكويت ، وعلى سبيع في الدهناء ، وعلى عتيبة قرب الارطاوية ^(١) . ثم باشر محاصرة الكويت فارسل الشيخ مبارك يعلم « ولده » عبد العزيز بذلك ويستنجده . والدهر في الناس قأب فقد صار منجداً من كان بالامس مستنجداً .

وكان عبد العزيز بعد شهر اقامه في الرياض قد غزا عرب مطير في الصمان ، وعتيبة في عرق رغبة بين الوشم وجبل طويق . مما يدل على ان النزعات او المصالح بدأت تشق القبائل فصار قسم منها يدين لابن سعود ، وقسم لابن الرشيد ، فيغير هذا على عتيبة مثلاً السعودية ، ويغير ذاك على عتيبة الموالية لابن الرشيد .

ابى عبد العزيز دعوة الشيخ مبارك فسار فزعا الى الكويت بجيش لا يقل عن العشرة الاف ، وهو الذي خرج منها باربعين ذلولاً اجرب منذ سنين . فرحبت الكويت به وهالت له ، وانضم منها الى جيشه ما كان قد جنده مبارك بقيادة جابر بن الصباح . ثم خرج الاثنان جابر وعبد العزيز غازبين طالبين ابن الرشيد .

زحف هذا الجيش الجرار المؤلف من قبائل الحساء كلها — من العجمان وآل مرة وبني خالد وبني هاجر والعوازم والمناصير وسبيع والسهول — البالغ

(١) لم تكن هناك البلدة او الهجرة التي تدعى بهذا الاسم.

عدده اربعة عشر الفا ، منهم اربعة الاف خيال ، ووجهتهم الحفر . ولكنهم
أخبروا في الطريق ان ابن الرشيد قد عاد الى بلاده ، فهجموا لذلك على مطير
في الصمان ، فذبحوهم عن بكرة ابيهم ، وغنموا اموالهم وارزاقهم كلها — ذبحناهم
واخذنا حلالهم ! (امتعتهم)

على ان حلاوة هذا النصر لم تدم طويلاً . فقد بلغهم عند ما وصلوا الى ماء
طوال الخبر اليقين وهو ان ابن الرشيد — الذي يحسن مثلهم الحدة — لم يرجع
الى بلاده ، بل زحف الى الرياض بهي محاصرتها . وقد مر في طريقه بعربان
من السهول فضربهم وضمهم الى جيشه ، ثم تقدم مسرعاً وهو ينوي
ان يفاجيء العاصمة بالهجوم ليلاً عليها . فلما دنا منها عسكر عند ضلع
يدعى اباؤه خروق ^(١) دون ان يعلم بذلك احد من اهل المدينة . ولكنه ~~تأخر~~
مشى اليها ، واصبح في ظلال نخيلها ، نرد رجل من السهول المكرهين ودخل
يصيح بالناس : العدو قرب منكم ! العدو عند السور !

نهض اذ ذاك الامام عبد الرحمن باهل الرياض للدفاع ، فخرجوا على ابن
الرشيد ونازلوه خارج السور ، فردوه خائباً ، فنقل بعد ذلك معسكره من بخروق
الى نخيل بعد ساعة عن المدينة ، واقام هناك ثلاثة ايام دون ان يأتي بحركة .
ثم بلعه ان عبد العزيز بن سعود زاحف الى القصيم ، فشد الرحال مسرعاً
ومشى الى الوتم عن طريق خرمه . وكان الامام عبد الرحمن قد ارسل سرية ^(٢)
بقيادة مساعد بن سويلم فاستولت على المحمل والشعيب ، ثم زحفت الى شقرا التي
كان فيها امير لابن الرشيد اسمه الصويغ . فلما دنا مساعد من البلد رحل الصويغ
الى ثرمدا ، فاستولى مساعد على شقرا يرضى اهلها . ثم هجم على ثرمدا فادرك
الصويغ فيها ، فقتله ، والنى القبض على العنقري اميرها وارسله الى الرياض .
ولم يكن ابن الرشيد بطيئاً في تعقبه ابن سويلم . فقد هجم عليه في ثرمدا

(١) اهل نجد يفظونها بخروق . وهذا الضلع هو على مسير ساعة من الرياض وفيه
غار يخرج اليه الملك للزومة .
(٢) السرية من مئة الى الخمسة خيال .



الامير فيصل ابن الملك عبد العزيز (في الوسط) عندما زار لندن المرة الاولى ١٢٠ — ١٢١

فأحرقه بها ، فراح يتحصن في شقرا ، فثقفاه وحاصره فيها .
 أما عبد العرير بن سعود فقد عاد بعد عروة مطير إلى الكويت ، فحماه وهو
 هناك الكثير من والده يخبره بهيمة ابن الرشيد في هجومه على الرياض ، فاطمأن
 بالله واهتم في نقل عائلته التي كانت لا تزال في الكويت فعاد بها إلى نجد .
 وما كاد يصل إلى العاصمة حتى علم أن ابن الرشيد محاصر لشقرا وفيها مساعد
 بن سويم ، فاستراح يوماً واحداً وشد للشد . ولما وصل عبد العرير إلى حريملا علم
 ابن الرشيد بذلك فملك الحصار ورحل إلى العاط (١) .

استمر عبد العرير راحقاً إلى شقرا فاحتلها . ولكن سرية ابن الرشيد بقيادة
 حمد العسكر أمير المحمعة كانت لا تزال في ترمدا ، فأرسل عليها عبدالله بن
 حلوي ، فأعطى عبدالله أهل البلد الأمان ، فأبوا إلا القتال ، فقاتلهم ودحرهم . أما
 السرية فتحصنت في القصر ، فأمر عبدالله بمهاجمتها ليلاً ، فكانت السريحة أن
 قُبل عدد منها ، ولاد الآخرون بالمرار .

عندما سلمت ترمدا إلى عبدالله بن حلوي رحل ابن الرشيد من العاط ورحلته
 القصيم . وأبكه ترك مرتين في سدير ، الواحدة في المحمعة والآخرى في
 الروضة ، فأرسل عبد العرير سرية عليهما بقيادة حاله أحمد السديري ، فماتت
 سرية الروضة مدحرتها وأسوات على البلد . ثم تمت في سدير طامرة ، فأسولت
 على رقعة بداه ما عدا المحمعة التي حافظت على سادة ابن الرشيد فيها ، وقد
 دافعت عنها دماء سديداً . ولكن عبد العرير قمع يومئذ بما حار من النصر فترك
 مريين آخرين ، الواحدة في الروضة والباية في حلاحل ، وأمر السديري في
 شقرا ، ثم عاد إلى الرياض .

كل هذه الحوادث — هذه العروات والعارات — حدثت في سنة واحدة بعد
 سقوط الرياض . ولم يكن عبد العرير وسمته السمري إيستريحاً الا قليلاً في
 الفترات القصيرة التي هي هدبات اضطرابه .

عاد ابن سعود بعد فوزه في الوشم وسدير إلى الرياض . ولم يكد يتم الشهر

(١) العاط من بلدان سدير وهي - بعد عن المحمعة قاعدة تلك الناحية عشرين ميلاً

هناك حتى جاءته اخبار ابن الرشيد وفيها انه خرج من القصيم غازياً، وقصده
المهجوم على عتيبة وقحطانات (بعد استيلاء ابن سعود على سدير والونيم أصبحت
هاتان القبيلتان من قبائله) فحاصر التويم قرية من قرايا سدير .

خرج ابن سعود مسرعاً من الرياض ، وكان قد امر اهل الوشم بان يبادروا
مع احمد السديري الى انقاذ سدير . فلما وصل الى ثادق علم ان ابن الرشيد لم
يقز بشيء في غزوته وحصاره ، بل انه انهزم وشرّق ، فنزل ماء شمال الارطاوية .
اما المجعة قاعدة سدير فكانت لا تزال في حوزته وله سرية فيها .

سار ابن سعود من ثادق الى جلاجل فاقام فيها عشرين يوماً وهو يعد القوة
للحرب في القصيم . فبلغه وهو هناك ان ابن الرشيد قد عاد الى تلك الناحية ماراً
بالزلفى ، فزحف بجيشه الى المجعة ، واتفق واهلها على التسليم اذا هو استولى
على القصيم .

قد كان جيش ابن سعود مؤلفاً يومئذ من سبعة الاف من المشاة واربعمئة
ذلول لا غير ، فمضى به الى الغاط ثم الى الزلفى ، فكتب من هناك الى الشيخ مبارك
يسأله ان يرسل اليه من كان عنده من اهل القصيم ، مثل آل الخيل وآل سليم ، وما
يستطيعه من المدد ، فارسل مبارك اولئك الذين لا ذوا بالكوبة بعد وقعة المليذا
ومعهم مئتان من الرجال فقط .

وكانت تلك السنة قليلة الامطار ، فضاقت العيش بسكان الوافى وبالتالي
بالجيش ، فصاروا يأكلون حتى رؤوس النخل اي لبها . لم يكن بالامكان السير
الى برهة لقلة الزاد والركائب ، ناهيك بالطريق وليس فيه بلد يأوون اليه .
أضف الى ذلك ان ابن الرشيد كان مسنولياً على القصيم اجمع .
فماذا عسى ان يفعل ابن سعود ؟ قد كتب الى بعض الموالين له هناك يطلب منهم
ان يؤلفوا سرديات تهجم على بعض البلدان تمهيداً لدخوله — فتفتح له الباب —
فلم يلبوه . ولما تيقن انه لا يستطيع الهجوم على القصيم ، ولا البقاء في الزافى لشدة
القحط ، وضيق العيش فيها ، عاد الى الرياض .

اما ابن الرشيد فرحل من القصيم قاصداً البطينيات عله يظفر هناك ببعض

عربان ابن سعود ، فاقام على ذاك الماء عشرة ايام وارسل اربعمئة من رجاله بقيادة ماجد آل حمود بن الرشيد الى جهة عنيزة ، وثلاثمئة بقيادة حسين بن جراد الى السر . ثم انحدر الى اطراف العراق ليستنفر شمرأ هناك ويستنجد الاتراك .

فلما علم ابن سعود بارتحال ابن الرشيد الى العراق شد مسرعاً من ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م الرياض ، وواصل السير بالسري ، فالتقى في ١٨ ذي الحجة من هذا العام بحسين بن جراد في السر ، وبادره القتال ، فقتله واكثر من معه ، وغنم اموالهم وارزاقهم كلها .

تدعى هذه الواقعة بوقعة ابن جراد . وقد كان من نتائجها انها قسمت قبائل حرب المقيمة بين السر والقصيم ، والتي كانت كلها تابعة لابن الرشيد ، فانحاز قسم منها بعد الواقعة الى ابن سعود .

عاد بعد ذلك عبد العزيز الى الرياض ، فاقام فيها شهر ذى الحجة ، ثم مشى في آخر الشهر الى الغرض الاكبر ، فارسل الى اهل القصيم في شقرا يأمرهم بان يوافوه الى نادق لانه يريد ان ينحدر الى الكويت .

شاع هذا الخبر ، فترك عبد العزيز ثقل احماله في قصر الجرففة من قصور الوشم ، وراح يجيشه يدرهم قاصداً ماجد بن الرشيد في القصيم . فلما وصل الى ماء الشريمية في وسط النفود علم بعض من كان معه من البادية انه يريد ابن الرشيد فشردوا ، فما بالى ابن سعود بذلك . بل استمر مسرعا ، فضل الدليل وتاهوا في النفود طيلة ذاك الليل ، ثم خرجوا منه فاذا بكشافه لماجد على حواشيه .

نزل ابن سعود في ذاك النهار قصر الحميدية من قصور عنيزة ، على مسير اربع ساعات منها ، وتقدم ساعة الغروب فوصل الى فخل من فخل المدينة ، فعسكر هناك ، وامر من كان معه من اهل القصيم ، وفيهم آل سليم ، ان يهجموا على اهل عنيزة في تلك الليلة . قد كان يومئذ بعض الزعماء فيها ، مثل آل يحيى وآل بسام ، مع ابن الرشيد وعندهم سرية من سراياه رئيسها فهد السبهان . اما ماجد فكان نازلاً قرب المرابط وهو باب من ابواب المدينة .

عند ما هجم اهل القصيم على عنيزة اصطدموا بطلائع ابن الرشيد من اهلها

ومن شمر ، فتلاحم الفريقان ، فقتل فهد السبهان وما سلمت رجاله ، فطلب
السعوديون المدد ، فارتسل عبد العزيز مثنين من رجاله بقيادة عبدالله بن جلوي .
وكان عبدالله قد اشتهر بالبسالة والبطولة ، فلما سمع اهل عنيزه بالنجدة التي جاء
يقودها سلموا حالاً الى آل سليم .

اما ابن سعود فركب بعد ان صلى الفجر على راس سرية من الخيل و«نحر»
المكان الذي كان فيه ماجد بن الرشيد . فلما رأى ماجد خيل ابن سعود لاذ
بالفرار ، فتعقبه واستولي على مركبه ، بعد ان قتل اكثر قومه وفيهم اخوه عبيد .
ثم عاد ماجد ومعه بضع وعشرون من الخيل والركائب ، وفيهم نفر من آل
سعود الذين كانوا منفين في حائل ، جاء بهم ليرد العدو المنتصر لانه اذا
عرفهم ، وهم من آل سعود ، قد يمتنع عن القتال فلا يقتل احد منهم . ولكن
عبد العزيز عند ما عرف اهل — قد دُعوا منذ ذاك اليوم «العرايف» —^(١)
امر بعقر خيلهم ليتمكنوا من خلاصهم . وكذلك كان . فقد فازوا يومئذ ،
بعد عقر الخيل اثناء المعركة ، بسعود بن العزيز وسعود بن محمد وفيصل بن سعد ،
تخلصوه من القتل ومن الاسر .

وفي ٥ محرم من هذه السنة (٢٣ اذار) بعد ان حار ماجد بن
الرشيد وفراره الى حائل ، تم فتح عنيزة ، فدخلها ابن سعود ،
واقام فيها بضعة ايام . ثم شد على بريدة فسلم اهلها . ولكن امير ابن الرشيد
والحامية فيها تحصنوا بالقصر فحاصروا ابن سعود فثبتوا شهرين في الحصار ، ثم
سلموا في ١٥ ربيع اول ، فتم في تسليمهم الاستيلاء السعودي على بريدة وعنيزة ،
وبالتالي على القصيم اجمع .

(١) اذا غسر البدو في الغزو جاهلهم سم استعدادها فهم يسمونها العرائف — مفردا
عراقة — اي المعروف . فطلق ابن سعود الاسم على ابنته عمه هؤلاء .

الفصل الخامس

البكيرة

ان اطول وادي في البلاد العربية هو وادي الرُّمَّة الذي يمتد شرقاً من حَرَّة تخير الى الرُّس ، ثم شرقاً بشمال الى البصرة . وهذا الوادي يخترق بلاد القصيم بين عنيزة وبريدة ، فيشطرها شطرين ، الشطر الغربي الشمالي والشطر الجنوبي الشرقي . وفي الشطر الاول بين بريدة والرس بضعة بلدان منها البَكِيرِيَّة . والشَّيْحِيَّة والحبرا التي يهمن الان ذكرهما .

في ذاك المنعطف من الوادي تنازع ابن سعود وابن الرشيد السيادة في القصيم . في تلك الزاوية التي يمتد ضلعها بضعة وخمسين ميلاً من الرس الى بربرة ميدان القتال الهائل الذي سنروي خبره الان . هناك احترب الفريقان ومع احدهما عساكر الدولة العلية واطوايها واقتتلا في وقعات عدة تعرف عند اهل نجد بوقعة البكيرة ووقعة الشنانة .

ذكرنا في الفصل السابق ان عبد العزيز الرشيد بعد توزيع قواته في نجد والقصيم سافر الى العراق ليستنفر عرب شمر هناك ويستنجد . الاتراك . وكان الدولة ادركت آجلاً حقيقة الحال في نجد ، وأوجست خوفاً من امتداد سيادة ابن سعود في البلاد ، فأصاحت هذه المرة لابن الرشيد وأمدته بنجدة مؤلفة من احد عشر طابوراً ، واربعة عشر مدفعا ، وثي . كثير من الذخيرة والمونة والمال . وقد صادر ابن الرشيد جمال « العقيلات »^(١) لتحمل هذه الجيوش والمعدات الى القصيم . أضف الى ذلك ان عدداً كبيراً من بادية شمر نفروا الى نجدته .

عندما سلمت السرية التي كانت محاصرة في قصر بربرة أمن ابن سعود رجالها على حياتهم وأذن لهم بالرجوع الى بلادهم . وقد اتفق ان ابن الرشيد كان

(١) العقيلات اسم يطلق على تجار القصيم خصوصاً من يتجرون بالجمال فيجبنون بها من نجد الى بر الشام .

قد وصل يومئذ بجيشه الى القصيبة ، فالتقى هناك باولئك الرجال رجاله وهم عائدون الى حائل ، فاخبروه بما جرى وان ابن سعود في يريده . فاستمر ابن الرشيد سائراً لم يهجم على المدينة من الجهة الغربية ، ونزل القرعا على مسافة خمسة عشر ميلاً منها . اما ابن سعود فقد احل يريده عندما علم بذلك ونزل البصر خباً من خبوب القصيم ^(١) فنقل ابن الرشيد من القرعا الى جهة من البكيرية ، ثم نقل ابن سعود الى الجهة المقابلة لها .

وفي ذاك اليوم بل في الليلة الاولى من هلال ربيع الثاني من ١٣٢٢ هـ هذه السنة اصطدمت الجيوش صدمة شديدة هائلة ، فالتحموا وتجادلوا بضع ساعات وكانت خسارة الفريقين عظيمة . قد تواجه في تلك الليلة عسكر الدولة ، وفيه كثيرون من السوريين ^(٢) والعراقيين ، بعسكر ابن سعود الحاص اليه باهل العارض ، فأطلقت البنادق والاطواب ، ولمعت في نور الهلال الضئيل السيوف ، وكانت المذبحة هائلة . فقد قتل من جيش ابن سعود تسعة مئة وفيهم ستمئة وخمسون من اهل الرياض ، وقتل من جيش الدولة نحو الف وفيهم اربعة مئة كبار الضباط ، وخسر اهل حائل نحو ثلاث مئة وفيهم اثنان من بيت الرشيد هما ماجد بن حمود وعبد العزيز بن جبر .

وفي تلك الوقعة أصيب عبد العزيز بن سعود بشظايا قنبلة في يده اليسرى ، ووقع ابن الرشيد من فرسه فطاحت الفرس فوقه فألمته ولم تقعه . اما اهل القصيم وعرب مطير فقد هجموا بقيادة عبد العزيز جلوي على جناح العدو فبعجوه ، ثم اغاروا على بادية شمر فغنموا ارزاقها . ولكن السمرين كانوا قد هجموا على معسكر ابن سعود فنهوه . واحدة بواحدة . لم تمل كفة الميزان كثيراً ان في

(١) الحب منخفض من الارض بين كتب من الرمال فيه ماء ونخيل
(٢) اخبرني تحسين باشا الفقير انه كان ضابطاً في تلك الحملة فحارب ابن سعود في وقعة البكيرية . ومن غرائب الاتفاق والتاريخ انه بعد عشرين سنة حارب ابن سعود ثانية في الحجاز . فقد كان تحسين باشا قائدا للجيش الحجازي او بالحري قائد الفرقة السورية الفلسطينية التي كانت تدعى فرقة النصر — فرقة النصر التي لم تنصر

الغنائم وان في القنلى الى احدى الجهتين في هذه الوقعة الكبيرة . على ان قوات ابن الرشيد على رغم الخسارة ظلت متماسكة .

قال السلطان عبد العزيز : « رحت انا وعشرين من الخيالة — اخذ الترك خيامنا وهجم البدو على الترك فاخذوا خيامهم وهربوا » .

فسألت عظمتة : « الى اين رحتم ؟ »

فاجاب ضاحكاً : « انهزمتنا — هربنا » .

على ان اهل القصيم ، عندما عادوا من اغارتهم على بادية شمر ، جاءوا مركز ابن سعود فوجدوا فيه المدافع وثلاثة من عساكر الترك فتواقعوا واياهم وقتلهم ، فغنموا المدافع وظلوا في البكيرة . ولكنهم عندما طلبوا عبد العزيز ولم يجدوه هناك حملوا الاسلحة الخفيفة وسادوا الى بلادهم اي الى بريدة وعنيزة .

اشكل الامر على عبد العزيز ، فأحب ان يمتحن اهل هاتين المدينتين ليتأكد اذا كان لهم رغبة حقيقية في محاربة ابن الرشيد ، فارسل اليهم يقول : اثبتوا في مكانكم واني مستفزع اهل نجد وراجع اليكم . فكتبوا اليه وكان اهل عنيزة اتد لهجة يقولون : اذا انت رحلت فلا يستقيم امر بعدك . واذا رجعت الينا فنحن نعاهدك في السراء والضراء — تقدم انفسنا واموالنا واولادنا بين يديك . اي والله ، نحمي اوطاننا او نموت جميعاً .

رجع ابن سعود الى عنيزة فخرج اهلها اليه يستقبلونه معتزين ، واخرجوا الخدراوات فرحبن به مزغردين ، ثم عززوا قولهم في ما قدموه من مال ورجال للحرب .

عند ما بلغ اهل نجد خصوصاً بوادي عتيبة ومطير هذا اخرجوا كلهم متطوعين مجاهدين ، فاجتمع لدى ابن سعود في ستة ايام اثنا عشر الف مقاتل ، فبادر بهذا الجيش الى البكيرة بهجمه على ابن الرشيد فيها . ولكن ابن الرشيد كان قد رحل منها في اليوم السابق وهجم على الحبرا وفيها مرية لان سعود .

دافع اهل الحبرا مع الخدود الحامبة دفاعاً شديداً ، وبالرغم عن

المدافع التي ظلت تطلق قنابلها على البلد طيلة ذاك النهار لم يسلموا . ولكنهم وقعوا في قبضة عدو جديد فعلموا لأول مرة ما هو الهواء الاصفر (الكوليرا) وكان قد سرى اليهم من جيش ابن الرشيد ، بعد ان تفشى فيه من اختلاطه بعسكر الدولة . وقد قيل ان الهواء الاصفر لم يكن معروفاً قبل ذاك الحين بتجدد .

عند ما علم ابن الرشيد بزحف ابن سعود الى البكيرية التي كانت المركز العام للجيش ، وفيها مون وذخائر كثيرة ، ارسل اليها سرياته الكبرى — الف وخمسمئة خيال — بقيادة سلطان بن حمود الرشيد ، فتصادموا وخيالة ابن سعود — ستمئة وخمسين — عند انبثاق الفجر قرب البكيرية ، وكانت الهزيمة على الرشيديين . ثم دخل ابن سعود البلدة وفتك بحامية ابن الرشيد فيها ، فقتل اكثر من ثلثها ، وانهزم الباقون فلاذوا بالفرار . ثم طاردت خيله خيل ابن الرشيد حتى اخطروا ، فرحل ابن الرشيد منها الى الرس ، فهجموا على بواديه وغنموا عدداً كبيراً من الابل . ثم تقدموا الى الرس وكان ابن الرشيد قد نزل الشنانة على مسافة ساعة جنوباً منها .

نصب هناك مدافعه وشرع بضرب الرس كما ضربها ابراهيم باشا في طليعة القرن الماضي ، فدافع اهلها على عادتهم حتى الرمي الاخير . قتل اميرهم ولم يسلموا . قد اقام ابن سعود ثلاثة اشهر في الرس ، منذ منتصف ربيع الثاني حتى منتصف رجب ، بينما كان ابن الرشيد في الشنانة ، وهم يتناوشون ويتهاجمون ويتطاردون كل يوم ، فل اهل نجد هذه الحال وخافوا ان يسري الهواء الاصفر اليهم ، فرفعوا اصواتهم متذمرين شاكين .

سمع ابن سعود الشكوى فارسل رسولا من كبار برهدة اسمه فهد الرشودي الى ابن الرشيد يدعوه للصالح ، فضحك ابن الرشيد وقال — متيها كما متهدداً : من ينبغي حكم نجد لا يتضجر . واهل صالح من بده قوة الدولة ؟ لا والله — لا صالح قبل ان اضرب برهدة وعنيزة والرياض ضربة لا تنساها مدعي الدهر . وانتم يا اهل القصيم لا يغرنكم ابن سعود . لا يغرنكم شاب طائش ينبغي الدرام ايأخذها

لامه الفقيرة .

رجع فهد الرشودي يحمل هذا الكلام الى ابن سعود ، فالتقاء في مجلسه دافع العين ، وحنمه قائلاً : « والله يا اهل نجد ما رأيت هناك الا ظالماً عتياً كفرعون ، ولا يبغي لنا غير ما كان من فرعون لبني اسرائيل » .

وكان الرشودي رجالاً حصيفاً رصيناً يحترمه الناس ، فأثرت كلماته فيهم تأثيراً شديداً . ولكن بادية ابن سعود كانت قد تفرقت ، ولم يبق لدية غير ثمانية من الحاضرة وثلاثة من رؤساء القبائل . اما السبب في تفرق البدو فهو انهم كانوا قد ملوا الحالة كما اسلفنا القول ، وكان فوق ذلك وقت الربيع فذهبوا يرعون مواشيهم . ولم يكن لابن سعود ان يكرهم على البقاء لانهم لم يكونوا من الجند ، بل من اولئك الذين يجيئون الامير متطوعين متكسبين .

على ان هذه الحال لم تنحصر في بادية ابن سعود فقط ، بل كانت قد ظهرت كذلك في عسكر ابن الرشيد . فقالت البادية تحاطبه : « هلك مواشينا وهلك اولادنا جوعاً ، فاما ان نرحل جميعاً فتمشي وراءك ، واما ان نرحل نحن وتركك وراءنا » . فأجابهم ابن الرشيد : « وكيف نرحل ولا ركائب عندنا لعساكر الدولة » (١) فقال رجال شمر : « كل قبيلة منا تقدم الركائب لقسم من العسكر » . فقبل ابن الرشيد وامر ان توزع امتعة العسكر اجمالاً على شمر . ولكن عندما اعتزموا الرحيل هجم ابن سعود عليهم بنخيله ليحول دون ذلك ، فتصادموا وثاروا من صلاة الفجر حتى غروب الشمس . خرج ابن الرشيد مع ذلك من الشنافة . وكانت البادية التي ارتحلت قبله ، قد تركته وراءها ، فراح ابن سعود بطارده الي ان اذنت الشمس بالمغرب . نصب ابن الرشيد خيامه اذ ذاك خدعة للمبيت ، ففدع ابن سعود ورجع بنخيله بعد ان اقام هناك بعض الحرس والكشافة . عندئذ شرع ابن الرشيد يتأهب للرحيل .

قد كانت خطة عبد العزيز الحربية انه ينهاك خصمه بالمفاجئات والمناوشات

(١) قبل ان ابن الرشيد خسر في وقعة البكيرية والمناوشات التي تبعها نحو عشرة الاف من الجبال .

فيضربه بعد ذلك الضربة القاضية . عندما عاد مساء ذاك اليوم الى الرس جاءه وهو جالس الى العشاء احد الكشافة يقول : رحل ابن الرشيد . فقام ورجاله عن العشاء وسارعوا الى الخيل يتقفون العدو ، فأدوا عندما قربوا منه سواداً خنوه غناً فاغاروا عليها ، فاذا بها عسكر الترك . وكان قد جن الليل ، فنازلوهم ساعة ، دون نتيجة تذكر ، ثم عادوا الى الرس .

اما ابن الرشيد فكان قد نزل الجوعى ، ودنا من قصر هناك يعرف بقصر ابن عقييل فيه سرية لابن سعود ، فهم في صباح اليوم التالي بالهجوم عليه . ولكن ابن سعود قبل رجوعه الى الرس الليلة السابقة ترك حراسه وكشافته حسب العادة في مكان معلوم ، ومعهم رجال من اسرته زودهم بهذه التعليمات : اذا رحل ابن الرشيد وقرب الحق (درب بين جبلي أبان) فارتدوا نحوهم وانتم ثقوه لظلوهم عالمين بمسيره . اما اذا مشى الى قصر ابن عقييل فعليكم انتم يا اهل سعود ان تسيقوه الى القصر لتشجعوا اهله وتقولوا لهم اننا مسارعون الى انجادهم . زحف ابن الرشيد الى القصر الذي لم يكن يخشى عليه الا من المدافع لانه حصن منيع ، فسبقه بنو سعود اليه ، وكانوا قد ارسلوا يخبرون عبد العزيز . وصل ابن الرشيد فنصب في الحال مدافعه كلها وشرع يضرب القصر . وعند ما علم ابن سعود بالحصار بعد ظهر ذاك النهار صاح برجاله قائلاً : « انهزم ابن الرشيد ونريد ان نعمل مناورة خارج البلدة » . فاستبشروا وخرجوا للمناورة ، فكشف النقب اذ ذاك عن قصده الحقيقي — امرهم بالزحف الى قصر ابن عقييل ! فترددوا لانهم لم يكونوا متأهبين للرحيل . لم يكن لديهم شيء من الماء والزاد . وقد كانت الساعة الاخيرة من النهار والمسافة امامهم لا تقل عن العشرين ميلاً .

خطب ابن سعود فيهم محرضاً مستنهضاً ثم قال : « انا واحد منكم ومثلكم . انتم ماتون وانا امشي . انتم حفاة وانا والله لا انحل . وهذا نعلي وهذا ذلولي . قال ذلك وهو يضع النعل في الخرج ويلقي بجبل الذلول على غاربه . ثم مشى امامهم حافياً ، فمشوا وراءه متحمسين . وعند ما وصلوا الى القصر قبل نصف

الليل بساعة ارادوا ان يهجموا على ابن الرشيد في ذاك الحين ، فنعم عبد العزيز لانه كان عالماً بما حل بهم من التعب والجوع ، فدخلوا القصر واستراحوا تلك الليلة . اما ابن الرشيد فبعد ان شغل مدافعه بضع ساعات دون طائل شد في صباح اليوم التالي للرحيل ، فتركه ابن سعود يرحل إبله ويحتمل اطوايه . وعندما مشى هو ورجاله وعسكر الترك خرجت الخيل للمفاجأة ، ومشى الجند السعودي من القصر وراءها ، فادركوا العدو في وادي الرثمة .

اناخ ابن الرشيد هناك وجمع جيوشه . ثم نصب المدافع وبني بيوت الحرب ^(١) فتهاجم الفريقان وثقارعا حتى منتصف النهار ، وكانت الغلبة اذ ذاك لابن الرشيد . ولكن ابن سعود عندما رأى جانحه الايمن متقهقراً هجم بقومه هجمة الاستبسال وهدم بيوت الحرب ، فاشتد الضرب والطعان ، فوأت عساكر الترك الاديبار . ثم انهزم ابن الرشيد وفر ورجاله هاربين .

اراد ابن سعود ان يتعقبهم ولكن الحملات واموال ^(٢) البادية حالت دون ذلك فشغلوا عنهم بها . شرعوا ينيهون وظلوا كذلك حتى جن الليل . ثم عادوا في اليوم الثاني والثالث والرابع ، بل استمروا عشرة ايام يجمعون عما ترك ابن الرشيد وعسكر الدولة في ساحة القتال من الامتعة والذخائر ، والاسلحة والمون ، والفرش والثياب ، ناهيك بالابل والغنم . وقد وجدوا بين تلك الاحمال صناديق من الذهب حملوها الى عنيزة مقر ابن سعود فوزعها مثل بقية الغنائم على ورجاله ولم يأخذ منها شيئاً انفسه . انها لغنيمة عظيمة . فقد كانت قسمة الواحد من الذهب والجمال فقط تراوح بين المئة والمئة والخمسين ليرة عثمانية وبين العشرة والعشرين بغيراً .

هذي هي وقعة التنانة والاحرى ان تدعى بوقعة وادي الرمة (١٨ رجب ١٣٣٢ هـ ٢٩ سبتمبر ١٩٠٤ م) وهي القسم الثاني من مذبة البكيرية التي قضت على عساكر لدولة وأغنت اهل نجد .

(١) بيوت الحرب هي بيوت من الشعر تنصبها القبائل لترمز عن ذمارها والندود عنه .

(٢) المال عند اهل البادية هو الانعام والجمال . ويطلق ايضاً على المواشي كلها .

الفصل السادس

الوزراء في اوضاعهم وبقرهم

قد نكبت الدولة نكبتين في البلاد العربية في هذه السنة (١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م) الاولى في نجد، والثانية في الين . ومن غريب التقادير ان الامام يحيى الشاب في صنعاء وابن سعود الشاب في القصيم كسرا الجيوش «المنصورة» كسرات شنيعة ، ورفعوا للسيادة العربية اعلاماً لا تزال تخفق في مماء الاستقلال . اما نكبة الدولة في صنعاء فتختلف شكلاً عن نكبتها في القصيم . هناك كلن جيشها محصوراً ، وهنا تشتت ما تبقى من الجنود بعد الوقعة الاخيرة فكانت حالتهم محزنة . فقد فر بعضهم مع ابن الرشيد ، وهام الآخرون في الفيا في كالسائمة ، ومنهم من لجأوا الى ابن سعود فأواهم وكسهم واعطاهم الامان .

اما ابن الرشيد الذي فر هارباً الى الكهفة — قرية من قرى حائل — فقد ارسل يستنجد الدولة مرة اخرى . وكانت الدولة كمن خسر في المقامرة فغامر . بقسم اخر من ماله املاً باسترجاع الخسارة . وقد غامرت بقسم كبير هذه المرة فارسلت احد رجالها الكبار المشير احمد فيضي باشا الذي اشتهر بشجاعته وبحسن سياسته ، وشفعنه برجل اخر الفريق صديقي باشا المتصف ببعد النظر وطول الاناة . جاء الاول بثلاث طوابير وخمسة اطواب من بغداد ، وجاء الثاني من المدينة بطابورين ، فالتقوا وعسكروا قرب القصيم .

لم تكن تقصد الدولة الحرب ، واكنها وقد رغبت في المفاوضة من اجل السلم ارسلت هذه القوة من جندها لتعزز جانبها . وكانت قد بعثت الى ابن سعود بواسطة الشيخ مبارك نقول انها تريد ان يفاوض اباه الامام عبد الرحمن ، وطلبت ان يوافي والي البصرة الى الزبير .

اجاب الامام طلب الدولة ، فسافر الى الكويت ، ومنها والشيخ مبارك الى

العزيز ، فاجتمعا هناك بالوالي ، وبعد المفاوضات في امور نجد والقصيم قرروا ان يكون القصيم على الحياذ ، اي ان يتكون منه مقاطعة مستقلة تقوم حاجزاً بين ابن الرشيد وابن سعود ، وان يكون للدولة فيه مركز عسكري ومستشارون .
لم يوافق الامام عبد الرحمن على هذا القرار . الا انه قبل ، اكراماً للشيخ مبارك ان يعرضه على اهل نجد . ولكن اهل نجد لم يقبلوا البتة ان يكون القصيم على الحياذ ، ولا ان يكون فيه حامية للدولة .

عند ما علم ابن سعود بعودة ابيه خرج يلاقيه الى الحسي ، فاجتمع به هناك وسار واياه الى شقرا ، فاقام الامام فيها واستمر عبد العزيز سائراً برجاله الى القصيم ، فنزل العماد التي تبعد خمسة وعشرين ميلاً عن بريدة الى الجنوب .
وكان فيضي باشا وصدقي باشا قد اجتمعا بابن الرشيد فتفاوضوا واختلفوا . اراد ابن الرشيد ان يضغط على اهل نجد ، وان يأخذ اهل القصيم بالسيف ، تخالفه المشير ولسان حاله يقول : الرأي قبل شجاعة الشجعان .

عاد ابن الرشيد بعسكره الى الكهفة حائفاً ، وركب المشير على رأس جنوده قاصداً القصيم ، فلما وصل الى بريدة ابى اهلها ان يدخل المدينة . ولكن واحداً منهم هو صالح الحسن من آل مهنا ارسل اليه رسولين هما ابن عمر ومحمد آل علي ابو الحليل يقول انه واتباعه يطلبون حماية الدولة والاستقلال .

ولكن اهل بريدة وعنيزة وتوابعهما من القرى لم يقبلوا بالسيادة او بشبه السيادة التركية ، فارسلوا الى ابن سعود يستشيرونه في المقاومة . وكان فيضي باشا قد ارسل رسولا الى الرياض يقول ان الدولة لا تبغي محاربة اهل نجد وانه جاء مسلماً . ثم ارسل الى ابن سعود في العماد يؤتمنه قائلاً : انني لا اريد الا السلم . ولست محققاً مقاصد ابن الرشيد . وقد سأله ان يلزم مكانه ويرسل اياه عبد الرحمن ليوافيه الى عنيزة للمفاوضة . فقبل عبد العزيز بذلك ، وامر الناس بان يخلدوا الى السكينة ، فلا يأتون عملاً عدائياً اثناء المفاوضات .

ركب الامام عبد الرحمن من شقرا الى عنيزة وسار فيضي باشا جنوباً فنزل على مقرنة منها . وقد تواجه الاثنان في المدينة ، فطلب المشير ان يكون للدولة

مركزان عسكريان الواحد في بريدة والثاني في عنيزة ، وذلك مؤقتاً ، الى ان يتم الصلح بين ابن سعود وابن الرشيد . ولكن اهل المدينتين ، الا صالح الحسن واتباعه ، رفضوا هذا الطلب ، فرأى الامام ان يقبلوه مؤقتاً ، واقنعهم بذلك . وكادت تتم المفاوضات على هذه الصورة لو لم تحمل دونها حوادث صنعاء اليمن . فقد كان الامام يحيى الشاب وعربانه قد شدوا نطاق الحصار على المدينة هناك ، وفيها ستون الف من الترك العسكريين والمدنيين ، وليس عند الدولة قريباً من مكان النكبة اقدر واشجع من فيضي باشا توكل اليه انقاذ ابناهما المشرفين على الموت . لذلك صدر الامر الى احمد فيضي بالاسراع الى اليمن ، فترك القصيم ومتساكلاً لصدقي باشا يحملها بالتالي هي احسن . تولى صدقي قيادة الجيش ونقل الى الشيعية فعسكر فيها . ولكنه لم ير «التي هي احسن» في بيت المتنبي او في عكسه . فلا «الرأي قبل شجاعة الشجعان» ولا «الشجاعة قبل الرأي» استنزته او هزت منه جراحة للعمل . اقام صدقي وجنوده في الشيعية لا محاربين ولا مفاوضين ، بل اقاموا هناك متفرجين ، وقد استأنف ابن سعود وابن الرشيد القتال .

الفصل السابع

كبريت الشيخ مبارك

بعد المفاوضات في السلم واثاءها سرت الى اهل القصيم روح التفاق والفوضى ، فكان فريق منهم مع الدولة ، وفريق مع ابن سعود ، واخر مع ابن الرشيد ، فعاد عبد العزيز الى الرياض وظاهر امره انه تفض يده من هؤلاء الناس المتذبذبين . عاد وهو يقول انه تركهم بين عدوين يحاملانهم ويشدان النير على رقابهم .

ولكن الفريق الاكبر ارسل الى الشيخ مبارك الصباح يسأله ان يتوسط بين ابن سعود واهل القصيم الذين لا ييغون سيادة غير سيادته . وكان عبد العزيز قد احس باقلا ب في سياسة الشيخ مبارك ، فاغتم الشيخ هذه الفرصة ليظهر انه الصديق الذي يرعى العهود ، فكتب الى « ابيدي عبد العزيز » يشير بالعود الى القصيم ، وبالعفو عن اهلهم لانهم مخلصون له ، ولا ييغون في البلاد غير السيادة السعودية .

ولكن رسل الشيخ مبارك كانت يومئذ « تدرهم » الى عبد العزيز الاخر حاملة كتب التودد والولاء التي اسفرت عن صلح بين الاميرين الصباحي والرشيدي ، عقد في آخر سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ان لهذا الصلح سببين : الاول هو ان الدولة العلية كانت نائمة على الشيخ مبارك ، وكانت يوسف آل ابراهيم ، عدوه الألد ، مسنمراً في عدائه . فسعى الشيخ في استرضاء الدولة لنصره على يوسف ، وكان من مساعيه هذه انه صالح حليفها ابن الرشيد . اما السبب الثاني لهذا الصلح فهو ذلك الشاب الغافر « ولده » عبد العزيز ، وكان قد بدأ يخشى امتداد سيادته في نجد ويخشى كذلك نتائجها في الكويت . كيف لا وسيد نجد ، اذا ما استولى على القصيم واجتاز الحفر ، لا يقف عند حد دون الخليج . ان

عمل الشيخ مبارك اذن هو من باب الدفاع عن النفس .
ولكنه ، وهو الداهية ، و « الحواقة » وصاحب السيف ذي الحدين ، ضرب
ضربات عدة صاردة ، بل كبا كبوات مضحكة . فقد كتب مرة الى سلطان
بن حمود الرشيد يقول ما معناه :

« اني متكدر جداً من اعمال ابن سعود ، وقد جرت الامور في نجد على
غير ما اشتعي . اما الان فانا واياكم عليه ، والكويت وحائل شقيقان ، ومصلحة
البلدين واحدة ، ولكم مني ما تشاءون من المساعدة الخ » .
وكتب الى ابن سعود يقول :

« اولدي يا اولدي . انا معك في كل حال وحين . قواك الله وتولاك ،
لا تترك هذا الكلب ، فخل الشول ، ولا تدعه يستريح ، ولا تصالحه . وانا
أبوك مستعد لمساعدتك في كل ما تريد » .

كذلك كان يحاول ان يضعف الاثنين في اغراء الواحد بالآخر وتحريضه على
خصمه . ولكن كاتب الديوان المبارك لم يكن موفقاً في تلك الساعة ، ساعة
كتب الى « الخصمين » فقد ارسل كتاب ابن سعود الى ابن الرشيد ، وكتاب
ابن الرشيد الى ابن سعود ! ^(١)

عندما استأنف الاثنان القتال جاء نجاب من الشيخ مبارك يحمل الى
ابن سعود كلمة وجيزة قاسية كتبت على قصاصة من الورق ، وفيها ان سيعلم
الحرب عليه اذا كان لا يعيد « منهوبات » ابن الرشيد . والمنهوبات هذه غنمها من
بعض قبائل العراق رجل من الظفير اسمه علي الضويحي ، وقد كان من انصار
ابن سعود ، فليس للشيخ مبارك حجة في تدخله بامره . ولكنه بعد العثرة التي
كان الكاتب سببها حاول على ما يظهر ان يصلح الامر مع امير حائل فلم يسعفه

(١) وقد كان مبارك لدهائه يلبس لكل حال لبوساً . بل زاه وهو يحرض ابن الرشيد
على ابن سعود يحرض ابن سعود أيضاً في نفس الوقت على ابن الرشيد ، تاريخ الكويت ،
الجزء الثاني — صفحة ١٢٦

القدر لان الامير وا اسفاه كان قد قتل في المعركة كما سيحيى في الفصل التالي .
 لله انت ايتها الاقدار ! فهل تحاولين ان تغلي الشيخ مبارك ؟ انه لا يغلب .
 فقد تجاهل قتل ابن الرشيد ، وكان قد بلغه الخبر بعد كتابة ما تقدم ، فارسل
 نجاباً اخر الى « اولدي عبد العزيز » يحمل كتاباً طويلاً عريضاً جاء فيه :

« اني لك دائماً يا اولدي يا عبد العزيز ، انا ابوك وعونك ، وعضدك .
 ولم اصالح ابن الرشيد الا لاقهر الترك . ولكنني مستعد ان امدك بما تحتاج
 اليه من المال والرجال المال مالك ، يا اولدي يا عبد العزيز ، والحلال حلالك » .
 ولكن ابن سعود اطلع على الحقيقة في حديثه مع النجاب زيد المعرقب الذي
 كان من رجايل الشيخ مبارك .

قال عبد العزيز يخاطب النجاب : « والدي الشيخ مبارك اخبرني انه امرك
 بان تكتم خبر قتل ابن الرشيد » .

فاجاب النجاب : « ما نام الشيخ والله من شدة الفرح عندما وصله الخبر » .

وكانت ساعة في معسكر ابن سعود مضحكة ، فكتب الى « والده » يعلمه
 بوصول الكتاب الاول وفيه التهديد بالحرب ، والكتاب الثاني وفيه التعطفات
 الطيبة ، ثم اخبره بذبحة ابن الرشيد ، وختمه بقول الشاعر :
 اذا كنت في كل الامور معاتسا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

الفصل الثامن

ذبحه ابنه الرشيد

قد المعت في ما تقدم الى الخلاف الذي كان متأصلاً في بريدة بين آل مهنا وآل عليان الاسرتين اللتين تنازعتا السيادة هناك . وقد ظهر هذا الخلاف في اشدّه يوم قتل مهنا ابو الخيل في اول عهد الامام عبدالله بن فيصل ، فشكى اولاد مهنا الامر الى الامام ، فلم ينصرهم على اعدائهم آل عليان . وظل الغل كامناً على ما يظهر في آل مهنا الى الوقت الذي نحن فيه من هذا التاريخ ، فتجسم في صالح الحسن الخارج على ابن سعود عبد العزيز .

وشرع صالح يتزاف الى الترك لتحقيق مآربه . بل اتخذ تلك الخطوة السياسية التي لتلون بالوان الحوادث والاحوال ، فاغضب ابن سعود وابن الرشيد معاً . وعند ما ارتحل ابن سعود من القصيم ، وظاهر امره التخلي عن اهله ، كان قصده الحقيقي ان يدع صالحاً وشأنه ، فيكون له من خطاه وعجزه التأديب الاكبر ، فيتأكد هو واتباعه انهم لا يستطيعون الدفاع عن انفسهم اذا شمر ابن الرشيد عليهم الحرب .

وقد كان وقتئذٍ في قطر ثورة اهلية ، او بالحري فتنة اثارها على الشيخ قاسم بن ثاني اخوه احمد ، وهو يبغى انتزاع الملك من يده . وكان كذلك القتال محتدماً بين العجمان وآل مرة ، فنصر الشيخ قاسم العجمان ، ونصر اخوه احمد اعداءهم ، فاشتدت الحرب بين الاخوين والقبيلتين ، فارسل الشيخ قاسم يستنجد ابن سعود ، فانجده حباً وكرامة . هي الفرصة التي اغتنمها عبد العزيز ليعبد قليلاً عن نجد ، فيخلو الجو لابن الرشيد لينتقم من اهل القصيم .

وقد صحّ حديثه . فعند ما سارع الى نجدة ابن ثاني ارسل ابن الرشيد سرية يقودها صالح العذل ومعه حسين العساف الى الرّس ، فاستولت عليه ،

فاجتمع بعض اهل القصيم في الشقة للدفاع ، وقد انضم اليهم عدد من العربان . ولكن ابن الرشيد فاز في هجومه عليهم فذبح اكثرهم ، وحاصر البقية في تلك القرية ، فضج القصيم وادرك صالح الحسن واتباعه ان ليس في امكانهم الدفاع عن انفسهم . بل ادركوا ان لاخلاص لهم الا يعون الله ثم باين سعود ، فارسلوا يطلبون من الشيخ مبارك التوسط بينهم وبينه كما جاء في الفصل السابق .

اما الحرب في الحساء وقطر فقد كانت الغلبة فيها اول الامر لآل مرة واحمد بن ثاني . فلما وصل ابن سعود حمل على القبيلتين معاً حملة شعواء فنفس الشيخ قاسم الصعداء ، وفر اخوه احمد الى البحرين .

ثم بلغت ابن سعود اخبار القصيم ، فعاد مسرعاً الى نجد . وارسل اخاه محمداً على رأس مرية تغزو قبائل ابن الرشيد ، فهجمت السرية على حرب وعادت فنزلت وادي السر .

اما صالح الحسن فارسل اخاه مهنا الى اهل عنيزة يرجوهم ان يرسلوا معه احد وجهائهم ليعاونه في استرضاء ابن سعود . وقد كانت هذا الوفد في الرياض يوم وصل اليها عبد العزيز عائداً من الحساء ، فاستقبله مرحباً به ، وعفا عنه وعن اصحابه . ثم توجه الى القصيم . ولكنه لم يكن في ذلك الحين قادراً على محاربة ابن الرشيد لسببين ، اولهما المحل في تلك السنة ، وثانيهما تفرق البادية ليهتموا بمواشيهم .

عند ما علم ابن الرشيد بقدوم ابن سعود خرج من منزله في البقيعة فاغار على الحميدان من عرب مطير واخذهم . ثم عاد فنزل القصيبة (١) وتكررت غزواته على قبائل ابن سعود وهو يتنقل من القصيبة الى الاجفر (٢) ومن الاجفر الى البشوك (٣) . اما ابن سعود فقفل راجعاً الى نجد ليستنفر العربان من عتيبة ومطير الاذنين ، فجمع جيشاً منهم وعاد به الى القصيم ، فاحسن عند وصوله ان صالح ابن الحسن

(١) القصيبة هي على مسير اثني عشرة ساعة من بريدة الى الشمال .

(٢) الاجفر هو بين القصيم وحائل في منتصف الطريق .

(٣) البشوك هو شرقي حائل على مسير خمسة ايام منها .

يسعى سرّاً في مصالحة ابن الرشيد . وقد جاء مع ذلك، ومعه قوم من اهل بريدة،
يتضم الى ابن سعود .

قبل ابن سعود صالحاً على علاقته ، وهو عالم بما خفي من امره، ونزل الاسياح
بجيشه الذي اصبح مؤلفاً من البادية والحضر ، فاقام هناك عشرين يوماً، وقد ثبت
صالح طيلة تلك المدة في ولاءه . ثم وسوس في صدره ذاك الذي وسوس في
صدر الناس ، فهم بان ينسحب وقومه من الاسياح ، فيبقى ابن سعود وعربانه
وخدمهم فلا يقدرّون على ابن الرشيد اذا اغار عليهم .

ولكن ابن سعود احسّ بما كان يجول في صدر صالح ، فنقل من الاسياح
الى الزلفى ^(٤) ليبعد عن القصيم . فلما وصل الى مكان اسمه البنجية استأذنت
صالح بالرجوع الى بريدة ، فاذن له بالرغم عما بدا من خيائنه .

عاد صالح الى بريدة وسار ابن سعود الى الزلفى يجمع الرجال لجيشه . ثم
رحل منها فزل غديراً بالقرب من الارطاوبة ، فانضمت اليه قبائل مطير التي
يرأسها فيصل الدويش . قد بلغه وهو هناك خبر الصلح الذي تم بين الشيخ
مبارك الصباح وابن الرشيد . ولم يكتبف الشيخ مبارك بذلك بل كتب الى
صالح الحسن يحرضه على مثل عمله .

عاد ابن سعود مسرعاً الى القصيم في شهر محرم من هذا العام ،
ومعه جيش لا يتجاوز الالف وستمئة مقاتل ، منهم الف
ومتان من اخفر واربعمئة خيال من البادية . وكان ابن الرشيد نازلاً الثوير في
عقلة الزاني ، وهو مكان وعمر كثير الرمال ، فسرى اليه فلم يدركه هناك .
وكان البوء من ايام الربيع العاصفة الماطرة التي لا يستحبها العرب في الغزو
او في الحرب . فقد يدنو المتحاربون بعضهم من بعض دون ان يشعروا بذلك ،
فإذا هجّاة في المهلكة الكبرى .

مشى ابن سعود ورجاله حتى اصيل اليوم التالي لذلك الاسراء ، فوقفوا اذ ذاك لانهم

(٤) الاسياح عيون هند العروش على مسافة اربعين ميلاً من بريدة شرقاً بشمال
والزلفى تبعد خمسين ميلاً عن الاسياح الى الجنوب .

لم يستطيعوا لشدة الامطار والرياح ان يواصلوا السير . وكان ابن الرشيد يتراجع ليصل الى الشقة ، فيجتمع هناك بصالح الحسن الذي جاءه مصالحا مناصراً .
عاد كشافة ابن سعود يخبرون بان العدو هو على مسير ساعتين منهم وقد نزل روضة منها .

الى الروضة اذن ! مشى عبد العزيز ورجاله على الاقدام كي لا يشعر العدو بقدمهم . ولكن بعض كشافة ابن الرشيد رأوه فبادروا الى اميرهم بالخير . استيقظ عبد العزيز بن الرشيد وشرع يجمع جيشه الذي كان مؤلفاً من مئمة من الحضرة والف ومئتين من خيالة البدو .

وصل عبد العزيز بن سعود الى ساحة القتال ، فهجمت رجاله على من تحفر من رجال ابن الرشيد ، فتصادم الجيشان وتواقعا تحت جناح الليل في ١٨ صفر (١٤ نيسان) من هذه السنة ، فنقهر الرشيديون ، فاحتل السعوديون مراكزهم . وكان عبد العزيز الرشيد ركباً حصانه يدور في معسكره مستنهضاً محرضاً . فلما وصل الى المكان الذي كان فيه فرقة من جنوده ظن انها لا تزال هناك ، فصاح بجامل البيرق يحرضه على الهجوم :

« من هان يا الفريخ (اسم صاحب البيرق) من هان يا الفريخ » !
واين الفريخ ؟ قد نقهر واسفاه مع المنقهرين ، فحل محله بيرق ابن سعود — « من هان يا الفريخ » !

عرف رجال ابن سعود الصوت فصاحوا : ابن الرشيد ! ابن الرشيد !
ثم تكلم الرصاص .

أطلقت البنادق السعودية على الامير التائه ، فخر صريعاً وفيه بضع وعشرون رصاصة .

— « وهذا سيفه وهذا خاتمه يا لأمام » .

...

كان عبد العزيز بن متعب بن الرشيد في الخمسين من سنه يوم ذبح هذه الذبيحة في روضة منها بالقرب من برودة . وتدعى الوقعة بذبيحة ابن الرشيد .

متعب سراح من كانوا مأسورين من آل سعود في حائل ، فجاءوا بربدة واقاموا فيها .

بعد عقد تلك المعاهدة واجلاء صالح الحسن عاد عبد العزيز الى الرياض ، وما كاد يستريح من الاسفار حتى جاءه مخبر يقول ان الاتراك في اطراف القصيم يحاولون استمالة بعض البادية اليهم ، وان لفصيل الدويش بدأ في المسئلة .
شد عبد العزيز على الدويش ، بعد ان تحقق خيائته ، فاغار على بعض قبائله واخذها . ثم عاد الى بريدة وأظعن من كان فيها من آل سعود ، اي امري حائل الذين ذكرهم ، الى الرياض ، ولم يبق معه هناك غير حاشيته ، فاطمان اهل القصيم ، خصوصاً المناوئون منهم . ولكن امراً جديداً ازعجه ، وهو ان ابن الرشيد كان يفاوض الاتراك في الشيعية ويزين لهم الانسحاب منها الى حائل ، وقصده في ذلك ان يأخذ ما كان معهم من عناد الحرب والذخيرة . كأنه يقول اعطونا سلاحكم اذا كنتم لا تمارون .

ولا كانت الدولة راضية عن صدقي باشا وخطئه — لا حرب ولا سلم ولا مفاوضات — فأمرت كبيراً اخر من كبار جيشها وساستها هو سامي باشا الفاروقي ، الذي كان يومئذ في المدينة ، بالسفر الى حائل للمفاوضة مع ابن الرشيد . جاء سامي باشا واجتمع بالامير متعب في سمير ، قرية من قرى حائل ، فانفق واياهم على ان يكون القصيم في حوزة الدولة . ما خسر ابن الرشيد شيئاً في هذا الانفاق لانه وهب ملكاً لم يكن يومئذ له .

ثم جاء سامي باشا الى القصيم ليفاوض الفريق الثاني وقد ظنه كالاول ، فعزل صدقي باشا وتولى بنفسه قيادة الجيش في الشيعية ، وارسل الى ابن سعود يطلب مقابلته ، فوافاه الى البكيرية ، ولكن المذاكرة كانت مناكرة . فقد اصطدمت في الجلسة الاولى الارادتان ، والتهت الرعنان التركبة والعربية . لم يكن الفاروقي لين العريكة ، ولا لبس للحالة ابومها .

قال بمحاطب ابن سعود : « ولكن اهل القصيم يريدون ان تكون السيادة في بلادهم للدولة » . فاجابه ابن سعود قائلاً : « ليس لاهل القصيم رأي في الامر ،

من رجاله لينبئه ، فيكون متأهباً ، بانه هاجم عليه في اليوم الثاني بعد صلاة الفجر . وما كان جاداً في ما فعل . ولكنها تهويله جاءت بفائدة . فقد ارسل الباشا ثلاثة من ضباطه مع رجال ابن سعود مسترضياً ، فجاء الضباط يقولون ان الباشا وعسكره ضيوف عليكم واحسبوهم في معيتكم .

صفا الجو ، او ان الرياح سكنت اكراماً لرمضان ، فصام ابن سعود في عنيزة ، ولكنه علم يوم العيد ان ابن الرشيد يواصل السعي في استقدام عساكر الترك الى حائل . فجهز لحينه حملة من اهل القصيم ونزل الى البكيرية . ثم ارسل الى الفاروقي بلاغاً — وكان هذه المرة جاداً — يخبره بواحد من امرين ، اما ان ينقل بجيشه في خمسة ايام الى وادي السر (فيحول بعده عن القصيم دون المفاوضات وابن الرشيد) واما ان يرحله ابن سعود من نجد ، فيرسل الجنود العراقية الى العراق والجنود الشامية الى المدينة . واذا رفض احد الامرين فهو هاجم عليه لا محال .

عند ما علم الجنود ، خصوصاً الضباط بهذا البلاغ ، قاموا يطلبون من سامي باشا الاذعان ، بل طلبوا منه ان يرحلهم الى بلادهم ، وقد هدده البعض بالقتل اذا لم يفعل ، والبعض قالوا انهم سينضمون الى جيش ابن سعود .

قبل الباشا بترحيل الجنود ، ولكنه اشترط ان يضمن عبد العزيز سلامتهم وسلامة معداتهم في الطريق الى المدينة والى بغداد . قبل عبد العزيز بذلك ، واشترط ان ينقل الجنود العراقيين الى بربرة فيبقون فيها الى ان يصل سامي باشا بجنوده الى المدينة ، لانه خشي ان يسير الباشا الى حائل فينضم الى عسكر ابن الرشيد وبعيد الاثنان الكرة عليه .

وقد كان عبد العزيز صريحاً على عادته ، فقال للفاروقي : « اذا مرتم الى المدينة رأساً رحلنا جنود العراق ، واذا حدثم عن الطريق ذبحناهم . وسنكون عالمين بمسيركم » .

ثم دعا عبد العزيز لاسماط شيوخ حرب ، التي كانت قد حملت عساكر المدينة عندما جاءوا الى نجد ، وبعد الطعام خاطبهم قائلاً : « انتم جئتم بالترك من المدينة

وانتم مرجعهم ان شاء الله . وستبقون عندنا الى ان يصلوا سالمين » .
حمل عربان حرب العساكر وامتعنتهم وعتادهم على الجمال وارتحلوا ، وبعد
اسبوعين جاء ابن سعود بنجاب يقول انهم اجتازوا الحناكية ورحلتهم المدينة ،
فاصر اذ ذاك ان تجهز الركائب للعساكر الذين في برودة ، فرحلوا آمنين شاكرين
الى العراق .

وبعد شهرين ارسل السلطان عبد الحميد يشكر الامير عبد العزيز بن سعود
على معاملته عساكر الدولة تلك المعاملة الشريفة ، ويسأله ان يرسل احد رجاله
لمقابلته . فارسل صالح العذل ومعه اثنان اخران الى الاستانة ، فنزلوا ضيوفاً على
الحضرة الشاهاية ، ومنحوا الالقاب والنياشين ، وسمعوا من الوزراء كلاماً سياسياً
لم يجيبوا عليه بشيء ولا أثر بعدئذ شيئاً للدولة .

اتيح لي الاجتماع بصالح باشا العذل يوم كنت في الرياض ، فالفيتة شيخاً
جليلاً يحمل في ايام السلم عصاً من الشوحط ، ومثل أكثر اهل نجد لا يكثر
الكلام . اجتمعت به في مبغروق يوم خرج عظمة السلطان للنزهة وكنا في
معيته . وكان عظمته قد حدثني عن ذاك الوفد فرغبت في التعرف الى احد
رجالهم ، ففاجأني عند ما كنا جالسين في ذاك الغار قائلاً : « هذا صالح العذل »
ثم ناداه : « يا باشا ياماها تعال تعرف الى الاستاذ » . جاء صالح يتسم وجلس
مثلنا على الارض ، فسأله اذا كان قد سر في اقامته بالاستانة ، فاجاب موجزاً :
« ما سررنا بشيء مثل سرورنا يوم رحلونا منها » .

الفصل العاشر

بئر الظافر

بعد ترحيل عساكر الدولة الى المدينة المنورة واثى بغداد خرج على ابن سعود .
اثنان من رؤساء مظير هما فيصل الدويش ونايف بن هذال فتحالفوا وامير يـ
بريدة وحائل عليه .

ولكن اهل بريدة ظلوا اجمالا موالين . وقد كان لعبد العزيز في تلك المدينة
زوجة يزورها من حين الى حين ، فلما بلغه خبر خروج ابن الدويش وابن هذال ،
وهما من اتباعه ، سارع الى القصيم متحققا متأهبا معا ، وارسل عندما قرب من
بريدة الى شلهوب^(١) احد خدامه فيها يخبره بقدومه ذاك النهار .

وكان قد عسكر في غدبر قرب الشقة^(٢) يدعى المغر فشاعت اشاعة ان ابن
الرشيد هاجم عليه هناك . خرج عبد العزيز بنفسه مستكشفا ، فلم يجد ما يشغل
البال او يستحق الاهتمام ، فعاد الى معسكره ينأهب لزيارة المعزبة^(٣) ، وكان
النهار قد شد للرحيل .

لبس عبد العزيز الفخر ما لديه من الثياب ، فبدت خلال العباءة كأنها من
نسج الشمس الغاربة . زبون (انباز) من الكشمير الثمين ، فوقه رداء من قماش
آخر هندي تترج الوانه الزاهية بعضها ببعض ، وفوق الاثنين ، بين عباءة الوبر
والرداء ، « كرك » (معطف) مزركش بالقصب .

خرج الظافر ينالاً وبنوح طيباً ، كأنه ظفر بالشمس فسالها بهاءها ،
وغنم ازاهم الارض فبطن بها عباةته ، فسرى تحت جناح الليل تحف به سمة

(١) هو هو الشلهوب الذي صار بعدئذ امير المال والتموين في سلطنة نجد . راجع
« ملوك العرب » الجزء الثاني صفحتي ٨٨ و ٨٩ .

(٢) الشقة قرية من قرى بريدة على مسير ساعتين منها .

(٣) المعزبة ، وهي شائمة في نجد ، والعازبة امرأة الرجل .

من الخدم ، ويمشي منية قلبه جيش من الشوق . ولكنه عندما دنا من بربرة ، ولم يكن بينه وبين تلك المنية القصوى غير مسير نصف ساعة ، التي يرسل من خادمه شلهوب جاء يقول ان محمداً ابا الخليل (امير بربرة) قد اقبل القصر وهو متأهب للحرب .

وكأن الليل حالف ابا الخليل ، فقصف في تلك الساعة الرعد ، ولعلع البرق في السماء ، فهطلت الامطار ، وهبت الرياح ، وامسى الظافر حائراً باثراً ، لا يستطيع الدخول الى بربرة ، ولا الرجوع الى معسكره وقد بعد عنه مسافة ثلاث ساعات .
يا لها من ليلة عاصفة ماطرة ، ليلة ظلمتها دامية . ويا لها من خيبة ليلها اشد من تلك العواصف والظلمات ! لمز الظافر فرسه وقد قفل راجعاً ، فسمع بعد قليل كلباً ينبع ، فساقتها نحو الصوت ، فاذا هناك بيت من الشعر ، فترجل امامه ينني ملجأ من المطر الهطال .

وما كان البيت غير خيمة صغيرة طولها ستة اذرع وعرضها نصف ذلك ، وفيها طائفة من البشر والمعزى . تكلم عبد العزيز : « يا اهل البيت نحن ضيوفكم » . فاجابوه ولم يعرفوه : « اهلاً ومرحباً . ولكن البيت ضيق وذا الليل يسود الوجه » . لم يقبلوا غير واحد من الريع ، فظل الخدم خارج الخيمة .

دخل عبد العزيز فرأى هناك عشرة انفار ، كبار وصغار ، فيهم عجوز مريضة وشائب مجنون ، فجلس على رحل قرب الباب وقد ضم يديه بين جنبيه ، وهو يرتعش من المطر الذي اخترق ثيابه . وكانت الجديان ، وهو في تلك الحال ، ثلب على كتفيه ، والمعزى تبول امامه ، والمطر يصب من سقف الخيمة ، والمريضة في الزاوية تنن ، والمجنون يصيح ، والصغار يبكون ، والكبار السالمون من علل الحياة يتصاحبون .

جلس على ذاك الكور ، في تلك الخيمة ، وهو يتأمل حالتها وحالته ، وبود لو كان ابو الخليل تحت سنايك ذاك الليل ، او في مجاري السيل ، او في مخالب العاصفة ، او تحت ذاك السقف الزارب بين العجوز المريضة والشائب المجنون .
هي ايلة الظافر ! وعندما اسفر الفجر ركب فرسه وعاد الى الشقة ليبس

ثيابه وينظفها . وقد امست ، وهي مثقلة بالماء والوحل والاقذار ، أكره لديه من أبي الخيل . فلما وصل الى تلك القرية رأى جدران بيوتها تنهار من شدة السيل والامطار ، فأمر بيت الأمير ، وكان لا يزال يملك غرفة ذات سقف وفيها نار مشبوبة ، فشكر الله على ذلك .

بعد ان ينس عبد العزيز ثيابه ، وازال منها الاوحال ، ركب يقصد بريدة ، فلما وصل الى القصر وجده مقفلاً . قرع الباب فسئل : من انت ؟ فاجاب : « انا ابن سعود » ، فلم يسمع من كانوا داخلاً الا ان يفتحوا .

وعند ما واجه ابا الخيل رآه يرتعد خوفاً فسأله قائلاً : « ما بالك قبح الله وجهك » فاجابه : « افترى الناس علي . هم يكذبون والله في ما يقولون » . فقاطعه عبد العزيز قائلاً : « اسكت ! ما بين امرك الا انت » .

لم يقل أكثر من ذلك . وقد اقام يوماً في بريدة مستطلعاً الاخبار فتحقق خيانة رؤساء مطير ، وسارع الى محاربتهم ، فاضطر اثناء ذلك ان يصالح اعداءه في بريدة ، فعفا عن زعيمهم أبي الخيل محمد .

سألت عظمة السلطان وهو يلي علي اخبار هذه الحوادث : « وكيف تعفو عنه بعد تلك الليلة المشؤمة ؟ » فاجاب فوراً : « مكره اخوك لا بطل »

الفصل الحادي عشر

تهددت الاعضاء

حالت في حائل الاحوال ، فجرى الدم في بيت الرشيد ، وتولى الامارة سلطان بن حمود ، احد الاخوان الثلاثة الذين قتلوا ابناء عبد العزيز الثلاثة اي الامير متعباً واخويه ^(١) . وقد بائس سلطان حكمه بالمخاتلة ، فارسل نجاباً الى عبد العزيز بن سعود يطلب الصلح ، وارسل في الوقت نفسه يخطب ود اهل نجد والقصيم ويستنصرهم عليه .

وبينما كان نجاب السلم عند ابن سعود جاءه رسل من الزعماء في تلك النواحي ومن بعض رؤساء البادية يحملون الكتب التي كتبها اليهم امير حائل الجديد . غضب عبد العزيز وهم بطرد النجباء ، فاوقفه والده الامام واثار عليه بقبول ما جاء من اجله ، فقبل بذلك مشروطاً على سلطان الشروط التي اشترطها على سلفه متعب اي ان امارته تنحصر في حائل والجليل ، وسيادة ابن سعود تبعه نجد والقصيم .

عاد رسول السلم الى سيده ، وراح ابن سعود غازياً بعض القبائل ٥١٣١٥
٢١٩٠٧ المنقلبة في الجنوب . ثم جيش جيئاً من بادية مطير ومن الحضر وزحف به الى اطراف القصيم لانه علم ان سلطاناً أخل بشروط الصلح . سار عبد العزيز الى بريدة فاجتمع هناك ببعض الزعماء وفيهم ابو الحيل محمد ، فاثاروا عليه ألا يصلح ابن الرشيد . قالوا ان الحرب اولى ، وان ابن الرشيد لا يركن اليه .

وكان عبد العزيز قد تحقق ذلك من كتب سلطان الى رؤساء اهل نجد والقصيم ، فلم يماره الريب في اخلاص هؤلاء الزعماء وفيهم من اصدقائه السابقين (١) في الفصل الثاني والثلاثين ذكر هذه الذبحة وتفصيلها .

شيخان من مطير هما فيصل الدويش ونايف الهذال . لذلك زحف الى حائل غازياً .
ولكنه لم يتوفق في تلك الغزوة ، كما انه لم يتوفق في وضع ثقته بالدويش
والهذال ، اذ بعد ان علما بفشله تعاهدا وابا الخيل على ان ينصرا ابن الرشيد عليه .
عندما تحقق عبد العزيز ذلك — عند ما ادرك ان قد نفلت مطير من يده
وخرجت بريدة عليه — راح يستنجد عتيبة عدوة شمر ومطير ، فافلح بعض
سعيه . وعندما هجم سلطان على قافلة له كانت خارجة من القصيبة ، فاخذها
وامن رجالها ثم قتلهم ، شد عبد العزيز عليه ، فلم يدركه لانه كان قد عاد الى
حائل .

عرج ابن سعود على بريدة وارسل منها الكشافه فالتقوا في الطريق برجل
رابهم امره فقتلوه ، فوجدوا معه كتاباً من محمد ابي الخيل الى سلطات الرشيد
يعاهده فيه على ابن سعود .

تعددت الاعداء والخيانات . ولكن خيانة فيصل الدويش انارت في عبد
العزيز اسد الغضب والحق ، فراح يدير وسيلة للانتقام . وكان من تدبيره انه
اذن لعرب عتيبة بالرحيل ليقال انهم خذلوه . ثم صالح اهل بريدة وعفا عن
زعمائها كما اشرت في الفصل السابق .

ولكنه عندما اذن لبوادي عتيبة بالرحيل ضرب لهم موعداً في مكان يدعى
الجملة ، فاجتمع بهم هناك ، واغاروا بغتة على الدويش في جهة سدير ، فلاذ
بالمجموعة التي كان فيها يومئذ حامية لابن الرشيد ، فادركوه ورجاله في بساينها
وفتلكوا بهم ، فهزموهم شراً هزيمة ، وغنموا اموالهم كلها .

بعد هذه الواقعة التي جرح الدويش فيها جاء كبار مطير مستسلمين
مستغفرين فاعطاهم ابن سعود الامان . ثم عاد الى الرباض . ولم يكد يتم الشهر
هناك حتى جاءته الاخبار مثبتة خيانة ابي الخيل الذي كان قد عقد وابن الرشيد
عبد الصالح والولاء .

استنفر ابن سعود بوادي قحطان وعتيبة ، ورفض من جاء ينضم الى جيشه
من مطير النابيين واهل بريدة لانه لم يكن ليثق بهم . اما ابن الرشيد فكان قد

غزا بعض عربان ابن سعود فلم ينل منهم مغنا . بل غشى جيشه الظلم فمات عدد كبير من رواحله وخيله ، فعاد الى الجبل ونزل الكهفة .

اما ابو الخليل فاستمر عاصياً طاغياً ، بالرغم من عفو ابن سعود وبالرغم من توسط ابن سليم امير عنيزة . وكان من رجال مطير «التائبين» ما توقعه عبد العزيز فانضموا وطاغية منها الى جيش ابن الرشيد ، الذي جاء الى بربرة فنزل على المياه في جوارها .

اما عربان ابن سعود ، قحطان وعتيبة ، فانحدروا يلبونه ونزلوا العرض ، ثم اجتمعوا بمن نفروا اليه من الحضرة بوادي السر وزحفوا شمالاً يقصدون بربرة . تصافت القبائل ، فكانت شمر وحرب ومطير مع ابن الرشيد وكانت عتيبة وقحطان مع ابن سعود .

وهناك اخر من الامراء انصار ابن الرشيد لا يستهان به ، الا وهو الشيخ مبارك الذي كان مخلصاً لكتاب ديوانه في الاقل فلم يعزله بعد تلك الزلة . وقد جاء ثانياً بمثاها . ففي الكتب التي وصلت الى عبد العزيز من «والده» في الكويت كتاب الى سلطان الرشيد ، أرسل خطأ الى خصمه ، وفيه يحرضه على ابن سعود ويأجج عليه بالانفاق واهل القصيم .

كتب عبد العزيز الامر ونقدم بحيشه من السر الى المذنب ، فجاءه هناك رجل يدعى عبد العزيز بن حسن من اهل القصيم ، ولكنه كان من خفية ابن سعود ، فاخبره ان الشيخ مبارك أرسل يتوسط بالصلح بين اهل القصيم وابن الرشيد . لم يكن عبد العزيز يحتاج الى هذه البيّنات في انقلاب «والده» ابن الصباح عليه ، وقد تعددت امثال فعلته هذه الحرباوية . ولكن عذر صاحب الكويت في ذلك انه كان ينشد دائماً التوازن في نجد ، ويسعى في تحقيقه والمحافظة عليه ، لانه اذا اختل التوازن اختلت في رأيه الشؤون كلها ، وفيها شؤون الكويت .

تقدم ابن سعود الى عنيزة فعلم ان معسكر سلطان هو خارج بربرة على مسير ساعة من قصرها ، فسرى يريد الهجوم عليه ، فعلم سلطان بذلك ، ونقل الى

قرب القصر .

لحق به ابن سعود فتناوش الفريقان مراراً دون ان يتمكن بعضهم من بعض . على انه في احدى الغارات كبت فرس عبد العزيز فوق وقع مشومة ، فكأسر عظم في كتفه اليسرى وأغمي عليه .

وكان فيصل الدويش قد جاء ابن الرشيد فزعاً فأنزل اهله الطرفية^(١) وتقدم بجيامة ورجاله الى بريدة . فلما دنا من عسكر ابن سعود خرجت اليه سرية فنازلته وهزمته ، فقتلت عدداً من رجاله وغنمت كثيراً من الابل . ثم ثقفت من ثقبه قروا ، وهجمت بعد ذلك على الطرفية فذبحت اهل الدويش واستولت على البلد .

اما عبد العزيز فعاد بعد وقعته يتبع السرية التي هزمت الدويش ، فوصل العصر الى الطرفية وعسكر فيها ، ولم يشعر حتى الليل بالم في كتفه شديد حرمة النوم واقعده .

دعا قواده وهو في تلك الحال يخاطبهم قائلاً : « ابن الرشيد واهل بريدة هاجمون عايكم هذه الليلة فتأهبوا وكونوا متيقظين . بشوا الحرس والكشافة في الطرق ، وحصنوا القصر » .

وكان قد انتصف الليل عند ما جاء رجل من بريدة يقول ان ابن الرشيد ورجاله قد خرجوا وهم يريدون المهاجمة .

لم ير القائد الذي بلغه الخبر ان يزعمج عبد العزيز به وهو في تلك الحال ، خصوصاً وان الجيش كان مستعداً للدفاع .

ولكن امرين افسدا ذاك الاستعداد . فقد تأخر ابن الرشيد فنامت الجنود ، وقد سلك الى الطرفية طريقاً غير الطريق المعروفة ، فلم يشعروا الا وهو ورجاله في وسط المعسكر .

هجمت البادية من جهة عليه ، وهجم اهل بريدة من الجهة الاخرى ، وهم يبنون احتلال القصر . ولكن الحرس افاقوا الحامية فصادتهم وصدتهم عن الدخول .

(١) الطرفية هي على مسير اربع ساعات ونصف ساعة من بريدة الى الشمال .

اما ابن الرشيد ورجاله فتقدموا هادئين لياغتوا السعوديين وهم نيام . ولكن بعضهم استيقظوا ، فتصادموا والمهاجمين ، وتضاربوا بكهاتب البنادق ، ثم بالسيوف ، فسالت الدماء وعلت الاصوات . — على المشركين ! على الخونة !
أطلقت عندئذ البنادق فهب العسكر كله للقتال ، الذي استمر حتى الفجر ، فبدت اذ ذاك المياه الجارية بين النخيل وقد احمرت من دم القتلى .

— « صبحناكم لا صبحتكم العافية » .

هي الكلمة التي كان يرددها السعوديون عندما ثقفوا الرشيديين المنهزمين .
قتل في هذه الواقعة التي تدعى بوقعة الطرفية (٥ شعبان ١٣٢٥ = ١٤ ايلول ١٩٠٧) ثلاثون من رجال ابن سعود وثلاثمائة من رجال ابن الرشيد . وقد كان الفضل في هذا النصر للحضر في الجيش السعودي . اما البوادي فشردوا ، ثم عادوا بعد بضعة ايام .

الفصل الثاني عشر

كسرة ابي الخليل

قلت في ما تقدم ان ابا الخليل من آل مهنا الذين كانوا متأمرين في بريدة ،
وانهم كانوا معادين لآل سعود منذ عهد الامام عبدالله بن فيصل عم عبد العزيز .
اما اهالي بريدة ، او الاكثرية فيهم ، فكانوا يشكون حكم آل مهنا ويودون
التخلص منه ، بل كانوا متقلبين ، متذبذبين . لم يستطيعوا ان يقاوموا اميرهم
ابا الخليل ، ولا ان يعاونوا عدوه ، فكانوا يوماً معه ، ويوماً عليه ، باطناء او ظاهراً ،
شأن المستضعفين المستنصرين . وكانوا في انقلابهم وتلونهم اسرع من اميرهم
واسبق ، فقد طالما خدع ابن سعود ، وابن الرشيد ، وابن مهنا نفسه بما كانوا
يظهرون او يبتغون .

بعد وقعة الطرفية عاد الى بريدة من سلموا من اهلها وفر ابن الرشيد وباديته
الى حائل ، فزحف ابن سعود في اليوم التالي ليلتبع البريديين ، فاغارت كوكبة
من الخليل على المدينة وغنمت المواشي التي كانت خارج السور . ثم نزل في الزرقاء
شمالاً واباح لعسكره القرى التي ساعدت اهل بريدة ، فجاء اهلها في اليوم التالي
يطلبون العفو فعفا عنهم .

اما اهل بريدة فظلوا عشرين يوماً داخل البلد كانهم في حصار ، فلم يخرجوا
لا موالين ولا معادين . ولكن فريقاً منهم ارسل يخبر ابن سعود مرأب ابا
الخليل مستول على المدينة بمن معه من رجال ابن الرشيد ، وانه اذا هو انسحب من
جوارها يتيح لهم ان ينهضوا على اميرهم وجيشه الشمري .

وكان هؤلاء الشمريون قد عابوا سلطات الرشيد في انهزامه وفراره الى
حائل ، وطلبوا منه ان يعود فعاد ودخل بريدة ليلاً . فلما علم ابن سعود بذلك
مشى الى عنيزة فنزل على مسير ساعة من بريدة ، ففاجأت خيالة ابن الرشيد

رعاة له فأخذوهم . وقد حدث يومذاك قتال اشتركت فيه البدو ، فقطعت الحضرة ساقاتهم اي حمتها .

ان الحضرة في الجيوش العربية كالجنود النظامية . اما البدو فبدوهم ، وامرهم عجيب ، قد اسلفت القول ان بوادي ابن سعود شردوا في وقعة الطرفية ، ثم عادوا اليه . ومن عاداتهم ان يميثوا ويروحوا ، ان يجاربوا ويشردوا كما توحى اليهم النفس او ترشد لهم الحوادث .

وفي القتال امام بريدة هجم جيش البادية فاحتاط ابن سعود للامر بان جعل الحضرة في مؤخره ليمنعه من الفرار اذا احس بالهزيمة . ولكنه كان في ذلك اليوم منتصراً فتراجع قوم ابن الرشيد ودخلوا البلد .

استمر ابن سعود في سيره جنوباً فنزل عنيزة ، ثم نقل الى البكيرية ، ثم الى الرس ، يجمع اليه المقاتلة من الحضرة . اما سلطان الرشيد فعاد الى الجبل ، وقد ترك اخاه فيصلاً في بريدة ليكون عوناً لابي الخليل على اهلها ، بل ليظل بعيداً عن حائل . ولكن فيصلاً اختلف وطاغية منها فهجره ، وعاد الى الجبل فاجتمع باخيه الامير الحاكم واغضبه ، فارسله الامير بمهمة الى الجوف ، وقصده الابعاد . وكان ابن سعود قد نقل من الرس الى جهة عنيزة ، فنزل هناك في جبل يدعى سواج وهو يترقب الفرص للهجوم . فلما علم بما جرى بين فيصل واخيه سلطان سارع الى الجبل جبل شمر . ولكن البدو ، وهو في منتصف الطريق ، هجروه ، فاستمر مع ذلك سائراً ، ونزل بقومه على ماء سقف ، فوجده هناك قبائل من حرب ، فاغاروا عليهم وغنموا كثيراً من اموالهم .

لم يتوفق عبد العزيز في زحفه الى الجبل ، فعاد الى الرياض . ثم رجع في الشهر التالي الى القصيم ، فلاقاه جاسوس من بريدة ليخبره ان اهلها مستعدون اذا وصل اليهم ، ان يهجموا على ابي الخليل .

لما ابن سعود حصانه ، وراح يبعثه مسرعاً ، فوصلوا الى المكاتب المعينة للاجتماع خارج البلد فلم يجدوا احداً هناك .

لله انتم يا اهل بريدة ! عض عبد العزيز على نواجذه وعاد الى عنيزة ، فجاءه

بعد سبعة ايام رسول منهم يقول انهم متأهبون للهجوم ، فزحف زحفه ثانية كانت كالاولى عقيدة الفشل .

ولكنه نزل الاخضر ، على مسير ساعة ونصف ساعة من المدينة ومشى اليها بالجنود مرتين على «الانصار» يخرجون اليه ، فلم يخرج احد منهم .

ثم بلغه ان سلطان بن الرشيد زاحف من الجبل لينجد اهل بريدة ، اى الرشيد بين فيها ، فشد ابن سعود وبادر اليه ، ليصده عن ذلك ، فعلم عندما وصل الى كهفة ان الخبر مكذوب . وكان برغش بن طوالة ، من رؤساء شمر ، نازلاً ماءً قهده بالقرب من جبل سلمى هناك ، فسرى يريد الهجوم عليه . فلما رآه ابن طوالة مقبلاً ساعة الفجر اركب الحريم على الخيل سافرات فجئن يلاقينه مستعطفين . ثم جاءه برغش طالباً العفو ، بل جاء يعاهده على الولاء واقسم بالله ان سيكون على الدوام من رعاياه المخلصين .

قد كان ابن طوالة رسول السلم ايضاً بين ابن سعود وابن الرشيد ، فحدثت المعاهدة السابقة التي خرقها مرة سلطان ولم يتقيد دائماً سلفه متعب ١٣٢٦هـ
١٩٠٨م بشروطها . ولكن ابن سعود لم يتخددع . وما اراد في ذاك الحين غير حياذ ابن الرشيد ، ولو الى حين ، فينشط انصاره من اهل بريدة ويمكنوه من ابي الخيل .

عاد عبد العزيز ، بعد ان صالح ابن الرشيد ، الى البكيرية ، فعسكر فيها وسار بنفسه الى عنيزة مستخبراً ، فأخبر عندما وصلها ان اهل بريدة مستعدون الاستعداد التام هذه المرة للهجوم .

بادر عبد العزيز الى حصانه ، وعدا به عائداً الى البكيرية ، فقطع بساعتين ونصف ساعة مسافة خمس ساعات من السير ، وامر عند وصوله ، بالزحف السريع الى بريدة ، فرحف الجيش في ذاك النهار ، ووصل الى المدينة عند غروب الشمس .

— واين الرجال؟ اين من هم مستعدون الاستعداد التام للحرب ؟ الحق يقا— ان السيادة كل السيادة كانت لمحمد ابي الخيل . ولم ينفر الى ابن سعود

ليثني الا عشرة من الانصار ، فكان الاتفاق بعد المفاوضة السرية ان يفتحوا له باب السور وقت صلاة العشي . ولم يكلفهم اكثر من ذلك .

امر ابن سعود . سريتين بالتقدم ثم بالدخول الى البلد ، اذا ما فُتح الباب ، فيسيرون نواً الى البيوت القريبة من القصر المقيم فيه ابو الخليل ويحتلوها . فُتح باب السور ، وكان الناس في الصلاة ، فدخلت السريتان ، واحتل البيوت المذكورة ثلاثمئة من الفرسان .

كان ابن سعود ساعته واقفاً عند الباب فارسل فرقة عددها خمسمئة رجل لتحتل ابراج السور القريبة منه .

ثم خطب في الباقي من جيشه قائلاً : « اننا هاجمون على هذا البلد ، فاحذروا ان آذوا من لا يعترضونكم ، او تسيثوا اليهم بشيء . حاربوا من حاربكم ، وسالموا من سالمكم . اما البيوت فلا تدخلوها . واما الحرم فمن اعتدى عليه فبيدي عليه » . دخل ابن سعود على رأس جيشه يقصد من تقدمه من الفرسان . وما كاد يخرج الناس من المساجد حتى علت في المدينة صيحات الحرب .

اشتبكت الجنود برجال ابي الخليل ، واستمر القتال طيلة ذاك الليل ، فقتل من المهتدين عشرة ومن السعوديين خمسة لا غير . وجاء رؤساء بريدة عندما اسفر الفجر يطلبون العفو ، فعفا الظافر عنهم بشرط ان يسلم المقاتلون السلاح ، فسلموها قبل الضحى .

وكن ابا الخليل ظل محاصراً يوماً وليلة . ثم طلب الامان فآمنه عبد العزيز على حياته ، وتركه يذهب حيث يشاء ، فرحل الى العراق .

وفي كسرة محمد آل عبدالله ابي الخليل ، في ٢٠ ربيع الثاني من هذا العام (٢٣ ايار) دخلت بريدة للمرة الثانية في حوزة ابن سعود .

الفصل الثالث عشر

الوقارب والغارب

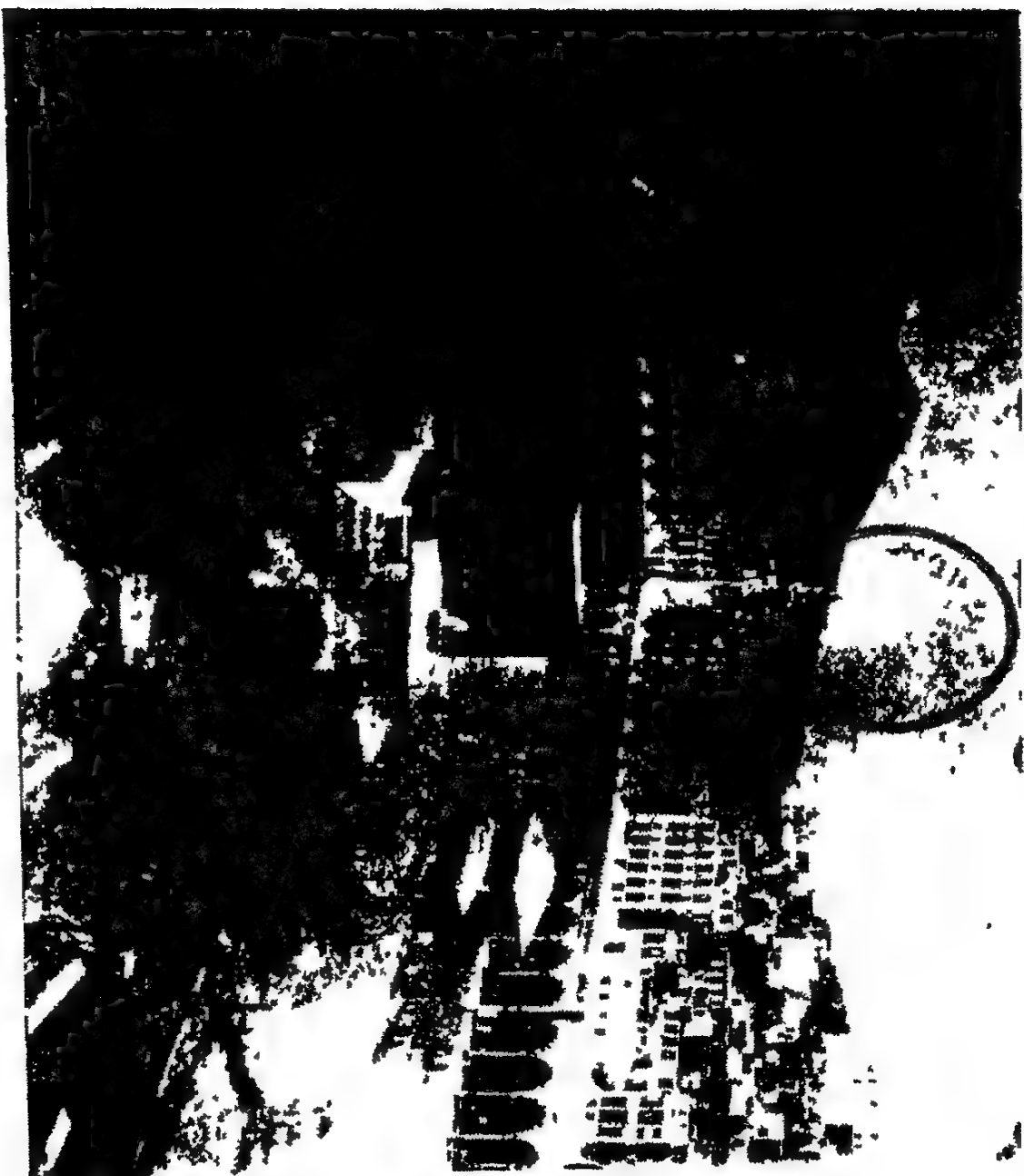
ما سلط الله على العرب غير انفسهم . فقد طالما نكثوا العهود فراراً من
تبعه او خسارة ، وقد طالما استحلوا ، في سبيل السيادة ، دم ذوي القربى .
لا نعود الى الماضي . مستشهدين بالتاريخ ولنا في هذا الزمان الامثال والبيّنات .
فقد ذبح الشيخ خزعل اخاه ، والشيخ مبارك اخوه ، وبندر بن الرشيد عمه ،
ومحمد بن الرشيد ابناء اخيه الاربعة ، وابناء عبيد الرشيد اولاد عمهم الثلاثة —
كل ذلك طمعاً بالسيادة .

وقد قتل في هذه السنة من هذا التاريخ سعود بن عبيد الرشيد اخاه سلطاناً
١٣٢٦ هـ وتولى الامارة بعده . ثم ارسل الى عبد العزيز بن سعود يعرض عليه
١٩٠٨ م الصلح فصالحه على ما صالح اخاه وابن اخته سلفاه .

من نوادر الله في خلقه ان يقوم في العرب ، في زمان تعددت فيه هذه
الجرائم الفظيعة ، من يسلك الى السيادة مسلك الشجاعة والشرف ، فلا يسلط
عليهم غير سيف الحق ، ولا يجازي طغيانهم وخياناتهم ، اذا ما تابوا ، بغير الحلم
والاحسان . ولكن تاريخ آل سعود المعروف هو ابيض الحاشية ، فلا يدنس دم
ذوي الارحام .

استمرت الاضطرابات والفتن في حال ، فنكت ابن الرئيسد العهد ، وعاد
البيتان الى الحرب — الى الغارات والغزوات . اما سعود بن عبيد ، الذي لم يحكم
١٣٢٧ هـ غير سنة وشهرين ، فقد قتل كما هو قتل اخاه . ثم بعث من تولى الامارة
١٩٠٩ م من آل سبهان ، اخوال بيت الرشيد ، بوفد الى عبد العزيز ، فلم تسفر
المفاوضات عن سلا او شبه سلا ، فاستأنف البيتان القتال .

خرج صاحب حال فزل السعوية واغار على قبيلة من مطهر السعودية فقتل



١٦٠ - ١٦١

الحرم الشريف • والكعبة

فتمسكها واصاب منها مغنا . وخرج صاحب نجد يطلب خصمه على ذاك الماء فلم يجده ، فاغار على قبائل حرب وشمرو غنم اموالهم ، ثم عاد الى الشعبية فاقام هناك يوماً « يخمس الاخماس » اي يقسم الغنائم .

علم صاحب حائل بوجود ابن سعود في الشعبية فزحف اليه ، وعلم ابن سعود بذلك فمشى حتى وصل الغروب الى مكان في النفود يدعى الاشعلي فنزل هناك ، وشرع يتأهب للحرب ، فاخرج البدو من المعسكر ، ابعدهم عنه . واخرج الحضر الى رأس النفود فتحصنوا فيها ، فامست الحيام خالية . ثم امر بان لا تعقل الابل التي غنموها من شمر وحرب في الغزوة الاخيرة . والقصد في ذلك ان يستغوي بها بوادي العدو . ان الطمع غريزة في البدو ، فعم اذا رأوا الابعار شاردة يتبعونها ليغنموها . والابعار اذا سمعت طلق البنادق ، ولم تكن معلقة ، تفر هاربة .

انصف الليل فهجم امير حائل على مخيم امير نجد الفارغ فذهب رصاصه سدى ، وفرت الابل فلحقها البادية . وقد شردت كذلك تحت جناح الظلام بادية ابن سعود ، فلم يبق غير الحضر في الجيشين .

ارسل عبد العزيز سرية لمناوشة من هجموا على المخيم ثم الانسحاب ففعلت ، فظنوه معها وظنوه مهزوماً . ولكنه كان ورجاله كامنين في رأس النفود ، فاغاروا عند انبثاق الفجر في ٥ ربيع اول (٢٩ اذار) من هذا العام عليهم . وكانت هذه المفاجأة خاتمة وقعة الاشعلي ، وكان في الحاتمة نصر لابن سعود مبين . خسر الرشيديون عدداً كبيراً من رجالهم ، وكثيراً من رواحلهم ، ما عدا ما كانوا قد غنموه في الليلة السابقة ، وثققروا عائدين الى الشعبية .

اما ابن سعود فسار بمحاضره الى قبته ، وكانت بواديه قد شردت كما قلت ، فتبع وقعة الاشعلي هدنة كان الضيق من قلة الامطار سببها ، فلم يستطع احد من الفريقين مواصلة القتال .

ولكن ابن سعود خرج من قبته غازياً بعض عربائه العاصين في اعالي نجد ، على طريق المدينة ، وعاد الى القصيم فأمر فيه ابن عمه عبدالله بن جلوي وانحدر

الى الرياض ، فلما قرب من العاصمة التقى برسول من ابيه جاءه يقول : « جنبوا جنبوا . الفتنة مشتعلة في الحريق بين الهزاةة » .

والهزاةة اي آل هزاةة من عزي وهم اقارب لآل سعود — اقارب ابعدون . كان قد قتل بعض منهم في تلك الفتنة ، فارسل الامام عبد الرحمن سرية قبضت على القتلة وسلمتهم الى اخوان المقنولين فقتلوه . ولم تخل الفتنة من مآرب سياسية ، فعاد الهزاةة بعد رجوع السرية ، يشعلون نارها ، فاعتدوا على آل خثلان ، فذبحوا منهم شيخين طاعنين في السن ادعوا انها اشتركا في قتل اخيهم الكبير محماس . اثار هذا الادعاء الكاذب غضب الامام عبد الرحمن ، فأمر ابنه عبد العزيز ان يحمل عليهم في الحال . — جنبوا الى الحريق — جنبوا !

طلب عبد العزيز فرصة يومين ليزور اهله في العاصمة فكان له ذلك . وفي اليوم الثالث نزل الى الحريق ، ودعا الهزاةة لحكم الشرع فابوا ، وهم حقيقة لا يريدون الخضوع لحكم ابن سعود . ثم دخلوا حصنهم وتحصنوا فيه ، فحاصره شهرين وما انفك يدعوهم لحكم الشرع وهم متعردون ، وفي ذاك الحصن منيعون .

عندئذ اقدم ابن سعود على عمل يعد حتى في غير البلاد العربية كبيراً ، فأمر رجاله بحفر نفق يوصلهم الى الحصن ، فباشروا ذلك وكان طول النفق عندما تم اربعين باعاً . ثم عزم ان يشعل فيه البارود فينسف الحصن نسفاً ، ولكن نساء المحصورين واولادهم كانوا ساكنين في بيوت فوق ذلك النفق ، فارسل عبدالعزيز ينذرهم ويؤمنهم على حياتهم اذا هم اخلوها . ولصكن المحاصرين ابوا واستمروا متعردين . فارسل اليهم رسولا يقول : « اذا كنتم لا تخرجوا حريمكم واطفالكم فانتم المسؤولون عن حياتهم امام الله » .

ظن المحاصرون في بادئ الامر ان ابن سعود يهول عليهم بنفق وهمي ، فلما تأكدوا الحقيقة سلموا لتسلم عيالهم .

عاد عبد العزيز الى الرياض ومعه زعماء آل هزاةة الا واحداً منهم استأذن بالسفر الى حوطة بني تميم لاشغال له هناك فأذن بذلك . ولكن اخاه راشداً واحد المدين سلموا كتب يشير عليه بالفرار وانه لاحق به ، فوقع الكتاب بيد

عبد العزيز وكانت النتيجة ان صاحبه اصبح سجيناً ، بعد ان كان ضيفاً مكرماً ، في الرياض .^(١)

ختمت سنة ١٣٢٧ بعضيان الهزازنة وهم كما قلت اقارب آل سعود
١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م الابعدون ، وفتحت سنة ١٣٢٨ بخروج «العرائف» وهم اقارب
 آل سعود الادنون . بل هم الذين كانوا اسرى في حائل ، فجاء بهم ماجد
 بن الرشيد الى عنيزة ليقاتلوا اهلهم ، فخلصهم عبد العزيز من الاسر ومن القتل ،
 فقاموا بعدئذٍ يجازون عمله بالعصيان .

قد يكون بين فتنة الهزازنة وخروج «العرائف» صلة سرية ، او ان الواحدة
 أوحت الاخرى . وجاء فوق ذلك الجذب يزيد بشدائد هذه السنة التي كانت
 تدعى «الساحوق» فحسر ابن سعود مبلغاً جسيماً من الاموال — الابل والمواشي —
 ولم يكن لديه ما يمكنه من الحرب والغزو .

عقد مجلس للمذاكرة بخصوص «العرائف» فقال احد الحضور يخاطب
 عبد العزيز : « ادعوم اليك للجواب ، فاذا ابوا اضربهم » ، قد عقب على هذا
 الرأي آخرون . ولكن عبد العزيز لم يستحسنه فقال : « اذا دعوتهم الي فقد
 يحدث بينكم وبينهم قتال ، فاكون ذابحاً لذوي القربى وهذا مكروه عندي .
 دعوم . كفانا الله شرهم » .

رحل «العرائف» ، وهم تسعة ، ورجاجيلهم وخدمهم الى الحساء فنزلوا على
 العجنان اخوالهم . واكن العجنان اعتدوا على بعض عشائر الكويت فنهبهم ،
 فهددهم الشيخ مبارك ، فاتجأوا الى ابن سعود . بل جاءه كذلك كتاب من الشيخ
 مبارك يسأله فيه ان يسعى في ارجاع تلك المنهوبات .

اما ابن سعود فكان قد كتب الى ابن الهذال رئيس العمارات وابن الشعلان
 رئيس الرولا ، والعشيرتان من عنزي ، يستنجدنهما على ابن الرشيد ، فاجاباه الى

(١) جاء راشد بعدئذ الى الحجاز وبقي فيه حتى بعد نكبة الحسين فكان مشمولاً بحلم
 عبد العزيز ومكارمه . وكان ابنه عبدالله قد صاحب الملك علياً الى جده فاقام فيها اثناء الحرب
 . ثم فر الى مكة قبل التسليم فاجتمع بابه الذي هو اليوم قائد القوات البدوية هناك .

ذلك وخرب الموعد للاجتماع . ولكن المشاكل تعددت في الحساء ، وهي مرتبطة بعضها ببعض ، فظن عبد العزيز ان التوسط بين مبارك والعجمان يحل مشكل « العرائف » ، فبادر الى تلك الناحية . وقد كان في عزمه ، بعد حسم ذاك الخلاف وحل ذاك المشكل ، ان يستأنف السير ليجتمع بالهذال والشعالات فيشدون جميعاً على ابن الرشيد .

اما الشيخ مبارك فعندما علم بخروج آل سعود « العرائف » وانهم جاءوا الحساء ارسل نجاباً الى عبد العزيز يستأذنه بان يدعوهم الى الكويت فيسعى في الصلح بينه وبينهم . قبل عبد العزيز ولسان حاله يقول : نصلح بينه وبين العجمان فيصلح بيننا وبين العرائف . وجزاء حسنة حسنة مثلها . اما « العرائف » فقد قبل اثنان منهما دعوة مبارك ، وجاء اثنان الى عبد العزيز مستغفرين مستأمنين فأعطاهما الامان .

ولكن صاحب الكويت لم يقدم على ذلك العمل لقاء ما جاء ابن سعود الى الحساء من اجله . بل كانت هنالك امر آخر يستوجب المعروف . ان القاري الذي سار معنا من بداية هذا التاريخ يدرك شيئاً من غوامض الشيخ مبارك السياسية ، وهو قلما كان يقدم على عمل لا يمر في شطر منه في الاقل . اما السر في توسطه بين « العرائف » و « ولده » عبد العزيز سعود فهو ان رئيس عشائر المنتفق في العراق سعدون المنصور كان قد جهز حملة عليه — حملة كبيرة لا يستطيع مقاومتها ناهيك بغلبتها — فأسلف عبد العزيز المعروف ، ثم ارسل يستنجد به على السعدون —

المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

الفصل الرابع عشر

الشيخ مبارك يستقبط

لا بد وقد وصلنا الى هذا الحد من تاريخ ابن سعود عبد العزيز ان نعيد شيئاً حديث العهد من تاريخ الانقلاب العثماني . فقد دك حزب الاتحاد والترقي عرش عبد الحميد ، واعاد الدستور الى الامة ، واسس فيها حكومة نيابية . ولكنه بعد ان تبوء عرش السيادة استبد واستأثر فغدا كل واحد من زعمائه عبد حميد رهيباً .

وقد اغضب الحزب العرب خصوصاً فقام منهم من اسسوا حزب الائتلافيين ليطالب باللامركزية صوتاً لحقوق العناصر الغير التركية .

ثم قام في البصرة جماعة يرأسهم السيد طالب النقيب والشيخ خزعل والشيخ مبارك الصباح يؤسسون فرعاً لهذا الحزب . بل كان من مقاصد تلك النهضة طرد الاتحاديين واستقلال العراق فيحكمها احد اولئك الزعماء . اثار عملهم غضب الحكومة فأمرت سعدون باشا الاتحادي بتجهيز حملة من العشائر على الشيخ مبارك لانه اكبر الثلاثة ، ولانه في نظر الدولة ذو سوابق سياسية .

على ان الزملاء الذين كانوا قد وعدوا الشيخ بالمساعدة خذلوه فامسى منفرداً في الورطة ، فارسل يستنجد ذاك الذي شب وترعرع في ظله . ارسل يستنجد من كان يسميه « اوّليدي » وقد صار زعيماً للعرب كبيراً .

ولكن هذا الزعيم كان يومئذ في ورطة اشد من ورطة « والده » مبارك . ومع ذلك فقد مشى الى الكويت بجيش صغير من العربان ، وفيهم بعض العجمان . عندما وصل عبد العزيز كان الشيخ مبارك قد جهّز ما عنده من قوة لمحاربة السعدون فاشار عليه بالتريص وقال : « ليس بيننا وبين الرجل خلاف حقيقي

يوجب الحرب ، واني ارى مسالمة اولى . المسئلة طفيفة ، وانا اتوسط بينكم وبين السعدون .»

شق على الشيخ مبارك ان يسمع مثل هذا الكلام ، فازدري نصيحة «ولده» الذي طالما امدّه بالنصائح وكان عوناً في الشدائد .

مبارك : «انت اولدي وهل يقبل الولد بأن يُهان ابوه .»

عبد العزيز ، وقد عراه شيء من الخجل : «لا والله . ولك ما تريد . اني ملبس الطلب ان شاء الله ولكنني اسأل والدي ان يمهلي لاستنجد اهل نجد . ليس معي الآن غير مثنين من رجالي . اما العشائر فلست مركناً اليها في القتال .»

مبارك : «اني اجند من الكويّات الجنود الكافية ، ولا ابغي منك غير القيادة .»

عبد العزيز : «اذا انت باشرت التجنيد فابن سعدون قريب منا وعالم باخبارنا واعمالنا كلها . فهو اذ ذاك يتأهب لنا . ولا ريب عندي ان «شواوي» (رعاة) المنتفق كلهم يلتفون حوله . امهلي قليلاً سلمك الله . ومن رأيي ان تسير قوة صغيرة مع احد انجالك فتبعد عن اطراف الكويت ، وتربص للهجوم على ابن سعدون يوم تنفرق عشائره . وسننال مرأنا منه بحول الله .»

ما راق هذا الكلام الشيخ مبارك فأصر على تجنيد الجنود وعلى خروج ابن سعود معهم ، ففعل مكرهاً . اما جيش الكويت الذي كان رئيسه جابر بن مبارك فقد كان مؤلفاً من الفين من الحضّر ، واكثرهم من الشبان الناضرة وجوهم ، النادرة شجاعتهم ، واربعة الاف من البادية ، ومئة وخمسون فارساً . أضف اليه عريان ابن سعود والمثنين من رجاله فيبلغ عدده كله نحو سبعة الاف .

لما بعد هذا الجيش مسافة يوم من الكويت جاء رجل من كبار عرب الظفير يدعى الضويحي ليسأل ابن سعود ان يتوسط بينهم وبين ابن الصباح . وقد أكد له ان السعدون وعرب الظفير يقبلون بذلك .

عرض عبد العزيز الامر على جابر الصباح فأجابه قائلاً : «اني لا اعهدك

جباناً» . فغضب عبد العزيز وقال : «سترون غداً . غداً تظهر الجبانة فتعرفون اين هي» .

استمروا ذاك اليوم سائرين ، فواصلوا السير بالسري ، وكان سعدون باتناً قد علم بزحفهم فامرى كذلك بعشائره يريد الهجوم . وقد كان عدد جيشه يوازي جيش الكويت ، بيد انه كله من عشائر المنتفق والظفير والبدور وغيرها ، واكثره من الخيالة .

نام عربان سعدون في الطريق ، ولكنهم عندما احسوا بقرب الكويتيين افاقوا وتراجعوا الى مقر القيادة كي لا يتصادموا وايام ليلاً .

ولما اصبح الصباح تكلم عبد العزيز : « اسمع يا جابر . من رأيي ان تأمر البدو بالاغارة على سعدون وجماعته ، فنبعدهم عنا ، ونشغل العدو . اني والله في ريب من امرهم . اما اذا سيرتاهم امامنا فنأمن خيانتهم » .

لم يستحسن جابر هذا الرأي . واصر على ان يكون الهجوم عاماً ، فقال عبد العزيز يخاطب اخاه الاصغر سعداً : « اني لا ارى غير الهزيمة لهذا الجيش . قف معي وقومنا على حدة لنتمكن عند الحاجة من الدفاع عن انفسنا . اليوم يوم دفاع يا سعد لان هؤلاء الناس لا رأي لهم ، ولا هم يقبلون النصيحة » .

عند ما رأى جابر ان ابن سعود وقومه اعتزلوا الجيش لامهم قائلاً : « انتم اخواننا والاخوان في الحرب لا يحجمون » . فنجل عبد العزيز وامر اخاه بالاشراك في الهجوم .

وكانت الفاتحة للخييل ، فاغارت خيالة ابن الصباح ، وهم مئة وخمسون ، على خمسة مئة من فرسان السعدون . فكر هؤلاء عليهم كرات مريعة سديدة هائلة ، فانهزموا هزيمة شنيعة ، وانهزم معهم جابر وجيشه بدون قتال ، ولم يبق مع ابن سعود الا عشرة فقط من الخيالة رجاجيله . اما البقية ففروا مع الفارين ، وقد تركوا وراءهم كثيراً من الحلال والمال -- من الامتعة والابل والخييل -- فكانت لجيش السعدون هدية من جيش الكويت . وقد دعيت هذه الواقعة ، التي جرت في صباح اليوم الاول من جمادى الثانية من هذا العام (١٠ حزيران ١٩١٠)

بوقعة هدية .

لحق عبد العزيز بجابر وقومه المنهزمين فادر كهم في عصر ذاك النهار وقال يهون الامر عليهم : « هذه عادات الرجال والحرب سجال » . ولكن الشدة انستهم اليهم . فبينما هم سائرون ضلوا الطريق ، وكان قد ادر كهم فوق الهزيمة الجوع ، ولم يكن لديهم شيء من الزاد . ثم جاءتهم رحمة الله فالتقوا باباعر شاردة من حملة ابن سبيد ، وهي تحمل شعيراً ، فاطعموا الخيل احمالها ، ونفروها ليطعموا انفسهم . وقد رافقتهم الرحمة في اليوم التالي ، اذ علم فيصل الدويش بقربهم منه فجاء باهله يلاقهم ، فنصب الخيام واطافهم تلك الليلة ضيافة كبيرة ، ثم نحر لهم ثانية في الصباح . ان بعد العسر يسرا . ولكنهم لم ينسوا تلك الهزيمة ، بل تلك الهدية — « هدية والله ، اخذنا للسعدون هدية » .

اما الشيخ مبارك فعند ما بلغته اخبار تلك « الهدية » خرج الى قصره « السر » يدوي كلومه ، فجاءه ابنه جابر و « ولده » عبد العزيز يهونان الامر عليه . ولكنه عقد النية على استنفار اهل الكويت ثانية — « سأجمع والله خمسة اضعاف هذا الجيش ، وساحرق المنتفق فلا يبقى منها غير الرماد ! » .

خطر لعبد العزيز خاطر يمحو فيه كلام ذاك الغضب . كان « العرائف » قد رحلوا من الكويت — « العرائف » الذين استدعاهم مبارك ليصلح بينهم وبين ابن سعود — فارتأى ان يجهز احد اولاد الشيخ بجيش صغير فيسير عبد العزيز معهم ويتساع انهم ساروا يطلبون « العرائف » ، فيبلغ سعدون الخبر ، فيسرح عربانه ، — « فنعيد الكرة اذ ذاك عليه ، ونحن مدركوه بحول الله » .

رفض الشيخ مبارك ثانية ان يعمل برأي عبد العزيز . وكان ابن الرشيد قد هجم يومئذ على ابن الهذال وابن الشعلان ، وهما حليفان لابن سعود كما تقدم ، فأخذهما في مجمة يمه على حدود العراق ونجد . فقال — عبد العزيز يستأنف الحديث : « اذا كنت تصر على تجهيد جيش كبير ، فانا اترك عندك رعاياي من عرب مطير واعود الى بلادي لان ابن الرشيد ، بعد انتصاره على الهذال والشعلان ، لا بد ان يزحف الى القصيم . واخشى ايضاً ان يقوم « العرائف »

بحركة في الرياض فيتفاهم الامر علي . ولا اظنك تريد لي ذلك » .
 كان قد أمل الشيخ مبارك ان يغلب السعدون ولو بعون ابن سعود المعنوي ،
 فندم لانه لم يقبل بنصيحته ، فلا يعرض به في مواقف الخطر يوم ضعفه .
 ندم لانه لم يهول به تهويلاً على العدو ويزدخر الرجل لساعة قوته في الحرب .
 ولكنه ، وقد ادرك هذه الحقيقة الان ، رفع الحجاب عن نفسه المتألمة عند
 استماعه كلمات عبد العزيز الاخيرة — « اذا رميتني اليوم ياو* لدي فليس لدي احد
 ينهض بي ، فيتمكن مني العدو . انا والدك يا عبد العزيز ، ولي عليك حق
 المساعدة ، والبلد بلدك وله عليك حق الدفاع . . . ابقَ عندي ولا تخرج مع
 الجيش — ابقَ عندي فأتسلى بوجودك معي » .

اجل ، قد تجلت له الحقيقة التي حجبها عنه في اول الامر الوهم والغرور ، وهذه
 الحقيقة هي ان مجرد وجود ابن سعود عنده مفيد . فطلب منه ذلك وكان في
 طلبه بليغاً ووديعاً .

— « ابقَ عندي ثلاثة اشهر فقط » .

قال عظمة السلطان لمؤلف هذا التاريخ : « استحييت منه بعد هذا الكلام
 وبقيت » .

وكان مبارك اثناء تلك الثلاثة اشهر مطمئناً فلم يهاجمه السعدون . ولكن
 فوائد قوم عند قوم . مصائب . فقد كان ابن سعود في قاق دائم ، لان ابن الرشيد
 كما تقدم غلب حلبقاه الهذال والنعلان ، والعجمان تأمروا و « العرائف » عليه ،
 و « العرائف » أسندوا عاتدين الى الرياض ، ومنهم من كتبوا الى الشريف
 حسين في مكة يستنجدونه على عبد العزيز . اضيف الى ذلك ان القميص كان يومئذ
 شديداً ، فتفرقت البوادي وراحت تنشد المياه .

ثم حدث حادث بينه وبين بعض عربان مطير اعتدوا على عرب من قحطان
 وسبيع ولاذوا بابن الرشيد ، فاراد عبد العزيز ديبهم عندما جاءوا الى اطراف
 الكويت ، فتصدى له الشيخ مبارك ، فكتب اليه يلومه قائلاً : « كان الاجدر
 بك ان تساعدني عليهم وهم من قبائلي العاصية » .

اشتعل الغضب في صدر مبارك — وما كان اسرع اشتعاله — نفجر من الكويت الى معسكر ابنه جابر ، فاجتمع هناك بعبد العزيز ، وكانت اول كلمة منه مرادفة للاهانة والطرده . قال الشيخ « اظنك يا ابن سعود تبغي اهلك » . فأجابه بكلمة واحدة : « نعم » . وخرج من ذاك المجلس كما دخل مبارك اليه مكتئبا متغيظا .

انها لا يام عصابة في تاريخ عبد العزيز ، تعددت فيها الاعداء والالاخطار ، وهجرته بواديه ، وكان جزاء معروفه الاهانة وغمط الجميل . وهناك الطامة الكبرى ، هناك العسر المالي الذي تدر مثله في العشر السنوات الماضية من حياته . المال ! قد كان في حاجة شديدة الى المال . وانه ليدهش القارىء مقدار حاجته وهو حاكم نجد وكبير العرب . حاول ان يستدين من اهل الكويت ، فاعتذروا خوفا من مبارك . ثم ارسل الى نسيبه ووكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل يطلب منه الفين ليرة — الفين فقط — ويقول له ان يقبض القيمة مما تبقى عند الدولة من معاش الامام والده .

الفصل الخامس عشر

الشريف حسين بشمر الورداني

من تهكم الزمان ، وقد والى المتعبد عليه من الناس ، ان يجيئه في اليوم العصيب بما لا ينفعه من نوافل الحياة ، بل بما يزيد في عسره وحزنه .
كان السلطان عبد الحميد قد منح الامير عبد العزيز ابن سعود لقباً ونيشاناً من اعلى درجات المجد عنده ، فصارت الجرائد في بغداد وفروق ثنعت به بالنعوت الضخمة بعد ان كانت ، في ايام نصره وعزه ، تتحامل عليه .

— غزا الامير الخطير عبد العزيز باشا سعود القبائل « الخلة براحة اهل السيل فكسب شكر اهل الجبل » . بعد ان غزا الامير الخطير والزعيم الكبير عبد العزيز باشا سعود قبائل مطير وحرب توجه قاصداً الرياض « ليجم نفسه حيناً من الزمن لامر ذي بال »

والحقيقة اولى ان نقال — فقد عاد عبد العزيز من الكويت في اواخر هذا العام راكباً . مطية الافلاس ، يحف به جيش من الغم ، وصاحب بيرقه يدعي اليأس . فتصالح وابن الرشيد — مكره اخوك لا بطل — لكي يتمكن من استخدام ما تبقى لديه من قوة في مقاومة « العرائف » اقاربه .
وقد ارسل اخاه سعداً الذي لم يكن يتجاوز السبع عشرة من سنه الى عتبية يستنجد رجالها لهذه الغاية .

ولكن عتبية ولت وجهها شطر مكة ، فانحازت الى الشريف حسين ، مضيف بعض « العرائف » ومكرهم ، اكراماً لابن سعود ! — « ليس بيننا وبين ابن سعود ، ايها النجيب ، غير ما يوجب حسن الجوار وهذا لا يخفى على نباهات كمالات فجابتكم » .

لم يكن والحق يقال ، بين الحسين وابن سعود عدااء في تلك الايام يحرج الى .

الحرب او يقضي حتى بالغزو . ولكن الشريف كان موالياً للاتحاديين ، ساعياً في اكتساب ثقتهم ، طامعاً بالسيادة له ولانجالة . وكانت الحكومة قد فقدت الثقة ببیت الرشيد بعد ان تعددت فيه الجرائم العائلية السياسية ، فادارت بنظرها الى الحسين وهي ترجو ان يستميل في الاقل ابن سعود اليها . ولا ريب ان الشريف وعدها باكثر من ذلك .

خرج الحسين من الحجاز بجيش من البدو والحضر في رجب من هذا العام ١٢٣٠ هـ ونزل الكويبية « ديرة » عتيبة . وراح سعد « ينحر » تلك الديرة ١٩١٢ م للغاية التي ذكرت ، فلما وصل الى اطراف الكويبية خرج اليه فصيلة من خيالة عتيبة ، فظنهم جاءوا يلاقونه ، ويرحبون . ولكنه ، عندما دنوا منه ، ادرك قصدهم الحقيقي . لم يكن معه غير اربعين رجلاً فركب وعشرة منهم الخيل وقفلوا راجعين ، فلاحق اهل عتيبة بهم ، وهم يؤمنونهم قائلين : « نحن خدامكم ، قفوا ولا تحافوا » . صدقهم سعد ، ولم يصدقهم رجاله . فوقف بالرغم عن تحذيرهم ، فقبض بنو عتيبة عليه واخذوه اسيراً الى الشريف حسين .

وكان عبد العزيز قد تأهب لمحاربة « العرائف » بالحريق عندما اتصل به هذا الخبر ، فترك اربعمئة من رجاله بقيادة فهد بن معمر في الخارج ، وكر راجعاً يستنجد اهل نجد ، وينقذ اخاه .

اما الشريف فبعد ان امر سعداً رحل من الكويبية شمالاً فنزل الشعري ، ثم زحف من الشعري شرقاً فنزل ماء قريباً من الوشم . ولكنه عندما علم ان ابن سعود قد وصل بجيشه الى ضربه تراجع غرباً فنزل على ماء يدعى العرجاء وارسل يستنجد ابن الرشيد . فكذب وكيلا الامارة زامل السبهان الى عبد الله بن جلوي امير القصيم يومئذ يقول : « ان بيننا وبين الشريف معاهدة تضطرنا الى مساعدته » . اما عهد الصلح بينهم وبين ابن سعود فان هو الا قصاصة من الورق .

لم يكن الشريف ايقصد من هذه الحرب بل هذه المناورات ، غير ازعاج ابن سعود واكراهه في ما يريد . وقد كتب اليه ، وهو يفر ويكر من ماء الى ماء

یؤكد ذلك . — اذا هجمت علينا تركنا لك المعسكر والخيام وعدنا باخيك سعد . الى مكة فيبقى عندنا الى ان تطلب الصلح .

اما الصلح فشرطه بهد الشریف حسین . ومن غرائب الاتفاق ان خالد بن لؤي امير الحُرمة كان يومئذ الواسطة بين الاثنين . وخالد هذا واهله ، وان كانوا من اشراف الحجاز ، هم منذ القدم على ولاء وآل سعود . فقد تمذهبوا بالمذهب الوهابي في ايام سعود الكبير وظلوا متمسكين به محافظين عليه .

جاء خالد الى عبد العزيز يعرض شروط الشریف . ولم تكن غير شروط الدولة التي كانت تطلب ان يعترف بسيادتها ولو اسمياً في نجد او على الاقل في القصيم ، وطلبت فوق ذلك ان يدفع ابن سعود شيئاً من المال ، عربون التبعة ، كل سنة . انه لامر مضحك عجيب . ابن سعود يستدين من نسيبه ووكيله في البصرة ما يسد به حاجاته ، ويحمله على الدولة ! والدولة تسعى بواسطة الشریف ان تدخل ابن سعود في تبعتها فتتقاضاه بدل ان تدفع له المسامحات .

جاء خالد يحمل شروط الصلح . وخالد وان كان بدوياً هو على شيء من الذكاء والدهاء . اسمعه يخاطب عبد العزيز فيقنعه .

— « اسمع يا عبد العزيز انا اطلبك . لا اية للشریف سيئة . لا والله . ولكنه يبي (يعني) يبتض وجهه مع الترك . فاكذب له ورقة نفعه عند الترك ولا تضرك . وانا اتكفل برجوع سعد ، واتكفل ان الشریف لا يتدخل في امور نجد — هذا اذا كنت لا تتجاوز الحدود . اما اذا هو اعتدى عليك فانا خالد بن لؤي اعاهدك عهد الله عليه ، فاكون معك والله كما كان آباي مع آبائك وكما كان اجدادك مع اجدادي » !

قبل عبد العزيز بتوسط خالد وكتب له « قصاصة ورق » ثنفع الشریف عند الترك ولا تضرك كاتبها . فقد تعهد فيها ان تدفع بلاد نجد للدولة سنة الالف مجيدي كل سنة —

وما كانت غير قصاصة من ورق .

الفصل السادس عشر

العرائف والهزازنة

يذكر القارىء ان اولاد سعود بن فيصل ، الذين احتربوا وعمهم الامام عبدالله ، كانوا مقيمين في الخرج فصار لهم في تلك الناحية اشباع وانصار . ويظهر ان النزعة الى العصيان ظلت تنقد في صدور اولئك السعوديين الذين امرهم يومئذ ابن الرشيد وخلصهم من الاسر ابن عمهم عبد العزيز . والآن ، عندما عادوا من الكويت والاحساء ، نزلوا الى الخرج يريدون الاستيلاء عليه .

ولكن اهل تلك الناحية ، واميرهم اذ ذاك فهد بن المعمر ، صدوهم عن ذلك ، وطردوهم في اليوم الثاني بعد وصولهم ، فرحلوا الى حيث انقذت منذ سنتين فتنة الهزازنة — الى جهات الحوطة والحريق .

اما الهزازنة الذين كانوا اسرى في الرياض فكان عبد العزيز قد اطلق سراحهم ، واذنهم بالرجوع الى بلادهم ، اكراماً لامير قطر قاسم بن ثاني الذي توسل من اجلهم . فعندما جاء «العرائف» بعد ان طردوا من الخرج ، رحب الهزازنة بهم ، وتعاهدوا وايامهم ، فتوحدت القوتان والمقاصد .

وكان قد انضم اليهم اناس اخرون في الحوطة ، فمشوا معهم الى الحريق ، ثم هجموا على القصر هناك ، وفيه مربة لابن سعود ، فحاصروه سبعة ايام واستولوا عليه .

اما ابن سعود فعندما عاد من القصيم ، بعد ان صالح الشريف حسين وخلص اخاه سعداً من الاسر ، جاء توجاً الى ناحية الحريق الذي كان قد استولى عليها العرائف والهزازنة ، ومعهم جمع كبير من البادية .

ان الحريق كائنة في وادي بين حلبين وليس لها غير طريق واحد ، فاسرعه فيه عبد العزيز ليدخل البلدة ايلاً على حين غرة . وعندما وصل في اليوم التالي

الى قصر قريب منها نزل هناك وامر جيشه ، الذي لم يكن يومئذ غير الف ومئتين من الحضر ، ان يعسكر ويستعد لحصار طويل .
ولكن خيالة العدو في جولة من الجولات اصطدمت بفصيلة من خياله فكانت الشرارة التي اضرمت نار الحرب .

هجم حضر عبد العزيز هجمة واحدة على الحريق ولم يقفوا حتى استولوا عليها وعلى بلدة اخرى اسمها مفيجر ، فشرد آل سعود «العرائف» على خيلهم ، والتجأوا الى اهل الحوطة فردوهم خائبين ، فرسلوا اذ ذاك الى الافلاج .
وكان في السبيح هناك اخوهم فيصل ، وفي ليلا^(١) احمد السديري من قبل ابن سعود ، فاحترب الاثنان قليلاً قبل وصول «العرائف» .

اما عبد العزيز فبعد انتصاره في الحريق زحف جنوباً فنزل نعام ، قرية في الطريق ، واراد الجيش ان يهجم على الحوطة فيكتسحها فابى ذلك قائلاً : «لا اسعى في خراب بلدين من بلادى في يوم واحد . ساقدم لاهل الحوطة الصلح واعطيهم الامان . لعل الله يهديهم سواء السبيل» .

اما الامان فظفروا به شكراً لعالمهم ورؤسائهم الذين خرجوا الى عبد العزيز وقد عقدوا المحارم في رقابهم . واكن اهل الحوطة برايرة قتلة لا يضعون على الرقاب ، ولا يفهمون في العقاب ، غير السيف . ومع ذلك فقد صفح عبد العزيز . مشترطاً ان يدخل بجيشه البلد ، فدخل ظافراً ، ثم زحف الى الافلاج .

وبن ، هو على ما في الطريق جاءه رسول من اميره السديري يقول ان حين وصول العرائف الى السبيح علم اهل البلدة بما جرى في الحريق ففروا هاربين . وقد تركوا فيها امنعتهم واموالهم ، فغضب السديري عند احتلاله تلك الناحية .

ولكن سعود بن عبد الله ، احد «العرائف» وعبد العزيز الهزاني الديني فر هارباً بعد فتنة الهزازنة الاولى ، ومعهم ثلاثون رجلاً ، هجموا على السبيح ، بعد ان هجروا اهلبا ، دون ان يعلموا بما جرى في الحريق ، فقبض السديري عليهم كلهم والقاه في السجن .

(١) ليلا قاعدة الافلاج ، والسبيح بلدة من بلدانها فيها مياه جارية

وصل عبد العزيز ، فاطلق سراح سعود بن عبد الله ، وخيره في امرين ،
البقاء عنده او الالتحاق باخوانه ، فاختار البقاء (هو سعود العرافة الموجود الان
في الرياض وسعود الى ذكره) . ولكن الذين شردوا من العرائف ، الا واحداً
كان قد سار الى الحسا ليستنفض البادية هناك ، رحلوا الى مكة ولاذوا
بالشريف حسين .

اما الهزاني وجماعته المأسورين فقد عفا عبد العزيز عن راشد^(١) منهم وامر
بقتل الآخرين . هي المرة الاولى التي حلت القسوة محل الحلم في حكمه . ولا
غرو ، فقد سبق منه الاحسان ، وتكررت منهم الاساءة .
ووضع الندي في موضع السيف بالعلي مضر كوضع السيف في موضع الندي

(١) راجع الحاشية في صفحة ١٦٢

الفصل السابع عشر

لا نصر ولا انكسار

لم ننجُ البلاد العربية مما اعتري حكومة الاتحاديين من عوامل الضعف والفساد ، فذهبت هيبة السلطتين المدنية والعسكرية ، وضعفت الثقة بأولي الامر من الترك كانوا او من العرب . على ان العصبية في بعض القبائل حالت دون التفكك في الامارات والاحكام . فقد راودت حكومة المدينة عريان الحجاز ، وساومت حكومة بعداد عشائر العراق ، وشاركت حكومة الحساء رؤساء البدو المجرمين ، ولكن شتمت ظلت الركن الاوطد لابن الرشيد ، ومطير العضد الاكبر لابن الدويش ، والمتفق القوة الثابتة لابن السعدون ، وظلت الظفير كتلة واحدة بيد ابن سويط .

بيد ان شيوخ هذه القبائل كانوا يوماً احلاقاً بعضهم لبعض ويوماً اعداء . فقد تصالح متلاً وتحارب السعدون وابن سويط مرتين سبغ مدة قصية ، وكان ابن الرشيد صديق الاثنين اليوم وعدو هذا او ذاك منها غداً .

اما ابن سعود فخاله في سنتي ١٣٢٩ و ١٣٣٠ (١٩١١ و ١٩١٢ م) حارب المصارع الذي يستوي واقفاً قبل ان تلمس يده الارض . وبكلمة اخرى قد كان ، على ضعفه ، القوة الوحيدة التي لم تستطع الاخصام ان يغير هدفها او ان تلصقها بالحضيض — بل كان ، على ضعفه ، يضرب في فترات النفوس الضربات المدوخة ، وفيها البرهان ان هناك قوة ، وان نهكت ، لا تغلب .

فقد مرّ وهو عائد من الافلاج بقبائل من الدواسر عاصن فاد بهم ، ثم سار الى الحساء ، بعد ان استراح بضعة ايام في الرياض ، فضرب العاصين من العجمان هناك واحسن التأديب^(١)

(١) التأديب هو العقاب والتمرمة ويكون غالباً بدون حرب

وبينا هو في جهات الحساء ، سمع الشيخ مبارك يستغيث . فقد جاءه وفد من الكويت بكتاب من «والده» مشفوع بذلولين ، وجاء في الكتاب : « اني مرسل اليك ذلولي » وقد كنت اركيهما الى الغزو . وانا الان عاجز عن الركوب والمغازي . . . انا والدك يا عبد العزيز ، والدلولان اللذان شهدا الغزوات والمعارك العديدة هما لك يا ولدي وهما يطلبان منك ان تأخذ بثأر والدك من ابن السعدون » .

فاجاب عبد العزيز ان مشاكله كثيرة ، وعشائره متقلبة ، فيخشى الخيانات بعد ان اجتمع له الامر في بلاده . وهو يضطر والحال هذه ان يستخدم كل ما لديه من قوة في معالجة مشاكله الداخلية ومنها في ذاك الحين مشكلة تركي بن سعود العرافة الذي انحدر الى الحساء من الخرج ، كما قلت في الفصل السابق ، يستنهض العجمان . وقد انضم اليه آل سفران فخذ منهم .

لم يهم الشيخ مبارك ذلك ، فرفض عذر عبد العزيز . ولكنه كان يحسن التأوه والاستغاثة ، فكتب تانية الى «اولدي» : « انا اصبح وانا ديك وانت يا ولدي تصم اذنك . امثل ذلك يعامل الوالد ؟ اتهمجرتني يوم شدي فيساعد هجرتك العدو علي ؟ اسمعني يا ولدي يا عبد العزيز اسمعني اصبح وانا ديك الخ . . . »

سمع عبد العزيز فاستنفر عشائره ليلبي النداء ، ومشى بعد ذلك بجيش مؤلف من الف وخمسة من الحضرم وخمسة الاف من البدو ، يصحبه اثنان من ابناء الصباح هما سليمان الحمود وعلي الخليفة . راح ينقم « لوالده » من ابن السعدون وابن سويط .

وكان قد اعلم الشيخ مبارك بمسيره وانه سينزل الحفر . ولكن العدو اثناء ذلك اتقسم قسمين ، فاحترب اهل الظفير واهل المنتفق بعد ان كانوا متحالفين . ولذلك اسباباً عربية وتركية . اما العربية فهي مألوفة وتكاد تكون طبيعية ، واما التركية فمنشأها النزاع بين الاتحاديين والائتلافيين . وقد كان هذا النزاع يمتد الى العشائر بواسطة رؤسائها ، فيتذرعون به ليثأر بعضهم من بعض ، وندر فيهم من ليس له ثأر على الاخر .

علم الشيخ مبارك بما جرى بين عدوَيْه . وبما ان حمود بن سويط كان اميل الى الائتلافيين منه الى خصومهم ، فقد كتب اليه يخبره ان ابن سعود ذاحف عليه ويحذره منه . انه لا انقلاب سريع ، مدهش ، منكر . علم به عبد العزيز آسفاً متجملآ ، وعلم كذلك ان القصد منه ان يسترضي مبارك ابن سويط ويستعين به على الاتحادى سعدون .

ولكن الخبر اشعل الحمية في رجال ابن سعود ، فنادوا بالمهجوم على صاحب الكويت : « هو عدو لنا يا عبد العزيز . بل هو عدو الله . كيف يطلب منك الهجوم على ابن سويط ثم يخبره بذلك ليكون على حذر . رخص لنا فتجريحه الدماء كالانهر في اسواق الكويت ! »

سكن عبد العزيز روعهم قائلاً : « قد قمنا نحن بما علينا . اما هو فقباحة عمله عليه » .

ولكن ابن سويط لم يشأ ان يعادى ابن سعود فارسل اليه يطلب العفو ، فعفا عنه . ثم توجه الى ناحية الزبير فورد كابدة ووجد هناك اغناماً كثيرة لابن السعدون فعنمها كلها . واستمر سائراً الى سفوان ^(١) فلاقاه في الطريق رسول من والى البصرة ومعه وفد من اهل الزبير ، فاکرموه وقدموا له الهدايا الثمينة من الحكومة ومن الاهالي . وبكلمة اخرى جاءوا خائفين مستعطفين ، فامر ابن سعود جيوشه بأن لا يتعدوا على احد وان لا يؤذوا احداً في اطراف الزبير والبصرة .

ثم جاءه الى سفوان عبد العزيز الحسن من قبل الشيخ مبارك بمهمة جديدة . قد كان لمبارك عدد من « الشواوي » اي رعاة الغنم في تلك الانحاء لا يأخذ منهم ذبيحة ^(٢) وهم يوماً من رعايا العراق ، ويوماً من رعاياه ، فكتب الى عبد العزيز يقول : « اريد منك ان تهجم على هؤلاء الشواوي وتأخذهم او تأخذ خيولهم وسلاحهم » . لم يخف على عبد العزيز القصد من ذلك . فقد اراد مبارك ان

(١) كابدة وسفوان ماءان في الطريق الى البصرة على حدود الكويت ونجد .
(٢) ويقال الذبيحة والميعة ، فالميعة من ماحه عند الامير اي شغم له . والذبيحة اي عدد من الانعام يقدمها البدو للامير في سبيل الشفاعة .

يسترضيه ، واراد من جهة اخرى ان يحرك عليه حكومة العراق . ولكن عبد العزيز لم يملكه من تحقيق قصده بل قصديده .

٧ قفل من سفوان راجعاً الى الكويت ، فرفض قومه ان يرجعوا معه : — « لا ندخلها والله غير محاربين » . ابى عبد العزيز ذلك عليهم ، فمشوا معه طائعين حتى وصلوا الى الجهرى ، فنزلوا فيها ، وقد جاء الشيخ مبارك يسلم على « ولده » فاعتذر عما بدا منه دون اسهاب في التصريح ، وقبل عبد العزيز العذر دون معاتبة .

ثم سار يقصد الى الحساء ، وكان قد كثر فيها وفي جوارها الاشقياء ، فبلغه وهو في الطريق ان العجمان العاصين هجموا على عرب من عربان فيصل الدويش واخذوا عدداً كبيراً من الابل ملك رجل من الموصل اسمه « ذوالنون » كان فيه خيافة ابن سعود ، فسارع عبد العزيز الى مقاتلة المعتدين .

ولكنه أخبر انهم على ماء قريب منه ، فراح يطلبهم هناك ، فادرهم واخذهم جميعاً . ثم علم انهم غير المذنبين ، وانهم ابرياء ، فاعاد اليهم كل ما أخذ منهم وأخلى سبيلهم .

اما المذنبون ورئيسهم تركي العرافة ، فكانوا قد النحأوا الى حكومة الترك في الحساء ، فاخبروها ان « ذالنون » من رعاياها من الموصل ، فارسلت الحكومة تخرج على ابن سعود ، وتحذره من التعرض لقبيلة العجمان . فاجاب ان في تأديبه هذه العشيرة خيراً للناس وللحكومة .

ولكنه لم يتأ يومئذ ان يغضب الترك في الحساء فتركهم وشأنهم .

الفصل الثامن عشر

الأتراك والوحدة العربية

خبطت حكومة الاتحاديين في دياجي الاثرة خبط عشواء ، وتلطخت ايدي زعمائها بدم الايرياء ، فنفرت منها كل العناصر الغير التركية ، بل هاجت عليها نخلة عاقلة من الاتراك انفسهم ، ولكنها لم تظفر بشيء يذكر . ولا ظفرت الحكومة بامنية من امانها القومية او الوطنية . فقد حاولت تترك العرب فباق بها الفشل ، وحاولت استرضاءهم بعد ذلك فكانت كالنار في الرماد .

قد افضت تلك السياسة الى الحرب الاولى بعد الدستور ، بل الى الحسارة الاولى من الممالك العثمانية . انتصرت ايطاليا ، وذهبت طرابلس ١٩١٢م الغرب . ولكن الذي يهمني في هذا الصدد هو ان اميراً من امراء العرب اى السيد الادريسي كان حليف الاجانب على الاتراك ، وظل الامراء الكبار الآخرون ، ما عدا الشريف حسين ، على الحياد في تلك الحرب . حتى ان الامام يحيى عدو الادريسي ظل ساكناً ، فلم يغتنم الفرصة للفتك بالادارسة واتباعهم . وحل ما كان من « اخلاصه » للدولة انه ادن لعساكرها ان يتجنز بلادهم لتسقط على الادريسي من الجبال فتجتز ساقه جيشه .

ثم طلبت حكومة الاتحاديين المساعدة من ابن سعود ، وتعهدت ان تقدم له كل ما يحتاج اليه من السلاح والذخيرة والمال ، فما لبى الطلب . وقد كتب الى الحكومة كتاباً يقول انه عربي فلا يحارب من اجل الدولة العرب ، وانه والادريسي على ولاء ، وان البلاد في كل حال بعيدة عنه فلا يتمكن من محاربة اهلها .

عادت الحكومة فطلبت منه ان يخصص الاحساء بعسكر عربي لحماية تلك الناحية ، وبالبحري لحماية الترك فيها ، فرفض ذلك ايضاً .

ثم كتب اليه والي البصرة سليمان شفيق كالي باشا، الذي كان حاكماً عسكرياً في عسير (١٩٠٨-١٩١٢) يسأله رأيه في امراء العرب، وفي شقاقتهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية. فكتب ابن سعود اليه جواباً صريحاً فيه البرهان على انه كان منذ ذاك الحين يفكر في الوحدة العربية. والي القارى. خلاصة هذا الجواب. قال ابن سعود يخاطب والي البصرة :

« انكم لم تحسنوا الى العرب، ولا عاملتموهم في الاقل بالعدل. وانما اعلم ان استشارتكم اياي انما هي وسيلة استطلاع لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي. وهاكم رأبي، ولكم ان تأملوه كما تشاءون. انكم المسؤولون عما في العرب من شقاق، فقد اكتفيتم بان تحكموا واما تمكنتم حتى من ذلك. قد فاتكم ان الراعي مسؤول عن رعيته، وقد فاتكم ان صاحب السيادة لا يستقيم امره الا بالعدل والاحسان، وقد فاتكم ان العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون اذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم. اردتم ان تحكموا العرب فتقضون اربكم منهم فلم تتوفقوا الى شيء من هذا او ذاك. لم تنفعوهم ولا نفعتم انفسكم.

وفي كل حال انتم اليوم في حاجة الى راحة البال لتتمكنوا من النظر الصائب في اموركم الجوهرية. اما ما يختص منها بالعرب فاليكم رأبي فيه: اني ارى ان تدعوا رؤساء العرب كلهم، كبيرهم وصغيرهم، الى مؤتمر يعقد في بلد لا سيادة ولا نفوذ فيه للحكومة العثمانية لتكون لهم حربة المذاكرة. والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف. ثم تقرير احد امرين، اما ان تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد، واما ان تقسموها الى ولايات، فتحددون حدودها وتقيمون على رأس كل ولاية رجلاً كفواً من كل الوجوه، وتربطونها ببعضها ببعض بما هو عام مشترك من المصالح والمؤسسات.

و ينبغي ان تكون هذه الولايات مستقلة استقلالاً ادارياً وتكونوا

انتم المشارفين عليها . فاذا تم ذلك فعلى كل امير عربي ، او رئيس ولاية ، ان يتعهد بان يعضد زملاءه ويكونوا اياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده ، او اخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم .
هذي هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب ، ويكون فيها الضربة القاضية على اعدائكم » .

قد استحسن والي البصرة هذا الرأي فارسل به الى الاستانة . ولكن اولي الامر هناك لم يستحسنوه ، بل سفهوه قائلين : « يريد ابن سعود ان يجمع كلمة العرب بواسطتنا ولخير نفسه » .

وكانت سياستهم مبنية على ظنهم ، فشرعوا يقاومون فكرة الوحدة سراً وعلناً ، بمساعدة عمالهم مباشرة وبواسطة بعض امراء العرب . وقد كان يومئذ جمال باشا في بغداد ، والشريف حسين في مكة ، وابن الرشيد في حائل في مقدمة من يسمعون كلمة الاستانة ويطيعون .

طفق الشريف حسين يحرض على ابن سعود القبائل ومنهم عتيبة . ثم جهز جيشاً لراشد الهزاني ، ^(١) الذي كتب قد لجأ « العرائف » اليه ، وسيره على الحريق . وقد امد « العرائف » كذلك في محاربة نسيبهم صاحب نجد . فارسل عبد العزيز صالح باتا العذل الى الشريف ومعه هدية من الخيل وكتاب جاء فيه : اننا نستغرب منكم هذا العسل وبيننا وبينكم معاهدة .

وكان جيش ابن سعود قد اغار على نخد من عتيبة المتشيعة للعرائف ، فغضب لذلك الشريف ورد صالح العذل حائبا ، ورد فوق ذلك الهدية . فخرج العرائف على ابن سعود . وقد ختمت هذه السنة بخيانة مطير ورئيسها فيصل الدويش الذي استغواه عجمي السعدون واستنهضه وعربانه على محاربة الظفير . اما اليد الخفية في هذه الخيانة فيد الترك ، واما الصوت فصوت المتتر كين يومئذ من العرب .

الفصل التاسع عشر

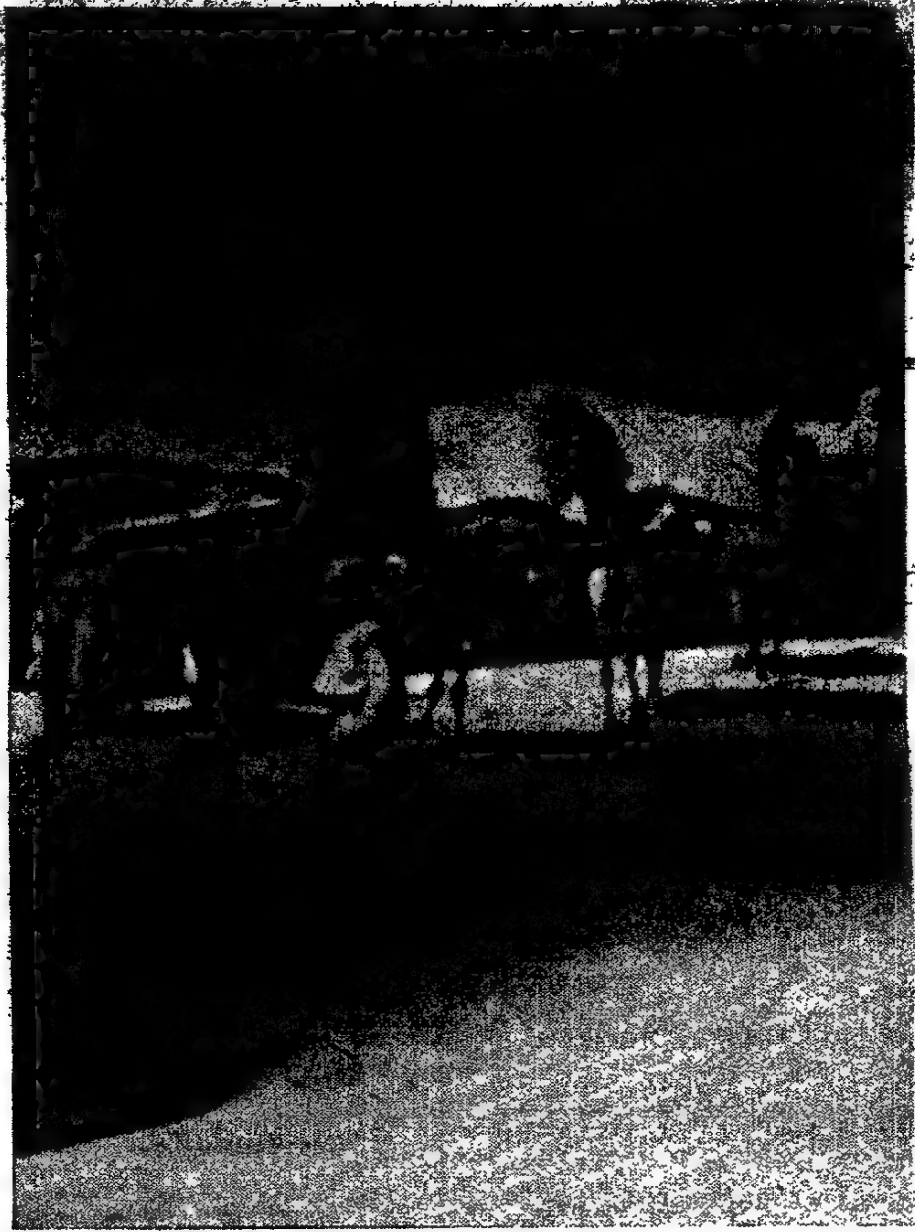
فتح الحساء

ان خلاصة ما تقدم في ما يختص بالترك هي انهم كانوا في عهد الدستور يتأوتون العرب ، وبالاخص من حاول ان يجمع كلمتهم ويوحد سياستهم ، اية ابن سعود . فقد حرضوا عليه الشريف حسين ، وابن الرشيد ، وابن السعدون ، واستغفروا كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هي مطير ، ناهيك بالعجمان في الحساء ويجرب في اطراف الحجاز .

اجل قد بلغت العداوات في بداية هذا العام . اشدها ، فسارع ١٣٣١ هـ عبد العزيز الى تحقيق ما كان يبغيه . خرج في شهر ربيع الاول من الرياض ورحلته الحساء ، فنزل على ماء الخفص حتى آخر الشهر ، واغار اثناء ذلك على عربان من بني مرة مذنبين فأخذ مواشيهم . على ان الغرض من هذه الاغارة لم يكن محصوراً بظاهره .

تقدم بعد ذلك الى الحساء ، فارسل الاتراك يستطلعون خبره وقصده ، فقال : « انما قصدي الامتياز » (شراء الامتعة والازاد) والحقيقة هي انه ابتاع ما كان في حاجة اليه للجنود ، وعاد الى الرياض تاركاً عسكره في الخفص . وفي ذاك الحين وصل الى عاصمة نجد ، قادماً من الشام بطريق الجوف ، رجل انكليزي اسمه ليتشمن^(١) فسأله ابن سعود : « وما القصد من سياحتك ؟ » فاجاب قائلاً : « اني جغرافي واريد ان تساعدني لاجتياز الربع الخالي من واحة جبرين الى عمان » .

(١) هو Col. Gerard Leachman الذي عين بعدئذ مستشاراً في حكومة العراق وقد قتل هناك بين فالوجه وبتداد في ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٠ ، قتله عمداً وأنتقاماً خيس بن ضاري المحمود من قبيلة زويج .



الثقاديف لنقل الحجاج الى مكة والمدينة . وقد اخذت تحمل عملها السيارات

عبد العزيز: « ان قدومك الينا على هذا الوجه خطأ ، فلا علم لنا به ولا معك
توصية من الحكومة البريطانية » .

ليتشن : « اني رجل انكليزي طالب علم ، وانتم مشهورون باكرامكم
الانكليز خصوصاً العلماء منهم » .

لم يتأكد عبد العزيز حقيقة ما ادعاه الرجل ، بل ظن انه يتجسس للترك .
وبما انه كان قد اعتزم الهجوم على الحساء ، وكان قد خامر الترك بعض الريب في
امره ، رأى ان يستخدم هذا الجغرافي لازالة ذلك الريب ، فيطمئن من الخصم
البال ، ويسير هو مطمئناً الى غرضه .

لذلك قال : « لا يستطيع ان يجيب طلبك غير الترك في الحساء ، فارى ان
تذهب الى المتصرف هناك . وانا اكتب اليه بخصوصك » .

ومما قاله في كتابه : « ان هذا الرجل مجهول لدينا ، وهو واصل اليكم فلكم
في ما ينبغي الرأي الموفق ان شاء الله » .

رحل ليتشن ، وبعد قليل شد ابن سعود راجعاً الى معسكره في الخفس .
فكان اول ما باشره ان سعى في ابعاد العجمان لانهم ذوو مطامع سياسية في الحساء
وقد لا يوافقون على احتلالها . وبما انهم وعرب مطير « قوم » اعداء سيرهم الى
الشمال لمحاربتهم لانهم انضموا الى عجمي السعدون .

ثم زحف الى الحساء فالتقى في الطريق بنجباء من حكومتها يحمل كتاباً
اليه من المتصرف وفيه الرجاء ان يعلمه من اية الجهات جاء الانكليزي الى
الرياض . فقال ابن سعود للنجباء : « غداً انت شاء الله انا بنفسي اعلم
المتصرف » .

ذكرت اهم الاسباب التي حملت ابن سعود على فتح الحساء . وهناك
سبب آخر لا يقل اهمية عما تقدم منها ، فقد عجل في الاقل بنتيجتها . كان جمال
باشا — جمال المشانق السورية بعينه — يومئذ والياً في بغداد ، وكان يجامل
ابن سعود ويتظاهر بصداقته ، فوعده بالسعي في حسم الخلاف بينه وبين الشريف
حسين ، وسأله ان يرسل مندوباً الى بغداد للمذاكرة في هذا الامر .

ارسل ابن سعود رجلاً من رجاله المصريين هو احمد بن ثنيان^(١) . ولكن جو السياسة العربية تغير اثناء ذلك ، فسطع فيه نور ابن الرشيد ، وكان النور شبيهاً بوهج الاصفر الزائف . جذب الجمال الى ابن الرشيد ، وعند ما وصل ابن ثنيان الى بغداد وجده غير جميل ، وسمع كلاماً لا جمال فيه ولا حكمة . — « ابن سعود لا يعرف مقامه ، وقد غره ان صفع عنه المشير فيضي باشا . فاذا كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة ، فان في امكاني ان اخترق بلاد نجد من الشمال الى الجنوب بطابورين — بطابورين لا غير » . عاد احمد يحمل هذا الكلام الى عبد العزيز ، فكتب عندما استمعه كتاباً الى جمال ارسله بواسطة وكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل ، وفيه هذه الكلمة :

« قلتم انكم تستطيعون بطابورين ان تخترقوا بلاد نجد من الشمال الى الجنوب . ونحن نقول ان سنقصر لكم الطريق ، وذلك قريب ان شاء الله » . ثم كتب الى عبد اللطيف المنديل : — « اذا سالك الترك هل انت مندوب ابن سعود فقل لهم : اني عثماني » . وقد اشار بذلك خشية ان يلحق به ضرر بعد الهجوم على الحساء . ولكن عبد اللطيف باشا لم يعمل باشارة موكله ، فلم ينكر انه نجدى او وكيل ابن سعود . وقد قال للاتراك : « قد جهلتم قدر هذا الرجل ، وها هو الان يعرفكم بنفسه » .

وصل ابن سعود الى اطراف الحساء ، ولم يكن له فيها معاونون غير وكلائه ابناء القصبي ويوسف بن سويلم . فسألهم ان يعلموه بالمكان المناسب للهجوم على الكوت^(٢) ففعلوا ، واعلموه بما هناك من الصعوبات ، لعلو السور ، ووجود الحرس فارسل اليهم يقول : « اننا هاجمون في هذه الليلة ، وكل صعب مسهل بجول الله » كان عبد العزيز قد نزل على عين من عيون الاحساء تبعد ميلاً واحداً من

(١) توفي في الرياض سنة ١٩٢٣

(٢) الكوت جهة من الهفوف فيها القلعة والحامية .

المهفوف . وفي الساعة الثالثة ليلاً (١٠ افرنجية) في ٥ جمادى الاولى من هذه العام (١٣ نيسان ١٩١٣) خرج من المعسكر بستمئة من رجاله وخطب فيهم قائلاً : « اتنا هاجمون على الترك في الكوت ، واتنا منتصرون باذن الله . امشوا كأنكم بكم الى غرضكم ، ولا تضجوا . اذا كلمكم احد فلا تجيبوه . حتى وان ضربتم بالبنادق ونحن في الطريق ، فلا تضربون . اما وقد صرتم في الكوت فخاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم . ولكن البيوت لا تدخلوها ، والنساء لا تدنوا منهن » . قال ذلك ومشى امامهم . ساروا على الاقدام ، وهم يحملون جزوع النخل والحبال ، فلما وصلوا الى السور قسمهم ثلاث فرق فقال للفرقة الاولى : « انتم تسيرون الى الباب الجنوبي فتقبضون على الحرس وتستولون على الباب وما يليه » . وللفرقة الثانية : « وانتم تسيرون الى السرايا والمنتصرف فيها فتأمرونه » . وللفرقة الثالثة : « وانتم تنفرون في ابراج السور . هذي هي اوامري فاعملوا بها ، ولا تعدوها » .

باشرا ناس حزم الجزوع بالحبال ، فصنعوا منها سلماً تسلقه عشرة من ذوي الشجاعة والاقدام . ثم رموا بالحبال الى العساكر فصعدوا ساكتين ونزلوا الى الكوت متسللين ، والحرس يسألون : من انتم ؟ فلا يجيبهم احد . وكانت كل فرقة عند اكملها داخل السور تسير الى الجهة المعينة لها . ولكن هذا العمل لم يتم دون ان يحدث ضجة في الحصون وفي المدينة . افاقت العساكر والاهالي من النوم ، فاستولى عليهم الخوف والذعر ، وهم لا يدرون من المهاجمون . علت الاصوات ، وأطلقت البنادق ، فامر اذ ذاك عبد العزيز احد رجاله ان يصعد الى السور ويعدو عليه منادياً : « المالك لله ثم لابن سعود ، من اراد العافية يلزم مكانه » .

نادى المنادي بذلك فاستبشر الناس ، وكانوا يهتفون كبارهم وصغارهم : اهلاً وسهلاً ! سمعاً وطاعة ! بل جاءوا بالمياه الى العساكر كنيهم اخوانهم وقد عادوا من سفر .

اما عبد العزيز فكان لا يزال خارج السور ، فاراد ان يتسلقه ، فابى عليه

ذلك من تبقى معه من الجنود ، فهدموا جانباً منه ، فدخل ودخلوا معه . وكان الحرس قد لجأوا الى القلعة ، واهل الكوت ، بعد ان سمعوا صوت المنادي ، قد خرجوا من بيوتهم ، فجاءوا يرحبون بابن سعود ويعاهدونه على الطاعة والولاء . ثم جاء عندما اصبح الصباح من تبقى من الاهالي — جاءوا يبابيعون مثل من تقدمهم — فاكرم محسنهم وعفا عن سيئتهم .

كل ذلك والاتراك تلك الليلة في حصونهم قابعون . وقد كان لهم اربعة في الهفوف وخارجها ، اثنان داخل الكوت ، وحصن الى الجنوب ، وآخر الى الشمال في المبرز . فعندما ابلج الفجر شرعوا يطلقون البنادق والمدافع من تلك الحصون طلقات افصحت عن الذعر الذي كان مستولياً عليهم . فلا اضروا باحد ، ولا ووتوا احداً .

وعند الظهر جاء جندي من جنود ابن سعود باسير من الترك وهو ضابط طاعن في السن ، فارسله عبد العزيز رسولاً الى المتصرف والى قائد الحامية . — « قل لهم يسلموا اذا كانوا يبغون العافية ، ونحن نؤمنهم ونرحلهم الى بلادهم . اما اذا ابوا فليستعدوا للقتال سنهاجمهم في مراكزهم ساعة هاجمنا البلد . الليلة البارحة » .

قبل المتصرف والقائد الامان ، ثم سلمت الحامية التي كانت عددها الف ومئتي جندي ، فاذن عبد العزيز حتى بسلاحهم قائلان : « لا تنزع من الجندي العثماني سلاحه » . اما المدافع والذخائر فظلت مكانها في الحصون . ثم جهزهم بالركائب ، ورحلهم وعائلاتهم . الف ومئتا جندي بعيالهم وامتعهم ساروا من الهفوف الى العقير وليس معهم من يخفرهم ويؤمّن طريقهم غير رجل واحد من رجال — ابن سعود هو احمد بن ثنيان مندوبه السابق الى جمال باشا . وعندما وصلوا الى العقير جهزهم احمد بسفن نقلهم الى البحرين .

بعد احتلال الهفوف ارسل عبد العزيز سرية الى القطيف بقيادة عبدالرحمن بن سويد ، فلما وصل الى تلك الناحية بادر اهلها الى التسليم . ولم يكن للترك في القطيف غير مزرمة من الجنود ، ففروا في السفن هاربين .

اما العساكر الذين كانوا في الحساء فعند وصولهم الى البحرين وجدوا من يزين لهم الرجوع الى العقير، ويشجعهم عليه، علمهم يسترجعون القصر^(١) هناك . وقد ظفر فريق منهم بمركب لآل بسام كان يحتمل تمراً فركبوا فيه وعادوا الى العقير، فجمعوا ليلاً على القصر، فردتهم الحامية خائبين . ثم هجموا على مركزين آخرين، كان في الواحد منهما ثلاثون رجلاً فوزمهم الاتراك واحتلوا مركزهم . بلغ الخبر عبد العزيز وهو في الهفوف، فشد الرحال وسارع الى العقير، فوصلها في الساعة الثانية من الليل . ولكنه كان قد ستر كوكبة من الخيل، فوجدت عند وصولها ان السرية التي كانت في القصر قد هجمت على الترك في المركز الذي احتلوه فوزمهم وأسرت منهم ثلاثين .

اخلى عبد العزيز سبيل هؤلاء في اليوم التالي ولركبهم البحر . ثم كتب الى الشيخ عيسى آل خليفة امير البحرين والى الوكيل السياسي لبريطانية العظمى هناك يلومهم على ما بدا منهم فقال : « ايليق بكم تحريض العدو علينا ونحن اصدقاءكم . فاذا كنتم لا تلافون مثل هذه الاعمال وتمنعونها فالتبعة في ما قد يعقبها هي عليكم » .

جاءه الجواب دون ابطاء، وفيه ان العساكر ركبوا السفن من البحرين قاصدين البصرة، وقد رجعوا الى العقير دون علم من الحكومة او الوكالة . اما الحقيقة فهي ان آل خليفة والوكيل الانكليزي خشوا ان ينقده ابن سعود الى داخل الخليج في فتوحاته، فاقدموا على عمل كان التسرع فيه أظهر من العدا .

(١) القصر مقر الامير هو غالباً الحصن ، او الحصن هو غالباً في التصور .

الفصل العشرون

المفاوضة بسابقوه والشيخ مبارك بعتر

ان على الخليج الى الشرق والجنوب من البحرين رأساً من الارض محاذياً
لشاطئ العقير هو قطر ، كان صاحبه الشيخ قاسم بن ثاني ، شيخ الامراء يومئذ
سنًا وحاهًا ، قد احترب والترك مراراً وحاول عبثاً ان يخرجهم من الحساء .
فعندما فاز ابن سعود بذلك عراه ولا غرو هزات شتى ، منها الخوف على امارته ،
وقد اصبح الفاتح جاره الادنى ، فكتب اليه في شوال (ايلول) من هذا العام
كتاباً شديد اللهجة يحذره ويهدده . وما كان منه غير ذا التهديد . فقد حاصره
بعد اسبوع عدو الحياة الدنيا الحصار الاخير ، فسلم الشيخ قاسم
صاغراً ، وكان من الظافرين بالرحمة الابدية . اما خلفه فقد كان
حكماً فوالى ابن سعود .

وكان عبد العزيز قد توجه الى القطيف ينظم شؤونه . فأمر هناك عبد
الرحمن بن سويلم وأمر في الحساء عبد الله بن جلوي ، رجلين من كبار رجاله ،
وهما حتى اليوم يحكان في تينك الناحيتين .

ثم تاد في خريف هذا العام الى الرياض وقدم من البصرة عبد اللطيف باشا
المتدبيل مندباً من الحكومة العثمانية للتوسط بالصلح بينها وبين فاتح الحساء ،
فقبل عبد العزيز التوسط ، واجل النظر في المسئلة الى الربيع .

وكن الانكلز قد بدأوا بمفاوضته ايضاً ، وبطلبون منه ان يأذن بالاجتماع ،
فرجع الى الحساء في ذي الحجة ، واجتمع في العقير بالوكيل السياهي للبحرين
ومعه رجل آخر اسمه شيكسبير ، سنعود الى ذكره .

اما اجتماع العقير هذا فلم يسفر عن شيء للتاريخ ، الا انه مهد السبيل الى
مقاومة النفوذ الالماني في توكية بعد ان تلاشى فيها النفوذ الانكليزي ، ذلك

النفوذ الذي كان في المقام الاول منذ حرب القرم . خشت انكلتريه على طريق الهند ، فعندما علا نجم ابن سعود ، وظهرت شوكته ، طفقت تخطب وده وتسمى في عقد اتفاق واياه ليكون لها عضداً على الخليج ، فيقف سداً منيعاً دون ذاك النفوذ الالماني الذي كان قد خيم في العراق .

عاد عبد العزيز الى الرياض فبلغه خبر دسيسة في القطيف فارسل مربية اليها ، ثم سار بنفسه الى تلك الناحية ، قزل في الجبيل . وقد جاءه وهو هناك كتاب من الشيخ مبارك الصباح يخبره ان احد كبار الترك قدم الكويته ، ومعه هدية من انور باشا لابن سعود واجازة للتوسط في الصلح .

ثم جاء عبد اللطيف المنديل ليخبر عبد العزيز ان قد تألف للمفاوضات وفد يرأسه السيد طالب النقيب وفيه ياور من ياورية السلطان . تعدد الحاطبون فاضطرب « الوالد » مبارك ، فكتب الى « ولده » يطلب ان يكون الاجتماع في ظله بالكويته ليكلأه بنظره ، ويمده بارشاده — « من حتي عليك يا ولدي ألا تقبل وساطة هؤلاء الا في بلدك الكويته » .

ولكن « الولد » كان قد شبع من كلام « الوالد » وارشاده . ومع ذلك فقد اجاب بعض طلبه فسار الى جهة الكويته ونزل الصبيحية ، على مسير يوه من العاصمة . كتب « الوالد » ثانية يلح بالقدوم اليه ، فاجابه عبد العزيز : « اني الآن قريب من الكويته فليتقدموا الي » .

وبينا هو في الصبيحية كتب اليه الوكيل السياسي لبريطانية العظمى في الكويته يستأذن بالمقابلة ، فضرب له موعداً في مآح ، واجتمع به هناك . جاء الوكيل في السيارة وجاء سائقها بكتاب من مبارك يقول : « كن صلباً معه يا ولدي (اي مع الوكيل) فلا تمكنه من شيء ولا تعطه الجواب الشافي » .

ثم ير « الولد » بأساً في محاملة « والده » هذه المرة لانه لم يكن قد قرر خطته السياسية تجاه الترك والانكليز ، فقال الوكيل : « لا يمكن ان نقرر شيئاً اليوم . ولكن والذي مبارك الصباح ينوب عني » .

عاد الوكيل غضباً الى الكويت ، وركب ابن سعود ضاحكاً فعاد الى معسكره في الصبيحية .

وفي اليوم التالي وصل وفد السيد طالب ، ووصل فجاب يحمل كتاباً من «الوالد» — من مبارك الخائق الحاقد ، اللائم الشاتم . وقد كان ناقماً على الوفد لانه لم يُنتخب لرئاسته ، فكتب الى عبد العزيز يحذره من « هؤلاء الكذابين المكارين الخداعين . كن صلباً معهم يا ولدي ، ولا تمكنهم من شيء ، ولا تصدق ما يقولون . انهم كذابون خداعون » .

كان الشيخ جابر بن مبارك يومئذ عند ابن سعود فاطلعه على كتاب ابيه وقال : « تراه يحذرنى من الانكليز ، ويحذرنى من الاتراك . وهل في امكاني ان احارب الاثنين ؟ » فاجاب جابر : « انظر الى ما فيه مصلحتك واترك الناس » . عقدت جلسة المؤتمر الاولى وكان الشيخ جابر وآخرون من رجال مبارك حاضرين ، فرمى عبد العزيز قبلة من قنابله السياسية ، زعزعت المؤتمر وكادت تبدد شمله . قال يخاطب رجال الوفد : « الاتراك كذابون خداعون ، وانا لا اركن اليهم في المفاوضات . فاذا كنتم تبغون مصالحتي فدونكم والذي مبارك . هو الواسطة بيني وبينكم ، ولست قابلاً بغير ذلك » .

عُقدت هذه الجلسة في الصباح ، فتبعتها جلسة اخرى في ذاك اليوم بعد العشاء . ولكن الفترة بين الجلستين كافية لشير بركانا من الغضب خصوصاً في رئيس الوفد السيد طالب ، ومزاجه مزيج من البارود والكبريت . اظنه نام القيلولة ذاك اليوم ثم صلى المغرب استعازة وصبراً . ثم ضحك ضحكة طالما أضحك بعدئذ ذكرها .

كانت جلسة المساء خصوصية فلم يحضرها غير رجال الوفد . وقد اطعمهم عبد العزيز قبل افتتاح الجلسة على كتاب الشيخ مبارك ، فكانت الضحكة وكان العجب . ثم باثروا المفاوضات الولاية . طلب الوفد ان يكون للدولة معتمدون في القطيف وفي الحساء فأبى ابن سعود وطلب ان تكون العلاقات ولائية فقط ، وان تساعد الدولة لقاء هذا الولاء بالاسلحة والذخيرة والمال . بعد الاتيا

المفاوضون يتسابقون والشيخ مبارك يتعثر ١٩٣

والتي قبل الوفد بذلك وقرروا ان يظل هذا الاتفاق سراً الى ان يقره الباب العالي .

عاد رجال الوفد الى الكويت فاحسن الشيخ مبارك استقبالهم . وعندما سأله عما جرى اخبروه بما قاله ابن سعود في الجلسة الاولى ، فقال : « نصحتكم فما انتصحتم . قلت لكم ان الرجل سفينة عيار ^(١) ولا يملك قيادته احدٌ غيري » . وبعد يومين ادب عبد الوهاب آل قرطاس في البصرة مأدبة للوفد حضرها الوالي شفيق كمال باشا ، والشيخ خزعل ، والشيخ مبارك . وكان الحديث في الوفد وابن سعود .

قال الشيخ مبارك يخاطب الوالي : « ألم اقل لكم انكم لا تلمحون الا اذا اتدبتعوني انا للتوسط بينكم وبين ابن سعود ؟ وما طلبت ذلك منكم والله الا لامرين . اولاً لكي اقوم بخدمة للحكومة العثمانية . وثانياً لكي استر على ابن سعود لأن السفينة لا يعقل ما يقول » .

فاجاب الوالي : « رأيتك هو الصواب ، ولكن الامر انفرط » .

ثم قال مخاطباً رئيس الوفد : « وما قولك انت يا طالب ؟ »

السيد طالب : « اقول ما قاله الشيخ مبارك . فلو كان حضرته معنا لما فشلنا » .

وحان بعد اسبوع حين الضحكة الاخرى التي ذبحت الشيخ ، اذ جاء من

الباب العالي الى والي البصرة برقية فيها التصديق على ما تقرر في مؤتمر الصبحية ^(٢) مقروناً بالشكر لابن سعود ، وبالنشأن العثماني الاول .

حمل السيد طالب تلك البرقية وسارع الى الشيخ مبارك الذي كان يومئذ في القليلة ، فقال بعد السلام : « ابشر يا شيخ ابشر . قد اتفق ولدك مع الحكومة » .

مبارك مدهوشاً : « ومتى كان هذا » .

(١) السفينة الجاهل . والعيار من يركب هواه ولا يزجر نفسه واللفظتان شائعتان في البلاد العربية بمعناها الفصيح .

(٢) قد حالت الحرب العظمى دون تنفيذ هذا الاتفاق .

طالب متهانفاً : « الامر قضي بليلة » .
 مبارك متغيظاً : « كلها من مساعيك يا خبيث » .
 طالب في لهجة السابقة : « تعلم الولد الخباثة من ابيه » .
 مبارك وقد اشتعلت النعمة في عينيه : « سلط الله عليك يا خبيث ! اليك عني » .
 ضحك السيد طالب وهو يعيد قراءة البرقية .
 وبعد ذلك ارسل مبارك رسوله عبد العزيز آل حسن الى ابن سعود يهنئه
 وبولومه لانه لم يخبره بالاتفاق ، فكتب عبد العزيز اليه يقول :
 « اني ابنك وقد اهنت نفسي في القدوم من الجليل الى الكويت . وما ذلك
 الا حباً بك وعملاً بارادتك . ولكن كيف استطيع ان ارضي والدي وهو
 يأمرني بأن لا انفق والانكليز ، وان لا انفق والترك . فاذا بين لي حضرة
 والدي الطريق الثالث اسلكه راضياً شاكراً ، ولكني اسأل والدي الآن كيف
 استحسن ذاك الكلام في ولده على مائدة ابن قرطاس » .
 فكتب مبارك معتذراً على عادته فقال : « لا تصدق يا وليدي اكاذيب
 اللعين طالب ، واكد يا وليدي اني اريد ان اتظاهر امام الاتراك بالبعد عنك
 والجفاء لادرك لك الغاية التي تنسدها » .
 فاجابه عبد العزيز : « والحمد لله ان الامور كانت على ما يرام ، فليهنأ الوالد
 بعز ولده والسلام » .

الفصل الحادي والعشرون

هامة اليهود ومفرقة الوفود

هي الحرب العظمى ! ومع ان الذي هدمته في البلاد العربية لم يكن غير
اليسير في بادية الاطلال فلا بد ، ونحن نكتب تاريخاً عربياً ، من ان نقف عنده
وقوف الاثري فتكشف النقاب من اجل التاريخ عن شيء من ادفانه .

جاءت الوفود وراحت الى الحساء والكويك ، فتفاوض المتفاوضون ، وثنافس
المخاطبون ود ابن سعود . على انه لم يتجسم من النتائج ما يستحق الاسم
والتسجيل غير ذاك الاتفاق الذي تم في الصبيحية واقره الباب العالي .

والغريب العجيب من امر ذاك الباب العالي هو ان يمينه — اذا اذن
البيانين بالاستعارة — لم تعلم بما كانت تعمل يسراه . او ان رجاله في
العراق كانوا في واد ، ورجاله في الحجاز في آخر ، بل كان الفريقان في عزلتين ،
عزلة تبعد الزملاء بعضهم عن بعض ، وعزلة تبعدهم كلهم عن النور الاعلى ، نور
ذاك الباب المشهور . فتعددت الوفود ، في باب ابن سعود ، وعقدت عهود
ناسخة لعهود . ولكن الحرب العظمى ، لحسن حظ الدولة العليا ، هدمت الناسخ
والمسوخ ، ومحت بطلقة نار ، كلام الليل وكلام النهار .

وهاكم الحوادث شهوداً . قبل ان يجتمع وفد السيد طالب النقيب بابن سعود
في الصبيحية اجتمع سعود بن الرشيد بوالي البصرة شفيق كالي باشا قرب الزبير
وتم الاتفاق بينهما على ان تساعد الدولة في محاربة ابن سعود . وقد قدمت لابن
الرشيد عشرة الاف بندقية ، وكثيراً من الذخائر ، وشيئاً من المال .

لم يعلم ابن سعود بهذا الاتفاق الا بعد رجوعه الى الرياض ، فكتب الى
ابن الرشيد يذكره بعهد الصلح الذي بينهما ، ويعيب عليه انفاقه والاتراك .
فاجاب ابن الرشيد : « اني من رجال الدولة ، ومصالحتي واياك لا تكون الا ان

رضت الدولة بها « . فقد عبد العزيز ذلك خيانة منه وكتب اليه يقول : « اذا كنت مصرّاً على نكث العهد فالمقاومة اولى » .

وما خطر في باله عندما كتب هذه الكلمة ان اورد به كانت يومئذ ترددها وقد قامت الدول هناك بعضها على بعض بالسلاح .

شبت الحرب العظمى ، فسارع عبد العزيز ، عندما اتصل به خبرها ، الى مراسلة امراء العرب — الشريف حسين ، وابن الرشيد ، وابن الصباح — في الموضوع ، فارسل النجادة يحملون كتاباً منه هذا فخواه :

قد علمتم ولا شك بوقوع الحرب ، فارى ان نجتمع للمذاكرة علناً ننفق فننقذ العرب من احوالها ، ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا .

بعد ان بعث الرسل بهذا الكتاب جاء السيد طالب من قبل الاتراك ثانية — جاء يسترضي ابن سعود ، فاجتمع به في القصيم .

ولكن الانكليز كانوا اثناء ذلك قد اخلوا البصرة ، فجاء الملازم شيكسبير الذي كان قد اجتمع بابن سعود سابقاً في العقير ، يحمل في حقيبته نفو يضاة لا قيد يقيدها غير المصلحة البريطانية واقتراها بمصلحة نجد .

ثم قدم من المدينة وفد عثماني آخر يحمل الى ابن سعود عشرة الاف ليرة ويتزاف منه بواسطة صديقه محمود شكري الالوي احد اعضاء الوفد .

ثم خرج من الحجاز الامير عبد الله ابن الشريف حسين موفداً من والده للنظر في المسئلة التي كتب عبد العزيز بخصوصها ، فاجتمع على الحدود بمندوب ابن سعود واقترب الاثنان كما اجنهما دون ان يقررا شيئاً . والحقيقة ان الشريف كان يتحين الفرص للهجوم على ابن سعود تنفيذاً كما قيل لتلك المعاهدة التي وصفها الامير خالد بن لوي في قوله : « اكتب له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضرك » .

اما ابن الرشيد فقد جاوب بصراحة يقول : « اني من رجال الدولة ، فاحارب اذا حاربت واصالح اذا صالحت » .

وكتب الشيخ مبارك يعلم « ولده » بان اللورد هاردنغ (Lord Harding) ' حاكم الهند قادم الى البصرة ، — « ومن رأيي يا ولدي ان تقدم انت اليه للمفاوضة » .

ذهبت الدعوة للتفاهم ادراج الرياح ، فعاد ابن سعود الى الوفود يعمل بما حققت المصلحة والاحوال ، فرد وفد الآلومي رداً حسناً . وقد قال للسيد محمود : « انها كما ترى . فلا يمكنني مقاومة الانكليز بعد احتلالهم البصرة » . وكان السيد طالب النقيب ، بعد ذلك الاحتلال ، يخشى الرجوع الى بلده فتوسط عبد العزيز من اجله ، فاذن الانكليز . وقد عاد كما عاد الآلومي خائب الامل . اما الضابط الانكليزي شيكبير فبقي في البلاد العربية ، وبني فيها ، كما سننصح في الفصل التالي ، الى الابد !

الفصل الثاني والعشرون

يوم جراب

محسر اللثام عن مقاصد الاخصام ، فأمدّ الترك ابن الرشيد ، وأمدّ الانكليز ابن سعود . بل مُعد الاول ، وقد تحالف الترك والامان ، مع الدول الوسطى ، ومُعد الثاني مع الاحلاف . هي الحقيقة السياسية ، وقد كانت ذات قيمة في تلك الايام .

اما الحقيقة التاريخية فهي ان ابن سعود اقام في البدء على الحياد ، فلم يحارب الحسين كما اراد الترك ، ولم يشترك في محاربة الترك بالعراق كما اراد الانكليز ، ولا منع رُسل الدولة من المرور بنجد وهم حاملون المال الى اخوانهم الاتراك في اليمن . هي الحقيقة كلها ، فلم يكن ليهمة يومئذ غير امير الجبل الذي نكث عهد الصلح واستعان بالدولة العثمانية على امير نجد .

وقد تأهب الاثنان في وقت قصير للحرب ، فلم يتجاوز جيش كل منهما الثلاثة الاف مقاتل . كان مع ابن سعود نحو الف من الحضرم ، اكثرهم من اهل العارض الاشداء البسلاء ، وثلاثمئة خيال من العجمان ، ما عدا البادية ، ومدفع واحد لا غير . وكانت مع ابن الرشيد ستمئة من الحضرم والف فارس من فرسان شمر . وقد رافق جيش ابن سعود الضابط الانكليزي شيكسبير^(١) الذي اشرت اليه في الفصل السابق .

لم يكن عبد العزيز ليستحسن ذلك ، وقد قال له : « ليس من رأبي ان تمشي معنا ، واني افضل ان ننتظرنا في الزاني ، فنعود ان شاء الله اليك » . فاجاب شيكسبير : « لا يجوز ان يقال ان رجلاً انكليزياً قرب من ساحة القتال بين ابن سعود وابن الرشيد ورجع جباناً وخوفاً » .

الح عبد العزيز في النصيحة ، فألح شيكسبير في الاستئذان ، وركب مع الجيش الى ساحة القتال — الى جراب .

قد كان هذا الضابط الشاب انكليزيا قحاً ، شديد التمسك بعادات اجداده وثقاليد امته في اي مكان كان . فلم يتنازل في البلاد العربية عن شيء منها . هو الرحالة الانكليزي الوحيد ، على ما اظن ، الذي ابنى ان يبدل برنيطته مثلاً بالكوفية والعقال ، ولا جامل العرب في داخل البلاد بغير العباءة التي كانت تستر ثيابه الافرنجية .

ولكن البرنيطة ! — ركب في جيش ابن سعود وهو لا يسها وحامل بين امتعته آلة التصوير .

شيكسبير في جيش الاخوان ! وقد سمعهم يعتزون وينتخون .

اهل التوحيد ! اهل التوحيد !

اهل العوجا ! اهل العوجا !^(١)

وكانت شمر قد اخرجت عمّارياتها^(٢) الابكار الحسان ، يشجعن الرجال ، وهم يرددون نخوة شمر المشهورة :

سناعيس ! سناعيس !^(٣)

سار الجيشان في فيافي القصيم يطلب الواحد الآخر ، وكان سيرهما في صباح

اليوم السابع من ربيع الاول من هذا العام ١٢٤١ (يناير) في شمس
٥١٣٣٣ كانون المدفئة المنشطة ، فاصطدمت الاصوات في جراب قرب الظهر
٢١٩١٥

(١) العوجا اسم من اسماء العارض. والاعتزاء يكون في ترداد اسماء الاباء والاجداد او اسم القبيلة او البلد او ما يرمز الى مفخرة .

(٢) من عادات العرب التي ابطها ابن سعود ان كل قبيلة تنتخب في الحرب بنتاً من بناتها الابكار تسمى العمارية فتدرك في الهودج ، او تقف فيه ، سافرة مرخية الشعر . وتتقدم قوماً الى ساحة الوعى منتخبة منتجة .

(٣) سناعيس جمع سنعوس هي النخوة العمومية ، تم البدو والحضر ، وهناك نخوات اخرى خاصة باهل حائل منها : اهل لبده . واهل ملعان . واهل السودان ، والسود كثيرون في حائل . والملعان يدعون بهبيان الحزاة لانهم كانوا من خاصة آل الرشيد .

قبل ان تصطدم الفرسان •

اهل العوجا ! اهل العوجا !

سنا عيس ! سنا عيس !

وكان اهل العوجا ، اي اهل التوحيد ، يرددون ايضاً كلماتهم المشهورة :

هبت هبوب الجنة ! اين انت يا باغيها !

فيجبهم العماريات الشراريات كل بالعزوة او النخوة الخاصة بقبيلتها •

تصادمت الابطال وتقارعت ، في ظهر ذاك النهار ، وتطاردت وتراجعت ،

فكانت الغلبة في باديء الامر لابن سعود •

هبت هبوب الجنة ! اين انت يا باغيها !

وكان رصاص اهل التوحيد يقع امام الشراريات ، الواقفات فوق اسنمة

الجمال ، فيصحن بالرجال : الى القتال ! ويهتفن هازجات :

يلّي يتعنى حربنا غوبت يا غاوي الدليل

كم واحد من ضربنا دمه على الشلّي يسيل

احتدم القتال ودوت البنادق ، فاصيب شيكسبير برصاصة اودت بحياته •

وكان فرسان العجم قد تراجعوا خيانة وهم يصيحون صيحة الانهزام ،

فاظارت اذ ذاك بادية ابن الرشيد على جناح اهل التوحيد الايسر فدحرته ،

وغنمت امواله •

اما بدو ابن سعود ، واكثرهم من مطير ، فقد اغاروا اثناء ذلك على جيش

ابن الرشيد ومخيّمه ، وكانوا كذلك من الفائزين الغانمين •

هو يوم جراب الذي كان على اهل التوحيد واهل شمر على السواء ، ولم يكن

فيه ظافراً غير البدو من الفرّيقين ، فقد اغاروا ، فغنموا ، فشرّدوا •

الفصل الثالث والعشرون

العجمان

من الاغلاط السائرة بين عامة العرب ان العجمان من العجم . وفي بلاد فارس ايضاً ، على شاطئ الخليج الجنوبي ، من يقولون هذا القول . اما الحقيقة فهي انهم من قبائل اليمن ، من عرب قحطان ، وهم ينتسبون الى همدان^(١) .

كان العجمان في الماضي يسكنون نجران . ثم ارتحلوا شرقاً فوصلوا في ايام الاماء تركي الى الاحساء ، فاحسن اليهم واتزلهم « ديرة » بني خالد هناك . وعند ما تولى فيصل الامارة عاملهم مثل معاملة ابيه لهم ، فابطرتهم النعمة واستفحل امرهم ، فصاروا يقطعون الطرق على السابلة والحجاج . هم موصوفون بالكر والغدر . ولكنهم شديداً الشكيمة وذوو عصبية يندر مثلها في العشائر . عصوا الدولة العثمانية فتركهم وشأنهم ، وكثيراً ما كان عمالها في الاحساء يشاركون رؤساء الغنائم . ومع ذلك فقد كان العجماني يسلب جندي الدولة فرسه ويدخل بها الاحساء اينعلها .

عصوا كذلك الشيخ مبارك الصباح ، فخاربههم ، واسترضاهم ، ولم يتمكن من كبح جماحهم ، ولا من كسب ولائهم . ولكنهم والوا اين سعود ، ثم حالفوا ابناء عمه العرائف عليه . خانوه وحاربوه ، وغلّبوه في بادىء الامر . ومع انهم اصغر القبائل عدداً ، فلا يبلغ المقاتلة فيهم اكثر من خمسة آلاف ، فقد تفوقوا عليها كلها ونازعوا حتى بني خالد السيادة . قال الشاعر :

وقد قسموا الاحساء جهلاً بزعمهم لعجمانهم شطر وللخالدية شطر
المان العرب ! هم يدعون بهذا الاسم لشدة عصبيتهم وبأسهم وثفانيتهم بعضهم
في سبيل بعض . اذا سئل الواحد منهم : انقلب الخير من الله بروحك ، يجيب

(١) جدهم مذكر بن يام بن أصا بن رافع بن مالك بن جشم بن حيوان بن همدان .

قائلاً: « لا اقبل خيراً لا يكون للعجمان كافة » .

وقد جاءهم ابن سعود، عدو البادية وصديق العرب ، بالخير العميم، فرفضوه. حراراً في بادية امرهم ، بل امتشقوا الحسام عليه كما قلت ، ثم زرعوا ذاك الخير فثمر في الهـرّار قطب ديرتهم الان . ولكنهم قبل ذلك زرعوا المكر والخيانة والعصيان . والتاريخ شاهد عليهم خصوصاً في وقعة جراب وفي الحساء .

بعد تلك الوقعة التي لم يفز فيها غير البدو من الجيشين عاد ابن سعود الى القصيم ، وابن الرشيد الى جبل شمر . وكان من الاثنين ان ادّيب الواحد منهما عربان الاخر ، فغزا ابن سعود قبائل من شمر وحرب ، وغزا ابن الرشيد قبائل من مطير ، وكان التوفيق حليف الغزوتين .

على ان عبد العزيز لم يقنع بما ناله من البادية ، فراح يطلب خصمه الذي كان قد رحل مع رجال شمر الى العراق ثم عاد منه . لكن العجمان اثناء ذلك اعتدوا على عشائر ابن الصباح فنهبوا مواشيهم ، فكتب الشيخ مبارك الى عبد العزيز يطلب منه تأديب المذنبين ورد المنهوبات ، فادركه النجاش في شقرا . واليها ايضاً جاء رسول من ابن الرشيد يطلب الصلح فجئدت المعاهدة السابقة . ثم ارسل عبد العزيز ابن عمه ناصرأ الى الشيخ مبارك بكتاب هذا نحوه :

لست يا مبارك بصديق صدوق . قد انالني من العجمان اكثر مما انالك . فصبرت وتحملت . ونحن الان في وقت القِيظ . ولا نتمكن من شدته ان نسير بجيش الى ديرة العجمان . والامر الثاني هو اني في ريب من صلح ابن الرشيد ، فاخشى نكث العهد اذا انا غادرت نجداً ودخلت في حرب والعجمان . والامر الثالث نفقات هذه الحروب وقد تكاثرت عليّ فضاقت في سبيلها الاسباب . والامر الرابع يا حضرة الوالد هو اني اخشى ان يلجأ العجمان بعد الحرب اليك فتقلب علي كما فعلت يوم سعدون والظفير . ومن رأيي في كل حال ان نؤجل المسئلة الى فصل الصيف .

فكتب مبارك الى « ولده » ان الامر لا يؤجل ، واصر على استرجاع المنهوبات ، فاجابه عبد العزيز ان العجمان لا يرجعون ما ينهبون الا مكرهين —

الا بحرب — خصوصاً وانه ، اي مبارك ، مسلفهم الاساءة . ثم قال :
 « فاذا عزمت على محاربتهم تعطيني عهد الله وميثاقه ان تعينني بالمال
 والرجال . وان لا تسلك في سياستك معهم مسلكاً غير مسلكي ، ولا تستقبلهم
 اذا لجأوا اليك ، ولا اتوسط بالصلح بيني وبينهم » .
 عاهده الشيخ مبارك على ذلك — عهد الله ! فمضى عبد العزيز الى الحساء
 بفرقة صغيرة من الحضر والبدو في صيف هذا العام ، وكان العجمان ،
 عند ما علموا بقدومه قد رحلوا تجاه قطر . فحشد جيشاً من اهل
 الحساء وزحف جنوباً متتقياً اثرهم .

قد كان الحر شديداً فلا يستطيع المشي ناهيك بالقتال نهائياً . ولم يكن
 لديهم راحل ، فامروا ماشين فوصلوا الى مكان يسمى كنزان كان العدو معسكراً
 فيه . وكانت اشجار النخل في الليل تبدو كأنها بيوت من الشعر ، فشرعوا
 يطلقون عليها الرصاص . سكت العجمان وراء ذلك النخيل حتى اسرف اهل
 الحساء ذخيرتهم على الاشجار . ثم خرجوا من مكانهم ، فلقوا بهم وهاجموهم من
 وراء ، فتلاحموا واستمروا طيلة ذاك الليل في عراق كانت العاوة فيه شجاعة ،
 وكانت الفوضى اخت الهول وسيدة الظلام .
 جرح عبد العزيز في تلك الليلة ، وقُتل اخوه سعد ، ودارت الدائرة على
 رجاله ، فعادوا منهزمين الى الحساء ، فنقسهم العجمان ونزلوا قرب الهفوف
 فحاصروها ثلاثة اشهر .

كتب عبد العزيز الى ابيه ليستنفر اهل نجد ، والى الشيخ مبارك يستنجد به .
 فسارع اهل نجد للنجدة بقيادة محمد بن عبد الرحمن ومعه احد العرافة سعود
 بن عبد العزيز الذي فر سابقاً من الخرج وانضم الى ابن الرشيد وحارب معه في
 وقعة جراب . فلما رأى ابن عمه عبد العزيز في تلك المحنة استفزته الحمية فعاد اليه
 تائباً مناصراً .

ولكن اعداء ابن سعود الاخرين تحفزو للوثوب عند ما سمعوا بحرب العجمان ،
 فنكث ابن الرشيد عهد الصلح ، ومشى الى بريدة يريد احتلالها . اما الشريف

حسين ، الذي كان قد امن في مفاوضاته والانكليز ليدخل الحرب العظمى مع
الاحلاف ، فلم يسره هذه المرة عمل ابن الرشيد ، فارسل عليه ابنه الامير عبدالله .
زحف الامير الى نجد . ولكنه علم وهو في الطريق برجوع ابن الرشيد من
يريدة مدحوراً ، فتوقف في سيره وعاد مطمئن البال الى الحجاز .
اما الشيخ مبارك فقد ابطأ في ارسال النجدة التي طلبها عبد العزيز ، فكتب
اليه ثانية يذكره بالعهد ، فجهز اذ ذاك ابنه سالمًا واثنين آخرين من اولاده بقوة
صغيرة — مئة وخمسين رجلاً من الحضرميين من البدو — فجاءوا الى الحساء
وانضموا الى جيش ابن سعود .

قلت ان العُجبان حاصروا الهفوف ثلاثة اشهر ، اي مدة الصيف . والحقيقة
انهم تزاو في اماكن تكثر فيها وتخرج مجاري المياه ، فلا يستطيع المهاجمون
الوصول اليهم . ولكنهم في آخر ذي القعدة رحلوا منها ، فشد اذ ذاك عبد
العزيز عليهم .

امر اخاه محمداً وسالم الصباح وجنودهما ان يبقوا في مراكزهم ، وزحفوا ليلاً
بفرقة من رجاله ومعهم بضعة مدافع . امروا ماشين لان اكثر الابل كانت قد
ارسلت الى نجد لقلعة المرعى في الحساء ، فادركوا العُجبان في الصباح ، واطلقوا
المدافع عليهم . ثم هموا بالهجوم ، فسارع اولئك العربان الى ركائبهم وفروا هاربين
تجاه الكويت ، فلم يتمكن رجال ابن سعود ، ولا ركائب لديهم ، من اللحاق بهم .
عاد عبد العزيز الى مقره فأمر اخاه وسالمًا حليفه بمطاردة العُجبان . فجمع
الاثنان رجالهما ومشوا كلهم طائعين متآلفين . ولكنهم ما لبثوا ان تفرقوا .
ادركوا العُجبان — نعم ادركوهم ، فكان الانقلاب وكانت الحيانة . انفق
ابن الصباح واولئك العشائر العاصية ، وهجر حليفه ابن سعود .

لله درك يا مبارك . قلت ان اعماله آية في النعرج والغموض . نصفها سر ،
ونصفها خداع . فقد ارسل يستنجد ابن سعود على العُجبان وقصده ان يزرع
العداء بينهما فيتمكن هو من الاستيلاء على الاحساء . هذا هو السر . وقد جاء
ابن سعود منجداً فغلبه العُجبان ، فاستنجد بابيه مبارك فارسل اليه سالمًا وبقيّة

اولاده—العائلة كلها— وهو يقول في نفسه : جاءت الساعة—ستُحقق الامال .
تصادم ابن سعود والعجمان وشارك حلفاؤه المباركون في القتال، ثم انقلب
سالم فجأة فصالح العجمان واعلن حمايته عليهم . هذه هي الخدعة . وكان مبارك
قد كتب الى ابنه عندما علم انه اشترك في القتال مع ابن سعود يؤبسه ويقول :
« ارسلتك مراقباً لا مقاتلاً . . . اذا غلبهم ابن سعود فنحن معهم يا وليدي .
واذا هم غلبوه فلا تردهم عنه ، ولا تساعدهم عليه » . وقع هذا الكتاب بيد
العجمان فكتبوه . بانث الخدعة ولكن السر ظل مرأ .

عند ما انقلب ابن الصباح على ابن سعود ارسل محمد بن عبد الرحمن يخبر
اخاه عبد العزيز ويستأذنه بالهجوم على العدوين العجمان والمباركين، فاجابه قائلاً :
« لا نفعل . كيف نكون حلفاء في اول النهار واعداً في آخره والناس لا يعرفون
حقيقة الحال » .

ثم كتب الى مبارك يشكو اليه خيانة سالم ويقول : « لم اقدم اكراماً لك على
تأديبه » . فكتب الشيخ المريد بذكره بان بينه وبين العجمان صداقة قديمة .
ثم قال : « طلبت منك ان تسترجع منهوباتي من العجمان ولم اقل لك حاربه
واطردهم من ديارهم » .

قرأ عبد العزيز كتاب مبارك وهو يحده غيظاً ، فنهف مردداً تلك الكلمة
التي يأخذها من فاتحة القرآن اذا هو اعلان الحرب : — اياك نعبد واياك نستعين! —
صبرنا على مبارك صبراً جميلاً ، واحتملنا منه شيئاً كثيراً ، وفادينا من اجله بالمال
والرجال ، وما نحن والله بصابرين الى الابد — اياك نعبد واياك نستعين !

شد عبد العزيز الرجال وزحف مسرعاً يريد مهاجمة العجمان وابن الصباح ،
وكان ذلك في محرم ١٣٣٤ (نوفمبر ١٩١٥) .

ولكنه حين وصوله الى معسكر اخيه محمد واستماعه الكلمة الاولى التي فام
بها النجباء الذي كان قد وصل من الكويت ، وقف مذهولاً محزوناً . — انا لله
وانا اليه راجعون . مات الشيخ مبارك !

الفصل الرابع والعشرون

الانكليز والعرب

عندما انضمت الدولة العثمانية الى الدول الوسطى في الحرب العظمى شرع الانكليز يفاوضون امراء العرب ليدخلوهم في تلك الحرب مع الاحلاف ، او ليضمنوا في الاقل حيادهم . وقد كانت المفاوضات مستمرة في سنة ١٩١٥ بين عدن وجيران ، وبين القاهرة ومكة ، وبين ابني شهر والرياض ، والغرض الاكبر فيها هو محاربة الترك في شبه الجزيرة وصدهم عن تأليف كتلة عربية يقفون بها في وجه بريطانيا العظمى هناك فيقطعون عليها طريق الهند .

وقد كان السيد محمد الادريسي اول من لبى الدعوة فخالف الانكليز في ابريل من سنة ١٩١٦ وحمل على الترك في عسير . ثم ابن السعود فعقد وائاهم معاهدة بعد ستة اشهر اي في ديسمبر . ثم الشريف حسين الذي انفق وعميد بريطانيا العظمى في القاهرة على البنود الخمسة المشهورة^(١) وذلك بعد شهر من تاريخ المعاهدة وابن سعود ، اي في ربيع اول ١٣٣٤ (يناير ١٩١٦) .

ليس من غرضنا النظر في هذه المعاهدات التي امست كلها في خبر كان . ولكننا نسأل القارىء ، لقصد في ما نحن بصده ، ان يذكر هذه التواريخ ، ويذكر خصوصاً ان الاتفاق مع الشريف حسين لم يتم الا بعد الاتفاق مع الاميرين الآخرين .

عندما علم ابن السعود بوفاة الشيخ مبارك ، وتولي ابنه جابر الحكم في الكويت ، عدل عن مهاجمة العجمان وكتب الى الشيخ جابر يعزيه بابيه ، وينصح له الا ينهج على منواله في السياسة . وبينما هو هناك ، اي في الطريق الى الكويت ، جاء رسول من الممثل البريطاني في خليج فارس ، السير برسي كوكس ، (Sir Percy Cox)

(١) ذكرت في «ملوك العرب» الجزء الاول ، صفحتي ٦٠ و ٦١

يرجوه ان يوافيه الى القطيف للمفاوضة في امور هامة . فتوجه عبد العزيز الى تلك الناحية واجتمع بالسري برمي في جزيرة دارين هناك . وكان همّ بريطانية يومئذ ان تخرج التبرك من العراق وسورية بل من البلاد العربية وتؤمن لبواخرها وجنودها الخليج والبحر الاحمر . فاتخذت لتحقيق هذا الغرض طرائق شتى ، منها مخالفة امراء العرب وامدادهم بالمال والسلاح على العدو .

سأل السري برمي كوكس ابن سعود عما يستطيع ان يؤديه من المساعدة لملاحلاف ، فاجابه : « اني اساعدهم بامرين . اعاهدهم اولاً ان لا يجتمع ضرر مني ما دامت المعاهدة بيني وبينهم مرعية الجانب ، واعاهدهم ثانياً ان لا انضم الى حلف عربي خدهم . واني اؤكد لكم ان العرب لا يجتمعون عليكم اذا لم اكن انا معهم . اني احب ان يجتمع امرنا على مساعدة الاحلاف ، — نعم ، وساكتب الى الشريف حسين بهذا الخصوص اذا اجبتم » . ولكن ذاك الامر لم يتم كما سنرى ، فظل لذلك موقف ابن سعود موقفاً سلبياً .

ومن المسائل التي كانت حكومة بريطانية العظمى تريد ان تستطلع رأي امراء العرب فيها مسألة الخلافة . فتكلم السري برمي عن انتقال الخلافة الى العرب ، واتخذ المجاملة سيلاً الى غرضه فعرض المنصب على ابن سعود قائلاً : « ان حكومة جلالة الملك تستحسن ذلك وتساعد في تحقيقه » .

لم يخف على عبد العزيز قصد المعتمد ، فقال « لا ذوق لي بالخلافة . واني لا اري من هو اجدر بها من الشريف حسين » .

اطمان بال الوكيل المحترم ، وارتاحت الوزارة الخارجية الى الخبر الذي مكنها من اطلاق يد المعتمد في مصر . فكانت الخلافة الطعم الالذ في الصنارة التي رماها على شاطئ جدة ، فالتقها الشريف حسين وكان عظيمياً في الارض — مليكاً في مكة ، خليفة في عمان ، اسيراً في قبرص ! وكان ابن سعود في الارض حكيماً .

اما وقد وثبنا وثبة في هذا الفصل لا تجوز في اصطلاح المؤرخين ، فلا بأس

بوثبة اخرى مازلنا في امر الحسين . كلنا نذكر انه شرع يتكلم باسم العرب * بعد ان ابرم ذلك الاتفاق والمعتمد البريطاني في القاهرة ، ويدعي انه زعيمهم الاكبر . ثم جاء يوم التنوير او بالحري المباينة فهلت جريدة القبلة وازدهت احمدتها باللقب الجديد — صاحب الجلالة العظمى ملك العرب .

ليأذن القاري . ان وقف مرة اخرى مستطردين . ليس الذنب في تفريق كلمة العرب ذنب الانكليز وحدهم كما يظن الناس . وهما كم الحقيقة كلها . يجيشهم احد الامراء مدعيًا انه سيد العرب اجمعين ، وانهم كلهم اطوع له من ينانه ، فيسبرون الانكليز غوره ، ويتحققون صدق كلامه او كذبه ، ولكنهم يوالونه لانه على شيء من القوة .

ثم يجيشهم الآخر ودعواه اكبر من دعوى من تقدمه او مثلها ، وكذلك الآخرون ، فيضطر الانكليز ان يحددوا قوة الواحد اكراما للآخر ، فتكون النتيجة التقسيم والتفريق .

عند ما طفت جريدة القبلة تهلل لملك العرب ، وتهتف للمنقذ الاكبر ، استبشر غلاة القومية ، وزعماء النهضة العربية ، فرددوا الهمتاف ولسان حالم يقول : هوذا الزعيم الاكبر ، هوذا المنقذ الاعظم !

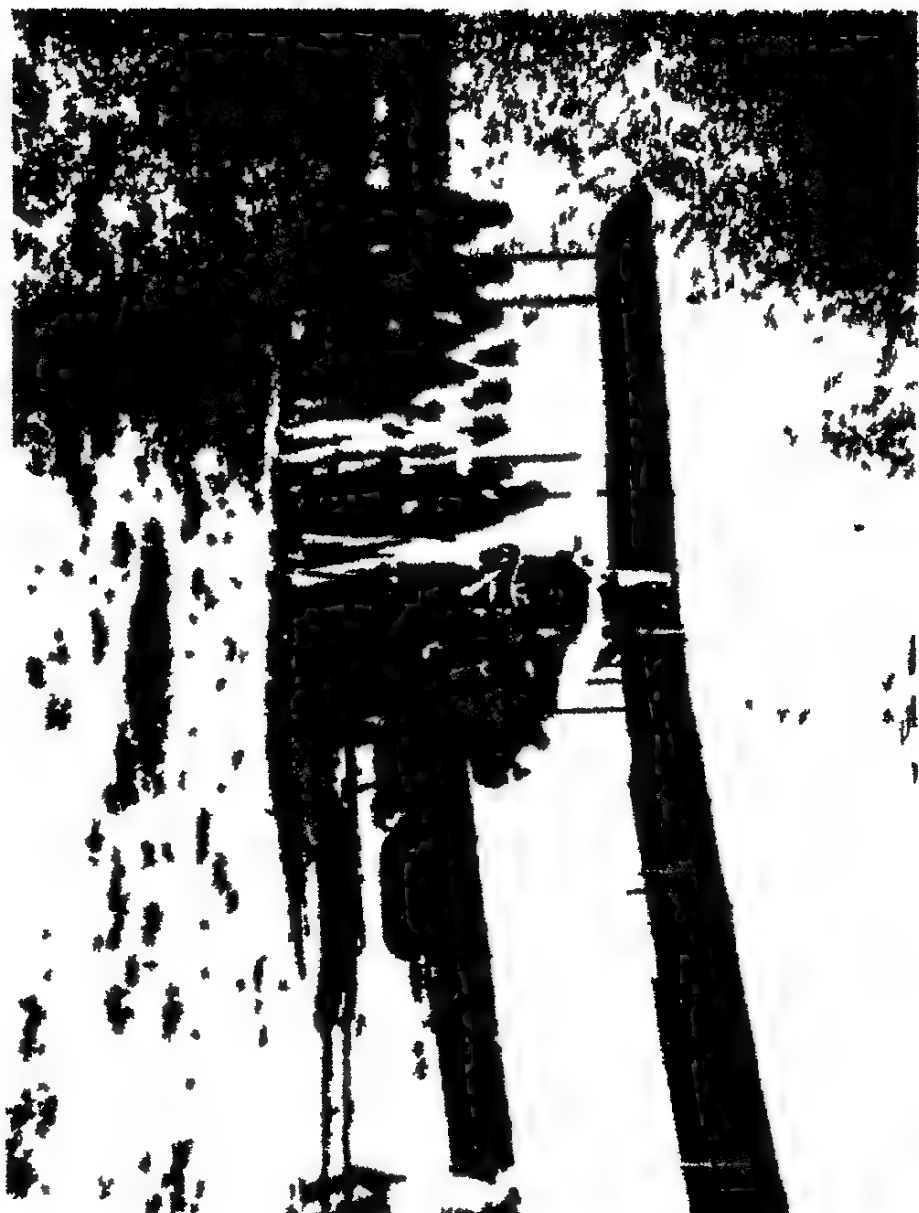
على انه ما كادوا يفرحون حتى جاءتهم الاخبار ان دول الاحلاف اعترفت بالحسين ملكًا على الحجاز — الحجاز فقط . فقالوا اذ ذاك : « هي ذي اوروبة عدوة النهضة . بل هي ذي انكلترة تفرقنا لتسودنا » .

والحقيقة هي ان ابن سعود في مفاوضاته والسربرسي كوكس بخصوص المعاهدة اشترط ان لا يتكلم الشريف باسم العرب ويدعي انه ملك العرب . فقبل الشرط جنًا وكرامة ، وكان الاعتراف بالحسين ملك الحجاز — الحجاز فقط .

اما وقد برأنا من هذا القبيل ذمة بريطانيا العظمى ، فيجب علينا ، من اجل التاريخ ايضا ، ان نسجل عليها فعلتها الكبرى في ابرام ذلك الاتفاق مع الحسين ، وقد وهبته فيه البلاد العربية كلها ما عدا عدن والبصرة .

لا نظن القاري نسي التواريخ التي سألتاه ان يذكرها في مطلع هذا الفصل ،

+



الملك عبد العزيز والي بشاره المؤلف امام الطائرة بجده

اوانه يذكر في الاقل ان الاماق الانكاري الحجازي أبره بعد عقد اعهادتين العربيين في حيران ودارين . وقد اعترفت الحكومة البريطانية مبهما سيادة الاميرين السند محمد الادريسي والامام عبد العزيز آل سعود ، كل في بلاده ، وسيادة من يتولى الحكم بعدهما من بينهما ، تم صحت حدود الملادين ، تعهدت بالدفاع عنهما ، اذا اعتدي عليهما . ثم بعد هذه الصيحات كلها ادخلت الملادين ، ملادي محمد وعسير ، في دولة عربية يرأسها الملك حسين .

لا حاجة الى القول ان تلك المفاوضات كانت مصرية اولاً . ذلك بما تمكنت من الحداد ، او لما كانت هي حادثة مصرية . ماما — كلاءها السياسيين ومعتدبها كانوا حاضرين مع هذه اعمال معص ، فكانت هي اعدوة ، واما انها لم تهتم يومئذ بعير مصالحها — الوقية الحماية — فحدثت من احلها الجميع .

وكان اس سعود اتى الحرب من اعدوين . ولكنه وهو الحكيم الذي لا يطمح الى غير ما يستطيع تحقيقه في زمن معلوم ، عقد تلك المعاهدة التي استمرت مصرية سبع سنوات اي من اذية سنة ١٩١٦ الى اذية سنة ١٩٢٣ .

بعد عقد معاهدة دارين توسط السري رسمي كوكس بين اس سعود واس الصالح في مسألة العجم ، قتل عبد العزيز ابوقف حركاته احرية على خريطة ان يطرد صاحب الكويب العجم من بلاده . وقد عمل شيخ حارب بصيحة السري رسمي . حاب طلب اس سعود .

اما « العواف » الذين اعرفهم لاعدائهم الكبار ، فقد ادركوا ان احوالهم العجم لم يصره الا سارت خصوصه ومضامع سياسته فيه في الاحسا ، وادركوا كذلك ان اسرسله اشبهت به في مسعده لهم اياهما كالعجم كان مظالمهما السيئة كرههما ، اسد . لذلك . دوا تأسس الى عبد العزيز ، وهم اليوم كهم — سبع مئة مئة مئة في الرياض .

الفصل الخامس والعشرون

هدايا وتغيف من بلاد الشريف

بعد عقد المعاهدة في دارين عاد ابن سعود الى الرياض وارسل رسوله صالح باشا العذلب الى الشريف حسين يخبره بما جرى بينه وبين الانكليز ، ويعرض عليه المؤازرة في مساعدة الاحلاف . وكان الشريف ، كما اسلفت القول ، لا يزال في طور المفاوضات والعميد البريطاني في القاهرة ، فعند ما علم بعقد المعاهدة وابن سعود خشي ان يتقدمه في الزعامة والنفوذ لدى الاحلاف ، فسارع الى قبول البنود الخمسة وتم الاتفاق سرّاً بينه وبين العميد .

ولكنه لم يعلن الثورة على الترك الا بعد اربعة اشهر (شعبان ١٣٣٤ — يونيو ١٩١٦) من تاريخ ذاك الاتفاق ، لاسباب ذكر بعضها ، ولم يذكر اهمها ، وهو ان نجله الامير فيصل كان لا يزال في الشام تخاف عليه من جمال باشا . لذلك كتب الى الجمال بعده بتجنيد فرقة حجازية للزحف مع جنود الدولة الى ترعة السويس ، وألح عليه في ارسال فيصل لهذه الغاية .

وقد كتب ايضا عن ابن سعود خبر ذاك الاتفاق ، فاعطى رسوله صالح باشا العذلب جواباً نصفه شكر ، والنصف الآخر ايهام في ثوب المجاملة .

ولكن تلك المفاوضات السرية ، او في الاقل مجمي ، الرسل من بور سودان ورواحم ، أيقظ في دوائر الحكومة الحجازية عيون الرب والشبهة ، فادرك الوالي غالب باشا بعض ما كان يبطنه الشريف حسين ، وعقد النية على مفاوضة ابن سعود في الامر . ولكنه موّه قصده بالطريقة التي اتخذها اليه . فقد ارسل رسوله وهدية الى عبد العزيز بواسطة الشريف الذي ابقي الهدية عنده وأذن الرسول بالسفر الى نجد .

وكان ذاك الرسول يحمل كتاباً من غالب باشا هذا معناه :

« انك تعلم باعمال الشريف وانا الان ازيدك علماً . انه يفاوض الانكليز وهو على وشك ان يخون الدولة ويفتح لاعدائها الحرمين . فاذا قدمت الى الحجاز اسلمك الحرم واساعدك بكل ما لدي من قوة » .

فارسل ابن سعود اليه هدية وقال في جوابه انه والحسين يدٌ واحدة . ولكن الهدية وصلت الى مكة بعد ان أعلنت الثورة فاستلمها الشريف حسين وابقاها عنده — « أكل الشريف الهديتين » كما قال عبد العزيز ، ونهض وانجأه على الترك طمعاً بالهدية الكبرى التي وعده بها الانكليز .

أعلنت الثورة وطفقت ثوارد الى جده من بور سودان الامدادات الحربية والمالية . جاء الذهب بالصناديق ليستخدمه الشريف في تجنيد العرب وفي استمالة امرائهم ورؤسائهم الى النهضة . فارسل الى ابن سعود صرة في آخر هذا العام واتبعها في العام التالي بثلاث صرر مقدار الواحدة نحو خمسة الاف ليرة . ١٣٣٤ هـ
١٩١٦ و ١٩١٧ م ولكنه لم يكتب اليه كلمة بخصوصها . « كان يجي * الرسول بهذا المال فيقول — من جلالة الملك . ليس الا » .

ولكن عبد العزيز ، عند ما تكررت تلك الهدايا المالية ، عقد مجلساً طالياً حضره والده الامام عبد الرحمن ورئيس قضاة نجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف فأطلعهم على الامر وقال : « اذا كان القصد من ارسال هذا الذهب المساعدة في الحرب فالقصد محقق ، لاني امرت اهل نجد خصوصاً اهل القصيم وعتيبة وحرب بمساعدة الشريف ، وامرتهم كذلك بالا يتعدى احدٌ منهم على من اراد ان ينضم الى جيش الحجاز » . فقال الامام عبد الرحمن : « لو كانت الشريف يبغى المساعدة فقط لكتب الينا بذلك . ولست ارى في قصده غير الخوف من ان نقتنم فرصة قيامه على الترك فنحمل عليه ، فاراد في ارسال الذهب تسكيننا » .

وقد كان رئيس القضاة من هذا الرأي ، فقال عبد العزيز : « يمكن ذلك . ولكني ساكتب اليه فاتحقق الامر . فاذا كان يبغى المساعدة ، وهو صادق في عمله وقوله ، ساعدناه باكثر مما نقده . واذا كان له قصد آخر انتبهنا اليه » .

وهاك خلاصة الكتاب كتابه :

يا حضرة والدي ، اننا واياك في هذه الحرب ، وثمرتها لنا ولك . فقد
مشت عرباننا وعشائرنا ، عملاً باوامرتنا ، الى مساعدتكم . ولكني ابني اكثر
من ذلك . واني مستعد ان ارسل اليك امد اخوتي او اولادي ليحارب
مع اولادكم . وفي ذلك الفوز الاكبر ان شاء الله . . . قد يكون حدث بيننا
وبينكم سوء تفاهم في الماضي . فلا بد اذن من التفاهم والتأمينات . وذلك بان
نحدد الحدود بيننا وبينكم فنزول الشكوك ونضعف من اهل نجد المساعدات .

عند ما وصل هذا الكتاب الى صاحب الجلالة زهير في جريدة القبلة ،
وفي الديوان الهاشمي ، فسُمع صوته في نجد . قال عظمة السلطان : « لا اذكر من
جوابه غير هذه الكلمات : اما انك سكران يا ابن سعود ، واما انك مجنون .
افلا تعلم لاي امر قننا واي غرض نبغي » ؟

كتب عبد العزيز الى الوكيل البريطاني في البصرة يطلب الاجتماع به في
القريب العاجل ، فاجتمعوا في العقير . وبعد ان اطلع السر برسي كوكس على
كتاب الحسين قال : « لا تكترث به . نحن ضامنون استقلالك وتعهده بان
لا يتعدى عليك الشريف او غيره . وانت تعلم ان اية حركة على الشريف
اليوم هي علينا ومساعدة لاعدائنا واعدائك » .

وقد الح عليه في هذا الاجتماع ان يعطيه جواباً قاطعاً ان لا يكون بينه وبينه
الشريف محاربة ، فوعده بذلك على شرطين ، اولهما ان لا يتدخل الشريف في
شؤون نجد ، والثاني ان لا يتكلم باسم العرب و يدعو نفسه ملك العرب . تعهد
السر برسي بذلك ، ثم دعا عبد العزيز لزيارة البصرة ، فاجى الدعوة ، وعرج في
طريقه على الكويت ليعزي آل صباح بوفاة كبيرهم الشيخ مبارك

الفصل السادس والعشرون

وقود الانكليز والعرب

في سنتي الحرب الاخيرتين بيلي الانكليز في البلاد العربية بأعزى خطيرين
الاول سيامي في الحجاز، والثاني حربي في العراق، فسعوا في معالجتهم واذلالها
ما استطاعوا سياسياً ومالياً .

وقد كانت مقاصد الحربية ثلاثة : اولاً ، ان يعقدوا جبل الولاء بين
الامراء احلافهم . ثانياً ، ان يحكموا نطاق الحصار ويشددوه على العدو من
الجهات العربية كلها . ثالثاً ، ان يستخدموا ما عند كل امير من قوى القتال ،
ويضيفوا ما امكنهم اليها ، في سبيل النصر .

قد امدوا الملك حسين بالاسلحة والذخائر والمال تحقيقاً للقصد الاخير ،
ولكنهم في اتكالمهم عليه كل الاتكال ايقظوا فيه روح الاثرة وشجعوها ، فنجم
عنها العداء لامراء العرب كالم خصوصاً لابن سعود . وبكلمة اخرى ان
الانكليز في تعزيزهم القصد الثالث افسدوا على انفسهم القصد الاول ، فاصبحوا
عاجزين عن تحقيق القصد الثاني .

ولم يكن الملك حسين ليساعدهم في التغلب على الصعوبات ، ولا اذن بتنفيذ
تلك الخطة التي اتخذوها الى غرضهم الاكبر . فعندما جاء المستر ستورس ورفيقه
المستر هوغرث^(١) الى جده ، ليسافرا من قبل المعتمد البريطاني في القاهرة الى
الرياض عن طريق الحجاز ، لم يأذن الملك بذلك لان الامن كما ادعي كان مفقوداً .
والحقيقة هي انه كان يخشى ان ترجح كفة النفوذ في الرياض ، بل كان
يخشى ان يكون اتفاق الانكليز وابن سعود مضرراً بمصالحه ، او محققاً باتفاقه

(١) Ronald Storrs وقد عين بعدئذ حاكم القدس العسكري
D. G. Hogarth مؤلف كتاب « التغلب في البلاد العربية »

وايامهم . لذلك لم يرضَ باي اتفاق بينهم وبين غيره من امراء العرب الا اذا تم ذاك الاتفاق بواسطته .

— « اتركوا لي ابن سعود — انا اعالجه — اقول — انا اعالجه لخيركم وخير

العرب »

وقد كان ابن سعود مثل الحسين من هذا القبيل ، اي انه حافظ على عهوده وبريطانية العظمى ، ولكنه كان يظن ان بينها وبين خصمه اتفاقاً سرياً ، ملحقاً للمعاهدة ، يضرّ به وبمصالحه . ولا نستغرب هذه الظنون عندما نذكر ما تقدم في الفصل الخامس والعشرين . فهل يصلح رسل التوفيق ما افسده عاقدو المعاهدات ؟ عندما اقلت في وجه وفد القاهرة ابواب الحجاز جاء الى الرياض في طليعة هذا العام الهجري (نوفبر ١٩١٧) وفد من الكويت ومن البحرين ، مؤلف من الوكيل السياسي الكولونل هاملتن والمسترفلي والكولونل ١٣٣٦ هـ
١٩١٧ م ^(١) ، ليقاضوا ابن سعود في الامرين السياسي والحربي اللذين تقدم ذكرهما ، اي ليوفقوا بينه وبين الحسين ، وليستنهضوه على ابن الرشيد وعلى احلافه من عشائر العراق .

وكان عبد العزيز قد علم بتوقيف وفد القاهرة في جدّه ، فطلب المسترفلي ان يتوسط في الامر وتعهد اذا أُذن بالسفر الى الحجاز ان يعود عاجلاً ومعه المعتمد البريطاني ، فاذهبه عبد العزيز بالسفر ، وارفقه برهط من رجاله . قد كان للمسترفلي قصد آخر في رحلته هذه ، وهو يلتمح اليه في كتابه . فلا بأس اذن ، خصوصاً ان تلك الحوادث اصبحت في ذمة التاريخ ، بالافصاح عنه في كتابنا . من المعلوم ان الطريق الى نجد برآ من الحجاز هي اقصر جداً من الطريق البحرية الهندية ، وقد كانت رغم ادعاء الملك حسين آمن منها في تلك الايام . وما لا يعلمه الناس ان المال الذي كان يُبذل في شبه الجزيرة كان يجيء عن

(١) Col. R. E. A. Hamilton يومئذ الوكيل السياسي في الكويت
H. St. John Philby مؤلف كتاب «قلب البلاد العربية»
Col. Gunliffe Owen

طريق مصر ، وان الحكومة الانكليزية في الخليج الفارسي كانت في حاجة الى قسم كبير ليصرف في اطراف العراق ونجد .

عاد الكولونل هاملتن والكولونل أوين الى الكويت ، وسافر المستر فلي فيف الشهر الاول من عام ١٩١٨ الى الحجاز ، وهو متأكد انه سيعود في الطريق نفسها ومعه في الاقل المال الذي كان متوقفا في جده . قد ارسل معه ابن سعود كتابا الى الملك حسين مديجا بيراغ اللطف والولاء . ولكن الحسين ، وهو المشهور بتصلبه ، تغلب على اللطف فيه حتى وعلى المواردية ، فتجهم المستر فلي ، ولم يلبس غيظه شيئا من زخرف الكلام او الابتسام — « الرجوع الى نجد يا حضرة النجيب هو غير ممكن الان — غير ممكن » .

اما رجال ابن سعود فاذن لهم بالرجوع الى بلادهم ، ولم يزودهم بكلمة لطيفة او عنف لعبد العزيز . « لا لزوم يا اولادي للكتابة . نحن نحل مشاكلنا بيدنا » كذلك عولج المشكل السياسي خلال الحرب ، فظل مشكلا بعدها .

اما المشكل الحربي فقد كان جله يخصص بمصادرة المون والذخائر التي كانت تصل الى الاتراك في بغداد وفي الشام عن طريق الكويت والبادية .

وكانت الكويت الباب الاكبر للتهريب تجميعها المون ، الثاي منلا والارز والسكر ، من الهند والعجم فتباع باسعار باهظة ، وتشرب الى وكلاء الدولة او بالحري الى رؤساء العشائر ، فيهربونها الى الاتراك والالمان في سورية وفلسطين .

ومن اولئك الرؤساء ماجد بن عجيل شيخ العبداء ، اكبر قبائل شمر ، وضاري بن طوالة شيخ شمر العراق ، وعجيمي السعدون رئيس المنتفق . فقد كان العدو في الشام وفي بغداد يحصل بواسطتهم ، مها كانت الاسعار باهظة ، على كثير من الارزاق والذخائر التي كانت تنجي الى الكويت للانكليز في جنوب العراق .

على الانكليز اذن ان يصادروا المهربين ، ويحكموا نطاق الحصار لمنع التهريب او تخفيفه ، فحاولوا لذلك حراسة خط يمتد من الكويت الى البصرة فالناصرية . ولكن الكويت نفسها كانت اضعف حلقة في سلسلة الحصار ، وكان حاكم

الكويت الشيخ سالم الصباح من كبار المستثمرين تجارة بلاده ، وبالتالي المستغلين عملية التهريب . ومع ان الكويت في حوزة الانكليز فلم يتعمقوا من احكام النطاق الحربي عليها ، فاضطروا في النهاية ان يحددوا وارداتها فلا تتجاوز الكمية المعروفة قبل الحرب .

ومع ذلك فقد كان يتسرب الى العدو قسم كبير منها ، فبدلوا المال في العشائر للمصادرة ، واشتروا كبار المهريين مثل ماجد بن عجيل وضاري بن طواله ترى البحث يجرنا الى مهمة المستر فلي الثانية . فقد عاد عن طريق الهند والبصرة في ربيع ١٩١٨ ، وخرج الى البادية ينشد المصادرين ، وفي قافلته جمال تحمل اكياساً من الفضة . وكان ضاري بن طواله قد انخرط في السلك الانكليزي لقاء مشاهرات معلومة ، ووظيفته مصادرة البضائع التي كانت تصل الى الشام بواسطة ابن الرشيد في حائل . ولكن ضاري شيخ من مشايخ شمر وشمر هي ظهر ابن الرشيد . فهل يلاء اذا صادر اعداءه فقط ؟

جاءه فلي وهو في الحفر — جاءه يحمل النقود ، عاقدة العهود والناقضة لها . فشكى ضاري اليه ضيق الحال ، وفقر الرجال — والحاجة يا فلي شديدة الى المال . أناخ فلي جماله ، جميل الله حاله ، فابتسم الضاري وقال : « والله يا فلي حننا رجالك » فقال فلي : « قوموا اذنت وارحلوا معي الى ابن سعود » . فامتل ضاري الامر ، وشد الرجال ، فركب في موكبه ستون من رجاله . جاءوا والمستر فلي يتوددون الى ابن سعود ويقطعون له العهود . فاجتمعوا به على غدير يدعى الشوكي ، وانفقوا ان تكون المصادرة عامة بدون تمييز . واقسم ضاري ميمناً مغلظة ان شمر العراق تكون دائماً ابداً مخصصة للانكليز ولا ابن السعود . ثم ارسل ماجد بن عجيل شيخ العبداء رسوله الى عبد العزيز يطلب الصلح فقال له : « اني انذركم يا اهل شمر . فاذا كنتم مخلصين لنا تعالوا اقيموا في كبدي . واما اذا كنتم تفاوضون الانكليز وتساعدون الترك فانا عدوكم والله وقاهركم ان شا الله »

— « ما حائل يا مستر فلي فاذا تركتم امرها لي فانا اعالجه بالسياسة . واذا

الحتم فعليكم بالمدد» .

لم يكن المدد المقصود المال ، بل الاسلحة والذخيرة ، وهي يومئذ قليلة عزيزة . ثم قال عبد العزيز : « حائل في فكرنا دائماً . ولكن حائل جدار ونار . ترى الصحيح . ان ابن الرشيد محصن فيها وراء الجدران والمدافع » . عاد المستر فلي مع ابن سعود الى الرياض ، وكانت المفاوضات والمباحثات متواصلة . قال عبد العزيز : « اني قادر ان امنع ابن الرشيد عن محاربة الشريف وهذا جل ما تبتغونه الان . ولكن العهد الذي بيني وبين شمر يوجب التبرص . فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم . فاذا رجع ابن الرشيد وكان حليفاً لنا ، فذلك خير . تحقّق المقاصد بدون قتال . والا فتحاربه » .

اما العهد الذي اشار اليه فهو ان عبد العزيز ، بعد سفر فلي الى الحجاز ، شد على ابن الرشيد الذي كان يومئذ على الحجر عند الترك . ولكن مشائخ قبائله جاءوا ابن سعود يعاهدونه على الطاعة والولاء . ودليل صدقهم كما قالوا هو ان ابن الرشيد طلب منهم ان يحاربوا مع الترك الشريف فأبوا . وقد تعاهدوا وابن سعود انهم ينذرون ابن الرشيد ، — « فاذا قدم من الحجر وكان معك يداً واحدة فنحن عشائره وعشائرك ، واذا رفض الرجوع فنحن معك عليه » .

لبث عبد العزيز ينتظر الجواب من مشائخ شمر . ولم ير ان يبقى المستر فلي اثناء ذلك عنده في الرياض ، فصارحه في الامر ، فرغب فلي في رحلة عالمية الى وادي الدواسر . آذن عبد العزيز بذلك ، ورحلته مصحوباً برهط من المحافظة في شهر رمضان ، فعاد الى الرياض في الشهر التالي (صيف ١٩١٨) .

وكان قد جاء الجواب من ابن الرشيد يرفض مطالب رؤساء شمر ، فتد عبد العزيز يريد الزحف الى حائل ، وكان المستر فلي مرافقاً للجيش . ولكنه لم يكن مثل مواطنه المأسوف عليه شيكسبير الذي حضر معركة جراب وشارك في القتال — وفي الضحية .

تحلف فلي في القصيم ، وتقدم عبد العزيز بجيشه الى حائل . بيد انه لم يكن القصد يومئذ غير ان يشغل ابن الرشيد فيمنعه عن مناوشات العرب الذين كانوا

يحاربون مع الاحلاف في شرقي الاردن . فلما وصل الى ماء ياطب في اطراف حائل ، رأى جموعاً كبيرة من العربان وقد حالوا دون امنيته . ولكنه هاجمهم ، فاصاب منهم مغنياً ، وعاد فنزل على ماء آخر قريب من المدينة ، فخرج ابن الرشيد في آخر النهار يريد الهجوم عليه ليلاً . ثم عدل عن قصده وقفل راجعاً بدون قتال . كان قد بدأ الجنرال آلنبي في الهجوم العام على الترك في فلسطين وشرقي الاردن ، وكان الترك يستنجدون ابن الرشيد ، فعدل عن محاربة ابن سعود . من المؤلف في مثل هذه الحال — ان ينهض الجيش المهاجم فيتأثر الجيش المنقهر ويمتد ساقته . ولكن ابن سعود لم يفعل ذلك . بل عاد في اليوم التالي الى القصيم وقصده ان يجمع قوة اكبر من تلك التي كانت معه فيقسمها الى قسمين ، قسم لمنازلة عربان شمر وقسم لمهاجمة حائل . ولكنه مثل خصمه عدل ايضاً عن قصده . والسبب في الحالين هو ما أحرزه جيوش الاحلاف والعرب في هذا الشهر (ذي القعدة — ايلول) من النصر في فلسطين وسورية ، فوصل الخبر كالبرق الى البلاد العربية .

دخل العرب الشام ظافرين ! فر الترك منهزمين ! فاز الاحلاف الفوز المبين
سلم الالمان — عقد الصلح ! وما بال العرب لا يتعظون ويتصالحون !
اتعظ العرب . فقد توقف في ذلك الحين ابن الرشيد وابن سعود عن القتال
وعقدا فوق ذلك — مثل الاحلاف والالمان في فرساي — صلحاً صغيراً

الفصل السابع والعشرون

وقعة نربة ومقدماتها

بعد ان ساحت المدينة ^(١) كتب الامير عبد الله ابن الملك حسين الى امراء العرب يخبرهم بذلك وارسل الى ابن سعود الكتاب الآتي :

« الى حضرة المحترم المكرم الامير عبد العزيز بن سعود الفيصل .
وبعد فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو . واصلي واسلم علي خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين . ثم اخبرك بان الله فتح لنا ابواب مدينة خير البرية ، وان حاميتها قد أسمرت ، واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف ، وجميع الاملاك والالات والادوات العائدة للحكومة الغابرة . كما ان فخري باشا ^(٢) قد اعتقل في بئر درويش . واما العساكر فبادرنا بنقلهم الى بلادهم . ولا يخفى على مدارككم بانه لم يبق والحالة هذه شاغل ما يشغل حكومة صاحب الجلالة ادامه الله وايده عن الاتفات لاصلاح داخليتها وشؤونها والتكيل بمن يسعى المافساد والتخريب من العشائر التابعة لها . والسلام عليكم ورحمة الله » .

في ١٣ ربيع الآخر ١٣٣٧ قائد الجيوش الشرقية

الختم
الامير
قال الي
عبد الله

وقد كتب ابن سعود اليه كتاب تهنئة دعاه فيه للتفاهم بخصوص العشائر

(١) استمر حصار المدينة ثلاث سنوات ولم يسلم فخري باشا الا بعد اعلان الهدنة بشهرين اي في ١١ ربيع الثاني ١٣٣٧ (١٥ يناير ١٩١٩)
(٢) عينته بعدئذ الجمهورية التركية سفيراً لها في افغانستان

«وأكد له انه لا ينبغي غير السلم اذا كان هو من المسلمين . فجاءه الجواب الآتي :

« الى جناب سامي الرحاب الشهم الاوحد والهمام الالمجد ، الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود سلمه الله » .

وبعد الديباجة المفعمة بالتودد والتبجيل يقول :

« اني منكف (راجع) ان شاء الله تعالى الى الوطن في الاسبوع القادم لاكون بخدمة صاحب الجلالة الهاشمية ادام الله نصره . واني ارجوكم ان تبلغوا سلامي الى معالي والدكم الجليل والانجال والاخوان الكرام . ومن لدينا حضرة صاحب السمو الملكي سيدي الامير علي نصره الله يهديكم جزيل السلام » .

قائد الجيش الشرقي الهاشمي

في ٣ جمادى الثانية ١٣٣٧

الختم الامير

ومع هذا الكتاب كتاب مثله لهجة من جلالة الحسين ، و « ملحق خير » من سمو الامير فيه ما يأتي :

« اني اخوكم الصادق ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون . ولا يجوز ان يفرق بينكم وبين والدي امور البادية التي لا اهمية لها . . . وكيف يمكن ان يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوص تربة واخرمة والبادية ؟ ها انا متوجه الى مكة فارجوكم ان ترسلوا احد رجالكم وان ارتأيت ان يكون احد انجائك فذلك اولى ، وانا كفيل بالنجاح بحسم الخلاف والاتفاق مع سيدي الوالد » .

واكن احد العقيلات^(١) الذين كانوا في الحجاز جاء يخبر عبد العزيز ان الامير عبد الله يتأهب للزحف الى تربة . ثم جاء آخر يقول ان الامير خرج من المدينة ووجهته تربة . فكتب عبد العزيز الى حكومة بريطانيا العظمى بواسطة

(١) العقيلات [راجع الشرح في صفحة ١٢٥] تجار من القصيم وقد كان منهم عدد في جيش الامير عبد الله

مندوبها في العراق يخبرها بمقاصد الملك حسين وقائد جيشه ابنه عبد الله . فجاءه .
الجواب ان ذلك من الاشاعات التي لا صحة لها .

كتب ابن سعود ثانياً يقول ما معناه : اني متحقق ما اخبرتكم به وما اخبرتكم
خوفاً او شكاية بل لتكونوا عالمين بالحوادث وبما قد يعقبها . وكتب ثالثاً يخبر
المندوب السامي ان الامير عبد الله مشى بجيشه من المدينة ووجهته تربة . فلم يجئه
جواب الكتاب الاخير .

وكان قد جهز سرية . مؤلفة من الف ومئتي هجان بقيادة سلطان بن بجاد امير
القطيف فامرها اذ ذاك بالسير الى الخرمة وتربة للمحافظة على امالي تلك
الناحية ، وامر ابن بجاد والعالم المرافق السرية بأن تكون خطتها الدفاع لاغير .
ثم ارسل بعض العقيلات متجسسين ، وامرهم بان يخبروه خصوصاً بما يفعله
الامير عند ما يصل الى عشيرة . فاذا ترك عسكره هناك ودخل مكة كان في ما
كتب صادقاً ، واذا استمر سائراً كان جوابه خدعة .

زحف الامير عبد الله بجيشه من المدينة جنوباً الى عشيرة (١) فوافاه اليها
جلالة الملك والده . وبعد المفاوضة عاد الحسين الى مكة واستأنف عبد الله السير
جنوباً ، فخيم في شعب يدعى البدائع في جبل حفان .

حدثني سمو الامير قال : « لم يكن من رأبي مهاجمة تربة . وقد حاولت ان
اقنع جلالة الوالد بالعدول عن عزمه . ولكنني كقائد الجيش الهاشمي مطيع
لاوامر مولاي . حتى اني كتبت اليه بعد ان تذاكرنا في عشيرة . واثبت في
البدائع انتظار جوابه فلم يكن غير الامر بالزحف » .

وكان قد كتب الامير عبد الله في اوائل شهر رجب الى ابن عمه الامير
عبد الله بن محمد وهو يومئذ في الخرمة او في جوارها الكتاب الاتي :

« بعد السلام ورحمة الله وبركاته كتابكم وفق عائض بن جوير وصل
وعلم مضنونه وعيال مهزيه الصغار نواخوا البارح على صاحب الجلالة

(١) هي على مسافة نحو مئتي ميل جنوبي المدينة وخمسة وسبعين ميلاً شرقي مكة

واخبرونا بالكون (الانذار) عليهم وبكسرة الوهايبة . ولا شك ان العرب اذا صدقوا اللقاء كسروا المغير عليهم . هذا امر ثابت . وحسب الرغبة امر صاحب الجلالة باتخاذ ابن مهزي فاختارنا مثنين من الجعدة مع غالب بن عنيز يمشون غداً او بعده ان شاء الله . . . (كلمة مبهمه) امير الحرمه السيد غازي الحارث من السطوة في البلاد الان . فبعد وصولي بالقوة الكافية اليكم نردها بما تستحقه والتوفيق بيد الله . هذا ما لزم ودمتم ونحن على ممشى في هذين اليومين » .
الامير القائد

عبد الله

في ٣ رجب ١٣٣٧

مشى بعد كتابة هذا الكتاب من عشيرة الى جبل حضن فحيم في البديع . وجاء ابن سعود في اواخر هذا الشهر او في اوائل شعبان احد عقيلاته يخبره بذلك فكتب الى الامير كتاباً في ١٠ شعبان قال فيه :

« قد تحقق عندي خلاف ما اخبرتني به سابقاً اي انك عائد الى مكة المكرمة ، والظاهر انك مهاجم ثربة والحرمه . وذلك مخالف لما ابدىتموه للعالم الاسلامي عموماً ، والعربي خصوصاً . واعلم رعاك الله ان اهل نجد لا يخذلون اخوانهم وان الحياة في سبيل الدفاع عنهم ليست بشيء . نعم وان عاقبة البغي وخيمة . خير لك اذن ان تعود الى عشيرة . وانا ارسل اليك احد اولادي او اخوتي للمفاوضة فتم الامور على ما يرغب به الفريقان ان شاء الله » .

الكتاب طويلٌ مُدرَكٌ مباحثه من جواب الامير الذي فيه كل الخبر ، وهو في عنوانه يعود الى لمحة الكتاب الاول الرسمية .

« من عبد الله ابن امير المؤمنين الحسين بن علي الى حضرة امير نجد ورئيس عشائرها عبد العزيز سعود دامت كرامته .

وصلني خط الجناب الموقر المؤرخ . ١ شعبان فتلوته وفهمته ، فلما اجده فيه ما استغربته واستعذبتة . نقول اني بينما اكتب اليك مسلماً اجر

الاطواب على المسلمين ، وإن مظهري هذا اثار ثائر الناس علينا . وانك ، دامت مدتك ، خرجت فزعاً الى ابن يأتيك مني الجواب . واليك به وهو ينطق بلسان صاحب الشوكة والذي وحكومته .

اولاً — اظن ان صاحب الشوكة سيد الجميع يرحب بكل من يطلب كتاب الله وسنة رسوله (ص) ويحيي ما احيا الكتاب والسنة ويميت ما اماته الكتاب والسنة لان هذا دأبه ودأب اجداده منه الى صفوة الخلق عليهم سلام الله .

ثانياً — لا اذكر ان احداً منا وقع على كتاب ذكر فيه انك او احد آل مقرن من الخوارج . او انكم لستم من ملة الرسول .

ثالثاً — كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة وعثى في الارض فساداً يستحق التأديب شرعاً ، تخصّصاً واحداً كان او الف شخص .

رابعاً — اعلم وتيقن ان نيتنا نحوك ونحو اهل نجد نية خير وسلام .

خامساً — اما قولك ان الناس نفروا جميعاً لحربنا اناهم قبل رجالهم فاذكرك بقول الله تعالى فان جاءونا (اي عرب بركة والروقة الذين اندرهم) بنية حسنة فنحن لهم وهم لنا يا عبد العزيز قبل ان ينزل اجدادك بنجد . وان بقوا فلكل باغ مصرع وان الله مع الصابرين .

سادساً — تأمرني بالرجوع الى ديرتي من ارض هي لابني وجدتي . ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم ؟ جزيت خيراً . ولكن هل تذكر ان رجلاً من قريش ، ثم من بني عبد مناف ، ثم من بني هاشم ، جده الرسول وعلي ابن ابي طالب ، يقع له بالشنان^(١) ويروع بمثل هذه الاقاويل ؟

سابعاً — نقول اني لو التمس رجلاً في نجد يرجع الحياة على الموت في سبيل الله لما اجدته . فكان الاوفق لهم اذن ان يأتونا ويجاهدوا الاتراك معنا عن بيت الله ومسجد رسوله حتى ينال الشهادة منهم من كتب له . ثم بعد ذلك تردون يميناً النظر .

(١) اي بالشنان وهو يضرب لمن لا يتضمن لحوادث الدهر

ثامناً - أخبرتك في كتابي بفتح المدينة المنورة بانني متوجه الى الوطن
لتأديب العصاة ، وسألتك هل انت على عهدي بك ام تغيرت نياتك فجاءني
نجاجيبك بحجاب منك فيه الميل الى التقرب والمسالمة فرجوت خيراً وعززته
بالجواب الثاني . فجاء ثاني كتبك لي ومثله لوالدي ولاخي ملؤها المودة
المؤكدة باليمين وكل ذلك محفوظ . فما حملك الان على تغيير لهجتك ؟
امن اجل اننا نؤدب رعايانا ونصلح ما فسد في قبائلنا ؟

تاسعاً - ان كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت فاردد الذين
امرتهم ببيع مواشيهم ، وبنيت لهم الدور (يريد الهجر) واخلُ انت مكانك
الذي وصلت اليه وانحر (عد الى) ديرتك ولك علي ألا امس احداً من
اهل نجد بسوء .

اني مرسل اليك كتابي هذا مع احد نجاجيبك وهو القسماني وابقيت
الاخر ليأتيك بخطاب صاحب الشوكة والدي والسلام .

في ٢٣ شعبان ١٣٣٧ القائد العام للجيش الشرقية الهاشمية
الامير الختم

تربة والخزومة لا بد عند هذا الحد من كلمة في هاتين البلدين وقد اثارنا
الحرب بين نجد والحجاز . الخزومة هي على مسافة خمسين ميلاً من حَضَن الى
الشرق ، وتربة هي على مسافة خمسة وسبعين ميلاً منه الى الجنوب . وجبل حَضَن
هذا هو في التقاليد الحد الفاصل بين نجد والحجاز . فقد جاء في الحديث : من
رأى حَضَن فقد أُنجد .

من هذه الوجهة اذن تكون البلدتان في نجد . ولكن اصحاب السيادة فيهما من
اشراف الحجاز ، فادعى الملك حسين رعايتهم . ومن الوجهة الاخرى ان الاهالي
من بدو وحضر وفيهم الاشراف تمذهبوا في الزمن الغابر بالمذهب الوهابي ، فلهذا
السبب ايضاً يدعي ابن سعود انهم من رعاياه . وكلهم بدو وحضر لا يتجاوزون
الخمس والعشرين الف نفس .



الامير عبد الله ابن الملك حسين امير شرقي الاردن

تعول احرمه الكائنة في وادي سبيع ثلاثة الاف وخمسمئة قدم عن البحر وعدد سكانها خمسة الاف ، تلتها من العيد المعوقين ، والتلت الآخر من عرب سبيع^(١) اما الاسراف فلا يتجاوزون الثلاثة عس . وكان اهميتها لاتتاس عدد سكانها لانها كائنة في طريق التجارة بين نجد والحدار ، بل هي محطة تجارية لتجار الوشم والقصيم .

اما امير الحرمة الشريف خالد بن منصور . ومن بني لؤي اي من امارب الملك حسين . وكفه من المتصلين في الوهاية . لذلك لم تصف الصلات بين الشريفين . بل اتمرت لخالد تأريين ، فتمت حدث حلاف بينهما في سنة ١٣٣٦ حمل حلاله الملك على حسن خالد ، فاستعمل في صدره النار الاول . وكفه سطاها لحين برماد النسيان ، وراح يساعد لامير عبدالله في حصار المدينة وهناك حدث حلاف بينه وبين لامير ، وتكررت الاساة التي لا محالب اكرها ، فكل خالد مندراً ، معصب الامير . صفعه بيده ، فسقى الرماد عن النار الاول وانتهى مقروماً بالنار الثاني .

حاء حالي الى الرياض في آخر سنة ١٣٣٦ يحذر ابن سعود من مساعي الحسين ويحله عنده ويستجده عليهما . وقد حدث في السنة الثالثة (١٣١١ هـ) ما حقق قومه لان الامير ارسل اربع حملات على الحرمة شاة انتقام . وكان صميم اكل الاسل .

اما تربه فسكان من عرب الحوة ، منهم من حرمة . ومن لا يعرف يملكون اكبر صما ، وكلهم منه وحضره عيد من اتبع من سعود . دايام سعود الاول . لان قسما منهم اصعدوا في حش حجار في حرب اعظمي ، ثم اقلعوا على الحسين لاسباب دينية وماية فأتى على سته . بينهم ، ويمكن من ذلك الا بعد ان اهب الحرب .

ومع ان تربة قرية لا يتجاوز عدد سكانها المائة الاف فهي دس مهمة لانها

(١) كانت سبيع مقل حبات الحجار فطردها عية ، وحبالقية . بها هم سكان الحرمة وبة الى حوى نجد وامامات وحلهاها السهول في حاراتي تدعى هناك حائر سبيع

في الطريق الى الطائف . هي باب الطائف من الوجهة النجدية ، وحصن الطائف من الوجهة الحجازية . ويتبع تربة «سهل شرقي» الى الشمال الشرقي من مستنقعات البقوم وعدد سكانها ثلاثة الاف من البادية . وحول هاتين القبيلتين السبيع والبقوم وقراهما تسرح وتمرح قبيلة عتيبة الكبيرة .

نعود الان الى الجيش الزاحف الى تربة ، فقد بالغ الرواة في تقديره ، فقال بعضهم انه كان مؤلفاً من سبعة الاف من النظام وثمانية الاف من البدو . اما الحقيقة فهي انه لم يتجاوز كله السبعة الاف ، منهم الفان من النظام والباقي من البدو .

ولكنه كان كافياً لغرض الامير . فقد دخل تربة بدون قتال يذكر ، دخلها في ٢٤ شعبان اي بعد يوم واحد من الكتابة الى ابن سعود . والذي ٨١٣٣٧
٢١٩١٩ مكنه من ذلك هو انه كان قد استخدم بعض عربان البقوم في جبل حصن ليدخلوا البلدة مدعين انهم جاءوا يحذرون اهلها من الامير ويستنهضونهم على محاربتة . بل قالوا للمدافعين انهم جاءوا يحاربون معهم ، فانزلوهم في الحصون مع من تحصنوا فيها ، فما لبثوا ان انقلبوا عليهم فاستولوا على اسباب الدفاع وصاحوا بالناس : الملك للشريف !

وفي تلك الساعة في صباح الرابع والعشرين من شعبان (٢٤ مايو ١٩١٩) دخل الامير بجيشه فصادف لاول الامر بعض المقاومة ، فأمر باطلاق المدافع والرشاشات على المقاومين ، فتشتتوا ثم فروا هاربين الى الحرية جنوبي البلد .

دخل الامير ظافراً فوزع جيشه في جوار تربة وحولها ، وكانت ساعة " لرجالہ إباحية فنهبوا البلدة وافسدوا فيها ما شاءت الشهوات والاهواء . وقد امر في ذاك اليوم بقتل بعض المشايخ واثنين من التجار النجديين وبمصادرة اموالهم . ثم كتب من مخيمه في الجهة الغربية الى رؤساء البادية في تلك النواحي خصوصاً في رنية ، يخبرهم بما حل بتربة ، ويهددهم بمثل ذلك اذا كانوا لا يحيثونه طائعين صاغرين . ومن هذه الكتب الكتاب التالي :

« قيادة الجيوش العربية
الشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله ابن امير المؤمنين الحسين بن عون الى المكره فيحان بن صامل
اما بعد فاني احمد الله اليكم ثم اخبرك باننا وفقنا البارئ
سبحانه وتعالى فاطفأنا نار الخارجة التي في تربة ومزقناها كل ممزق وضربنا
اعتناق ارباب الزبغ والنفاق ومن جملتهم الطعامة وابن مسيب نزيل قريبتكم .
وان هذه الفتنة التي اثارها خالد بن منصور بلا لازم ينعا ، اوحق يطلبه ،
وادخلكم فيها ، نأمركم بتركها والاسراع بالركوب اليها وكف كافة سبيع
اهل رنية بدو وحضر عن الاستمرار فيها . ونأمركم بجلب شيوخ الزكور
(قبيلة من القبائل) معكم اليها في ست ليال للاستئذان من سطوئنا . وان لم
تفعلوا فسأميل ميسنة البيرق المنصور عليكم مستعيناً بالله تعالى مستنجداً عظيم
قدرته . ولا تكتم انذاري هذا عن كل صغير وكبير لاني سأسألك عنه
حين لا تنفك الندامة والسلام على من اتبع الهدى » .

القائد العام للجيوش

في ٢٤ شعبان ١٣٣٧

الشرقية الهاشمية

الختم

وفي كتاب الى ماضي بن قاعد ومحمد ابرق نقيش يقول :

« ما خفي عليكم ما حل بتربة من ذبح الرجال ، وتدمير المال ، بعد ان
طغى اهلها وبغوا . وانتم يا اهل رنية بدو وحضر ان ما كفيتم طوارقكم
وركبتم الي في ست ليال مع شريفكم والا حزمتمكم حزم السلم وطردتمكم طرد
غرائب البلى (ابل) وعاقلكم يعلم جاهلكم . ولولا مشاري بن ناصر وغازي
بن محمد لكان صباحي يسبق كتابي اليكم . والسلام على من اتبع الهدى » .

استقر الامير ذاك النهار في الخيم المنصور ، وبعد ارساله كتب التهديد الى

رؤساء القبائل اذن لنجباء ابن سعود ان يعود بالجواب الذي ذكر . وكان قد علم بان السرية التي جاءت الى الحرمه اي جيش ابن محاد وخالد — قد مشت منها الى مكان يدعى القرنين ، وهو على مسير اربع ساعات من تربة ، فزود النجباء برسالة شفاهية ايضا .

— « احذر الحوارج ومن التف حولهم في القرنين بما جرى . قل لهم اننا سنكفيهم مؤونة القدوم الى تربة — قل لهم ما حثنا تربة من اجل تربة والحرمه فقط . . . سنصوم في الحرمه ان شاء الله وسنعيد عيد الاضحى في الحساء » .

ركب النجباء الظهر ، فوصل الى القرنين بعد صلاة العصر ، فاحاط به الاخوان مستحيرين . شق النجباء جيبه واخبرهم بما جرى ، وبما فاه به الشريف ، فما كاد يتم كلامه حتى صاحوا صيحة واحدة : اياك نعبد واياك نستعين ! وهم يريدون الهجوم . فسكن العالم والقائد روعهم . قال ابن محاد : « كيف نتجاوز امر صاحب الامر ، فهو لم يأمرنا بغير الدفاع » .

ولكنه كان قد سمي كتاباً حاء من ابن سعود وفيه ما معناه : اذا حاءكم الخبر بمسير الشريف الى مكة فآلزموا مساكنكم الى ان يأتكم مي امر اخر . واذا علمتم بانه تجاوز حدود تربة فاني اذكركم ان تفسدوا كتابه وقرأونه ففروا فيه رأيكم .

ما كانوا في حاحه الى استماع كتاب الامير وقد سمعوا كلماته من فم النجباء . ولكن العالم عمل بالامر العالي ، فصاحوا ، وهو يتلو الكتاب عليهم ، اياك نعبد واياك نستعين ! وشدوا في تلك الساعة الرحال .

« هت هبوب الجبة ! اين انت يا باغيها ! »

مستوا قبل صلاة المغرب ساعة وهم مع من انضم اليهم الف وحمسة مقاتل . قال الراوي وهو من اهل الحجاز : « جاء الامير عبدالله في داك اليوم رحل من البادية يقول : تحذر يا شريف . المتديبة في الحرمه هاجمون عليكم . فغضب الامير وامر بقطع عنقه » . وفي رواية اخرى انه امر دحناً كبير عبيده بضربه ، فضربه حتى الموت .

فاصطدبوا بالسرية الاولى من الجيش الحجازي وذبجوا رجالها كلهم . وكذلك الثانية . ثم هجموا على السرايا المقيمة عند مخيم الامير ففتكوا بها فتكاً ذريعاً . وهجم ابن بجاد برجاله ، وكلهم من اهل الغطفط ، على الجنود النظامية وراء المتاريس والايطواب فكانت السيوف تشتغل كالمقاصل ، وكان ابن الغطفط يثب على المدفع فيذبح الضابط المقيد وراءه بالحديد . ولكن هول الفوضى والظلام كان افظع من التذبيح ، فبطش الجنود بعضهم ببعض وهم يظنون انهم يطشون بالاخوات .

اما فرقة الخيل فقد قطعت خط الرجعى خصوصاً على حرس الامير فلم ينجُ منهم غير الامير نفسه وبعض الضباط ، ونجى ابن سعود الثاني . فر الامير عبد الله قبل ان يصل خالد ورجاله الى سرايا المخيم ، فثبت بعضهم في النضال ليردوا العدو عن تعقبه ، وسقط من حاول الفرار صريعاً بين سنايك الخيل .

اما الذين نجوا من الذبيح تلك الليلة ولم يستطيعوا الفرار فقد التجأوا الى حصن من حصون البلد ، فهجمه الاخوات عليهم في اليوم التالي ، وجعلوا خاتمة المذبحة كاولها ، فتراكت الجثث بعضها فوق بعض . وكان من اللاجئين الى ذاك الحصن الشريف شاكر فكُتِبَ له النجاة ، ونجا معه شاب من الاشراف اسمه عون بن هاشم اجتمعت به في جده ، في رحلتي الثالثة اليها ، وهو يومذاك في العشرين من سنه . فقد كان عمره يوم شهد تربة خمس عشرة سنة . قال الشريف عون بن هاشم يحدثني عن هول ذاك اليوم : « رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل ، وبقيت سنتين عندما ارى الماء الجارية اظنها والله حمراء . ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل ان طحت من الشباك . ومن اعجب ما رأيت يا استاذ رأيت الاخوان اثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون الى القنال » .

لم ينج من جيش الامير النظامي غير ستة ضباط واثنى عشر جندياً . ولم ينج من البدو غير من ساءموا او انضموا الى جنود خالد ، واكثرهم من عتيبة ، وعددهم لا يتجاوز الالف . فيكون الموت قد نقاضى خمسة الاف نفس بشرية

جزاء جهل الانسان وغروره . بل خمسة الاف وخمسمئة ، لان الاخوان دفعوا قسماً من الضريبة ، فقد خسروا اربعمئة من رجال الغطف ومئة من اهل تربة والخرمة .

قال الامير عبد الله في كتابه الاول الى ابن سعود يُنبئه بتسليم المدينة : «واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الاملاك والآلات والادوات العائدة للحكومة الغابرة» — استولى عليها في ربيع الثاني ، ثم خسرها بعد اربعة اشهر فاستولى عليها ابن سعود !

ولكن ابن سعود لم يعلم بذلك الا بعد الوقعة بخمسة ايام . فقد كان قادماً من نجد بجيش عده اثنتا عشر الف مقاتل ، فالتقى وهو في الطريق بين ماء القنصلية والخرمة بالنجباء الشارد فقص عليه الخبر .

استمر عبد العزيز سائراً الى الخرمة ومنها الى تربة ، فبكي عندما شاهد فيها حصاد الموت . وعندما صاح جنود خالد وابن بجاد : الى الطائف ! رخص لنا بالطائف . منعهم قائلاً : « كفى الباغى جزاء بغيه » .

اقام عبد العزيز خمسة عشر يوماً في تربة . وقد جاءه في اليوم العاشر برفقة من الحكومة البريطانية بلندن بواسطة وكيلها السياسي بجدة تسامه فيها ألا ينقده الى الطائف . فعلت ذلك اكراماً للملك حسين واجابة خطابه ، وكانت ابن سعود في نظرها كريماً .

الفصل الثامن والعشرون

البدو والهجر

قد شاهدنا للمرة الاولى ، في وقعة تربة ، روحاً جديدة في القتال ، روحاً
نجدية دينية مجسمة في الاخوان ، روحاً قمتارة ، هي بنت الهول والاستشهاد ،
قلما تغلب او ترد . وفي كلمة كتبها الامير عبدالله الى ابن سعود سر هذه القوة .
قال الامير : « فاردد الذين امرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور » .

هي اول اشارة في هذا التاريخ الى الهجر . والهجر مهد الاخوان ، والاخوان
جيش ابن سعود الديني القومي ، جيش التوحيد .

وما هي الهجر ، وكيف أسست ، وما الذي دعا لتأسيسها ؛ ومن هم البدو
ومن هم الاخوان ؟ سنبدأ بحيين على هذه الاسئلة في كلمة على البدو ، فننطلق الى
الهجر واهلها . البدو منذ القدم غزاة ، عصاة ، عتاة ، ولهم غريزة دينية غدتها
الخرافات ، ومطامع تكاد تنحصر بالاقوات . فهم يسارعون الى القتال في سبيل
الله كلما نفر النافر وضاق بهم العيش .

وكنهم في طاعتهم واخلاصهم ، وفي جهادهم وولائهم ، لا يحتملون فوق
طاقتهم ، وقلما يفادون بشي من اشياهم . يحاربون ، ويشردون ، ويخونون . وهم
وان غالوا في دينهم ، لا يثبتون ، بل انهم في الردة سرعون .

وقد رأى الرؤساء منذ القدم ، نظراً لغريزتهم الدينية وان تلونت ، ان يستلوا
عليهم سيف الالهية قبل السيف الذي يرى . دعاهم مسيلمة فلبوه ، ثم دعاهم
الشيخ طاهر القرمطي فحاربوا معه كالبنيان المرصوص . ثم تشتتوا بعد كسرة
القرامطة ، فجاءتهم من البصرة والتجف عقائد في الدين جددت في جمع شملهم
وتعزيز مذهبهم ، فبنوا القباب فوق القبور ، وعلقوا الرقاع على الاشجار — سبحان
من هو حديق للواحد القمطار .

ثم جاء ابن عبد الوهاب يعلمهم ان التسبيح لا يجوز لغير الله الواحد القهار .
جاء يعلمهم التوحيد واستعان على ذلك بسيف ابن سعود ، فقاموا يحاربونه مع
ابن الدواس ، وابن العريعر ، وكانوا مدحورين . جمعهم ابن سعود تحت علم
التوحيد ، فوحدوا الله واقسموا ان لا شريك له . واكنهم في كل اطوارهم بدو ،
والبدو مثل ذي الاجنحة طيارون . او ان لم مزية الزئبق ، فيجتمعون
ويفترقون ، وانت تلو الفاتحة . لا يحملون شيئاً في جيوبهم ، ولا في قلوبهم ،
بل لا جيوب لهم ولا قلوب . رفاقك في الطريق اليوم ، واعدائك غداً . ولا
اظنهم لولا الجنة والحوريات ، يخضعون لرب الكائنات . قد اكون مخطئاً بهذا
وه يكثرون من ذكر الله في كل حالاتهم .

وكن النبي نفسه انبيهم ولم ينفعهم التائب . فقد جاء في القرآن : قالت
الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا .

اما الدين عندهم فكان رداء يلبسونه ردحاً من الزمن ، فيغسلونه مرة او مرتين
ثم يلبسونه مقلوباً ، ثم يبدونه وقد تمزق نبذ النواة — كيف تتوخأ ونحن نبغي
الماء للشرب ؟ ولم الصوم والسنة كلها عندنا رمضان ! ولم الصلاة وليس لله وقت
ليسمعنا !

وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الامير او ذاك . فما الفرق وربك بين ابن
مقرن مثلاً وابن هاشم ، او بين ابن العباس وابن الرشيد ؟ هم كلهم عرب ،
يقيمون في بلاد العرب ، ويغزون غزو العرب ، ونحن ان حاربنا مع هذا او ذاك
عرب .

ما تغير البدو منذ ايام الرسول ، ومنذ ايام مسيلمة وابي طاهر . دينهم
حاجات ، لذلك الرداء . وولاؤهم غايات ، لذلك الحيلانات . وقد تبين لقارىء
هذا التاريخ في ما سردناه من حوادثهم ، وسجلناه من حروبهم ، انهم لم يغيروا حتى
بداية القرن العشرين . فقد ظالموا ارتدوا ، وخانوا ، وعادوا تائبين ، منذ ايام عبد
العزیز الاول الى ايام عبد العزيز الثاني . وهم كما وصفناهم لا يوالون طويلاً ، ولا
يعادون طويلاً . لا يشبتون ، ولا يسكنون ، ولا يستقيمون في مسراهم او

في مغزاهم .

البدو سيفٌ في يد الأمير اليوم ، وخنجرٌ في ظهره غداً . مجاهدون اذا قيل غنائم ، متارضون اذا قيل الجهاد . وكذلك كانوا عند ظهور عبد العزيز الثاني وفي حروبه الاولى وغزواته . كانوا يحاربون ما زالوا آمنين على اموالهم واتسهم ، ويفرون شاردين عند اول خطر يلوح . لذلك كان ابن سعود يقدمهم في القتال ويدعمهم بالحضر ، يحمي ظهرهم ليؤمن انقلابهم ونهقهم . فهم اذا ذاك اشداء ثابتون في النضال . وبكلمة اخرى هم شجعان اذا كان لهم ظهر . والا فالفالته لنا والقرار علينا . جاء في امثال العرب : البدوي اذا رأى الخير تدلى واذا رأى الشر تعلّى . ولكن البدوي وحده يدافع عن نفسه وبعيره حتى الموت وان كان خصمه قبيلة باسرها . اما البدوي في الجيش فقد كان مشكل ابن سعود الاكبر .

وقد حل عبد العزيز هذا المشكل بطريقة جديدة لم يسبقه اليها احد من ملوك العرب قديماً او حديثاً . فهو من هذا القبيل المصالح الاكبر في العرب . اجل قد حارب البدو وغلبيهم كما فعل اجداده ، وادخلهم في دين التوحيد كما فعل اجداده ، ولكنه لم يقف مثلهم عند هذا الحد . قال : امسكوا الخونة ، فقالوا : الفلا آمنجى . وهاهنا نجوة التجلي . فقد تجلت لعبد العزيز الحقيقة التي خفت على سواه . وهذه الحقيقة هي ان البدو لا يشبتون ، ولا يطيعون ، ولا يخلصون — البدو هم بدو — لانهم لا يملكون شيئاً من الارض ، ولا يسكنون بيوتاً ثابتة . اذن ، سنعطيهم ارضاً ونساعدهم في بناء البيوت . سننقلهم من البادية الى المدينة . سنقيدهم بالارض ، ونكبلهم بسلاسل التملك فننفعهم ، واذا اذنبوا نستطيع تأديبهم .

ان هناك كذلك الفكرة الدينية ، الفكرة الاولى في الهجر — والهجر جمع هجرة — والهجرة في القاموس ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال الى دار الاسلام . اما وطن البدو فالبادية ، والبادية مهد الشرك ، فالهجرة منها اذن هي الهجرة الى الله والتوحيد . وهي كذلك هجرة مدنية . فمن بيوت الشعر الى

بيوت من لبن وحجر ، ومن الفقر والغزو الى ارض لا تخون صاحبها اذا عمل بها
المحراث ، ومن الخوف والتحذر الى طمأنينة لا تهجره ما زال عاملاً مفيداً
لنفسه ولبلاده .

الداعي الى الهجرة اذن ثلاث امور ، اي تعليم البدو الدين ، ونفعهم بارض
يحرثونها ، والاستيلاء عليهم . ليس من السهل ان يألف البدوي الزراعة وقد
كان دائماً يألفها . كان سكان البادية يقسمون في الماضي الى قسمين البدو
والعرب . فالبدو غزاة ، والعرب رعاة ، ولا أكار بينهم ، ولا من يتنازل للعمل
في الارض .

باشر ابن سعود اصلاحه الكبير بالواسطة الدينية ، فكان يرسل المعاونة الى
البادية ليعلموا اهلها دين التوحيد والفرائض ، ويزينوا لهم هجر ما هم فيه الى ايمان
يستشعرون ، وبيت يأوون ، وارض يحرثون .
وقد استخدم في التحضير القوة المدنية ايضاً ، فكان السيف يتقدم المطوع
في بعض الاحاين او يتبعه كما تقتضي الاحوال . تجاوز التطور في البدو حده
الديني ، فصاروا يهجرون ما هم فيه ليس الى الله والتوحيد فقط ، بل الى الشريعة
والنظام ، وطاعة الحكام ، واحترام حياة الانام .

وكان ابن سعود يعين بقعة من الارض فيها ماء - اقبيلة او اخذ منها فتزح
اليها وتبانر بناية البيوت فيها . بيد ان الصعوبة الاولى التي تغلب دعة الهجرة
عليها هي الجمال . ومعلوم ان رزق البدوي اباعره ، فما زالت عنده ما زالت
البادية تستغويه ، فيروح في ساعات الضجر طالبا الرزق حالاً او غزوا حيث
كان . لذلك جبر البدو على بيع جمالهم .

كان ابن سعود يساعد مالياً في بناء البيوت الجديدة . وقد أسست في سنة
١٣٣٠ اول هجرة لعرب مطير اي الارطاوية شرقي بريدة وقرب الدحناء . اما
تسميتها بالارطاوية فهو لان الأوطى ، مرعى الابل المعروف ، يكثر في جوارها .
ان هذه الهجرة لا كبر الهجر اليوم واهمها . وقد تبعها كل سنة هجرة عدة لقبائل

ب وعتية وقحطان وغيرها ، حتى أصبح عددها سبعين هجرة ويزيد ^(١) .
على ان هذه الهجرة في بداية امرها أورثت ابن سعود مشكلاً آخر ، وهو ان
البدو بعد ان باعوا جمالهم وصاروا اخوان يتعصبون بالعصاة البيضاء التي تميزهم
عن الناس ، اقاموا في الهجرة لا يعملون شيئاً في ايام السلم غير الصلاة . غدت
ميوتهم مناسك ، وقد تزلوها ابتغاء وجه الله . هجروا البادية حقيقة الى الله
والتوحيد فاصبحوا عائلة على صاحب البلاد .

ولكن المصلح الكبير لا يعدم طريقة ثنقد اصلاحه من الخطر . فشحن
ذهنه واستعان على تلك الحالة بالعلماء ، فجاء العلماء بالتاريخ ، وباخبار السلف ،
فسلحوا بها المطاوعة ، فراح هؤلاء يحاربون بها البطالة والكسل . راحوا يعلمون
المتحضرين ان الزراعة والتجارة والصناعة لا ننافي الدين ، وان المؤمن الغني خير
من المؤمن الفقير . — وهذا ابو بكر ، كره الله وجهه ، كان يملك ثمانية الاف
رأس من الابل والخيول . فهل تزدرون ، ايها الاخوان ، ما كان يرغب فيه ابو
بكر ! وهل تشكون في ان الله سبحانه وتعالى يفتح لكم ، اذا انتم زرعت وتاجرتم ،
ابواب الثروة والجاه ؟

قد افنح المطاوعة في تحبيب العمل والمال الى الاخوان ، فشرعوا يزرعون
الارض حول الهجرة ويتاجرون . وقد نشأت بعض هذه القرى نشوءاً سريعاً فصارت
تباري جاراتها القديمة بالزراعة والتجارة . على ان الزراعة والتجارة لم تضعف في
ابناء هذه الهجرة ، في الاخوان ، روح القتال . بل علمتهم فوق شجاعتهم شجاعة
جديدة لا تعرف الخوف ، ولا نهاب الموت . وما الشجاعة هذه غير بنت الايمان
الجديد الحي القوي . فان اخوان مطير في الارطاوية مثلاً ، واخوان حرب
في دُخنة ، واخوان عتية في الغطف ، لاشد جيوش ابن سعود بأساً ، وابسلم
نضالاً ، واسبقهم الى الاستشهاد . كيف لا وقد قلّدوا في تحضيرهم سيفين ،
سيف الدين ، وسيف الثبات . انهم اليوم لغيرهم بالامس فلا يشردون ، ولا

(١) في الملحق لهذا التاريخ — في آخره — لائحة المهجر كلها واسماؤها واسماء
عشائرها ، وعدد سكانها ، وعدد المقاتلة فيها .

يتراجعون، وقلما يهزمون . انهم يحاربون حباً بالاستشهاد والجنة ، وحباً بالمحافظة على ما يملكون . صاروا يخافون النار ، ويخشون عاقبة الفرار .

لا . لم تقتل الهجر في اهلها غريزة الغزو ، ولا اضعفتها . بل شحذتها في سبيل الله ، وقيدتها بشروط تختص بتقسيم الغنائم . على ان توحيد السيادة العربية ، السائرة البلاد نحوها ، تضييق من طبعها بحال الغزو وتزيله في النهاية تماماً . فلا تجد اذ ذاك العرب اعداء من العرب او عرباً مشركين للغزو والجهاد .

قلت مرة لعظمة السلطان : « وستكون الهجرة الثانية من الجهل الى العلم ان شاء الله ، فتؤسس المدارس ويتعلم الاخوان شيئاً من العلوم التي من شأنها ان تحسن الصناعة والتجارة والزراعة في البلاد » فاجاب عظمتة : « كل شيء يجيء في وقته » .

اما سكان الهجر الان ، وهم الطبقة الاكثر عداء ، فقد الفوا الزراعة واستعذبوا ثمارها . وهناك الطبقتان الاخريان اي التجار والمطاوعة . اما من الوجهة الحربية فالهجرة تقسم الى ثلاثة اقسام اخر لتلبية دعوات الحرب الثلاث ، اي الجهاد ، والجهاد مثنى ، والنفير . فالذين يلبون الدعوة للجهاد هم دائماً مسلحون وعندهم مطايا وشيء من الذخيرة . والجهاد مثنى هو ضعف الجهاد ، فيجيء كل مجاهد بآخر يردفه ذلوله . هم الذين يلبون الدعوة الثانية والاخرى ان يسموا الرديف . اما القسم الثالث من المذكور فهم الذين يبقون في ايام الحرب في الهجر ايداً وموا أعمال التجارة والزراعة ، ولا يُدعون للحرب الا اذا اضطر صاحب البلاد الى الاستنفار العام . من حقوق الامام وحده ان يدعو الى الجهاد والجهاد مثنى . اما الاستنفار العام الذي لا يكون الا للدفاع عن الوطن ، فهو حق العلماء . واكن السلطان يكتب اليهم معلناً حاجة البلاد الى الدفاع ، فيبادرون الى استنفار الناس اجمعين ، البدو والحضر والمهاجرين .

قال عظمة السلطان محدثاً عن الاخوان : « يحيئوننا في السلم فتعطيهم كل ما يحتاجون اليه من كسوة ورزق ومال . ولكنهم في ايام الحرب لا يطلبون شيئاً منا . في ايام الحرب يتزنى الواحد منهم بيت الخرطوش ، وبادر الى البندق ، ثم

يتركب اللول الى الحرب ومعه شيء من المال والتعمر، . . . القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا . . . كنا نمشي ثلاثة ايام بدون اكل . يأخذ الواحد منا قمره من حين الى حين يوطب بها فمه . . . نعم كانت الحاضرة اثبت قدماً واشد بأساً من البادية . اما الان فالبادية المتحضرون ، اهل الهجرهم في القتال اثبت من الحاضرة واسبقهم الى الاستشهاد .

ولكنهم في ما ظهر من بسالتهم ، وبطشهم ، وهول استشهادهم ، اورثوا عبد العزيز مشكلاً آخر كاد يفسد مشروعه الاصلاحى العظيم . فقد طنى الاخوان وتجبروا فضج الناس . راح الاخوان يحاربون من لم يتحضر من البدو فيكفرون ، وينهبون ، ويقتلون .

« انت يا بدوي مشرك — والمشرك حلال الدم والمال . انت يا ابا العقال من الكفار — انا اخو من طاع الله ، وانت اخو من طاع الشيطان » .
كذلك كان يسطو كل متعصب بالعصا بة البيضاء على سواء من العرب ، فيعير ، ويسب ، ويسفك الدماء . وقد انتشرت من جراء ذلك الفوضى في البلاد ، وكاد ينقطع جبل الامن والسلا ، فعقد الاماء في سنة ١٣٣٧^(١) مؤتمراً في الرياض للنظر في هذه الامور ، حضره كبار الرؤساء والعلماء ، وقرروا بعد البحث ما يأتي :

- ١ — الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم .
- ٢ — لا تفاوت بين لابس العقال ولا بس العمامة اذا كان معتقدهما واحد .
- ٣ — لا فرق بين الحضر الاولين والمهاجرين الاخيرين .
- ٤ — لا فرق بين ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ودربه دربههم ، ومعتقده معتقدهم ، وبين ذبيحة الحضر الاولين والمهاجرين .
- ٥ — لا حق للمهاجرين ان يعتدوا على الناس الذين لم يهاجروا كأن

(١) تدعى هذه السنة في نجد سنة الرحمة لان الواقفة الاسبنيولية التي غزت العالم بعد الحرب لم تستن حتى البادية . فقد مات في قلب البلاد العربية الوف من الناس وفيهم ابن السلطان البكر تركي واثان اخوان من اولاده .

يفسر بونهم ، او يتهددونهم ، او يلزمونهم الهجرة .
 ٦ — لا حق لاحد ان يهجر احداً بدوياً كان او حضرياً بغير امر واضح ،
 وكفر صريح ، وبدون اذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي .
 وقد تضمنت هذه القرارات منشوراً^(١) من الامام والعلماء جاء فيه ما يأتي :

« ان معتقد المسلمين بدو وحضر واحد ، واصل المعتقد كتاب الله وسنة
 رسوله ، وما كانت عليه الصحابة ثم السلف الصالح ثم ائمة المسلمين الاربعة ،
 الامام مالك ، والامام الشافعي ، والامام احمد بن حنبل ، والامام ابو حنيفة ،
 فهؤلاء اعتقادهم واحد في الاصل قد يكون بينهم اختلاف في الفروع ،
 ولكنهم كلهم على حق ان شاء الله . »

وهذا الاصلاح العظيم ، اي تحضير البدو فيسلكون عاجلاً او آجلاً المسلك
 الاوسع الذي فيه المدارس والتمدين ، لم يسبق له مثيل في شبه الجزيرة منذ
 ايام النبي .

الفصل التاسع والعشرون

سلح صغير

بعد ان نكب الملك حسين في تربة ، تخسر جيشه باجمعه ، فتح لابن الرشيد الشاب قلبه وخزنته ، ومستودع الذخيرة والسلاح في المدينة . فعزت جرودة القبلة اقوال الديوان الهاشمي : — عدوك عدونا يا ابني ، بل عدو العرب والاسلام . وهذا السلاح منا للحرب ، وهذا المال . اما الرجال ، فعندك شمر وفيها الاشبال . وكان سعود بن عبد العزيز الرشيد قد عقد وعبد العزيز بن سعود ، بعد المناوشات الاخيرة قرب حائل في الشهر السابق لهدنة الحرب العظمى ، صلحاً سميئاً صغيراً . والامير سعود هذا هو الذي فر به خاله ابن السبهان الى المدينة عند ما قتل اولاد عبيد اخوته الثلاثة . الحجاز أواه صغيراً ، والحجاز يمه كبيراً بالسلاح والمال لمحاربة صاحب نجد .

وقد كان سعود بن عبد العزيز مثل اسمه عكس خصمه عبد العزيز سعود — عكسه في اصالة الرأي وبعد النظر . فلما جاءه من جلالته الحسين السلاح والمال ، وجيل الاقوال ، قبل في الحال .

اما ابن سعود عبد العزيز فكان قد ادخل خلال الحرب العظمى السفين التوحيد في شمر فشققها قسمين . وعند ما باشره ابن الرشيد العداء كتب الى رؤساء تلك القبيلة كلم ، الاصدقاء والمتذبذبين والاعداء ، ينذرهم ويقول : « من كان معنا فليقدم البنا ، ومن كان مع ابن الرشيد فليرحل اليه » . فكان الجواب من اكثر المقدمين انهم مقيمون على ولائه وسوف لا يلبون دعوة ابن الرشيد .

فلما ادرك الامير سعود ابن قبيش شمر ليست معه بداً واحدة ارسل الى عبد العزيز وفداً يقول انه قد تسرع ، وانه آسف على ما بدا منه . بل انه راغب



الملك حسين والبلاد العربية
صورة رمزية نُشرت في أوج العهد الهاشمي في الحجاز

في تحديد الولاء . فجدد عهد الصلح ، بالرغم عن اعتراض ١٣٣٨ هـ
١٩١٩ م ٢٠ اهل نجد ، ولكنه لم يدم منذ ذاك الحين عاماً كاملاً ، ولم يكن ابن سعود المعجل في نقضه كما تدل على ذلك حوادث هذا العام . قد كانت السيادة في الحوف يومئذ للامير نوري الشعلان ، فاثارت بعض اعماله الاهالي عليه ، فخاربوه وارسلوا يستنجدون ابن الرشيد .

انجدهم ابن الرشيد حباً وكرامة ، وهو مسرور بعذر يقدمه للملك الحسين — كما أنه يقول : « اضطررنا فتنه الحوف الى تأجيل الحملة على ابن سعود » — ومسرور بفرصة سانحة للاستيلاء على تلك الناحية .

متى سعود رحله الى الجوف ، فاصطدم هناك بقوات لنوري يقودها ابنه نواف وعودي ابو تايه فنزلوه وعلبوه ، فارسل يستنجد شمر فلم يلبه في بادىء الامر رؤساؤها خوف بعضهم من ابن سعود ، ومحافضة من الآخرين على عهد الولاء واياه . على انهم ارسلوا اليه يستشيرونه في الامر فاجابهم : « اني على صلح وابن الرشيد فلا امانع من ارادوا ان ينجدوه » .

وكان ابن الشعلان الشيخ نوري قد ارسل الى ابن سعود ، عند ما علم بما فعل اهل الحوف ، يستنجده على ابن الرشيد ، فكتب عبد العزيز اليه يقول : « اني صديق لك ولا بن الرشيد ، فلست اذن مشاركاً في هذه الحرب . ولكني اصبح لك ان سمحوا في حصون الحوف ، وتتخذ خطة الدماغ ، فلا تهاجم ابن الرشيد ولا تحاربه في الخارج . لان حموده مدربون على القتال وهم قديمو العهد في الحروب ، وجودك من البادية ، من اهل الل (ل) فلا يركن اليهم ، ولا هم في القتال اقران شمر » . ثم يعمل نوري بصيحة عبد العزيز ، فكث من الحامرس . اذ انه عند وصول لمخدرات شمر هم سلموه مكسروه ، وكسرة ، واستولوا على الحوف .

وكن سعود ، الرشيد ، الذي كان يومئذ في احادي والعشرين من سنة ، لم يعش بعد انتصاره على ابن الشعلان سهراً كاملاً . فقد قتل بعد ان عاد الى حائل . قتله ابن عمه عبد الله بن سلال ، الذي دبح كذلك في اليوم نفسه

(في الفصل الثاني والثلاثون خبر هذه الفاجعة مفصلاً) وتولى الامارة بعده
عبدالله بن متعب بن عبد العزيز بن الرشيد ، فاركب الى ابن سعود رسل السلام
وهو يريد تجديد عهد الصلح والولاء .

كان اهل نجد يعارضون في اجابة طلب ابن الرشيد المرة السابقة ، فجاء عبد
العزيز هذه المرة يتدد في شروطه ويحدد فيها . قال لرسل حائل : « اني مجيبكم
في كل ما تطلبون ، ولكنني الفت نظركم الى ما بدا من امرائكم السابقين ، وهذي هي
كتبهم الى الشريف ينكثون عهوداً بيننا وبينهم ويرموننا باشنع التهم . يقولون
اننا خوارج ، واننا . . . واننا . . . انا الان على هذا : اما شؤون شمر الداخلية فلا
اتدخل فيها ، واما الخارجية فيهمني امرها . فقد طالما اضرت سياستها بنجد
ومصالحه . لا بد اذن من تنازلكم عن ادارة الشؤون الخارجية في شمر واعترافكم
لي بذلك . وينبغي ان يكون الاعتراف خطأ لينشر فيعرفه جميع الناس » .

عاد الوفد الى حائل يحمل شروط ابن سعود الى اهلها والى اولى الامر فيها .
اما اهلها واكثر المقدمين في شمر فاجمعوا على القبول . واما اولى الامر من آل
السبهان والرشيد ، وبعض الزعماء مثل عقال بن عجيل وضاري بن طواله ، ناهيك
بعبيد القصر والسيدة فاطمة السبهان جدة سعود — «ستي» فاطمة الحاكمة من
وراء الستار — فأبوا كلهم ان يذعنوا لابن سعود وقالوا : الحرب ! فأعلنت
الحرب .

الفصل الثلاثون

الانفجار في الكويت

بعد محق الجيش الحجازي في ثربة لان عود العجائب في الاحساء ، نجاء حشائخ القبيلة الى امير تلك الناحية عبد الله بن جلوي يطلبون منه التوسط بالصلح بينهم وبين ابن سعود . وقد كتبوا كذلك الى الامام عبد الرحمن ، فطلب من ابنه عبد العزيز ، بعد ان تحقق اخلاصهم ، ان يعفو عنهم ففعل . وهم منذ ذاك الحين مقيمون على الطاعة والولاء .

اما الحرب في جبل شمر فلم تحتدم نارها الا بعد سنة من اعلانها . وكان قد جهز عبد العزيز ابنه سعوداً بحملة على الجبل في صيف هذا العام ، فوصل بها الى وادي السعوية جنوبي جبل اجا واغار على عربان لابن الرشيد كانوا هناك فاصاب منهم مغنماً . ولكنه لقلة المرعى للركائب في الصيف في تلك النواحي ولقلة الارزاق للجيش لم يتقدم الى حائل .

وقد حدث في ذاك الحين حادث في نواحي الكويت شغل ابن سعود عن ابن الرشيد فاكتفى بارسال سرديات عليه للغزو والمناوشات . اما حادث الكويت فله اسباب سابقة لا بد في الاحاطة بها من الرجوع الى تاريخ آل صباح .

بعد وفاة الشيخ مبارك تولى الامارة ابنه جابر ، فكان حقيقياً حكيماً . ولكنه توفي في السنة الثانية من حكمه ، فخلفه اخوه سالم بقيضه في السياسة والاخلاق . وقد جاء ذكره في كلامنا على النطاق الحربي في الكويت يوم كان يخادع الانكليز لا حباً بالترك ، بل طمعاً بالكسب من تجارة التهريب . ثم عادى ابن سعود لظنه انه الناصح للانكليز بتحديد كمية الوارد الى الكويت من البضائع فطرد التجار النجديين من بلاده سنة ١٣٣٦ هـ . وكان قد أغضب عبد العزيز سابقاً في مساعدته للعجمان . أضف الى ذلك ان سالماً كان شديد التعصب

على الوهابين .

بعد هذا التمهيد ندوت الحادث الذي ادّعى الى وقعة الجهري بين

الكويتيين واهل نجد .

ركب الشيخ سالم يخته ذات يوم وأبحر الى مكان على الخليج بين جيبيل والكويت يدعى بلبول ، فيه مغاص للؤلؤ وميناء طبيعي حصين للسفن الشراعية . وقد كان في نيته ان يبنى قصراً هناك وبلدة ايضاً ثنائس جيبيل بالتجارة والغوص . فلما علم ابن سعود بذلك كتب الى سالم ليهتنع عن العمل فسابى . ثم كتب الى الوكيل السيامي البريطاني في الكويت يخبره ان الشيخ سالم في ما يقصد متجاوز حدوده وحقوقه لان ذاك المكان من اراضي القطيف التابعة لنجد ، وقد طلب منه ان يحول دون هذا التعدي . اما الشيخ سالم فكان يدعي ان بلبول ضمن حدود الكويت . ولكنه اذعن على ما يظهر للوكيل البريطاني فعدل عن قصده . على ان المسئلة تجاوزت هذا الحد . ان في تلك الناحية شمالاً بغرب من بلبول ماء يدعى قرية هو ملك قديم لعرب مطير . فزح اليه بعض المهاجرين — الاخوان — من هذه القبيلة واسسوا هناك هجرة لهم ، فاحتج ابن الصباح على هذا العمل ، وارسل اليهم فرقة صغيرة ، مئتي راجل ومئة خيال ، اكثرهم من «عرّيدار»^(١) ، بقيادة احد ابناء الصباح اسمه دعيج . وكان للكويت في المراعي القريبة من تلك الناحية بضعة الاف رأس من الجمال والغنم ، وليس هناك من يستطيع حمايتها اذا اعتدي عليها .

سار دعيج برجاله ، فقتل في حمّض قريباً من قرية ، وارسل الى الاخوان يأمرهم بان يخلوا ذاك المكان والا — « نصبحكم ونذبحكم » .

وكان الاخوان ، عندما علموا بقدم عساكر الكويت ، قد ارسلوا الى فيصل الدويش امير الارطاوية يستنجدونهم ، فبادر فيصل الى نجدتهم بالفين من رجاله ، وظل سائراً حتى وصل الى حمّض ، فصبح الكويتيين هناك ولكنه لم يذبحهم كلهم . فرّ دعيج واكثر جنوده هاربين ، وقد تركوا وراءهم ذلك القطيع الكبير من

(١) خليط من العرمان لا ينتسبون الى قبيلة من القبائل .

الاباعر والغنم فكان للاخوان غنيمة باردة . كل ذلك وابن سعود في الرياض جاهل ما حدث ، فغضب عند ما بلغه الخبر وكتب الى الدويش يؤنبه ويقول : « قد تجاوزتم اوامري التي تنحصر في الدفاع » . فاجابه ان الكويتيين جاءوا اخوانه صائلين وقد وصلوا الى مكان يبعد عنهم اربع ساعات فقط .

ثم امر ابن سعود ان تجتمع الاموال التي استولوا عليها ، الابل والغنم والسلاح حتى والمواعين ، وتودع عند امير الارطاوية الى ان يجيئهم امر آخر بخصوصها . فعمل الاخوان بالامر بعد ان ارسلوا اليه خمس الغنائم .

وكان الشيخ سالم قد عرض المسئلة على الوكيل البريطاني فاشار عليه بالتسوية السلمية ، فارسل الى ابن سعود رسولين هما عبدالله السمييط وعبد العزيز الحسن ، فاعتذر عبد العزيز عما حدث بدون امر منه . ثم قدم اليها خمس الغنائم الذي كان عنده ، قائلاً « هذا اول الاداء . واذا اركبتم رجالاً من قبلكم الى الارطاوية فآخره هناك يسلم اليهم » .

ثم كتب الى الشيخ سالم كتاباً قال فيه : « السبب في هذا الحادث تدخلكم في ما لا يعنيكم . اعلموا ان لا حق لكم في بابل او في قرية . واني اري ان يقرر ذلك في عهد يعقد بيننا وبينكم فترعاه . اما ما كانت لا بآئك واجدادك حقاً على آبائي واجدادني فاني معترف به » .

لم يرق هذا الكتاب سالماً ولا قبل بان ترد الغنائم اليه . بل غضب غضبة يقنضي انعزيزها عند العرب جيش كبير ، لم يكن عنده غير اليسير منه . وفي ذلك الحين كانت المناوشات بين ابن الرشيد وابن سعود ، فكتب الشيخ سالم الى صاحب شمر يستنجد به على « خصم الجميع » فلباه بان ارسل اليه ضاري بن طواله ، الذي كان يومئذ مخيماً في اطراف العراق . جاء ضاري مسرعاً بقوة من شمر وتزل المهري ، حيث كان دعييج ورجاله ، فامرهما سالم بالهجوم ثانية على قرية . وكان ابن سعود قد جاء الحساء فبلغه خبر مغزى ضاري ودعييج فارسل الى الدويش يأمره بأنجاد اهل قرية ، فتوكل الدويش على الله ، وكان مسراه في ذي الحجة من عام ١٣٣٨ هـ (سبتمبر ١٩٢٠) ولكن الدعييج والضاري اختلفا

في الطريق على القيادة فلم يهاجما احداً ، بل عادا الى الجهري فتعقبهما الدويش وتزل الصبيحية .

علم الشيخ سالم بذلك فسارع بنفسه الى الجهري ومعه خمسمئة مقاتل من اهل الكويت .

مشى الدويش باخوانه من الصبيحية وعددهم اربعة آلاف ، فيهم خمسمئة خيال — « خيال التوحيد أخو من طاع الله » .

وكان سالم قد وزع قواته كلها ، نحو ثلاثة آلاف من الرجال والخيالة ، في حصون الجهري وبساتينها .

جاء الاخوان من الجنوب الشرقي فاشرفوا على الجهري في ٢٦ محرم (١١ أكتوبر) ١٢٣٩ هـ من رأس منحدر لا صخرة فيه ولا شجرة . جاءوا على عاداتهم في ٢١٩٢٠ الصباح وانحدروا كالسيل الى البساتين تحت وابل من الرصاص ، فكانت بنادق المدافعين المحصنين تصدهم بالعشرات والمئات وهم يتقدمون مستبسلين مستشهدين .

ساعة من هذا الهجوم تلاها ملحمة كانت على جيوش ابن الصباح موتاً احمر ففر من فجها ، ودخل الاخوان الجهري فاستولوا عليها وعلى حصونها . اما الشيخ سالم فكان قد تقهقر بقوة من جيشه الى قصر خارج البلد شرقاً منها ، فتعقبه الدويش وحاصره فيه يومين كانا شبه هدنة للمفاوضات (١) . وكان سالم في ذاك الموقف الثعلب والدويش الذئب .

قال الذئب : « تعالَ كن معنا وانا — كن موحداً — ونظف بيتك من الشرك والمنكرات . فلك اذ ذاك ما لنا وعليك ما علينا » .

فقال الثعلب : « وهل يرفض مثل هذه النعمة الا الاحمق . اني والله منكم —

(١) جاء في « تاريخ الكويت » لعبد العزيز بن الرشيد الذي حارب في وقعة الجهري ما يلي : « ثم قال (الشيخ سالم) مخاطباً لابن سايان (رسول الدويش) لماذا هذا القتال بيننا وكلنا مسلمون موحدون ، وامامنا عدو لدود يريد القضاء علينا جميعاً . هيا بنا لنرمي الضعفاء والاحقاد ونكون يداً واحدة هاهنا » ... ثم قال المؤلف : « وقد أكثر سالم القول هناك بما لا احب ذكره الان » (تاريخ الكويت الجزء الثاني صفحة ١٨٤)

خيال التوحيد اخو من طاع الله . ولكن في بيتي ما يقنضي رجوعي اليه قبل ان اجيئكم . انتظروني في الصبيحية » .

صدق الدويش وقفل راجعاً الى الصبيحية بعد ان قُتل في تلك الوقعة نحو خمسة من رجاله وثلاثمئة من رجال الكويت . وما ذلك بشيء في نظره اذا « ديتت » الكويت وصاحبها .

ولكن سالماً عند وصوله الى الكويت طلب من الانكليز ان يحموا بلاده والا فهو يقبل شروط الاخوان . فبدأت المفاوضات البرقية بين الكويت وابي شهر ، ثم بين حكومة الهند ولندن ، واستمرت ثلاثة ايام . جزع خلالها الدويش وهو ينتظر في الصبيحية ، فارسل وفداً من قبله الى « الاخ » سالم فتارض ولم يقابله . ثم جاء الجواب من الحكومة البريطانية ومعه ثلاثة مراكب حربية رست في مياه الكويت وشرعت ترسل في الليل الاسهم النارية تهويلاً وترويعاً . وفي اليوم التالي وصلت طيارتان من العراق .

« شفي اذ ذاك » الاخ « سالم من مرضه فقابل وفد « اخيه » الدويش في مجلس رسمي حضره الوكيل البريطاني الماجر مور ، الذي هم بمحاطبة الاخوان فسمع جواباً اقنعه في الحال ان السكوت من ذهب .

قال حضرة الوكيل : « الشيخ سالم صديق لدولة بريطانية الية : انتم جئتم تحاربونه بدون امر من ابن سعود » .

فقال رئيس الوفد : « ما جئنا الا بأمره . وهو ايضاً صديقكم » .

سكت اذ ذاك الوكيل واعتاض عن الكلام بكتاب ارسله الى الدويش وفيه ان حكومة بريطانيا العظمى باسطة على الكويت حمايتها ، وان من يحاوه ان الهجوم عليها يعرضون انفسهم لضرب الطيارات والمراكب الحربية

عاد الوفد الا الصبيحية يحمل كتاب الوكيل . وفي اليوم التالي طارت طائرة فوق ذاك المكان والقت بين الاخوان كتاباً آخر بمعنى الكتاب الاول .

امر الدويش اذ ذاك بشد الرحال . ولكنه لم يشأ ان تكون الكلمة الاخيرة « للشلب » فكتب اليه الكتاب التالي :

« من فيصل بن سلطان الدويش الى سالم الصباح سلمنا الله واياه من الكذب والبهتان ، واجار المسلمين يوم الفزع الاكبر من الخزي والخذلان .
 اما بعد فمن يوم جاءنا ابن سليمان ^(١) يقول انك عاهدته على الاسلام والمتابعة ، لا مجرد الدعوى والانتساب ، كففنا عن قصرك بعد ما خربنا ، وامرنا برد جيش ابن سعود ، على امل ان ندرك منك المقصود . فلما علمنا انك خدعتنا آمتنا بالله وتوكلنا عليه . يروى عن عمر انه قال : « من خدعنا بالله انخدعنا له : فنحن ، بيض وجوهنا ، نرجو الله ان يهديك ، وألا يسلطنا عليك . اياه نعبد واياه نستعين » .

مسكين سالم . لم يعيش بعد ذلك طويلاً . فبينما كان الشيخ احمد الجابر ابن اخيه والشيخ كاسب ابن الشيخ خزعل يومئذ امير المحمرة في « حفر العيج » يفاوضان ابن سعود بالصلح — اي بعد بضعة اشهر من الحين الذي نكسب سالم فيه و « دين » واحتسب بالانكليز — جاء الناعي من الكويت ينعيه رحمه الله . وبعد وفاته في ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٩ (٢٧ فبراير سنة ١٩٢١) انتُخب خلفاً له الشيخ احمد ابن اخيه جابر ^(٢) انتخب وهو لا يزال في الحفر فكان في غنى عن وفد يصلحه وابن سعود .

(١) رسول الدويش الى سالم يوم كان محاصراً في القصر .
 (٢) في الجزء الثاني من « ملوك العرب » القسم السادس . فصل في الشيخ احمد الصباح وسياسته

الفصل الحادي والثلاثون

فتح حائل

في صيف هذا العام (١٣٣٩ هـ - ١٩٢١ م) بعد ان عُقد مؤتمر القاهرة البريطاني ، برئاسة وزير الخارجية يومئذ المستر تشرشل الذي كان سائحاً في الشرق الادنى ، وقرر ان يكون الامير فيصل ابن الملك حسين ملكاً على العراق ، عقد مؤتمر في الرياض ، حضره العلماء والرؤساء فقرروا ان يتخذ حاكم نجد الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ومن يخلفه بعده لقب سلطان . فكتب عبد العزيز كتاباً الى المفوض السامي لدولة بريطانيا العظمى في العراق يخبره بما تقرر ويرجو ان يكون ذلك مستحسناً لدى الحكومة البريطانية البهية . وبينما هذا الكتاب في الطريق كان قادماً من حضرة المندوب في بغداد كتاب الى ابن سعود يخبره فيه ان قد تقرر انتخاب الامير فيصل ملكاً على العراق ويرجو ان يكون ذلك مستحسناً لديه . فاجاب عبد العزيز انه يكون مسروراً بما يريده العراق والدولة البريطانية للامير فيصل بشرط الا يكون ذلك محققاً بحقوق نجد او مضرراً بمصالحه . ثم اعترفت الحكومة البريطانية في ٢٢ اغسطس (٢٧ ذي الحجة) لابن سعود ولمن يخلفه من ذريته بلقب سلطان .

وفي هذا الشهر عاد سعود بن عبد العزيز من حصار حائل ومعه اميرها الشاب عبدالله بن متعب آل رشيد ، فبسمت الرياض اطلائع النصر في الحرب ، ولبشائر الفوز في السياسة . ولكن الاعتراف بملك او بسلطان هو اسهل من تحطيم التيجان . وثقارض الولاء السياسي اسلس سبيلاً من حصار المدن . فلا يتبادر للذهن اذن ان في رجوع سعود ومعه امير حائل الفوز المبين . ان فيه طلائع فوز فقط . اما الامنية القصوى فدونها شهران من القتال لا يزدريها التاريخ . لنعد اذن الى الحوادث التي تقدمت الحصار . بعد المصالحة وابن الصباح

استنفر ابن سعود اهل نجد ومشى الى الجبل بعشرة آلاف مقاتل يقود قسماً منهم اخوه محمد والقسم الآخر ابنه سعود ، وقد عهد الى الاول في محاصرة حائل والى الثاني في مهاجمة شمر . اما هو فتخلف في القصيم .

عند ما وصل محمد الى اطراف المدينة قام اهلها يستأذنونهم بارسال وفد من قبلهم الى عبد العزيز ، فأذن بذلك .

وقد جاء هذا الوفد يقبل بما رُفِض منذ سنة من الشروط التي اشترطها عبد العزيز بخصوص شؤون شمر الخارجية . على ان الحوادث خلال سنة تقوم بالمالك وتقعدها . وخلال سنة يطرأ على السياسة ما يجعل اسمها متكرراً ليومها .

لم يقبل عبد العزيز بما كان قابلاً به في السنة الماضية . وقد قال للوفد : « اعلموا ان الرئاسة القائمة بين عبد وامرأة ^(١) لا تدوم . واعلموا ان اموركم لا تستقيم ما زاتم تحت تلك الرئاسة . وما زالت اموركم كذلك ما زال الشقاق وما زالت الفتن . وهذا مضر بكم وبنا مضر بنجد وباهل نجد وشمر . عليكم اذن ان تدخلوا في ما دخل فيه اهالي نجد لتنجوا من سيادة العبيد والمرأة ، وتريحونا وتريحوا انفسكم من وبيلات الحروب . شروطي الآن اذن هي ان تسلموا الى شوكة الحرب وعائلة الرشيد . فيكون لكم اذ ذاك مالنا وعليكم ما علينا . واذا رفضتم ذلك فاعلوا اني زاحف اليكم بنفسي بعد ثلاثة اشهر » .

اجاب الوفد : « سنعرض الامر على صاحب الامر ، فاذا قبل كان خيراً والا فانت بريء الذمة » . وبعد ان عاد الوفد ورُفِضت تلك الشروط خرج ابن طوالة غازياً بعض قبائل ابن سعود في مكان قريب من حائل على مسير خمس ساعات منها ، ولكنه لم يعد من تلك الغزوة سالماً . فقد وافاه فيها الموت .

على ان موت هذا الزعيم الشمرى لم يؤثر بشجاعة المحاصرين والمرابطين خارج المدينة . فقد حدث بينهم وبين جنود ابن سعود مناوشات ومصادمات كانت يوماً لم ويوماً عليهم ، فاستدعى عبد العزيز اخاه محمداً وامر ابنه سعوداً سيفي محاصرة

(١) يشير الى نفوذ العبيد وقاطنة السبهان في الامارة .

المدينة ، فحاصرها شهرين ، ولم يكن في نجاحه فوق من تقدمه لولا مجيء محمد بن طلال من الجوف وفرار الأمير عبدالله بن متعب .

اما ابن طلال هذا فهو اخو عبد الله الذي قتل سعود بن عبد العزيز ، واما عبد الله بن متعب فهو ابن اخي سعود . فلا عجب اذا خامره شيء من الرعب في ما ادعاه ، اي انه جاء من الجوف ليساعد في الدفاع عن حائل . نعم جاء يساعد في الدفاع بعد ان يقنني أثر اخيه ، فيستولي على الامارة . هذا الذي كان يختشاه ابن متعب . وبما ان الحياة لديه وهو يومذاك لا يتجاوز العشرين سنًا كانت اعز من الامارة فقد فر الى سعود بن عبد العزيز ، فرحب به واخذه الى الرياض كما تقدم غنيمة باردة . وكان عبد العزيز قد عاد الى العاصمة وامر سعوداً بالرجوع من الجبل لانه فقد هناك ، بسبب القِيظ وقلة المرعى ، عدداً كبيراً من رواحله . بعد فرار ابن متعب والتجائه الى ابن سعود ، تولى الامارة محمد بن طلال آل رشيد ، وهو شاب شجاع مستهتر ، فباشر القتال في حملته على قرى حائل التي كان اعلمها مواليه لان سعود حملات شعواء ، فهدمها بعد ان قتل صبراً اغلب رجالها .

وكان ابن سعود قد أمر فيصل الدويش بالزحف الى حائل وبمحاصرتها الى ان يجيئه هو بنفسه . فمشى رئيس مطير بالفين من رجاله وتزل على ماء ياطب القريب من حائل ، فبلغه في اليوم الرابع من وصوله ان ابن طلال خارج بقواته الى الجثامية ، وهي على مسير ثلاث ساعات من المدينة ، فشد مسرعا ومشى اليها فاحتلها قبل ان يصل ابن طلال الى النيصية القريبة المجاورة لها ، ومعه الف وخمسمئة مقاتل من الحضرم وسبعمئة من البدو ومدفعان .

عسكر ابن طلال في النيصية المحصنة بتلال هي متاريس طبيعية ، يصعب التغلب عليها الا بقوة من الجيش كبيرة . اما الجثامية فهي في منبسط من الارض ثقل فيه المكامن . ولم يتمكن الدويش من احتلال حصنها لان ابن طلال كان يضربه بمدفعيته ضرباً متواصلاً .

مشى السلطان عبد العزيز بعد عيد الاضحى يومين (١٦ اغسطس) بعشرة

آلاف مقاتل ومعهم بضعة مدافع . فلما اجتاز أم جريف الواقعة بين ربة وجراب ، بلغه خبر الدويش في الجثامية وأنه وابن طلال في احتراب . فترك في الحال حملة الجيش وراءه وخف مسرعاً . قد كانت مسراه من ذاك الماء قبل دخول محرم يوم واحد ، فوصل في اليوم الرابع منه (٨ سبتمبر) الى بقعة ، قرية من قرى حائل ، فالتقى هناك برسول من الدويش يحمل كتاباً ضمنه كتاب من ابن طلال اليه يقول فيه : « اننا جميعاً مسلمون وبيننا كتاب الله وسنة رسوله » . فقبل الدويش السربيع التصديق ، وما كاد ينسى خدعة سالم الصباح ، وكتب الى ابن طلال يلبي الدعوة للتحكيم وبسأله ان يرسل وفده لهذه الغاية . وقد دفعت به الثقة الطائشة الى اهمال الجانب الشمالي من معسكره فلم يستحرسه ، فاغتنم امير حائل الفرصة وارسل ثلة من جنوده في الليل فاحتلوا ذاك المكان ، فاشرفوا على معسكر الدويش ، وشرعوا عند انبلاج الفجر يرمون الاخوات بالرصاص . اركب الدويش نجاباً آخر الى السلطان يخبره بانه وابن طلال مشتبكان في القتال ، وانه خسر عشرة من رجاله وجرح عشرون .

وصل النجاب العصر الى مخيم السلطان فغضب لما حدث وامر ابنه سعوداً ان يركب بالخيال ويقدمه مسرعاً . ثم وصل نجاب ثالث يخبر ان الاخوات كسروا جيش ابن طلال ، فارسل يأمر الدويش بان يلزم مكانه وألا يأتي بحركة اخرى الى ان يصل اليه .

مشى السلطان وقصده الهجوم على ابن طلال تلك الليلة . ولكنه اضطر ان ينتظر الحملة والمدافع ، فابطاء في السير . ولم يكن من المستطاع الهجوم في النهار لان ابن طلال ورجاله كانوا في حصون حصينة ، ولأن بين الحصون والمهاجرين سهلاً لا يحميهم شيء فيه ، ولأن جبل أجاء ، وهو حصن طبيعي ، قريب منهم يلوذون به ساعة الهزيمة .

تقدم جيش السلطان عبد العزيز تدريجاً الى مركز الدويش ، فلم ينتبه ابن طلال الى ذلك ، ولم يكن عالماً بقدمه ناهيك بقربه منه . وعند العصر في اليوم

التالي جمع السلطان قواده وتشاوروا في الامر فقرروا ان يكون الهجوم في الهزيع الثاني من الليل .

مشى في ذاك الوقت نصف الجيش فقط ، فراح قسم منه يلف بابن طلال من جهة حائل ليقطعوا عليه خط الرجعى ، وتقدم القسم الاخر الى المكان المعد للهجوم ، فانتظروا هناك طلق المدافع التي بدأت ترسل قنابلها بعد صلاة الفجر قبل ان ينبجلي الليل .

هجم الاخوان هجمة واحدة ، والقنابل تؤز فوق رؤوسهم ، فقتلوا عدداً من العدو وشتتوا صفوفه ، ففر ابن طلال واكثر رجاله الى جبل أجاثم الى حائل ، ولاذ الآخرون بحصون النيصية . صوّبت المدافع على الحصون فقتلت أكثر من لاذوا بها وسلم الباقون .

قال أحد الدين سلموا يخاطب السلطان « طبعيتكم ماهرون يا مولانا » فقال عظمتة : « لا . لا . كنا نصرب على النية في الظلام ، ولكنه توفيق من الله » .

بعد تقهر ابن طلال الى حائل ارسل السلطان الى اهالي المدينة يقول : سلموا تسلموا . فجاء الجواب بالتسليم على شرط ان يؤثر عليهم ابن طلال والكتاب موحي به منه ، لانه كان لا يرال سائداً بين ثبت معه من الجند وحزب بيت الرسيد . ولم يكن لاهل حائل زعيم يوحد كلمتهم ويعززها ، فانفذ ابن طلال فيهم سهام ارادته . عى ان المغلوب لا يشترط الشروط . الى الحصار !

ان مدينة حائل كائنة بين جبلي أجاثم وسلمى ، لها سهل يتسع الى الغرب ، وبضيق الى الشمال ، فيفتح من الجهة الشمالية الشرقية طريقاً الى النخف ، وينقلص في الجهة الشرقية وفي شطر من الجنوبية . هي اذن محاذة من جهاتها الثلاث بالجبال ، ولا يمكن الاستيلاء عليها من غير الجهة الغربية والستور الجنوبي الغربي الذي تمتد منه الطريق الى نجد .

في هذا الطريق جاء السلطان عبد العزيز فقتل من الجُتامية ، بعد ان تقهر ابن طلال الى المدينة ، ونزل بينها وبين النيصية ، فقسم هناك جيشه الى فرقتين ،

فرقة بقيت معه ، والاخرى تقدمت الى جبل أجا فملك مركزاً منه حصيناً .
وهناك مركز آخر يدعى عقدة غرب البلد يحسبه اهل حائل أحصن حصونهم
الطبيعية . تقدم الجنود ، وهم يضربون العربان النازلين الجبل في طريقهم ،
فيقتلون ويشتتون ويغنمون الغنائم ، فاستولوا في اليوم السابع على عقدة ،
واستمروا زاحفين الى حائل ، وهم يتمترسون بأكياس من الرمل ، حتى وصلوا
الى مكان بينها وبين جبل أجا اتخذوه خطاً اولاً للدفاع . وكان الهاجمون وراءهم
قد احاطوا بالمدينة من جهتيها الغربية والغربية الجنوبية .

قلت ان اهل حائل قبلوا بالتسليم على شرط ان يكون ابن طلال اميرهم .
ولكن الاكثرية فيهم نفروا من ابن طلال لظلمه وطفئانه وكانوا يشنون من
الحصار . فقد ارسلوا الى السلطان عبد العزيز غير مرة يقولون : لا تركنا
فريسة لابن طلال . وفي الوقت نفسه كانوا يرجونه الا يضرب بالمدافع المدينة .
وعند ما ادرك ابن طلال ان الامارة لا تقيته بواسطتهم كتب الى المفوض
السامي ابريطانية العظمى في العراق يسأله التوسط بينه وبين ابن سعود .
قال السريبرسي كوكس في تقريره الى حكومة جلالة الملك : « بعد ان سلم
الامير عبد الله (بن متعب) بن الرشيد تولى ابن عمه محمد بن طلال الدفاع عن
حائل . وارسل اليّ مراراً يرجوني ان اتوسط بينه وبين ابن سعود . ولكن ابن
سعود لم يقبل بذلك » .

دنت مدة الحصار من الشهر الثالث فكتب السلطان عبد العزيز الى اصدقائه
في حائل يقول : « قد طال الحصار ، واقبل الشتاء ، فليعذرنا الاهالي اذا انذرناهم .
لهم ثلاثة ايام ليسلموا المدينة وعائلة الرشيد ، والا فتحن الى غرضنا مسرعون
بالرصاص والنار » .

فجاء الجواب وفيه ان الاهالي ينفضون ايديهم من ابن طلال وبيت الرشيد ،
ويسلمون الحصون المحوطة بالمدينة اذا جاءتهم سرايا من الجيش .

ارسل السلطان الفين من رجاله ففتحت لهم الحصون الخارجية المشرفة على
حائل . ثم امن الناس على ارواحهم واموالهم فخرجوا اليه افواجا وهم يشكرون الله .

اما ابن طلال ، الذي شهد له حتى الاخوات بالبسالة والاقدام ، فعندما ادرك ان الامر ثقلت من يده تحصن وحاشيته في القصر ، فارسل السلطان عبد العزيز يؤمنه على حياته اذا هو استسلم ، ففعل .

استمر هذا الحصار خمسة وخمسين يوماً ، اي منذ وصول السلطان في ٤ محرم الى ٢٩ صفر ١٣٤٠ (٢ نوفمبر ١٩٢١) يوم سلم ابن طلال . ولكن حائل كانت في حال الحرب اكثر من سنة قبل ذلك وكانت القوافل من الكويت والعراق منقطعة عنها ، فشمل اهلها الضيق . وكان السلطان عالماً بشدة حالهم فجاءهم متأهباً لتخفيفها — جاء بالملون ، وجاء بالتياب وبالمال — فاجزل للناس العطاء ، ووزع الوفا من اكياس الارز والوقا من انكسوات . قال لي احد الذين سلموا : « كنا ايلة الحصار الاخيرة على آخر رمق نرى شبح المجاعة والموت فامسينا ليلة التسليم الاولى وكلنا شعبانون ، مكسيون ، مطمثنون » .

بعد ذلك شاورهم الفاتح في امر اميرهم : « ومن تريدون ان نؤثر عليكم ؟ » فاجابوا قائلين : « واحداً من آل سعود او من كبار رجالك » فقال عبد العزيز : « لست من رأيكم فقد كنا واياكم « قوم » (اعداء) مدة طويلة فلا يجوز ان نضكم الان مباشرة . وانا اعرفكم يا اهل حائل . انكم اهل قيل وقال . اصحاب قن . ولكني لا اخشى ان اؤثر عليكم واحداً منكم . واني اريد ان احافظ على كرامتكم . هذا ابراهيم السبهان فهو منكم ، وهو رجل عاقل . هو اميركم . واني واثق بالله ، وعدته معي جميلة ، فهو سبحانه وتعالى ينصفني ممن يغدر او يخون » . اما ابراهيم السبهان فهو الذي مهد السبيل لتسليم الحصون وانفق وابن سعود على ذلك فامره بعدئذ على حائل .

الفصل الثاني والثلاثون

مأساة بيت الرشيد

لا بد لكل مأساة من حائق تهوي منه . لا بد من ذروة تملكها الحياة المجيدة او السعيدة ، ثم تفقدها فتهبط منها الى الدرك الاقصى .

ينبغي اذن ان نصل والقارىء الى ذروة بيت الرشيد قبل ان نبدأ بالمأساة فيه . ولا بد قبل التصعيد من الوقوف عند سفح الجبل — عند الاساس — فننصرف الى المؤسس الكبير والى المشيد الاكبر .

آل رشيد من آل خليل ، وآل خليل من آل جعفر ، وهؤلاء نخذ من عبيده اكبر قبائل شمر . وفي الفتوحات السعودية الاولى كان امير الجبل واحد من هذه القبيلة يدعى الجربا ، حارب آل سعود فغلب ، وأجلى وعشيرته الى العراق . ثم امّر سعود الكبير واحداً من آل علي في حائل ، وقرب منه رجال هذا البيت ، فكان جبر اخو رشيد ، جد عبد الله ، كاتباً في ديوانه بالدرعية .

ولكنه لم يظهر في آل رشيد ، على ما نعلم ، اكبر من عبد الله الذي اختلف والامرة الحاكمة يومئذ ، فرحل الى الرياض ، وانضم الى جيش فيصل ابن الامام تركي . وعند ما قتل تركي جاء فيصل بجيشه من الحساء ليشأر لايه ، وكانت عبد الله في ذاك الجبش ، بل في مقدمة من هجموا على القصر ، وقتلوا قاتل الامام ، فجازاه فيصل ، بعد ان تولى الامارة ، بأن جعله اميراً على حائل .^(١)

وعبد الله بن علي بن رشيد ، مؤسس هذا البيت ، هو من اولئك الافراد المتقدمين بفضلهم في الناس ، اولئك الذين يسودون الناس بما يزين اعمالهم من الشجاعة ، والعدل ، والاحسان .

كان اميراً في حائل يوم جاءها المستشرق الاسوجي جورج والن^(١) سنة ١٨٤٥ ، اي بعد عودة الامام فيصل بثلاث سنوات . وقد كان محمد علي باشا غير راضٍ عن حكم فيصل فارسل هذا المستشرق الى حائل ليسبر غور بيت الرشيد طه يجد فيهم من يصلح لمناسبة آل سعود . ولكن الامير عبد الله كان يسعى في سبيل استقلال الجبل ، في استقلاله عن الرياض وعن مصر ، وما راقه قط ان يكون سيفاً بيد محمد علي علي ابن سعود . عاد جورج والن الى مصر . ثم جاء حائل بعد سنتين للمرة الثانية ، فكانت النتيجة شبيهة بالتي تقدمتها . لم يفلح العالم الاسوجي بمهمته السياسية . ولكنه كان معجباً بالامير عبد الله ، وقد قال فيه كلمة تعلقها هو غرث لا ارى احسن منها ، وهي من اجنبي ، في تقدير هذا الامير العربي . قال والن :

« لم يكن نفوذ عبدالله ناشئاً عما كان له من الثروة والسيادة فقط . بل عما امتاز به ايضاً من السجايا الشريفة كالشجاعة والعدل ، وكرم الاخلاق والوفاء ، وحب الفقراء . فقد كانت في احسانه مثله في عدله كبيراً ، ولم يسمع عنه انه اخلف مرة بوعده . . . هذه الفضائل هي مصدر تلك القوة قوة عبدالله ، وذاك النفوذ نفوذه » .

وكان لعبدالله اخ اسمه عبيد امتاز عنه بثلاثة امور ، بغلوته في المذهب الوهابي ، وبخشونة طبعه ، وبنزعة فيه شديدة الى القتال في سبيل الله والتوحيد . كان عبيد رسول الوهابية الاكبر في الجبل ، وكان بيته محط رحال الوهابيين في حائل ، ومرجعهم الاعلى ، والصلة بينهم وبين الرياض .

لم يكن في اولاد عبدالله اكرم من طلال . لكنه نكب في عقله وكانت منتحراً . اما متعب اخوه فقد كان من الوسط في الناس عقلاً وخلقاً وسياسة ، ولم يحكم غير سنتين لأن بندراً وبدرأ ، ابني اخيه طلال ، طمعا بالامارة وانتزاعها منه بالسيف . قتل بندر وبدر متعباً ، وتولى الحكم بعده احدهما بندر . وكان

(١) George Augustus Wallin

محمد بن عبد الله يومئذٍ عند الامام عبد الله بن سعود الذي وفق بعد سنة ، كما اسلفت القول ، بينه وبين ابن اخيه الامير الجديد .

عاد محمد الى حائل فتولى اماره الحاج العراقي ، ثم في السنة التالية قتل بندراً بيده دفاعاً عن نفسه كما قال . وقد امر بقتل ابناء طلال الاخرين فذبجوا في القصر كلهم الا واحداً هو بدر الذي فر الى البادية ، فتأثره العبيد وقتلوه ، فغضب الامير محمد لانه امرهم بالقبض عليه فقط ، وقتل بسيفه العبد الذي قتل بندراً .

سيف الامير محمد ! قد روي عن صاحبه انه قال : « لا يُغمد سيف ابن الرشيد حتى يقتل اهل هذا البيت اجمعين » . وما كان في ما قال واهماً . فقد مشى هو نفسه الى عرش الامارة على خمسة ارواح من بيت ابيه . وكان ذاك العرش لا يزال مقيداً بشيء من ارادة آل سعود — مقيداً بخيط رفيع قطعه الامير محمد بسيفه . وظل هذا السيف مستلاً في سني امارته كلها ، فكانت صاحبه فاتحاً ، وكان مستبداً ، وكان عادلاً . لكن نفسية الامير لم تحل من أثر لغدر 'يزمان' ، ظل بادياً في خلقه حتى في ايام النصر والجد ، فكان هذا المستبد العادل مقتدياً في بعض اعماله باثزمان . كان اذا اراد محاربة البدو مثلاً يهجم عليهم في الصيف ، وهم على المياه في المضارب ' ' . انه في ذلك شيئاً من الغدر ، ترفع عنه من خلفه مثلاً من بيت ابيه اي عبد العزيز بن متعب .

اما انه كان سر ابيه في المرونة النفسية التي تلتوي ولا تنفصم فما لا ريب فيه . وقد أعجب به كل من قابله من السياح والمستشرقين الذين آمنوا حائل والقصيم في عهده الذي هو عهد شمر الذهبي . اجل ، قد حاز الامير محمد من السيادة في نجد ما حازه ابن سعود الكبير ، فرفع بيت الرشيد الى الذروة التي طاح منها مجد بيت الرشيد . هي الذروة التي تبدأ عندها المأساة موضوعنا الان . وهذه المأساة هي ذات اربعة فصول ، وفاتحة وخاتمة .

(١) البدو يصلحون مواشيهم في الريم ، من شباط الى آخر ايار ، فيسرحون طالبين الحيا [الرعى] ثم في اشهر القيظ يردون المياه ويقبضون حولها مسالين . ثم يظعنون في الحريف وعندما تحضر الحقول في آخر الشتاء . وهذه الاشهر في الحريف والشتاء هي غالباً اشهر الغزو والحرب عندهم .

الفاتحة : — شمر تندب الامير محمداً وثقلد سيفه عبد العزيز ابن اخيه متعب
فيخرج الى الحرب وشمر تحذو امامه ووراءه . وفي الوقت نفسه يخرج سمي ابن
الرشيد عبد العزيز بن سعود من الكويت غازياً فيلتقي العزيزان ويحتربان سبع
سنوات ، فيخسر العزيز الرشيدي نصف الملك الذي كان لعمه محمد . وبالرغم
عن مساعدة الاتراك لامير شمر قبل الحرب العظمى ، ومساعدة الاتراك والالمان
اثناء تلك الحرب ، ومساعدة الملك حسين بعدها ، زالت شمر وهي على قمة الجبل ،
قطاحت واستمرت طائفة .

الفصل الاول : يبدأ بقتل عبد العزيز في روضة مهنا وينتهي بذبح اولاده
الثلاثة .

المشهد الاول : سوق في بربرة يدخله جنود ابن سعود وهم يعلنون موت
عبد العزيز الرشيد وينشدون : حنا اهل العوجا مروية السنين ! (اسنة الرماح)
المشهد الثاني : في القصر بجائل ، وقد عقد مجلس حضره اولاد عبد العزيز
متعب ومشعل ومحمد فولي متعب الامارة .

المشهد الثالث : في قصر آخر بجائل ، قصر آل عبيد . ابنا سعود الثلاثة
وهم فيصل وسعود وسلطان يتآمرون .

قد ذهب يوم عبدالله وجاء يوم عبيد . هؤلاء الصبيان اولاد عبد العزيز
لا يستحقون لامارة وسيتنازعونها ، فيذالونها ، ويفقدونها . علينا اذن ان ننقذها
فتظل في بيت الرشيد ، علينا ان نريخ الصبيان منها ونريحها منهم .

المشهد الرابع : في العراء خارج المدينة : فيصل وسعود وسلطان آل عبيد
ورجاءيلهم وعبيدهم ومعهم متعب ومشعل ومحمد ابنا عبد العزيز ، وقد دعوا
ليوم صيد فلبوا الدعوة .

كوكبة من الخيل خرجت من حائل ، وكل حيال يفي الصيد ، يتسد
الطريدة في لافق وراءها . الا ان طريدة آت عبيد كانت قريبة ، غافلة ،
غير شاردة . خريدتهم ؟ هاكها على الحمار امام

فبعد ان خفيت اسوار المدينة ، عندما غدوا في الفلاة ، لمز كل من الاخوان ابناء حمود حصانه وساقه على واحد من ابناء عبد العزيز ، فتناوله من السرج بقرونه (شتره) وغمد خنجرآ في صدره . طاح الثلاثة اخوان الى الارض مضرجين بالدماء ، ولم يحرك احد من الحاشية يده دفاعاً عنهم . وما دخل العبيد ؟ رشيدى قتل رشيدى . ولكنهم وهم عبيد آل عبيد هتفوا قائلين : والحمد لله هذه آخرة آل عبدالله .

الفصل الثالث : مشهد كلي . يرفع الستار وسلطان بن حمود بن عبيد متصدر سيفه مجلس الامارة ، والى جانبه اخوه فيصل البستام صاحب البسمة الابليسية الناعمة ، وفي مخدع وراء المجلس الاخ الثالث سعود يشحذ سيفه . لم يكن سعود العبيد على شيء عظيم من الصبر . فقد حن الى الامارة حنين الحبيب الى الحبيب ، ولم يأذن لاختيه سلطان بغير سبعة اشهر منها . وعندئذ — جاءت الساعة ولم يكن سعود متأهباً ، او انه شحذ سيفه حتى انقسم ، فبادر الى حبل خنق به سلطاناً ، ودفنه في حفرة بالقصر .

مشهد جزئي لينصب عمال المسرح عرشاً جديداً وراء الستار . ونحن اثناء ذلك نخبر عن ابن عبد العزيز الرابع — الصغير — الذي فر به خاله ابن السبهان من القصر يوم الصيد المفجع . ان هذا المشهد في سوق من اسواق المدينة المتورة ، وفيه يسير ابن السبهان وابن اخته سعود بن عبد العزيز وحاشيتهما مسرعين ، وقد اتصل بهم خبر قتل سلطان بن حمود .

— « وغداً يا وآيد (ابن السبهان يخاطب ولي العهد الشرعي لعرش حائل) دور سعود ، ثم دور فيصل . سنرجع الى حائل ، الى حائل يا وآيد — والامارة لآل عبدالله ان شاء الله » .

المشهد الثالث في حائل : ابن السبهان يدخل المدينة بجيش من العربات فيضرمون فيها نيران الثورة . ثم يهجمون على القصر فيقبضون على سعود بن حمود بن عبيد ويقتلونه في الغرفة التي قتل فيها اخاه سلطاناً . فتصفق حائل استحساناً : مرعى مرعى ! ونقلد سعود بن عبد العزيز سيف الامارة .

مشهد جزئي نختتم به هذا الفصل (وقد يعترض ارباب الفن على ختم فصل من مفصول المأساة بمشهد جزئي ، ولكنهم يتغاضون لاهميته عن اخلائنا باحدى قواعد الدراما) .

المشهد الجزئي الذي ابقيه هو لفصل اليبس ، ثالث الاخوات ، الذي اجتمعت به في الرياض . ذاك الذي كان يبسم ، ويذنب ، ولا يغيظ . فقد اختلف واخاه سلطانا ، فامّره على الجوف ليعده عن العرش وكان ذلك رحمة منه . وكان فيصل مسروراً بذي الامارة الصغيرة وذاك البعد ، خصوصاً عندما حلم بقتل اخيه الاول ، ثم بقتل اخيه الثاني .

ولكنه عندما علم يرجوع آل عبدالله الى عرش الامارة لم ير السلامة حتى في الجوف ، فهجر عرشه هناك ورحل شرقاً ، ثم جنوباً . رحل مسرعاً ، ولم يقف في ترحاله حتى وصل الى الرياض ، ورمى بنفسه بين يدي عبد العزيز بن سعود ، فحرب به ، واكرمه ، واتخذته خلفاً في روحه خدناً ونديماً . وقد حزن عبد العزيز جداً عندما وافى الموت فيصلاً في الرياض سنة ١٣٤٢ هـ .

الفصل الثالث من مأساة بيت الرشيد يبدأ بالولد سعود بن عبد العزيز على عرش الامارة . ووراء ذاك العرش امرأة هي فاطمة السبهان جدة الامير ، وحول ذاك العرش عبيد القصر الطامعين بالسيادة . قد يكون هذا التوازن بين الامرأة والعبيد السبب في دوام العرش سنوات عدة بالرغم عن العواصف التي كانت تعصف عليه من الجنوب — عواصف الاخوان .

مشهد جزئي : مجلس « ستي » فاطمة : صوت من وراء الحجاب فيه نبرات وغنيات ، وارادة ماضية تحرك العرش ، وتحرك الجيش ، وتحرك يد العبد سعيد صاحب الخزنة . « ستي » فاطمة تستقبل الناس وتفاوض الوفود ، وتشير على الامير بالخطة السياسية التي ينبغي اتباعها .

كانت فاطمة السبهان فصيحة اللسان ، شديدة التكيمة ، قصيرة النظر . تكره اهل نجد وآل سعود . وكانت سياسة الامارة بيدها ، وكذلك المالية بعد قتل سعود لأن العبد سعيد كان قد عزل .

ومن هو العبد سعيد ؟ في ايام سعود بعد ان بلغ سن الرشد كانت لبعض العبيد مقام رفيع في الديوان الرشيدى . وكان الامير خوفاً من آل سبهان يقرب منه هؤلاء العبيد المالكين ويبالغ في اكرامهم ، ومنهم خصوصاً اثنان ، سعيد المحمد ، مملوك سوداني خصي ، حمل مفتاح الخزانة منذ ايام عبد العزيز بن متعب ، وسليمان العنبر الذي كان يحمل سيف الحجابة الاول ، ويدخل على الامير برأى حتى في السياسة مسموع .

كان الطواشي سعيد وزيراً للمالية اميناً ولا شك ، وكان سليمان العنبر مستشاراً مخلصاً . ولكن نظر الاثنين في شؤون الامارة نظر العبيد لا يتجاوز دائرة معقولهم الصغيرة .

اما « ستي » فاطمة ، تلك القوة وراء الستار ، وراء الحجاب ، فلا يخلو ما قيل فيها من مجال للنقد . وبكفي ما كان من نتيجة حكمها ، وهو اكبر حجة على سوء الادارة فيه .

بين هاتين القوتين مشى سعود بن عبد العزيز الى عرشه ، وبين هاتين القوتين قضى ما كتب له من سني الحكم . ثم اخنى عليه الذي اخنى على اخوته . ولكنه لم يمت مثلهم في « الصيد » . مات سعود غدراً ، وكان الغادر اجبن الغادرين .

مشهد كلي في الفلاة : يجيىء الامير للنزهة ومعه حاشيته وعبيده . الرجاجيل يعثنون بالخيول ، والعبيد يجمعون الحطب ، ويشبون النار للقهوه ، والامير يتبارى وعبدالله بن طلال الرشيد برمي الرصاص ، او كما يقول العرب بضربه النيشان (الهدف) ولم يلزمها غير عبد واحد من العبيد .

وقد كانت هناك رابع هو القدر جاء يسد الرصاصتين ، رصاصة الامير ورصاصة ابن طلال ، ويلحق العبد بالذهور .

اما هدف ابن طلال آل عبيد فلم يكن الهدف المنصوب . رفع الامير سعود بندقيته ، وابن طلال وراءه والبندقية بيده مصوبة في الظاهر على « النيشان » فأطلقت الاثنتان في وقت واحد ، فاصابت رصاصة الامير كبداً الهدف ، واخترقت رصاصة ابن طلال رأس الامير .

وكان العبد يحدّق بالهدف معجباً برمي سيده ، فلم ينتبه الى ما حدث الا عند ما خر للارض صريعاً . ولكنه وقد فتح فاه وعيناه هوى هو ايضاً في الحال . لم يعطه القاتل فرصة للفرار او للصياح اذ جاءت الرصاصة الثانية تبعثر دماغه فطاح كالخشب الى جانب الامير .

رأى احد العبيد الاخرين ما جرى فصاح باخوته وهجموا على ابن طلال . ثم جاء الرجايل ومعهم عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز ، ابن اخ الامير المقتول . وهذا عثرة في سبيل العرش ، وابن طلال لا ينبغي الان غير العرش . عليه اذن ان يزبل ابن متعب ايضاً من طريقه . قد أسلفنا من مهارته بالرمي مثلين — وهذا الثالث ؟

شرع ابن طلال يرمي عبدالله بالرصاص ، وكن العبيد يحولون دون مرماها ويطلقون كذلك بنادقهم ، فقتل واحد منهم ، واصيب ابن طلال برصاصة ابعده عن العرش بل عن حطام الدنيا كلها .

الفصل الرابع : في القصر بجائل : عبدالله بن متعب جالس على عرش جده عبد العزيز — جالس على العرش ويده على رقبته خشية ان تجيشه الضربة غدرآ — جالس على العرش وقلبه يخفق جزعاً ورعباً — جالس على العرش وعيناه الفيتتان محترتان ، دامتان ، من الدم اوراق على جوانبه . عرش نخر السوس في اركانه ، فتزعزع ، فهوى ، فامسى مستنداً وحصيماً في فناء الاضمحلال .

وماذا عساها تعمل " ستي " فطمة — فاطمة شجرة العظيمة — لانقاذه ؟ وماذا عسى يعمل العبيد ، ووفاء العبيد ، وتجماعة العبيد ؟ هبت هبوب اجنة ! هبت من الجنوب ، من نجد ، من العارض ولا نجاة هذا الامير الصغير ، هذه البذرة الاخيرة من شجرة شجرة التي كانت تباري رواسي الجبال — هذه البذرة السوداء البيضاء التي تدعى عبدالله ابن متعب — لا نجاة لها بغير التسليم ، والتسليم في الحال .

وهوذا ابن طلال الثاني محمد اخو عبدالله القاتل المقتول ، وقد جاء من الجوف ليدافع عن حائل . - عن حائل ؟ لا حاجة ولا سبيل الى اقناع عبدالله

بن متمب • فقد فرّ ويده على رقبتة ، ولاذ بابن سعود • وهو اليوم ضيف
مكرم في الرياض — آخر آل عبد الله الرشيد !

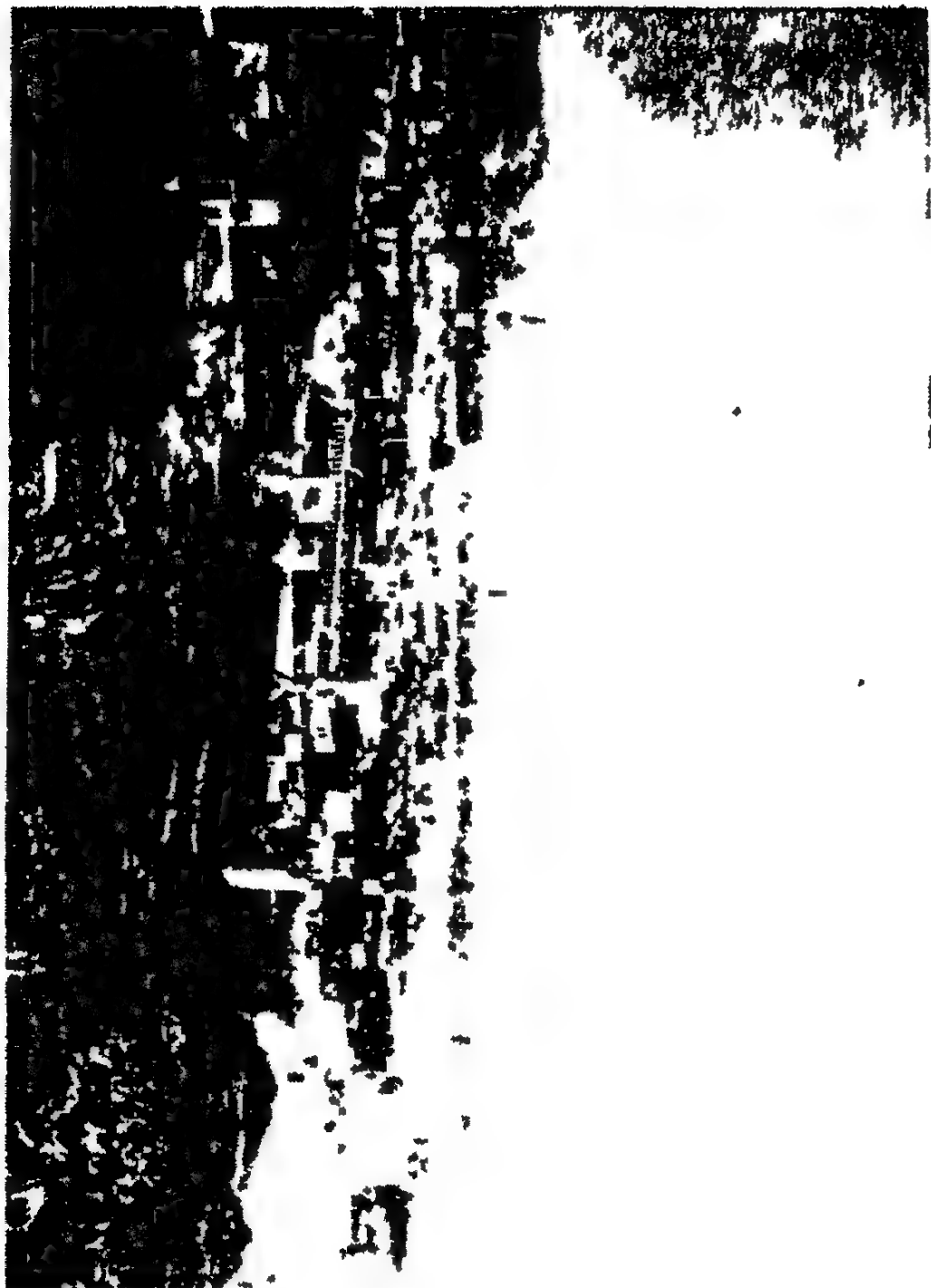
جاء ابن طلال الثاني وفي نفسه أمل بانقاذ حائل وبإعادة شيء من المجد الى
شمر • فوقف خارج المدينة ، وفي حصونها ، وعلى اسوارها ، يدافع عنها دفاع
الابطال • ولكنها وهي تابعة لعرش هوى ، لمجد تقلص ظله ، رأت خلاصها في
انفصالها عن هذا المجد وذاك العرش ، وفي التسليم الى ابن سعود • فكان الفتح خاتمة
المأساة ، مأساة شمر وبيت الرشيد • بل كانت الخاتمة حصاراً ، ورصاصاً وناراً •
وكان محمد بن طلال بن نايف بن طلال من الذين سلموا ، بل آخر الذين
سلموا ، وهو الان ضيف مكرم في الرياض •

خاتمة المأساة : المشهد الاول : بيت في الرياض يخرج منه ابن طلال في الليل
وهو متخفي في ثوب امرأة ، فيقبض احد الرجال عليه ويحيي به الى السلطان
عبد العزيز ، فيأمر بنقله الى القصر • وقد كان في القصر اسيراً يوم كان المسجل
لهذه المأساة في الرياض • ثم أطلق سراحه وهو اي المسجل لا يزال هناك •
المشهد الثاني : المجلس العالي بالقصر • السلطان عبد العزيز جالس على
الديوان وعصا الشوخط بيده ، والى يمينه ويساره رجال بيت الرشيد • وعلى
الدواوين وانكراسي خمسون ونيف من وجهاء الرياض وعلمائها •

يدخل العبيد ومعهم ابن طلال ، فيجلسه السلطان الى يمينه ثم يقول :
« اعلموا يا اهل الرشيد انكم عندي مثل اولادي • وانتم في الرياض تعيشون كما
اعيش انا واولادي ، لا ازين ولا اشتين • ثيابكم مثل ثيابنا ، واكلكم مثل
اكلنا ، وخيلكم مثل خيلنا وازين • ترى الصحيح — وليس في القصر ، او في
البلاد تحت يدي ما تبغونه ولا يجيئكم • ترى الصحيح • وهل منكم من يشك في
ذلك • تكلموا » •

لم يفه واحد منهم بكلمة

« وانت يا محمد ، ما جرت عليك الامر غير نفسك ، غير عملاك المشين • كن
عاقلاً حكيماً • ولا تعر اذنك النساء • اني عالم بما تعمل وبما تقول • فاعقل



٢٦٥ — ٢٦٤

المدينة المورة

لصالح نفسك . تحنب الطرق التي فيها القال والقليل ، والتي تؤدي الى الفتن .
كن صادقاً مخلصاً ، تكرم كل الاكرام — تكرم مثل اهلك هؤلاء كلهم . والله
بالله ان الضرر الذي يمسكم يا اهل الرشيد يحرك قلبي قبل لساني الى مساعدتكم .
انت يا محمد واحد من بيتي الان . . . وكل ما عندي المدافع عن بني — عن
العيال والحريم اقدمه اذا اقتضى الامر في الدفاع عنك — في الدفاع عنكم كلكم
يا اهل الرشيد » .

هاها وقف السلطان ، فوقف من في المجلس ، واعطى يده الى ابن طلال
قائلاً : « اعطيك عهد الله ما زلت مخلصاً لنا » . فصالحه ابن طلال وهو يقول :
« اذا حدث عن الطريق الذي امرت به اقطع رأسي » .
ثم قبل عطفته في امه وفي حبه .

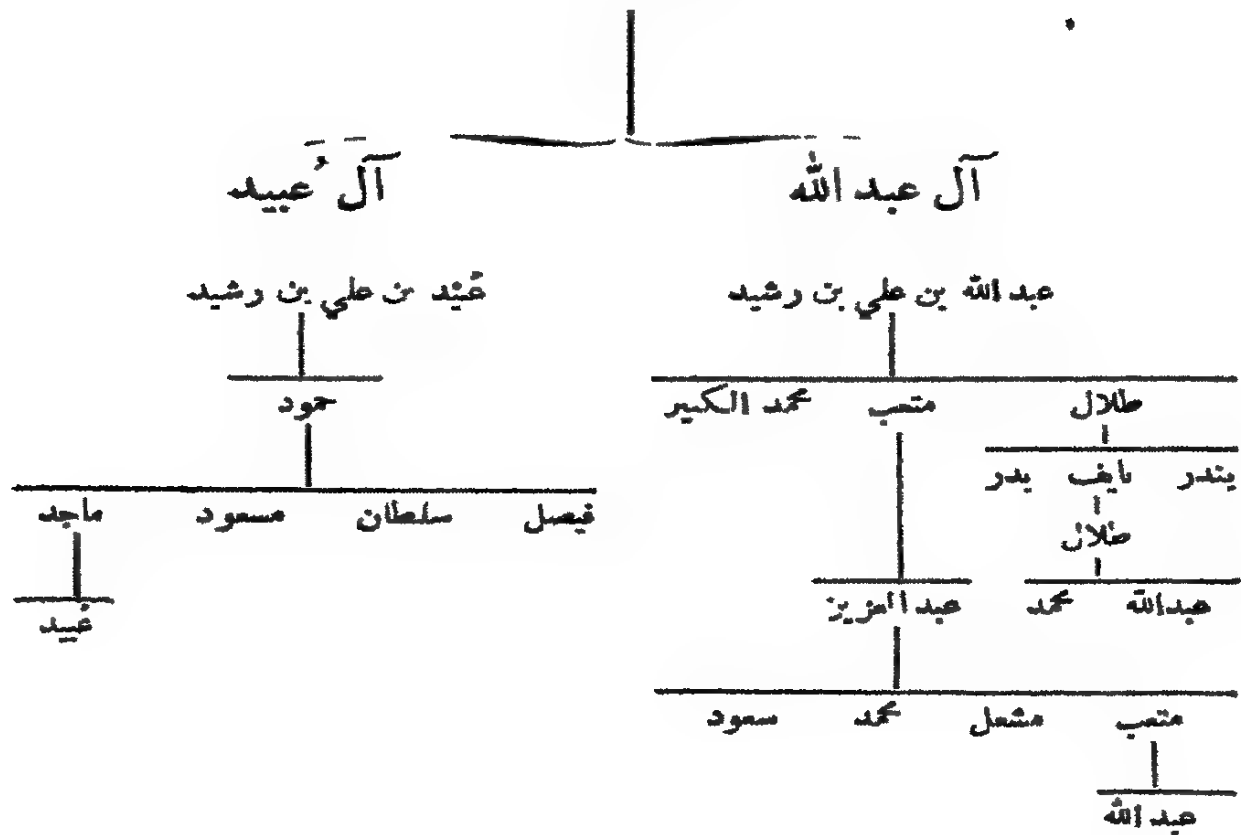
ثم صوت يهتف بالدعاء : « ادامك الله ووطد اركان ملكك » .
هو صوت كبير بيت الرشيد يومئذ ، تالت ابناء حمود ، احواس « الصيد »
الثلاثة ، صوت فيصل الميساء غفر الله ذنوبه ، ودوب اهل هذا البيت اجمعين .

امراء حائل الرشيدية

- ١ — عبد الله بن علي بن رشيد . مات موتاً طبيعياً سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٨م) .
- ٢ — طلال بن عبدالله . انحر في سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م) .
- ٣ — متعب اخو طلال . قتله ابناء اخيه بندر وبدر سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) .
- ٤ — بندر بن طلال بن عبدالله . قتله عمه محمد سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) .
- ٥ — محمد بن عبدالله الذي يدعى الكبير كان عاقراً ومات . موتاً طبيعياً .
تولى الامارة سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) . وتوفي في ٣ رجب ١٣١٥هـ
(١٨٩٧م) . استولى على نجد كله حتى وادي الدواسر .
- ٦ — عبد العزيز بن متعب بن عبدالله . قُتل في المعركة في ١٨ صفر ١٣٢٤
(١٩٠٦م) .
- ٧ — متعب بن عبدالعزيز حكم عشرة اشهر . قتله واخوه متعللاً ومحمداً ابنا
حمود بن عبيد في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) .
- ٨ — سلطان بن حمود بن عبيد حكم سبعة اشهر . قتله اخوه سعود
- ٩ — سعود بن حمود بن عبيد حكم اربعة عشر شهراً . قُتل في القصر
- ١٠ — سعود بن عبد العزيز بن متعب بن عبدالله . قتله عبد الله بن طلال
سنة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) .
- ١١ — عبد الله بن طلال لم يحكم . قتله عبد من عبيد سعود
— عبدالله بن عبد العزيز بن متعب . سلم لابن سعود
ذي الحجة ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) .
- ١٣ — محمد بن طلال بن نايف بن طلال . سلم لابن سعود في ٢٩ صفر
١٣٤٠ (٢ نوفمبر ١٩٢١) .

نسب بيت الرشيد

قبيلة شمر
عبد أكبر فخذ منها
آل جعفر
آل خليل
آل رشيد



الفصل الثالث والثلاثون

اميرة آل عائض

في شبه الجزيرة جبال غير أجا وسلمى ، وغير جبال اليمن وعمان ، تستحق ان تُنعت بالزمردية . هناك جبال عسير وقد كساها الاخضرار ، فضخمت فيها الاشجار ، وغزرت المياه ، وتنوعت الثمار . هي جبال عسير الممتازة بكنوزها الدفينة ، ناهيك بهوائها ، وهو في اعتداله مثل هواء الطائف ، وبمناظرها وهي اروع من مناظر اليمن . وهي احصن الجبال للدفاع ، ورجالها من صفوة العرب في البأس والبساة .

ولكن اهل عسير اتشد العرب نفرة من الاجاب ، وابتعد العرب اليوم عن المدنية . كانوا في الماضي قبائل مستقلة بعضها عن بعض ، بل معادية بعضها لبعض . ولا يزال في الجهة الشرقية الجنوبية من اولئك الاعراب الذين يسلكون مسلك الاقدمين في الاستقلال والقتال ، فهم لا يدينون لصاحب اليمن ، ولا لصاحب عسير ، ولا لصاحب نجد والحجاز .

اما اهل الناحية التي أطلق الترك عليها اسم متصرفية عسير فقد اقبلوا في ايام آل سعود الاولين على مذهب محمد بن عبد الوهاب ، فترى مساجدهم وقد خلت من الزخرف ، وقبورهم ولا قباب فوقها . هم يوحدون الله ولا يتوسلون الى سواه . وكانوا في تلك الايام يدفعون الزكاة للامام في الدرعية ، مثلما يدفعونها اليوم للسلطان عبد العزيز .

اما قاعدة هذه المقاطعة أبها ، التي تملو سبعة الاف وثلاثمئة قدم عن البحر ، فهي قائمة على رأسي وادي ضلاع ووادي شهران ، في جبل سراة ، بين اكام وقم تنتصب كالحراس حولها . وهي مؤلفة من ثلاثة قرى او احياء منفصلة بعضها عن بعض ، ولا اسوار لها . انما تحوط بها ثمانى قلاع صغيرة — مفاتيل — تسع

الواحدة عشرة من الجنود .

وحول أبيها القبائل التي كانت في الماضي تحارب بعضها بعضاً ، وتحارب الترك ، وتحارب نجداً والحجاز . ولكنها اليوم موثقة بعري السيادة السعودية ، متأخية في التوحيد الديني والسياسي . حول ابها بنو مقيط ، وبنو دآيم ، وبنو مالك ، وبنو زيد . وشمالاً منها بالأسمر وبالأحمر وبنو شهر ، وشرقاً خميس مشيط^(١) قاعدة زهران .

وفي هذه الناحية وادي شعاف الذي يقطنه آل يزيد ، ومنهم آل عائض الذين يدعون انهم من سلالة معاوية بن ابي سفيان ، وانهم نزحوا الى عسير بعد سقوط الدولة الاموية في الشام . ولكنهم لم يكونوا قبل الفتح السعودي امراء في عسير . وعندما امّر سعود الكبير في هذه الجبال رجالاً يدعي ابن مجمل كان عائض جد الاسرة من الرعاة . ثم جاءت الجنود المصرية . وجاء محمد علي بنفسه يقود الحملة على اهل عسير ، فكان آل يزيد من المتقدمين المستبسلين في القتال ، وكان عائض بطل آل يزيد فامّره ابن مجمل مكانه ، وكتب الى ابن سعود يوصيه به فاتبته في الامارة . ثم خلفه بعد وفاته ابنه محمد — محمد الفاتح — الذي بسط سيادة آل عائض في ما دون السراة من البلدان ، فوصل شرقاً الى يثشة ، وشمالاً الى حدود الحجاز ، وجنوباً بغرب الى الحما في تهامة .

وكانت قد تزعزعت في عهده سيادة آل سعود ، وعادت الدولة العثمانية الى اليمن ، فجهزت على عسير حملة بقيادة المشير رديف باتا الذي قتل محمد بن عائض غدراً . ثم تأسست متصرفية عسير ، وظلت الدولة تحافظ على نفوذ آل عائض وتستعين به ، بل كانت تعين احد امراء هذه الاسرة معاوناً للمتصرف . وآخر من تولى هذه الوظيفة منهم هو حسن بن علي ، حفيد الامير محمد ، الذي عينه في سنة ١٩١٢ المتصرف سليمان شفيق ككلي باتا .

ثم سببت الحرب العظمى ، وجلا الترك عقب الحرب عن عسير ، فتولى

(١) خميس مشيط هي على مسافة خمسة عشر ميلاً من ابها وهي في طريق الحاج اليماني الذي يجتمع فيها بحجاج عسير ويسبرون جميعاً الى مكة .

الامارة واستقل بها . بل كان مستبدًا ظالمًا ، فنفرت منه القبائل خصوصًا قحطان وزهران ، وارسلت وفودها شاكية الى ابن سعود . فبعث عبد العزيز اليهم ب ستة من علماء نجد وكتب الى الامير حسن والى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسالمة ويدعوهم للرجوع الى ما كان عليه اجدادهم .

ولكن الامير حسنًا استمر في سياسته ، فابى توسط العلماء ، وردم مكابراً . — « اذا كان ابن سعود يتدخل في شئون قبائل عسير فنسبشي الى ييشة النخل (قلعة ييشة) ونستولي عليها » .

عندئذ ارسل السلطان ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي (امير حائل والجنوف اليوم) ومعه الفسان من الجنود ، وامره بأن يدعو ابن عائض اولاً للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان اجداده الاولون .

مشى ابن مساعد في شعبان سنة ١٣٣٨ (مايو ١٩٢١) وعندما دنا من ابها في الشهر الثاني كفاه ابن عائض . وؤونة الدعوة للسلم فخرج اليه بمجنوده وتصادموا في مكان يدعى كحجلة بين العاصمة وخميس مشيط ، فكانت الواقعة شديدة ، وكانت الهزيمة على اهل عسير .

ثم دخل جيش ابن مساعد ابها ، وواصل سيره غرباً بمجنوب فاستولى على السراة وغيرها من النواحي التي تتصل بمحدود السيد الادريسي . وكان الادريسي موالياً لابن سعود فأسر بعض آل العائض الفارين ^(١) ورجع حسن وابن عمه محمد الى ابن مساعد مستأمنين مستسلمين ، فأمنهما وارسلها الى الرياض حيث اقاما شهراً بضيافة السلطان ، واتفقا واباه على ان يكونا معه كما كان اجدادهما مع اجداده .

قال عبد العزيز : « ما تحلينا ابدآ عنكم يا اهل عائض . وعند ما سئل الترك الشريف عبدالله بن عون ان يهاجمكم وينكل بكم ، ارسل الشريف يستنجد عمي الامام عبد الله فاجابه : ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه ؟ »

ثم عرض امارة عسير على حسن بالشروط التي تقيّد بها اجداده فرفضها

(١) اخلى بعدئذ سبيلهم اجابة لطلب السلطان عبد العزيز .

خائلاً : « قد عادينا الناس ونخشى اذا امرتنا ان يقوموا علينا . ولكننا نكون معاونين لمن يؤمرون أيديكم الله . ولا تقصروا عنا من جهة الدنيا »

لم يقصر ابن سعود . فقد اعطاهما خمسة وستين الف ريال (٦٥٠٠ ليرة ذهباً) وخصهما واهلهما بالمشاهرات المالية .

عاد الامير ان الى بلادهما راضين مغبوطين ، فاقام محمد في أبيها عند حاكمها وكانت سيرته حسنة . اما حسن فاستأذن بأب يسافر الى حرملة بلده ليحيى بعائلته الى العاصمة فأذن بذلك . ولكنه عندما وصلها تمذع فيها وشرع يدس الدسائس على ابن سعود .

ثم مشى ، بعد فتنة اثارها ، بقوة من قومه على أبيها ، فحاصر الامير فيها عشرة ايام ، واضطره الى التسليم ، فسلم ، فأسر في خميس مشيط .

وكان قبل ذلك قد جازف هذا الامير بسيادة ابن سعود في بني شهر المقربين من الديوان الهاشمي بمكة . فقد كان لابن سعود عامل في تلك الناحية ارسل مرة مع احد رجاله مالاً الى امير ابها . فقتله بعض العربان وسلبوا المال ، فارسل الامير الى بعض الاخوان من قحطان يأمرهم بمهاجمة بني شهر . هجم الاخوان على ادنى اولئك العربان منهم ، فاشتبكوا واياهم في القتال وكانت الغلبة عليهم . وكان للملك حسين يستنهض بني شهر ليكونوا وابن عائض يدا واحدة على ابن سعود ، ويمدهم بالذخائر وبالمال ، فتفاقم الامر ، واستد الخطر على السيادة النجدية في عسير . اسمرت هذه احال ما يقرب من شهرين . وبعد سقوط حالي ببضعة اشهر جيز السلطان عبد العزيز ابنه فيصلاً بحملة على عسير مؤلفة من ستة الاف من جنود نجد ، من الاخوان ، واربعة الاف من عرب قحطان وزهران انضموا اليهم عندما دخلوا تلك الجبال .

منى فيصل في التبر العاشر من عام ١٣٤٠ (يونيو ١٩٢٢) فل وصل الى بيشة كان بنو نهر زاحفين اليها يريدون مهاجمتها ، فامر فيصل بابدء القتال ، فهجمت عليهم كتيبة من الجيش فقتلت ٢٠٠ من منهم ٢٠٠ الباقين .

وكان محمد بن عائض مرابطاً بجيشه في خميس مشيط . فعندما علم بدنو فيصل

ظهر الى حمدي ، فنفذه بمررتة من القوسان ، فترسبع وجتوده الى ابها بدون قتال .
سألت الآخر : « وهل كان في ابها عند ما دخلتموها » فقال : « ما وجدنا »
فيها غير الكلاب والجرم . فرآى عائض وقومهم ، وفر معهم هارباً من استطاع .
فأرسل الامير فيصل يؤمن الناس بشرط ان يسلموا « شوكة الحرب » فسلم
فريق من الذين كانوا ثائرين ، وظل فريق مع الامير حسن الذي لجأ الى بلدته .
آحرملة وتحصن فيها .

وآحرملة هذه هي في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها الا من منافذ معلومة .
لا يعرفها غير اهلها . كان آل عائض في محاربتهم الاتراك يلجأون اليها ، وهي
بلدتهم وحصنهم المنيع منذ القدم . اما الامير محمد فقد هرب الى القنفذة ومنها
سافر الى الحجاز ليستنجد الملك حسيناً ، فانجده بحملة صغيرة يقودها الشريف
عبدالله بن حمزه الفهر ومعها مثنان من الجنود النظامية وبعض المدافع والرشاشات
بقيادة الملازم حمدي بك ^(١) .

جاءت الامير فيصل اخبار العائضين ، فأرسل على حسن في معقله بحملة سرايا
من الجيش ، الواحدة تلو الاخرى ، وبعد تذليل العقبات ، ومعركة دامت ست
ساعات ، استمر الاخوان في التصعيد حتى وصلوا آحرملة فلم يخذوا حسناً فيها ،
فهدموا قصورها وحصونها وعادوا الى ابها .

وكان الامير قد ارسل قوة من الجيش الى تهامة لمحاربة القادمين من الحجاز .
ولكن تهامة كانت على الاخوان اشد في حرها ومحتياتها من مخزور حرملة ، فلم
يمعنوا فيها ، بل عادوا منهزمين — هزمتهم الحمى — الى الجبال ، فنشقى جيش الحجاز
اثرهم .

اما القيادة في ذاك الجيش فقد كانت مقسومة غير متفق عليها . قال
الشريف عبدالله بن حمزة بخطة في السير ، وقال حمدي بك قائد الجنود النظامية
بخطة اخرى . ولكن الكلمة الاخيرة كانت للشريف فشى بالجيش في الطريق .
التي حذر منها حمدي بك .

(١) هو اليوم قائد الحامية في ينبع .



الامير فيصل ابن الملك عبد العزيز

وكان ذلك من حظ الاخوان الناقمين على تهامة ، الطالبين الثأر من الجيش الذي جرم اليها ، اذ ما عثم ان وقع الشريف عبد الله في الشرك ، فاحاط به اهل نجد وكادوا يفتنون بجيشه بالرضا عن وبالسيوف - نجا القائدان بقسم من رجالهما ، البدو والنظام ، ولاذوا ببارق ، فتعقبهم الاخوان ، ففروا منها منحدرين الى تهامة ، متقهقرين الى القنفذة .

وبعد فرار العائضين حسن ومحمد ^(١) وهزيمة الجيش الحجازي ، أمر الامير فيصل في أبها ابن عفيصان ^(٢) واقام فيها حامية عددها خمسمئة جندي - ثم عاد بما بقي من جيشه الى الرياض ، فوصلها في ٢١ جمادى الاولى ١٣٤١ (٨ يناير ١٩٢٣) يوم كان مؤلف هذا التاريخ هناك .

(١) هما اليوم في الرياض

(٢) يظهر ان آل عفيصان حريقون في الولاء لآل سعود ، مقربون منذ القدم منهم - جاء في تاريخ البحرين ان عندما استنجد آل خليفة الامام عبد العزيز بالدرعية على اهل الزبارة بقطر انجدهم بجيش يقوده ابن عفيصان

الفصل الرابع والثلاثون

الاخوان في العراق

عندما وصل سعود الكبير سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) الى الجبل والجوف في فتوحاته ، دخلت شمر الاقليلاً منها في المذهب الوهابي لخلوه من الزيادات في العبادات ، واملاً بالتخلص من الحكم العثماني . على ان ابناء الجبل لا يشبهون في الزعة الدينية اهل العارض ، فلم يؤثر المذهب الجديد في عصبيتهم الشمرية ، ولا اثر فيها الروح الاولى الى العراق ، عندما اجلا ابن سعود « الجربا » وعشيرته من الجبل ، في العقد الاخير من القرن الثامن عشر .

خات شمر من اكبر قبائل العرب عداءً ، وارسخهم في القومية ، وابسلهم في القتال . وقد كانت في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر ركن ملك ابن الرشيد ، ونار علمه ، وآية عزه ونصره .

اما الدعاية المذهبية في الجبل ، في بداية هذا القرن ، فقد اختلفت بامرين عما سبقها في بداية القرن الماضي ، او انها تنزهت عن امر هو ديني وبخلصت من آخر هو سياسي . لم يكن في الجبل من يكره الناس بالمذهب الوهابي الحنبلي في حملاته الفظيعة على « المشركين » . ولم يكن للدولة العلية ، في الربع الذي ولى من هذا القرن ، ما كانت لها من الشوكة في الممالك العثمانية ، ومن الهيبة والنفوذ في العالم الاسلامي . فلم تتمكن السياسة التركية الاسلامية من مقاومة لدعاية الوهابية ، خصوصاً لان تلك الدعاية كانت في الاجمال سلمية . فقد شئى المطاوعة الى الجبل قبل ان يزحف اليه الاخوان .

وعندما كثرت اهجرة الى العراق ، خصوصاً من قبيلة عبدة الشهيرة ، بسبب ما تكرر في بيت الرشيد من الجرائم السياسية الفظيعة ، تعددت عوامل

التفكك في شمر ، فضعفت تلك العصبية التي كانت ركن الجبل وسيف ابن الرتييد ، ولم يحل محلها عصبية مذهبية لان اهل الجبل لا يغالون في الدين كما قلت مثل اهل العارض .

ولكن السياسة كانت تستثمر ما تبني من العصيَّةين . فالذين فروا من الجبل الى العراق ، قبل حصار حائل ، دخلوا هناك في العشائر المعادية لعشائر نجد واشتركوا في الاغارات التي تكررت عليها . والحق يقال ان الفوضى اتتاء الحصار ضربت على حدود العراق اطنابها . فعجزت عن مكافحتها حكومة بغداد الجديدة الضعيفة ، وُشغلت حكومة نجد عنها في الحرب .

اجل ، قد تكررت الاغارات من العشائر بعضها على بعض . وكان عربان المنتفق والظفير يسطون خصوصاً على عشائر نجد ، فكتب السلطان عبد العزيز الى حكومة العراق يسترعي نظرها لئلا امر ، ويطلب ان يُردع الاشقياء ، وترد المنهوبات التي نهبته من عشائره .

اما هذه المنهوبات فكان اكثرها عند الظفير ، وشيخها نافر من تلك الحكومة الجديدة ، بل خارج عليها ، فله تملك قياده ولا كان لها في عربانه الامر المطاع . وقد كان ابن صويط على عدااء قديم وابن السعدون يوسف بك المنصور ، والاثان عدوان لابن سعود ، فقامت حكومة العراق تنفر في سياستها واحداً منهم به . قال السير برسي كوكس^١ في تقريره الى الحكومة البريطانية : « يمكن العلاقات حسنة بين حكومة العراق وشيخ الظفير حمود بن صويط ، وقد امتسكت عنه المشاهرات لانه يردع عشائره عن العزوة والاعتداء ومن سؤ الحظ ان الملك فيصل اعين في هذا الوقت يوسف بك السعدون قائداً لفرقة الحماية على الحدود ، وبينه وبين ابن صويط عدااء قديم ، فهاج ذلك خاضر شيخ الظفير الذي رحل الى الرياض . وقد كنت الى ابن سعود اسأله الا يستقبله لان

(١) Sir Percy Z. Cox عندما اعلنت الحرب العظمى اتدب السير برسي كوكس رئيساً للحكام السياسيين لفرقة D من الجلمة الهندية لفتح العراق . عين بعد ثورة ١٩٢٠ مدوياً سامياً للحكومة البريطانية العظمى في العراق . راجع مدوك العرب : الجزء الثاني . صفحة ٣٣٥ وما يليها .

حكومتها العراقية لخير دأضية عنه » .

١ ولم يكن ابن صليحوا دأضياً عن حكومة العراق ، لارت تعييل يوسف بك السعدون قائداً لفرقة المهجاة لم يكن على ما يظهر للدفاع فقط ، بل شملت مهمته النظر في شؤون البوادي التي تسرح وتمرح على حدود البلدين لمجد والعراق . ولا سيئات انحرأه قد رحب السلطان عبد العزيز بشيخ الظفير ابن صليح . طردوا بجاءه مستغفراً ، وأعطاه الامان على شرط ان ترد عربائه ككل ما عثبت من اهل نجد ، وأن لا يشمل العقو غيرهم من المذنبين . ثم اجزل له العطاء ، وارسل معه احد رجاله عبد الرحمن بن معمر الثامنين ، ليوصل الزكوة من اهل الظفير المستسلمين .

وفي جمادى الثانية من عام ١٣٤٠ (فبراير ١٩٢٢) نقل يوسف بك السعدون بفرقة المهجاة الى ابي الغار ، على مسير يوم من سوق الشيوخ غربي سكة الحديد بين البصرة والناصرية ، فزاره المتصرف هناك ، وامر العربات بان لا يؤدوا الزكوة الى ابن سعود .

اما ابن سعود فعندما علم بمشي السعدون امر فيصل الدويش في الارطاوبة بان يمشي الى الحضر ويحضر هناك للدفاع عن عتاتر نجد .

وكان ابن صليح قد بدأ ينفذ في عربائه اوامر ابن سعود ، فعصاه واحد من المتقدمين فيهم اسمه ابو ذراع ، وخرج الى آل طوالة ، من شمر العصاة ، وشرع يشن الغارات وايامه على عتاتر نجد . علم الدويش بذلك ، ونهض على الحطولة فشد على ابن طوالة وابي ذراع .

وكان يوسف بك السعدون قد زحف بهجائه على ابن صليح ومن معه من رجال ابن سعود ، فنزل ليلة ذاك النهار في مكان قريب من مناخ ابي ذراع وابن طوالة .

هجم الدويش على هذين الزعيمين ورجلها فغلبهم وغنم اموالهم ، فبادرت هجاة يوسف بك الى الدفاع عن المغلوبين ، فما عتصموا ان صاروا مثلهم . ضربهم الدويش دفاعاً ، فانقلب الدفاع هجوماً ، لان الاخوات المتصرفين ظلوا

حاشين الى ابي الغار ، فدخلوها في ١١ مارس ونهبوها . ثم تأثروا جيش السعدون خادر كوه في شقره ، التي تبعد عشرين ميلاً من ابي الغار الى الجنوب ، فضربوه خربة ذهب باكثر اولئك الهجانة وشتت الباقين . وقد خيم الاخوان في تلك الناحية بضعة ايام ، فضجت كربلا والنجف بـ ضج العراق باجمعه .

على ان الحكومة الانكليزية فعلت بالسويش وجنوده ما فعلته سابقاً في الصيحية بالكويت . ارسلت عليهم الطيارات ، ومن الطيارات القذائف المدمرة للبلدة . ١٠ / ١١

ثم تباهى المندوب السامي السريمي كوكس والسلطان عبد العزيز رسائل الاسف . قال حضرة المندوب : « لا تؤاخذوا طيارانا . ولكن لا يبرر لهجوم الاخوان على عشائر العراق » .

وقال عطمة السلطان : « لا تؤاخذوا الاخوان . ولكن التبعة على الحكومة التي لا تستطيع ان تكبح جماح للعشائر ضمن حدودها ، هذا جزاء الضعف والامهال » .

وبعد هذا الحادث عقد مؤتمر المحمرة لتسوية الخلاف بين البلدين ، فحضره احمد ابن ثنيان من قبل السلطان عبد العزيز ومندوبان من قبل الحكومة والمفوضية في بغداد . ولكن السلطان لم يصدق على ما قرر هناك ، فتمتد المؤتمر الثاني بعد بضعة اشهر في العقير .

الفصل الخامس والثلاثون

مؤتمر العقير

على كتيب يحدج الخليج بعينه العسدية ، الى جنوب القصر بالعقير ، خمس
خلون من ربيع التساني عام واحد واربعين وثلاثمئة والـ (٢٨ نوفمبر ١٩٢٢)
نصبت الخيام للمؤتمر . فكان قسم منها ، وهي البيضاء الهرمية المزركشة من
الداخل بالايات والرسوم ، الى الجانب الشرقي لوفد العراق وللانكليز ، والقسم
الاكبر واكثره من بيوت الشعر الى الجانب الغربي لاهل نجد من المرافقين
عظمة السلطان عبد العزيز . وكان مرادق عظمته مقابلاً لمرادق الاجتماع ،
في الخيم الاوروبي ، وبينهما نحو مئتي متر من الرمل . وتحت مرادق الاجتماع
مرادق الطعام ، ووراءه المطبخ ، والى جانبه قافلة من الجمال وقد اناخت
باجمالها .

وكانت شمس العقير فاترة لا تجفف هواء العقير . وهواء العقير ، وهو رطب
كثيف ثقيل ، لا يصلح مزاج من جاء ، ومزاجه معكر ، ليصلح مجاري السياسة
بينه وبين جيرانه .

كان السلطان عبد العزيز قد علم في الطريق من الحسا بقدوم فهد الهذال
شيخ العمارت مع المفوض السامي السريبرمي كوكس ، فغاضه ذلك ، لانه لم ييجي .
العقير لحل مشاكل العشائر . وقد كانت فوق ذلك ناقماً على الشيخ فهد ، لانه
انزل عرب شمر الذين فروا من الجبل في اثناء الحصار لحائل .

فكتب اليه يذكره بأنهم من رعاياه ، وان عرب عنزي — والعمارات منها —
هم ابناء عم ابن سعود ، وانهم لا ياوون اعداءه ، ولا يساعدونهم عليه . —
« بل انت يا فهد وعشائرك من رعايانا ، ولك علينا حق الحماية ، اللهم اذا كنت

من المخلصين» . ولكن فهذا بفضل على ما يظهر الحماية الانكليزية ، وقد جاء محتجاً بالمندوب السامي ليسترضي السلطان عبد العزيز .

قال عظمتته للمؤلف : « نحن دعونا السر برسمي كوكس الى العقير للنظر واياه في امرين — الاول الشريف واولاده ، والثاني الاتراك الطامعون الان بالموصل . اما مسألة العمارات والظفير فليها لا يستوجب مجيئنا الى هذا المكان » . ولكن السر برسمي اغتنم هذه الفرصة ليعيد البحث في اتفاق المحمرة ، ويحدد الحدود بين نجد والكويت ، وبين العراق ونجد ، فجاء ومعه فريق من السياسيين والاختصاصيين وكتبة السر والخدم .

وصل اليخت الذي أقلهم من البحرين في مساء اليوم السابع من ربيع الثاني ، فامر السلطان بارسال الخيل الى الرصيف ، ونزل هو وحاشيته بلاقون الوفود . ثم عادوا بعد نصف ساعة الى الخيم ، فترجلوا امام مرادق الاجتماع الذي أنير بانوار « الاوكس » .

وبعد ان استقروا بالمجلس « اعتذر المندوب السامي لانه ابطاً في السفر » فقبل السلطان العذر ، وشرع يفصح عما كان يتقد في صدره ، فجاءت الكلمة الاولى قبلةً زعزعت المكان — « انا لا اخشى الا الرجل الذي لا شريف له ولا دين » . ثم قال : « لا ندري يا حضرة المندوب ما خفي من المقاصد ولكننا نرجو منها الخير . ومما نعلم على اليقين ان العشائر ، خصه صاً عشائر العراق ، لا ترتاح الى حكومة قوية ، بل لا تبغيها . لان الحكومة اذا كانت قوية تضربهم وتؤدبهم . اما اذا كانت ضعيفة فتسترضيهم كما هي الحال اليوم . العشائر يا حضرة المندوب لا يفهمون الا بالسيف . فهم اذا عاملتهم بالحسنى ينحكون بالحكومة . اشهروا السيف يرتدعوا ، يتأدبوا . اغمدوا السيف يهبوا ، ويقتلوا ، ويتقاضوكم فوق ذلك المشاهرات » .

فاه عظمتته بهذه الكلمات وهو مدير ظهيره انهد الخذل . ثم مال بوجهه اليه وقال مبتسماً : « أليس كذلك يا فهد ! » « حنا » نعرف بعفنا « فضحك كل من كان في المجلس ، الا شيخ العمارات الذي كان يحدق نظره في السجادة ، ثم

يرغمه بخلسة الى المندوب السامي ، كأنه يقول : لا بارك الله ساعة جئته فيها معك^(١) .

هذه اول جلسة ، وان كانت غير رسمية ، من مؤتمر العقير ، تبعتها جلسات خصوصية بين السلطان والمندوب السامي ، وحلقات عمومية حضرها رئيس وفد العراق صبيح بك نشأت ، والوكيل السياسي للميجر مور في الكويت ، والشيخ فهد الهلحال . وكان الكتاب والمتوجهون ، والاختصاصيون من العرب في معرفة الابار والطرق والمراعي ، يؤمنون خيمتي للمشيقة من حين الى حين .

اعود اذن الى مذكراتي في تلك الايام .

في ٨ ربيع الثاني ١٣٤١ (٢٨ نوفمبر ١٩٢٢)

اجتمع صباح اليوم السلطان والمندوب السامي ، فخرج المندوب وفيه جيبه تقرير طويل باللغة العربية ، سألتني عندما زرته بعد نصف ساعة في خيمته ان اترجمه له . هو تقرير يتعلق بقبيلتي العمارات والظفير كان قد اعدته السلطان لمندوبه في مؤتمر الحمرة ، وهو مكتوب في صورة السؤال والجواب - اذا سألك كذا وكذا ، اجب كذا وكذا . واذا الخ المندوب الانكليزي في امر من الامور ، اسأله اذا كان يتكلم بلسان حكومته او بلسان حكومة العراق . فاذا كان بلسان حكومة العراق فالجواب هو اننا لا نقساهل بحقوقنا . واذا كان بلسان حكومة بريطانية فالجواب : اكراما للحكومة البريطانية . هذا اذا كانت من الامور الثانوية . اما اذا كانت من الامور الجوهرية ، فالجواب هو اننا لا نسلم الا مكرهين . والحكومة البريطانية تفهم ان عاقبة الاكراه وخيمة » .

قرأت ما تقدم وترجمته كلمة كلمة ، فلم يظهر السر بري شيئا من الاكترات ان للسلطان عبد العزيز مفاجآت مزعجة

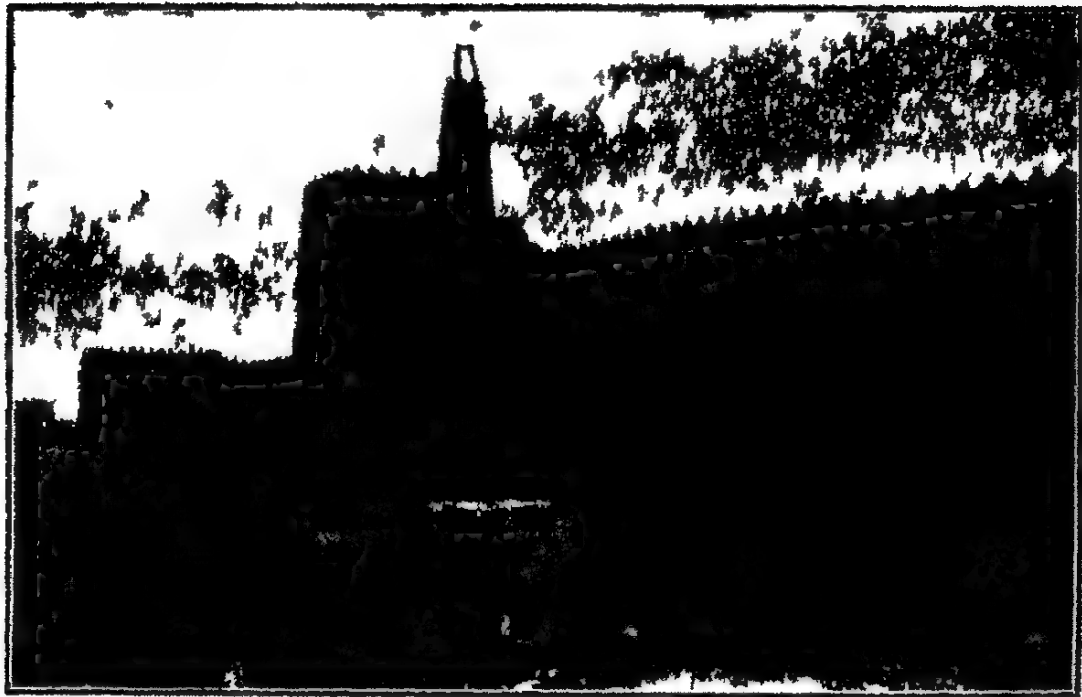
« اذا سألك عن العمارات قل انها من عدي ، وعزى كلها من ابناء عم

اب سعود ومن رعاياه »

(١) منقول من ملوك العرب . ومن شاء الريادة فليراجع الفصلين الثامن والتاسع من القسم الخامس . الجزء الثاني .



اعصا مؤتمر العقير



القصر في الرياض

السفر يوسي ثم «عزى للمواقف الجدي للمبادئ» تفضل ان تكون من رعايا العراق . املا عزى «سوديد»^(١) فقد تفضل ان تكون من رعايا ابن سعود . وله بها يتساءل فيها .

اضحكيتني هذه الكلمة من السفر يوسي . فكلمه يقول : الذي عندنا هو لنا ، والذي عند غيرنا ، عند الفرنسيين ، هو لك يا عبد العزيز اذا استطعت ان تستولي عليه .

في ٩ ربيع الثاني (٢٩ نوفمبر) .

قد زل اليوم المدوب السامي . بعد جلسة طويلة وعظيمة السلطان استدعى اليه عبد اللطيف باشا المديلي ، احد المستشارين يومئذ لعظمته ، ففاوضه مفاوضة استمرت نصف ساعة ، واعطاء صورة كتابين ، كتباً بقلم الرصاص وباللغة الانكليزية ، ليسلحهما الى السلطان . فارسل عظمته يدعوني الى العسقاط . مما يؤسف له في مثل هذه الحال ان لا يكون للمدوب السامي ولا للسلطان ترجمان يحسن الترجمة . فالكليبة الدكتور عبدالله ، مثل عربية الميجر دكسون ، لا تصلح الامم .

ترجمت الكتابين . وكان السلطان اتى الترجمة يترشح في مجلسه ويضرب السحادة بعصاه .

١ - الكتاب الاول ، الذي يسأله المدوب كتابته ، هو الى الملك فيصل حواء على كتاب من الملك يفترض وصوله . وفي هذا الكتاب يقول : ساء على تعهدات الحكومة البريطانية في معاهدتي وايها اقبل الاما الذي عقد في مؤتمر المحمرة .

٢ - الكتاب الثاني يكتبه الى السر يوسي كوكسر لبحره بالكتاب الذي كتبه الى الملك فيصل . ويزيده علماً بان واحدة من التعهدات المذكورة فيه ذاك الكتاب تتعلق بالمادة السابعة من المعاهدة^(٢) وفيها ان الكلمات « اية دوة

(١) اي الرولة وهي لفظ آرولة (٢) المعاهدة المقصودة بهذا الكلام هي معاهدة دارين اي معاهدة ١٩١٥ التي العيب عدني غب دعم مئة وستين الف ايرة لاس سعود

البحرية» يجب ان تشمل ايضاً حكومات الحجاز والشرق العربي والعراق . اي ان الحكومة البريطانية تتعهد ان تحمي بلاد نجد ، اذا ما تعدت عليها احدى هذه الحكومات الثلاث .

قال السلطان وهو يتميز غيظاً : « ومن قال للمندوب السامي ان ابن سعود يخاف الشريف وارلاده — لا والله . « حنا » في غنى عن الحماية ، اذا كان المعتدي علينا من العرب » .

وقد ساءه خصوصاً ان يقول له المندوب ، بقلم من الرصاص على قصاصة من الورق ، ماذا يجب ان يكتب الى الملك فيصل او الى الحكومة البريطانية .

دخل وانا اترجم الكتابين بعض رجال السلطان ، فأوماً اليهم ان اخرجوا ، فاستمروا ماشين في الفسطاط ، وخرجوا من الباب المقابل للباب الذي دخلوه ، فاستأنف عظمتهم الحديث . ثم هتف قائلاً : « لا نخاف الا الله » .

وكان المؤذن ساعتئذ يؤذن صلاة الظهر ، فنهض يلبي الدعوة وهو يقول : « سنصلي سنصلي » .

في ٩ ربيع الثاني (مساء) .

رفض السلطان بتاتاً ان يكتب الكتابين اللذين اشار بكتابتهما المندوب السامي .

في ١٢ ربيع الثاني (١ ديسمبر) .

قد تم الاتفاق بين السلطان ومندوب العراق على الحدود النجدية العراقية ، وتقررت بقعة الحياد بين البلادين ، بقعة تدعى العونية فسميت هزا قطعة بقلادة ، لانها في شكلها مربع شبيه بالمعين rhomboid (راجع الخارطة) وفي هذا التحديد نقرر ايضاً مصير العارات والظفير الداخلتين في ارض العراق ، المندودتين الان من عشائره .

يظهر ان السر برمسي اقنع السلطان او انه ارضاه بما يقابل تنازله عن هاتين القبيلتين قطعة بقلادة للجميم ! ومن يكبح جماح القوي اذا رد عنها الضعيف ؟ — بقعة خصبة للمرعى ، وفيها آبار عديدة ، لا هي لكم يا عرب العراق

ولا هي لنا . ولكننا اذا ارتدنا مسلحين ، ولم يكن فيها ما يكفي غير مواشيننا من الماء والكلاء ، فمن ذا الذي يردنا عنها ، ومن ذا الذي يستطيع ان يجرمنا ؟ . . . انه لصلح صغير — مثل الذي كان يعقد في بعض الاحابين بين ابن سعود وابن الرشيد . وليت شعري هل في لوزان^(١) اليوم يعقدون صلحا صغيرا م كبيراً ؟

في ١٣ ربيع الثاني (٢ ديسمبر) .

وقد تم الاتفاق بين السلطان والمندوب السامي والوكيل السيامي في الكويت الميجر مور على بقعة حياد بين البلادين ، لنقي عربان الكويت وعربان نجد شرقاً والتصادم . وهل يدري العربان بالمعاهدات ؛ وهل يحترمونها اذا ما جدت الارض وخرجوا كلهم « يتشدون الحيا » — يطلبون المرعى والماء ؟ هو صلح آخر صغير . وقد يدوم مع ذلك اكثر من صلح العراق . . . علمت ان السلطان طلب توسيع حدود الجوف لقاء تنازله عن العارات والظفير ، وان السر يرمي وعده بذلك .

في ١٣ ربيع الثاني (مساء) .

من بشارت الخير في هذا المؤتمر للبلاد العربية كتاب كتبه الملك فيصل بحط يده الى السلطان عبد العزيز ، الى « اخي العزيز » وارسله مع رسوله خاص عبد الله بن مسفر جار فهد الهذال في انخيم الاوروني . اكتاب مديح بارق العبارات الولائية ، وفيه ما يدل على ان حالة الملك يرغب رغبة حقيقية في الصلح ليس بين العراق ونجد فقط بل بين نجد والنجاز . فهل يبذل فيصل حطة والده ؟ وهل يستطيع ان يوفق بينه وبين السلطان عبد العزيز ؟ ها هنا اساس الصلح الكبير والصلح النابت في البلاد العربية . متبدي لك الايام ما كنت جاهلاً .

وجواب السلطان على كتاب الملك ينيء بالخير عسى ان يتوفقا الى اجتماع شخصي خاص . . . اني متيقن ان السلطان عبد العزيز راغب في ذلك .

(١) مؤتمر لوزان ومؤتمر العقير عقدا في وقت واحد . ولكن الاول استمر بضعة اشهر والثاني انتهى في خمسة ايام .

• ولكنه في الوقت المتأخر بصرف المزاج ، وقد طالت اقامته في الحساء • فهو
 يفتي الرجوع إلى الوياض • ولا بأس اذا بحث بسر واحد من اصرار الملوك •
 ان هناك رغبة في الاجتماع بدون واسطة الحكومة البريطانية •
 • في ١٤ ربيع الثاني (٣ ديسمبر) •

آخر ما ترجمته لعظمة السلطان صورة برقية ارسلها السريمي كوكس الى
 المستر اتشرشل (يومئذ وزير الخارجية) يقول فيها ان ابن سعود طلب ان
 تكون قريات الملح في الجوف تابعة لتلك الناحية وبالتالي لنجد • وهو إلى السري
 يرمي يشير بالقبول ، بل يقول : اكدت لعظمته ان ذلك يكون مقبولا لدى
 حكومة جلالة الملك ^(١) •

• • • • •

نأخذ من ابن سعود لنعطي العراق ، ونأخذ من شرقي الاردن لنعطي ابن
 سعود ، ونأخذ من الحجاز (العقبة) لنعطي شرقي الاردن — ومن نأخذ لنرضي
 الحجاز ؟

(١) بموجب اتفاقية حداء بين نجد والشرق العربي المثبوتة في الملحق قد منحت قريات
 الملح الى الجوف •

٢- الفصل السادس والثلاثون

النكاس — والذي يوسوس في صدور الناس

بعد بضعة اشهر من مؤتمر العقير نكس مريض الجزيرة ، نكس السلم . والسبب . في النكاس مكروب الغزو الذي ظن المتعاهدون انهم استأصلوه . ولكنهم بنجوه فقط . فافاق بعد اربعة اشهر ، ونشط الى العمل مباشراً في العراق ، او بالحري على حدود العراق ونجد .

قد يذكر القارىء ما قلناه في عرب شمر الذين لجأوا الى العراق بعد احتلال حائل . وقد يذكر ان في العراق من هذه القبيلة الكبيرة من تزحوا الى ذلك القطر قديماً ، وهم يعدون من اهله ، واكثرهم ينزلون ما بين النهرين قرب الموصل . هؤلاء العشائر ، وفي مقدمتهم آل عبده التابعون لشيخة عجيل الياور الذي تخصه الحكومة العراقية بالمشاهرات المالية ، كانوا يرحبون باخوانهم الفارين من نجد ويشاركونهم معهم في شن الغارات على قبائل ابن سعود . قد تحلل هذه الغزوات فترة سكون عقد فيها مؤتمر العقير . ثم عادت تلك العشائر بعد اربعة اشهر ، اي في صيف ١٩٣٣ ، تفسد ما اصلحه المصلحون ، وتحاول في غزواتها المتتابة ان تقضي على السيد في القطرين العراقي والنجدي . فكتب عظمة السلطان الى المفوض السامي والى جلالة الملك فيصل يلفت نظرهما الى هذا الامر ويحذرهما من عواقبه . بل طلب من الحكومة مراراً ان تردع المجرمين ، وترجع ما نهبوه من اهل نجد .

وقد نشر في الكتاب الاخضر النجدي اجوبة اولي الامر هناك ، وفيها ما يثبت دعوى حكومة نجد ، بل فيها الدليل على عجز حكومة العراق — عجزها يومئذ — عن تنفيذ ما رآته واجباً عليها .

قال — جلالة الملك فيصل في جوابه : « تلقيت كتابكم المرسل مع خادمكم الامين عبد العزيز الرباعي فكان اعز واصل اما من خصوص التفاوض - فقد اجرينا اللازم واخبرنا حامله شفاهاً بما يسهل الامور » .

وقال وزير الداخلية [يومئذ عبد المحسن بك السعدون] في كتاب ارسله الى المفوض السامي :

« قد اصدرت الاوامر الى متصرف الموصل لكي يرسل رؤساء شمر نجد وخصوصاً اولئك الذين اشتركوا في هذه الغارات وقد وعد الشيخ عجيل الياور باسترجاع الاموال — المنهوبة ، وتعهد بقبول المسؤولية عن وقوع الغارات في المستقبل » .

ثم كتب معالي الوزير الى متصرف الموصل كتاباً شديد اللهجة جاء فيه : « ان التأخير الذي ينجم عن هذه الغزوات يغضب ابن سعود . فان لم نتخذ الاجراء لمستعمل فاقل ما ينظر هو حدوث عزوات حسيمة مقابلة لذلك ^(١) ومما لا يطاق احتياجه اتحاد شمر العراق مركزاً لخركتهم الحرية على ابن سعود » .
والحكومة عازمة على اتحاد التدابير كصح جماعهم ولطردهم اذا اقتضى الامر .
وكان قد كتب عبد المحسن بك الى المفوض السامي يسأله اذا كان في وسعه « مساعدة الحكومة العراقية بالطائرات والسيارات المدرعة اذا كانت القوات لموحودة لديها غير كافية » .

وكن شمر احكومة العراقية لم يكن سوى مظهر من عجز حكومة الائتداب .
وفي كتاب السر برمي كوكس ، المؤرخ في ٢٧ اغسطس ، الى عظمة السلطان ما ثبت ذلك . فقد جاء فيه انه اي المفوض السامي لم يقصر « في الاسراع الى 'مب نظر الحكومة العراقية الى هذه الحركات السيئة من قبل رجال شمر نجد مقيمين داخل حدودها » ، وانه « سينظر مع الحكومة العراقية في امر امكان وضع دوريات منظمة في اطراف العراق لاجل منع حدوث مثل هذه الامور » . .
واله « وابق من التمكن قبل مدة طويلة من القيام بضمانات وافية ترضي كلا

(١) قد تحقق كلام الوزير ، بعد بضعة اشهر ، في غزوة الدويش

الحكومتين ، ومن اتخاذ تدابير من شأنها ان تمنع العشائر من تكرار هذه الاعمال »
ولكن « الدوريات » لم تنظم في هذه السنة ولا في التالية لها . اما التدابير
فقد عقد في سبيلها في الاشهر الاربعة الوسطى من هذا العام
مؤتمر الكويت . وفي خلال هذه الاشهر ، اي من جمادى الاولى
الى شعبان ، ساد شيء من السكون في البادية ، وقامت مقام الغزوات حرب من
الكلام في مدينة ابن الصباح .

كانت الحكومة الداعية ، بواسطة وكيلها في ابي شهر الكولونل نو كس^(٢) ،
الى هذا المؤتمر ، وكان الغرض منه :

أ — البحث في المواد الباقية بين نجد والعراق ومن جعلتها قبائل شمر
انما تحتجز الى هذا القطر

٢ — البحث في مسألة حدود نجد وشرق الاردن .

٣ — البحث — اذا شاء ابن سعود — في حل المشاكل التي بين نجد
والحجاز .

وقد قال الوكيل في كتابه الى عظمة السلطان « ان الحكومة البريطانية
مستعدة ان تعرض الامر على الملك حسين » وان عرضها من عقد هذا المؤتمر
« هو ازالة سوء التفاهم وحل جميع المشاكل التي بين الشهاب المدجاة » .

قبل السلطان الدعوة على شرط ان تكون اعمام ذات بين او وفد النجدي
كل . مدسّر من وفود على حدة . اي ان وفد العراق لا يشتر . في مساحت
سرقى الاردن ، لا ومد سرقى الاردن في بحب امور العراق . قبل او وكيل هذا
الشرط واعلم به احكومات الاخرى فجاز قبولها . وقد عقدت جلسة المؤتمر الاولى
في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٤٢ (١٧ دسمبر ١٩٢٣) فتمت اربع جلسات ، دار
ميتها البحث بين وفد نجد ووفد العراق ، فتم الاتفاق بينهم على صنع مواد مختص
بمعاينة الدين يتسبون الغارات في اطراف البلادين ، كبييد المعاقبة ، بطريقة
المراسلة بين الحكومتين في ما يختص بالعشائر .

« ثم الاتفاق على تجديد » ثلث وفد العراق ، ساعة التوقيع ، طلب ان ينفصلت
في المادة منها لا تكون نافذة ما لم يتم الاتفاق مع الحجاز . ولكن الملك حسين
رفض ان يجعل مندوباً من قبله الى المؤتمر ، وقد قالت في بادئ الامر انه لا
يقترب في المفاوضات ما زال ابن سعود محلاً بلدة واحدة من بلدان الحجاز .

رفض الوفد النجدية المادة الشرطية . وجاء في بريقة رئيس المؤتمر
الكولونل نو كس الى حكومته « انه لا يمكن البت في شأن من الشؤون ما لم
يؤخذ الحجاز مندوبه » . ثم تأجل المؤتمر الى ٨ مايو ليتمكن الوفدان من الرجوع الى
بلاديهما ليستشيرا حكومتيهما في المسائل المختلف عليها .

اما وفد شرقي الاردن فقد كان اشد حاجة واكثر صراحة مع وفد العراق ،
فظهرت في خطبه اليد التي كانت تحركه ، والروح — غير روح الامير محمد الله —
التي كانت مسيطرة عليه .

ان ظاهر الخلاف بين نجد وحكومة عمان هو الجوف وقرى الملح (١) فبعد
مؤتمر العقير ، عندما علم سمو الامير بما كان من الاتفاق بين حكومة بريطانية
والسلطان عبد العزيز بخصوص الحدود النجدية العراقية ، ارسل قوة
احتلت القرى ، فهم السلطان باخراج تلك القوة منها ، فلجأ الامير الى
الحكومة البريطانية التي طلبت اذ ذاك من ابن سعود ان يتوقف في انزحف
الى الجوف ، ووعدت بتسوية المسئلة بالوساطة السلمية . اما حادثة الجوف هذا
فقد كان من الاسباب التي نجمت في عقد مؤتمر الكويت .

قلت ان وفد شرقي الاردن كان اكثر صراحة وجرأة من وفد العراق ، فقد
استهل رئيس الوفد خطابه في اطراء صاحب الجلالة الهاشمية ، والنهضة العربية ،
والحكومة البريطانية التي ساعدت في استقلال العرب . ثم قال : « ان شرقي
الاردن هي من ثمار هذا الاستقلال . وان الجوف وسكاكه وما يتبعهما هي لازمة
له ، هي ضرورة للمواصلات بين شرقي الاردن والعراق » فيجب اذن ان

(١) قرى الملح تتألف من قرينتين كبيرتين احدهما كاف والثانية اترى ويتبعهما
ثلاث مزارع . وفي اراضيها معادن ملح كبيرة يشعن أكثر متوجها الى حوران وجنل الدروز

تكون تحت اشراف حكومة الامم .

وفي الجلسة الثانية كانت اللهجة اشد والمصراحة اعجب . فقد قال المندوب الاردني ان الجوف وسكاكه وتوابعها هي من الاراضي السورية ، التي تبدأ حدودها من مدائن صالح ، وتنتهي عند بوكال على نهر الفرات ، وان حكومة شرقي الاردن هي من سورية ، فيجب ان يكون الجوف باجمعه تحت ادارتها .

المندوب السجدي : « ان الجوف وسكاكه ووادي مرجان باجمعه كانت تتبع التطورات في نجد ، بينما ان تشكيلات الاردن الادارية لم تكن سوى اقلية تابعة للترك والقدس ، ولم يكن الجوف تابعا لها اداريا او سياسيا »

ثم قال رئيس الوفد : « لا نوافق مطلقا على اتصال حكومة شرقي الاردن بالعراق . ونطلب ان تكون حكومة نجد متصلة حدودها بسورية حتى تكون تجارتها آمنة . نحفظا لكياننا الاقتصادي ، وحماية لروحنا التجارية ، نطلب ان يكون الاتصال بسورية اساسا للاتفاق بيننا وبين شرقي الاردن » .

قلنا ان ظاهرا الخلاف بين القطرين هو الحوف . اما الخلاف الحقيقي الجوهرى فهو العداء المتأصل بين آل سعود والبيت الهاشمي . وقد صرح رئيس الوفد ، بعد اطرائه جلالة الملك حسين ، بما يأتي :

« اسمحوا لي ان اصرح حضراكم باننا اد . نعمل حكومة مدعى الحوف وادي مرجان باجمعه ، عن الارض احجازية هي اعلنتها ، هي تربة وحرمة وحير وعيرها ، نعمل تحديد احده . بين الحدز ونجد على ان يكون الحد المعاصل هو الصحراء القاحلة ، فلا يمكن ان يحصل بيننا اتفاق » . عندئذ قال رئيس المؤتمر الكولونل نوكرس : « لا يحق لومد العراق او وفد شرقي الاردن ان يتكلم عن الحجاز . . . لان سلطان نجد حيا قبل ان يشترك في المؤتمر اشترط شرط اساسيا قبلنا ، وهو ان لا يحق لحكومة من اخكمات ان تشترك في بحث ما يتعلق بالحكومات الاخرى » .

توقفت المفاوضات بين نجد وشرقي الاردن كما توقفت سابقا بين نجد والعراق . والسبب الاول في ذلك كما تبين لنا هو الشرط الاخير الذي اشترطه

وفد حكومة بغداد، والكلام الاخير الذي فاه به وفد حكومة عمان . وقد فاز في الحائزين الملك حسين .

الملك حسين ، وهو يومئذ في اوج مجده ، ابى ان يشترك في المؤتمر . ولكنه نفذ ارادته في ممثلي حكومتي نجليه ، فحالت السياسة الهاشمية دون الاتفاق وسلطان نجد .

وما كانت جلسات المؤتمر الاخرى لتغير في هذه الحال او تلتطفها . فقد عاد وفد العراق يحمل قرار حكومته ، وفيه ان لا يمكنها ان تسلم شمر^(١) نجداً ، وانها غير مسؤولة عن المنهوبات التي سبق تاريخها تتويج الملك فيصل^(٢) وانها لا تقبل مبدءاً اخراج العشائر المتجشئين اليها لان ذلك « يولد ارتباكاً في الحدود العراقية مع سورية وتركيا وايران » .

ولكن مسألة العشائر هي في نظر حكومة نجد المسئلة الجوهرية . فاذا كانت حكومة العراق لا تتخذ الوسائط الفعالة لتقضي على الحركات العدائية التي تقوم بها تلك العشائر اجمرة فالوفد لا يمضي ملحقاً او معاهدة .

وما غير وفد شرقي الاردن لهجته ، ولا تنازل عن شيء من مطالبه . وقد اقترح رئيس المؤتمر استفتاء الاهالي في القرى ، فقبل الوفد النجدي بذلك « على شرط ان يعمل بهذا المبدأ في الاماكن المتنازع عليها بين نجد والحجاز اي في تربة والخرمه »

لم يقبل الوفد الاردني بذلك ، بل طلب ان يكون الجوف ووادي مراحات منطقة حيادية بين القطرين ، فرفض الوفد النجدي وارفض المؤتمر . او بالحري تأجل ، بعد اجتماعه الثاني ، الى شهر شعبان (مارس ١٩٢٤) ليتمكن الرئيس من مفاوضة السلطان عبد العزيز . وقد كان يأمل ان يغير الملك حسين رأيه فيرسل من يمثله في المؤتمر .

(١) قد قدمت حكومة نجد لائحة بالمنهوبات التي نهبت بعد توقيع معاهدة العقير ، وفيها اساء المعتدين والمعتدى عليهم . فبلغ عدد من قتلوا من رهايا نجد سبعة وعشرين رجلاً ، وعدد ما نهب من الابل ٤٦٠ ، وقبيلة ما سلب من المال خمسة ليرة واربع مئة ريال ، ما هذا ٣٥٠ حملاً من الدمن ومئة حمل من البن .

قد غير الملك رأيه فسين نجله الامير زهداً ممثلاً للحجاز . ولكنه لم يحضر .
وبينما كان وفد العراق ، الذي عاد للمرة الثانية يستشير حكومته ، قادماً للمرة
الثالثة الى الكويت ، خرج فيصل الدويش ، وقد فرغ صبر عرباته ، غازياً في
اطراف العراق ، فغضبت ولا غرو الحكومة ، وأمرت وفدها بالرجوع الى
بغداد ، فلم يعقد لذلك الاجتماع الثالث .

ليسمح القارىء ان يشير المؤلف ها هنا الى نفسه . قد كنت في هذه المدة
على اتصال مراسلةً بعظمة السلطان ، وكنت فيما كتبت الى عظمته ساعياً في
سبيل الوفاق بين البلادين ، محبذاً عقد معاهدة نجدية عراقية اوسع نطاقاً مما
سبقها في العقير وفي المحمرة . وقد جاءني من عظمته كتاب اقتطف منه ما يلي :
« اما ما ذكرته عن الاتفاق مع حكومة العراق فقد كنت ارغب به من
صميم قلبي . . . ولكن حكومة العراق لا تزال تعمل ضدنا في تأليف العصابات من
محرمي العشائر لمهاجمة رعايانا الآمنين ، وقطع الطرق على القوافل . . . يعلم الله
ان جل مقصدي هو ان اعيش بسلام مع جيرانني ، وان نتحد كلنا على ما فيه خير
العرب . ولكن الاشراف لا يروقهـم ذلك فحسبنا الله . . . »

وفي كتاب من القصيم مؤرخ في ١٤ رمضان يقول :

« قد جئنا القصيم لامور لا بد منها . ومنها الاستعداد للطوارئ . فقد عيننا
عبد العزيز بن مساعد آل جلوي اميراً في حائل ، وجعلنا المنطقة الشمالية ، بما فيه
القصيم والحويف وخيبر ، تحت امرته ، وزودناه بالتعليقات الكاملة ، والقوة الكافية ،
والصلاحية الواسعة . وبدلنا ايضاً امير الجوف فعينا محله عبدالله بن محمد بن عقيل ،
واصحبناه بما يلزم من القوة . »

هذا جواب عظمة السلطان على مطالب سمو الامير عبدالله وجماله والده .
بل هذي هي نتيجة مؤتمر الكويت .

الفصل السابع والثلاثون

ذروة النهر والخطر

عندما كان السلطان عبد العزيز في الاحساء يراقب عن كثب مؤتمر الكويت ، وينتظر متيقظاً نتائجه ، كان الملك حسين في عمان ، وقد جاءها ليشرف ، كما قال ، على جميع البلاد المقدسة ، ويزور الاماكن التي فيها مراكز للحكومة ، ويوطد السيادة العربية في الشرق العربي .

ولكن مشكلة الخلافة ، بعد ان طرد الترك الكاليون الخليفة والاميرة السلطانية من تركيا ، شغلت العالم الاسلامي ، وكانت يومئذ تشغل امراء العرب وخصوصاً الملك حسين . فجاء عمان ليقرب من الاقطار الحية الراقية في العالم العربي ، وليجس نبضها في هذه المسئلة الاسلامية الكبرى .

١٣٤٣ هـ . وعندما وصل القطر الملكي الى العاصمة في ٨ جمادى الثانية ١٩٢٣ - ٢٢٤ من هذا العام (١٧ يناير سنة ١٩٢٤) شاهد جلالة في المحطة مشهداً فريداً مجيداً ، خفقت له قلوب السياسة ، ورفرفت فوقه امال الملك كلها . هناك كانت الوفود والجمع في انتظاره - وفود سورية وفلسطين ، ومشايخ العربان ، من نواحي الشرق العربي ، ورجال الحكومة من عرب وانكليز ، والصحافيون من مصر والقدس وبيروت والشام ، والجنود والجمع من بدو وحضر في الثياب العربية والافرنجية والجر كسية . هناك عندما اطل جلالة من القطر رفع الناس اصواتهم هاتفين : ليحي ملك العرب ! ليحي المنقذ الاعظم ! وقد كان الاستقبال حاراً باهراً . اصطفت جنود الجيش العربي على الطريق من المحطة الى المدينة ، وجال العربان من فرسان وهجانة ، وهم يهزجون الاهازيج البدوية ، ورفع تلاميذ المدارس اصواتهم بالهتاف والانشيد ، وشاركت في الترحيب

الطيارات الانكليزية التي كلفت تغيبم في القضاء .
ثم صعد الخطباء والشعراء منصة البيان ، وطفقوا يخطبون وينشدون ، مهللين
مكبرين ، ومهددين الانكليز والفرنسيين ، بل الاوروبيين اجمعين .
— ليحي ملك العرب ، للثغذ الاعظم ! لتحي النهضة العربية ! وليسقط كل
من يسعى ضدها وضده ! ليسقط الاستعمار يون والمستعبدون ! وكانت جلالاته
يسمع الخطباء والشعراء من شرفة البيت الذي أعد له ، البيت المقابل للاثر
التاريخي الجليل — الملب الروماني المتهدم . ولزمان في مزئه بلاغة تسجز دونها
الشعراء والخطباء .

ثم قابل جلالاته الوفود فقال تكراراً انه لا يتنازل عن مبدء واحد من
المبادئ التي هي اركان النهضة : — « لا اتنازل عن حق واحد من حقوق البلاد .
لا اقبل الا ان تكون فلسطين لاهلها العرب ، اقول — لاهلها العرب . لا اقبل
بالتجزئة ، ولا اقبل بالانتدابات . ولا اسكت وفي عروقي دم عربي عن مطالبة
الحكومة البريطانية بالوفاء بالعهود التي قطعنها للعرب . اذا رفضت الحكومة
البريطانية التعديل الذي اطلبه فاني ارفض المعاهدة كلها ، اقول المعاهدة كلها .
لا اوقع المعاهدة قبل ان آخذ رأي الامة . اني عامل دائماً في سبيل الاتفاق
وامراء العرب . اني عامل دائماً في سبيل الوحدة العربية ، والاستقلال الباء — اقول
الاستقلال الناء — — للاقطار العربية كلها . ولا فرق عندي اذا كانت مركز
الحكومة عربية في الخجاز ، او في سورية ، او في العراق ، او في نجد » .

ولا نجب ، بعد هذه التصريحات المدهشة ، اذا تمت المبايعه بالخلافة . فبعد
المآدب والاجتماعات العامة المتعددة ، وبعد الاجتماعات الخاصة ورؤساء الوفود ،
وكبار موظفي الانكليز ، نودى بالملك حسين بن علي خليفة المسلمين ، وامير
المؤمنين ، فبايعه السوربون والفلسطينيون الذين كانوا هناك ، ورؤساء عرب
الاردن ، واحجازيون الذين كانوا مع جلالاته ، وفريق من العراقيين .

.....

وفي غرة ذي القعدة من هذا العام ، بعد ان عاد جلالة الملك حسين الى مكة

وقد اضاف الى لقبه الكبيرين اللقب الثالث الاكبر ، ابي خليفة المسلمين ، عقد في الرياض اجتماع عام برئاسة الامام عبد الرحمن حضره العلماء ، ورؤساء القبائل ، والسلطان عبد العزيز ، فافتتح حضرة الامام الجلسة قائلاً :

« قد جاءني كتب عديدة من الاخوان وهم ييغون الحج . وقد ارسلت هذه الكتب في حينها الى ولدنا عبد العزيز . وها هو امامكم فاسألوه عما يبدو لكم » . السلطان عبد العزيز : « وصلني كل ما مكتبتموه واحطت علماً بكل ما شكوتموه . ان لكل شيء نهاية فلا تيأسوا ، وان الامور مرهونة باوقاتها » .

سلطان بن بجاد : « يا لامام حنا نبغي الحج ، ولا نريد ان نصبر اكثر مما صبرنا على ترك ركن من اركان الاسلام مع قدرتنا عليه . ليست مكة ملكاً ل احد ، ولا يحق لاحد ان يمنع المسلمين او يصد المؤمنين عن اداء فريضة الحج . نريد ان نخرج يا عبد العزيز ، فاذا منعنا الشريف حسين دخلنا مكة بالقوة . واذا كنتم ترون ان من المصلحة تأجيل الحج في هذا العام فلا بد من غزو الحجاز لنخلص البيت الحرام من ايدي الظالمين والمفسدين » .

السلطان عبد العزيز : « ان مسألة الحج من المسائل التي يرجع الفصل فيها الى علمائنا . وها هم حاضرون ، فليتكلموا » .

الشيخ سعد بن عتيق : « ان الحج من اركان الاسلام ، ومسلمو نجد والمحمد لله يستطيعون ان يؤدوا هذا الركن على الوجه الاتم بالرضى او بالقوة . ولكن من اصول الشريعة النظر الى المصالح والمفاسد . فالامر الذي قد يؤدي الى ضرر او مفسدة يدفع (يؤجل من اجله الحج) فهل هناك من مفسدة او مصرة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب الى بيت الله ؟ ذلك ما نريد ان نقف عليه من الواقفين على السياسة » .

في الاعوام الخمسة الماضية كان السلطان يجيب على هذا السؤال بالاجاب ، فيمنع اهل نجد عن الحج خوفاً ان يحدث ما لا تحمد عقباه . وقد كان يعالج مشاكل نجد والحجاز بالطرق السلمية السياسية . اما في هذا الاجتماع فقد قال عظمتته مخاطباً العلماء والاخوان :

« نحن لا نود ان نحارب من يسالطنا ، ولا نمتنع عن موالاته من يوالينا . ولكن شريف مكة كان دائماً ، كما تعلمون ، يزرع بذور الشقاق بين عشائرتنا . وهو الوارت من اسلافه بغضنا . ومع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبين الحجاز والتي هي احسن . وكنت كل ما دنوت من الحسين تباعد ، وكل ما لنت له تجافى . اي ورب والكعبة . ولست ارى في تطور الامور ما ينعش الامل . بل ارى الامور تزداد شدة وارتباكاً . ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تميز حقوقنا ومصالحنا » .

❦

وقف السلطان عند هذه الكلمة ، فهتف الجميع : توكلنا على الله ! الحق الحجاز ! الى الحجاز !

الفصل الثامن والثلاثون

الدخول على أبواب عمارة

في الشهر الاول من هذا العام (آب ١٩٢٤ م) مشيت جيوش نجد غرباً من ١٩٢٤ هـ الجنوب ومن الشمال . ولكن السلطان عبد العزيز ، لغرض ١٩٢٤ - ٢٠ حربي ، امر بغزو الشرق العربي قبل الزحف الى الحجاز . ولم تكن هذه الغزوة بدون اسباب تبررها .

قد اسلفنا البيان في ما كان بين حكومتي نجد وشرقي الاردن من النزاع بخصوص الجوف وقرايا الملح . ولكن جنود السلطان كانت قد احتلت تلك القرى . مما الداعي اذن الى تجاوزها الحدود — الى الغزو ؟

ان هنالك تعدييات وتعويضات ذكرت في مطالب نجد في مؤتمر الكويت . فقد اغار وأند سليمان بن حازي من شيوخ الحويطات على قافلة من تجار نجد في طريقهم الى الشام . فقتلوا ثمانية من رجالها ونهبوا ما يزيد على السبعمئة بعير . وكانت قد تكررت الاغارات على اهل نجد من عربان الحويطات وبني صخر — اولئك الذين كان الامير عبد الله يقر بهم منه ويحجز لهم العطاء — فبلغت المنهوبات ، بموجب اللائحة التي قدمت في المؤتمر ، الف جمل واربعين رأساً من الخيل ، ما عدا الاحمال التي تقدر بثمانين الف ليرة عثمانية .

لذلك طلب السلطان عبد العزيز ان تغرم قبيلة بني صخر بمئتي الف ليرة ضماناً لسلامة التجارة والسجاري بين نجد وسورية . وبما ان حكومة عمان لم تكثر هذا الطلب عمد السلطان الى القوة . مشى الاخوان من اطراف وادي مرجان ، وعددهم يتراوح بين الالفين والثلاثة الاف ، فالتقوا في طريقهم بنبلة من جنود شرقي الاردن ، عددهم مع رجال الحملة خمسة وعشرون ، وهم سائرون



٢٩٧ — ٢٩٦

الملك حسين (X) في عمان يوم بوجع على الخلافة

الى قصر الازرق ، يحملون اللون والذخيرة الى الحامية فيه ، فذبحوم الا واحداً
 وخنموا الحملة كلها . ثم تقدمو غرباً فوجدوا على الطنيب ، وام العمدة ، والقسطل
 وبادودة ، وكادوا بعد ان اجتاز فريق منهم مكة الحديد ان يصلوا العاصمة .
 كان الامير عبد الله يومئذ متغيماً ، فصدرت اوامر الحكومة بالدفاع ،
 فبادر العربان ، وفي مقدمتهم الصخور والحويطات ، الى محاربة اعدائهم ، فاشتبكوا
 وايام في معركة دامية دامت بضع ساعات . وكان ييك باشا ، القائد الانكليزي
 للجنود النظامي ، قد لرمسل الطيارات والسيارات المدرعة على الاخوان ، فخلعت
 الطيارات هوى للعربان المتلاحمين ، وشرعت ترميهم كلهم بالقذائف . كما ان
 السيارات اطلقت عليهم جزافاً مدافعها الرشاشة . كافي باولئك الانكليز يقولون :
 من اين لنا ان نعرف النجدي من الاردني ، والعرب في القيافة لا يفرقون بعضهم
 عن بعض . نعم ، كلهم عرب . اعترض عينيكم يا ابن جان بول واضرب .
 قبل محي الطيارات والسيارات كان قد وقع في ساحة القتال نحو مئة رجل
 من الفريقين . وعد تشتتهم كان عدد القتلى من الاخوان وعربان عمان قد تجاوز
 الاربعمئة .

وكان بعض الاسرى من المتدينة يحملون علماً من الشك انكليزية الصنع
 فيها لحم مقدد ، فقال اولئك الحكماء ، دهاقنة السياسة ، في الصحافة وفي
 الدواوين : وهل من ينكر بعد هذا ان الانكليز يساعدون ابن سعود ؟ هذا لحمهم
 يستدركه الاخوان .

وما تبت احب غير قسم من الحملة التي سمها الاخوان ، تلك الحملة التي كانت
 معدة لحامية الشرق العربي في قصر الازرق . نعم ، هو لحم مقدد من بلاد
 الانكليز . ولكن السيارات والطيارات الانكليزية امطرت الاخوان . عرب
 عمان على السواء ، واولاً من القذائف . الرصاص .

لولا هذه القوة الهائلة ، التي كانت تديرها الايدي الانكليزية ، لا كسح
 النحديون الشرق العربي ، ورفعوا فوق ربي عمان علم ابن سعود .
 اما سمو الامير عبد الله فعندما عاد الى عاصمته شكر الله ولا شك وشكر ربه

الجنود التي لا تزال تكلأ بعينها الزرقاء البيت الهاشمي .
 واما سيد هذا البيت الاكبر جلالة الملك حسين فقد كانت في قصره بمكة
 متوسداً وسادة الخلافة ، مطمئن البال ، واثقاً بما تضمه الايام ، وهو يدبج
 المقالات لجريدة القبلة .

— نحن نشكر كمالات حكومة بريطانيا العظمى على ما اظهرته من الحمية في
 الشرق العربي . ولكننا مع ذلك لا تتنازل عن حق من حقوقنا . . . ان سورية
 جزء من البلاد العربية وان فلسطين للعرب . ولا نوقع معاهدة فيها ما ينفي هذا
 القول بل هذا الحق . . . ومن اعرف منا بالبدو وبالتدنية ؟ قبلة من مدفع
 تبدهم ، وطيارة واحدة تشتت شملهم ، والرهان في الشرق العربي
 وكان جلالة يومئذ يفكر في تعزيز ملكه في الشرق الاوسط ايضاً ، فعين
 وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيراً للحجاز في طهران .

الفصل التاسع والثلاثون

مقوط الطائف

يوم كان الملك حسين جالسا على فراش الملك والخلافة ، وهو يحلم بسيادة اعظم من السيادة العربية ، بسيادة اسلامية شاملة ، كان سلطان بن بجاد ، الملقب بسلطان الدين ، والشريف خالد بن منصور بن اوي ، امير الحرمه ، زاحفين الى الطائف بجيش من الاخوان مؤلف من خمسة عشر لواء ^(١) من الوية القططه والحرمه وتربة ورنية وعتيبة وقحطان وبني تميم . على ان هذا الجيش ، مع من انضم اليه بعدئذ من عربان الحجاز واشرافه كالحرث وبني ثقيف ، لم يتجاوز الثلاثة الاف مقاتل .

مشى الاخوان من مركز الاجتماع في تربة ، ولم يعلم بهم احد في مكة او في الطائف قبل ان اجتازوا الحدود . لم تعلم الحكومة بهجومهم قبل ان وصلت سرقاتهم في اليوم الاول من صفر ١٣٤٣ (سبتمبر ١٩٢٤) الى قرية الحويطة التي تبعد بضعة اميال عن الطائف .

استيقظت عندئذ الحكومة . فاصدر ناظر الحربية الهاشمية امير اللواء صري باشا اوامره الى جنود النظام بالدفاع ، تخرجوا من الطائف ، وهم نحو اربعمئة ومعهم بعض المدافع الجبلية والرشاشة . خرجوا الى الحويطة بصعدون الاخوان ، فاستعرت بينهم وبين سرايا الجيش هناك معركة دامت بضع ساعات كانت الغلبة فيها للاخوان .

تقهقر النظاميون الى جهة الطائف ، فانضم اليهم جند من البدو ورابط معهم في الهضاب الغربية من البلد الى الشمال والشمال الغربي منه . هناك وقفوا

(١) اللواء او اليرق يتراوح عدده بين المئة والخمسة مائة .

-ثانية لسرايا الجيش الزاحف ، وشرعوا يطلقون عليهم المدافع ، فاستمروا في مناوشتهم ، دون ان يتمكنوا من ردهم ، ثلاثة ايام . اصف الى ذلك ان قسماً من البدو الذين كانوا في المراكز الامامية انضم الى الاخوان وسلم الباقون .
عندما وصلت اخبار الهزيمة الاولى الى مكة امر جلالة الملك ابنه علياً بانجماد الجيش المدافع ، فجاء الامير مسرعاً بسرية من الخيالة واخرى من الهجانة . اما النجدة التي مشت في طريق السيل فلم تصل الا بعد سقوط الطائف .
وصل الامير يوم الخميس في ٦ صفر فدخل الطائف ليلاً وخرج منها في عصر ذاك اليوم ليعسكر في الهدى^(١)

وكان الجيش النجدي يزداد عدداً وقوة ، فاضطر الجنود النظاميون ان يتقهقروا الى المدينة في صباح يوم الجمعة . تقدم الاخوان . وصار رصاصهم ، قرب الظهر من ذاك النهار ، يقع داخل السور ، فاستحوذ الذعر والخوف على الاهالي ، وكان الاشراف في مقدمة الهاربين .

فقد خرج في اصيل يوم الجمعة امير الطائف الشريف شرف عدنان ، ووزير الحربية وجنوده النظاميون ، وسائر الامراء والموظفين . خرجوا من المدينة لانهم رأوا كما قيل انه خير لسلامتها ولسهولة استردادها ان يلحقوا بالامير علي .

وبعد خروج الاشراف والجيش بساعة او ساعتين ، في غسق ذاك اليوم ، اليوم السابع من صفر (٧ سبتمبر) دخل الاخوان الطائف كالسيل الجارف ، وهم يكبرون وبعثزون ، ويطلقون بنادقهم في الفضاء . ثم طفقوا يطلقونها في الاسواق ، وهم يطوفون في المدينة ، فقتلوا عدداً من الابرياء الذين لم يسارعوا مثل غيرهم من الاهالي الى بيوتهم مستأمنين .

وكان قد تحالف في المدينة جماعات من عرب الحجاز من الطويق والنمور والبقوم وغيرهم ، ناهيك بمن دخل مع الجيش من البدو « نسور الجشة » رواد لسلب والنهب . فاختلطت هذه الجموع في ظلمات الليل ، وكانت ساعة الهول . نفحة العربان والاخوان يطرقون الابواب ويكسرونها ، فيدخلون

(١) الهدى هي على اربع ساعات من الطائف .

البيوت اما قهراً واما بعد ان يؤمنوا اصحابها ، ثم يعملون فيها ايدي السلب . وكانوا يقتلون في سبيل السلب .^(١)

ولكنهم لم يقتلوا من النساء غير امرأة واحدة ، ولا كانوا يتعرضون لمن الا اذا أبين ان يدللهم على الكنوز والسلاح . وهناك حقيقة اخرى يجب ان تسجل . كان بعض الاهالي يطلقون على الاخوان البنادق من شبايك البيوت ونوافذها ، فيحملونهم على دخل تلك البيوت عنوة ، وعلى الفتك جزاقاً برجالها . كذلك كان قتلهم لمفتي الشافعية الشيخ الزواوي^(٢) ولا بناء الشبي .

اما الشيخ عبد القادر الشبي سادن الكعبة فقد نجا من الاخوان بحيلة خريفة . بكى عندما وقع بين ايديهم ، فسأله احدهم وقد استل السيف فوق رأسه ، قائلاً : « ولىش تبكي يا تسافر ؟ » فاجابه الشيخ : « ابكي والله من شدة الفرح . ابكي يا اخوان لانني قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر ، ولم يشأ الله ان اموت الا مؤمناً . وحداً . الله اكبر ! لا اله الا الله » ! قد اثر هذا الكلام في الاخوان ، فبكوا لبكاء الشيخ ، ثم طفقوا يقبلونه ويهنثونه بالاسلام .

هذي هي الحقيقة كلها في فظائع ليلة الفتح . وفي صباح يوم السبت دخل سلطان بن بجاد ببقية الجيش فكف الجنود عن القتل . ولكنه امر بجمع السلاح وبفتيش البيوت ، فاضطر لذلك ان يخرج لاعالي منها ، فسيقوا . ورجالا الى حديقة شبرا ، وجلسوا هناك لالة ايام . ثم أطلق مراحهم وأذن من شاء منهم بالخروج من المدينة .

قلنا في مطلع هذا الفصل ان فرقاً من عرب اخيـباز واشرافه انضم الى الجيش النجدي نفرة من الحسين وابتغاء سقوطه . وقد كان اشراف الحرة في مقدمة التـأثرين ، فتبعهم حتى من كان في الجيش الهاشمي من العربان . على ان ذلك لم يثبط من عزم الملك ولا حوله مقدار ذرة عن مقاصده . فعندما وصل الاشراف وغيرهم

(١) كان لهذا الحادث ألم في نفس السلطان عبد العزيز ، فأمر بتأليف لجنة لتحرير الحساثر والتعويض على المنكوبين من الاهالي ومن الهنود والجاويين . وقد دفع نحو عشرة الاف ليرة من التعويضات حتى الان . ولا تزال اللجنة تواصل عملها .

(٢) وقبل ان الزواوي قتل بدفع من مدافع الاشراف

من المارين ، وعندما علم جلالتهم بوصول الامير علي الى عرفات ، غضب غضبة مضرية ، وشرع يعد العدة لاعادة الكرة على الاخوان ولاسترجاع الطائف . جمع شتات الجند ، وجمع من استطاع من البدو ، فكانت التجريدة الجديدة خمسمئة من النظام ، ونحو ستمئة من قبائل الحجاز المواليين ، اي من هذيل وقريش وبني سفيان ، ومعين من اهل مكة . ثم امر الامير عليا بالرجوع الى ساحة الحرب . مشى الامير علي على رأس هذا الجيش الى الهدى . وكان الاخوان قد علموا بذلك ، فعمل نحو الفين منهم على الحجازيين ، واشتبكوا وايام في ٢٦ صفر (٢٦ سبتمبر) في معركة استمرت من نصف الليل الى الساعة العاشرة صباحاً .

كان الامير علي يدير هذه المعركة من قصر يبعد الف وخمسمئة متر عن ساحة القتال . وفي هذا القصر هاتف يصله ، بواسطة مركز الارتباط في سفح جبل كرا ، بقصر جلالة والده .

— « هجم المتدينة علينا فرددناهم خارجين »

— « اعاد المتدينة الكرة فامطرتهم مدافعنا وابلا من الرصاص فعادوا

مدحورين » .

ولكنهم في الهجمة الثالثة ، وعلى رأسهم سلطان الدين نفسه ، ضربوا الجبهة ضربة ثلثها ، وكان في وسطها مصرية من الفرسان من عرب عتيبة ، فتقهقروا ، فدخل الاخوان من تلك الثلة . واول من انهزم من بدو الحجاز هذيل وسفيان ، ثم اهل مكة ، ثم جنود النظام .

وفي هذه الساعة ، عند صلاة الفجر ، سككت بنادق الاخوان ، فهتف موظف الهاتف يخاطب ضابط الارتباط في الكر بسفح جبل كرا ، وهذا يخاطب الديوان الهاشمي بمكة : — « انهزم المتدينة ! سككت بنادقهم » !

واكن السبب في سكوت تلك البنادق هو ان اصحابها توقفوا عن القتال ليصلوا صلاة الفجر ! ثم عادوا مستبدلين ، فتقهقروا الامير علي بشرذمة من الجيش الى الكر . وعند وصوله الى سفح الجبل الساعة الثامنة صباحاً ، امره جلالة الملك بالهاتف

ان يرجع الى الهدى . — «الطاعة ولو ذُبِحت» . قال هذا وعاد ورجاله ادراجهم ،
فما كادوا يصلون الى منتصف الطريق حتى انهال عليهم رصاص الاخوان كالمطر .
وكان ضابط الارتباط في الكر قد الحقم بتجانب يقول : «قد انقطع التلفون بيننا
وبين الهدى » .

قفل الامير ورجاله راجعين ، وتوقفت الاخوان بعد هذا النصر في الهدى ،
فلم يتعقبوا فلول الجيش الهاشمي ، ولا هاجموا مكة يومذاك اجتناباً للقتال في
ظلال الحرم .

الفصل الرابع والثمانون

يوم الانقلاب

في الاسبوع الذي تلا وقعة الهدى وتقدم اليوم الاخير — يوم الانقلاب — كان جلالة الحسين لا يزال — يصرم في ديوانه ، وفي حكومته ، وفي حاشية قصره ، وفي بقية جيشه ، نار الشجاعة والامل . وكان لا يزال يظن انه يستطيع ان يخرج المدينة وابن سعود من الطائف ، بل من الحجاز . وقد طالما قال ابن سعود من الدرجة الخامسة بين امراء العرب . غير ان احد رجال الديوان الهاشمي ، وقد غشته الشجاعة في الساعة الاخيرة ، قال — مخاطباً مولاه : « ومعنى الدرجة الخامسة يا مولانا هو ان ابن سعود صاعد الينا ، ولم يبق بينه وبيننا غير خمس درجات » .

خمس درجات ، او خمس ساعات ، او خمسة ايام — انما النتيجة واحدة . فقد جاء يوم الحجاز ، وهو المقدمة ليوم ابن سعود — جاء بعد اسبوع من وقعة الهدى ، وباسم الامة ، اذ اجتمع اعيانها في جدة ، ومنهم من فروا من الطائف ومكة ، من تجار وعلماء واثراف ، فارسلوا الى الحسين في اليوم الرابع من ربيع الاول (٣ أكتوبر) البرقية الاتية :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة .

بما ان الشعب الحجازي ياجعه الواقع الان في الفوضى العامة ، بعد فناء احيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الارواح والاموال ، وبما ان الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة ، وبما ان الحجاز بلد مقدس يعنى امره جميع المسلمين ، لذلك قررت الامة نهائياً



٣٠٥—٣٠٤

جيش الحجاز السطحي

طلب تنازل الشريف حسين ونصيب ابنه الامير علي ^(١) ملكاً ~~على~~ ^{على} ~~الملك~~ ^{الملك} فقط ، مقيداً بدستور وبمجلسين وطنيين الخ . والله الموفق لما فيه الصلاح .
قد وقع هذه الرقية التي ارسلت بعده الظهر مئة واربعون من الاعيان والعلماء والتجار الحجازيين ، مجاهم الجواب التالي :

« ادارة بركات الحكومة الهاشمية .

في ٤ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ بواسطة قائمقام حده .
الى الهيئة الموقرة .

مع الممنونة والشكر . وهذا اساس رعبتنا التي اصرح بها منذ النهضة
والى تاريخه . وقد صرحت قلبه بضع دقائق اني مستعد لذلك بكل ارتياح
اذا عيتم غير علي . واني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح .

الامضاء : حسين

له يرض انجلس بهذا الجواب ، فعمد الى الهاتف وأنا اب احد اعضائه ليكلم
الملك ، فرفض جلالته اكلام . - - « انت من رجال حكومتى فليكنمى غيرك » .
ورفض كذلك ان يكلم الثاني . تم تناول الشيخ طاهر الدباغ الهاتف فكار مسوعاً .
الدباغ : « مولاي ، ما على المركز الحرج الذي وصلت اليه البلاد ، قررت
الامة طلب تنازل بجلالتكم لسمو الامير علي » -

الملك (مقاطعاً) : « انا واني واحد . واذا كنت انا قد صرحت عندكم بطلان ،
فلا بأس . ولكني لا اهتم ما القصد من هذا . لا يهمني امر الملك في اية
تحصن كان . ولكني لا انازل لولدي علي انداً . لاني اذا كنت انا « بطلان »
فولدي « بطلان » .

الدباغ : « كلا يا مولاي . لا يسب لجلالتكم تقيماً من ذلك . وانما يريد ان
تسلك سياسة غير السياسة التي مرت عليها ، عسى ان تتمكن من تحليص البلاد
من مآزقها الحرج . والامة قد اجمعت على طلب ذلك من جلالتكم ، نوحو
احاة رعبتها » .

(١) كان الامير يومئذ في حده .

الملك : « يا ابني لكم ان تفعلوا ما تشاؤون . اما انا فلا اتنازل لولدي علي ابدأ .
عندكم الشريف علي امير مكة السابق ، واخي ناصر ، وعندكم خديوي مصر
عباس حلمي ، وعندكم الاشراف كثيرون . اختاروا اي واحد تشاؤون ، وانا
مستعد للتنازل له . اما ولدي فلا يمكن لاني انا وهو شيء واحد . خيره وشره
حائذان لي » .

الدباغ : « قد اجمعت الامة يا مولاي علي اختيار الامير علي ولا ترغب » —
الملك : « لا يمكن ان اتنازل لولدي . اقول لا يمكن قطعياً » .
الدباغ : « سأخبر الهيئة ثم نعلم جلالتك » .

مما هو جدير بالذكر ان هذه الهيئة الشرقية التي التأمت طيلة ذاك
النهار والليل ، كانت في مناقشاتهما واعمالهما — واجماع رأيهما — غير شرقية . بل
كانت في سرعة تقاريرها ، ومضاء عزمها ، من اعجب ما دؤن في تاريخ الشرق
والشرقيين . حتى انها اقفلت ابواب المدينة اثناء هذه المفاوضات ليبقى الامير
علي في جدة ويقبل البيعة .

بعد المحادثة بالهاتف ارسلت البرقية التالية وفيها البلاغ النهائي ، وفيها التهديد :
« صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة .

الحالة حرجة جداً ، وليس الوقت وقت مفاوضات . فاذا كنتم لا
تتنازلون للامير علي فنسترحم بلسان الانسانية ان تتنازلوا جلالتك لتتمكن
الامة من تشكيل حكومة موقفة . واذا تأخرتم عن اجابة هذا الطلب
فدعاء المسلمين ملقاة على عائقكم » .

اعاد صاحب الجلالة النظر في الامر فتحول بعد حديث الهاتف ، او بعد
وصول هذه البرقية ، عن فكرته الاولى .

« مكة في ٤ ربيع الاول الساعة الرابعة (١٠ ليلاً) .

لا بأس . قد قبلنا التنازل بكل ارتياح ، اذ ليس لنا رغبة الا في سكينة
البلاد وراحتها وسعادتها . فالان عينوا لنا مأمورين هنا يستلمون البلاد
بكل سرعة ، ونحن نتوجه في الحال . اذا تأخرتم ووقع حادث فانتهم المسؤولون .

والاشراف عندكم كثيرون^(١) ارسلوا واحداً منهم او من سوامهم . وعلاوة على هذا اذا قبل منكم علي الامر عينوه رأساً . الامضاء : حسين »
وفي اليوم التالي ارسل برقية اخرى الى « الهيئة الموقرة » بواسطة قائمقام جدة ، اشد لهجة من الاخيرة ، فيها يكرر انه مصمم على الاعتزال ، ويطلب تعيين من يستلم البلاد بكل سرعة . « فان الفوضى التي ذكرتموها وقعت بداعي اشهاركم رغبة تنازلي . واني لا اقبل اية مسؤولية تقع اذا لم تسرعوا اليوم في تعيين من يتولى الامر ، لأتوجه في الحال الى الجهة التي يختارها الباري عن طريق جده . وهذا ليس هرباً من اي شيء . تتصورونه بل دفعاً للظنون والشبهات » .

اما الهيئة فقد اسرعت في العمل كما يظهر من تاريخ الجواب وعنوانه .
« في ٥ ربيع الاول .

صاحب الشرف الاسمي الشريف حسين المعظم .
جواب برقيتكم رقم ١٧ — بحمد الله ومساعدتي مولاي قد تمت البيعة لجلالة فجلتكم المعظم ، وقد فاوض جلالاته من يلزم في استلاء البلاد وادارة شؤونها . فالمنتظر من مولاي مبارحتها بكل احترام تهديئة الاحوال .

ع. ا. م.

محمد طاهر 'ندبات'

وكانت الهيئة قد كتبت الى الامير علي تقول :
« بناء على طلب الامة قد تنازل جلالة والدكم ، بموجب برقية رقم ١٥ المؤرخة في ٤ ربيع الاول ، وقررت الامة نهائياً البيعة لجلالتكم ملكاً دستورياً على الحجاز فقط . . . وان يكون للبلاد مجلس نيابي وطني ، وقانون اساسي تضعه جمعية تأسيسية كما هو جار في الامم المتعدنة . وبما ان الوقت يفتق الان دون تأسيس المجلس الوطني النيابي ، قد قررت الامة ان تشكل هيئة مؤقتة لمراقبة اعمال الحكومة . . . وانا نبايعكم على ذلك وعلى كتاب الله وسنة

(١) كانوا قد رحلوا من مكة كما رحلوا سابقاً من الطائف .

رسوله » .

في اليوم التالي للبيعة رجع الملك علي الى مكة . وبعد اربعة ايام ، في ليلة اليوم العاشر من هذا الشهر (٩ اكتوبر) وصلت الى جدة القافلة الحاملة امانة الحسين ، وفيها عشرون رجلاً تحمل اربعين صفقة من صفائح البترول مملوءة ذهباً . وقد قدر هذه الاحمال احد العالمين بالتخزين بمئة وستين الف ليرة .

اقام الحسين ستة ايام في جده ، وكان يرفض ان يقابل احداً من الناس ، فاثمرت هذه العزلة بلاغاً ارسله الى « نخامة رئيس وكلاء الحكومة العربية الهاشمية » وفيه يحتاج على الحكومة الدستورية ، ويعدد طغايي ابن سعود ومطامع الامام يحيى بن حميد الدين .

قال الشريف : « اما الحكومة الدستورية ، سيما في الحرمين الشريفين ، فالعمل فيها ينبذ احكام كتاب الله وسنة رسوله . ان العمل في البلاد المقدسة بالقوانين البشرية بما تباها شعائر الاسلام ، ومرائض الدين ، والاخلاق الشريفة مادة ومعنى »

وقد قال محتجاً على حصر سلطة الحجاز بحجاز : « لو لم يكن في هذا التحديد الا تأملنا ما في مساعي الحضرة السعودية من الاستيلاء على حجاز ، قاعدة امارة الرشيد ، والجوف مقر الشعلان ، وتبته في ضبط الكويت ، وتعرضه في عسير لامارة آل عاص ، بل تجاوزه على مكة المكرمة ، ومساعي امام صنعاء . لضم بلاد حاشد ، وتهيئة الشوافع ، وحضرة الادريسي على الحديده وما حولها » ها هنا قطع جواب الشرط على عادته ، ثم قال : « وعليه بلغوا الهيئة الموقرة احتجاجي القطعي اولاً على تحديد نفوذ الحجاز ، وانياً على ما فيه ابدال العمل بكتاب الله . ولذا فاني احفظ حقوق اعتراض وانكاري بالمادة والمعنى اكلاماً ذكر » .

نحرر في ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٤٣

وفي ليلة اليوم التالي نزل وحرمه وعبيده الى البحر ، يرافقه للوداع السيد احمد السقاف ، رئيس ديوانه السابق ، وناظر الجمارك الشيخ محمد الطويل .

قال احد الذين اشتروا لحكومة الحجاز اليخت الذي اقل الشريف الى
العقبة : « عندما وصلنا الى جدة نزل جلالة الملك ليفحص اليخت (الذي سماه
بعدئذ الرقتين) فقال معجبا به : « سنسافر فيه يوماً من الايام سفرةً بعيدة » .
سفرةً بعيدة ! اذا كان البعد في الاسفار يقاس بمدة الرجوع فهذه السفرة
الاخيرة من الحجاز هي التي نظر اليها الشريف حسين بعين الغيب .

الفصل الحادي والاربعون

الشريف حسين

ان لسقوط الشريف حسين اسباباً سياسية وادارية وخلقية . اما السياسية فاهم ما فيها اغضابه الانكليز في رفضه المعاهدة الانكليزية الحجازية التي استمرت المفاوضات بشأنها ثلاث سنوات . ثم اغضابه امراء العرب ، وفي مقدمتهم ابن سعود . فقد كان في سياسته العربية يظهر غير ما يطن ، فيقول مثلاً انه مستعد للتنازل عن عرشه ، ولتسليم زمام الامور الى من يستطيع ان ينهض بالعرب ، وهو في اعماله غيره في اقواله . بل لم يكن ليرى في امراء العرب الحاكمين غير من هو في الدرجة الثالثة او الرابعة . ولم يكن ليرى في كل البلاد منقذاً سواء . هذي هي الحقيقة الناصعة . وان في هذا التاريخ من الادلة عليها ما يقنع اشد الهاشميين نزعة واخلاصاً .

لنعد اذن الى تلك المعاهدة المشؤومة : ما تغاضى الانكليز عن الحسين بن علي عن الحجاز لغاية في النفس كما كان يظن بعض السياسيين في الشام وفي مصر والهند . وما اتخذت الحكومة البريطانية بعد مؤتمر الكويت موقف الحياد الا مضطرة ، لان سياستها العربية خلال الحرب العظمى وبعدها كانت تستوجب ذلك ، بل كانت تحول دون كل عمل سوى الحياض .

ومع ذلك فقد قال بعض السياسيين هناك ، وقالت جريدة التيمس الرسمية ، ان الحكومة البريطانية احسنت صنعاً بالوقوف موقف المتفرج بعد ان رفض الحسين ان يوافق على اقتراحاتها . فلو فعل ذلك لكان في الامكان ايجاد الوسائل اللازمة لتجنب الحالة الحاضرة ، اي لانقاذ الحسين .

وقد فاتهم ان يوم الطائف هو غير يوم تربة ، وانه بعد مؤتمر العقير الذي

تسدد فيه الحساب بين حكومة بريطانيا العظمى وابن سعود ، وبعد مؤتمر الكويت الذي بدا فيه عجزها عن التأليف بين ابن سعود والحسين ، لم يعد لكاملتها في البلاط السعودي ذاك النفوذ المعروف . لم يعد في امكانها ان تقول لعاهل نجد : افعل هذا او امتنع عن هذا اكراماً لي . وليس في امكانها ، او في ارادتها ، ان ترسل الطيارات والسيارات المصفحة على الاخوان في الحجاز ، كما تفعل في العراق ، وكما فعلت في الشرق العربي . وهب انها امدت الحسين بالسلاح والذخيرة فهو لا يجد في البلاد من يلبيون دعوته للدفاع .

واليك بعد هذا وذاك بالبرهان القاطع . قد قبل الحسين في الساعة الاخيرة ، اي في الايام التي تاملت الاستيلاء على الطائف ووقعة الهدى ، ان يفوض الحكومة البريطانية في تعديل مطالبه ، فجاء وفد من مكة الى دار الوكالة البريطانية بجدة يعرض ذلك على الوكيل ، وزاد خائب الامل يقول : سبق السيف العذل . هذي هي الحقيقة في موقف بريطانيا العظمى تجاه الحسين وتجاه الحجاز بعده . فهي لو شاءت ان تنقذ « المنقذ الأكبر » بعد سقوط الطائف لما استطاعت . فالتحذت لذلك خطة الحياد تحفظ بها كرامتها في مدة الملك نلي القصيرة .

نحي ، بعد هذا على ذكر اسباب السقوط الخلقية والادارية . كان الشريف حسين الكل في الكل ، حتى في تحرير حريدة التبلي . فقد كان يقين ان مقالاته الافتتاحية تترجم الى انباء الاوربية فيه ، مما يثير بها ، مما يثيرها في سياسته العامة . سياسة الحياة ، من صغرها الى كبرها ، هي محي منزل ، وان لم يرد لبعض بات التبرك من اصح من عمير الائمة الكبار ، انه في النصيحة والبيان ، مثله في العلم ، امير افرائيم ، وفريسدانه ، وذا استصرخ العرب بجهنونه من اقصى الجزيرة سامعين لاعمين ، واهل استطاع ، وهو في « المخلوان » ان ينقذ البلاد ويؤسس الدولة العربية . كان يظن ان العالم الاسلامي باجمعه يتسم لا بتسامه ، بغضب لغضبه ، ان المدن يحدهم يتخذون العرب والاسلام ، ولا يخون اجراً غير رضاه .

على ان الذنب في كل ذلك لم يكن ذنبه وحده . كان الحسين صلب العود ، هوي الشكيمة . وقد ولد في ظل الكعبة ، وفي اصى فروع السليلة النبوية . بيد ان غيره ممن سعدوا بهذه التلائد كانوا معها حكاما ، او انهم في حياتهم سعدوا كذلك بمن يخلص لهم النصيحة ، فكانوا يسمعون وينتفعون . اما الحسين فقد كان في عنجهيته فريداً ، لا يسمع غير صوت نفسه وصداها ، ولا يقرب منه الا من كان صدى لصداه ، وصورة شمسية لما يبغبه ولما ياباه .

ان التبعة والحال هذه في جزء كبير من غرور الحسين هي على اولئك الذين كانوا نظاراً وقضاة وكتاباً وضباطاً في حكومته ، اولئك الذين زانوا الديوان الهاشمي بصورهم البهية — الناطقة بالتسبيح — فكانوا لصاحب الجلالة اعداء مدرعين ، مدرعين بالمداينة والمداجاة ، يسبحون ويمجدون كلما فاه بكلمة ، معها كانت نافذة ، وكلما جاء بعمل معها كان مخيفاً . — اي نعم سيدي — من احسن ما يكون سيدي — وحي منزل سيدي !

وكان كل من في الديوان و « الغلوان » يعرف الحقيقة ، الا جلالة الملك الذي كان يعرف ما فوق الحقيقة ، ولا يشاء ان يعرف سواها . ادرك الديوان حقيقة البدو مثلاً ، ولم يدرك مثل جلاله حقيقة السيادة المرتكزة على نسب نبوي . وما ضر هذه السيادة اذا نكبت وقتياً في الحجاز ؟ .

قد اجتمعت في الحسين الازداد ، فكان خيالياً ، وكان عملياً . بل كان روحياً وكان مالياً ، يتعشق تارة ما فوق الحقيقة ، يسترسل الى الاوهام ، وطوراً يتمسك تمسك البخیل بحطام الدنيا . اجل ، قد كان محباً للمال حريصاً جداً عليه ، فجاء الذهب يوازن ما تراكم من اوهامه ، وما اختل من احكامه ، وما اسود من ايامه . ولا غرو ، فقد كان هذا العربي ، في صفته شريف مكة ، من اكبر التجار . وقد كان في صفته ملكاً من اكبر الظالمين . ظلم الرعية ، وظلم نفسه ، وظلم كل من في حكومته الا المنافقين ، المختلسين امواله واموال الامة .

في اللغة التركية مثل يقول : كل من له م يأكل . وقد كان هذا المثل قاعدة الملك حسين في حكومته . ان الذي « يأكل » يتسع ، فيحسن عمله .



٣١٣ — ٣١٢

مكة المكرمة • والحرم الشريف

موالذي لا « يأكل » يظل جائعاً - والجائع لا يستطيع ان يبيع احداً من الناس -
انها القاعدة في الاحكام تنهش حتى « مكياقي » امام المتفلسفين بالسياسة والرياء -
ان الرجل الصادق رجل مزعج ، فهو يقترح اقتراحات لا يرتاح اليها الملوك ،
وهو لا يسهل الاعمال في كل حال ، ولا يقول دائماً : ابي نعم سيدي - عدأ
لصادقين ، فانهم للملوك دواء مرّ جداً - وهم فوق ذلك يورتون صاحب الحلالة
والصداع -

اما الدين يتكتمون ، ويطأطئون الرؤوس ، ويقولون دائماً : اي نعم سيدي
هو « يأكلون » ثم « يأكلون » — على شرط ان يكون اكلهم من فصلات
الاسد هؤلاء من خير الناس ، ومن اقدر الموظفين ، ولا خوف عليهم ولا
هم يجرنون

قد امتازت حكومة الحسين بعدد من هؤلاء « الاكولين » ، الذين خرجوا
من حدة قتل حرمه - بعده - في حقائبهم ، او في المصارف خارج الحجاز ، ما
اعدوه من الاسض والاصفر للايام السود -

ومن هؤلاء عبقرى في الاحتلاس ارسله الحسين الى اوروبة ، عندما قرب
المتدينة من مكة ، ومعه عشرة آلاف ليرة ليشتري بها طيارات ودبابات - فراح
حضرته الى مصر واشترى بالقيمة عقارات لنفسه -

ومن هؤلاء حامل ختم الوكالة الحجازية ، وتاجر العنم ، وقيم المطوفين ،
وممارسة الجمال والتقايدف - كان تاجر العنم رجلاً في مكة محترماً معزراً -
ولكنه في اديبه ملعوناً مدموماً - فقد كان يرهق البدو ليعي السيد الاكبر ،
ويريس حسد - يشتري من البدو اغنامهم بارجح الاتمان وبيعها من الحجاج
باغلاها - — الف رأس ثلاثة الاف محيدي - بعاشها اليوم يا مولانا عشرة
آلاف هذه ثلاثة الاف لاصحاب المال ، وهذا يا مولانا الباقي -

ومن هذا الباقي يأخذ الاسد خمسة الاف او اكثر ، ويعطي الحقل العين او
اقل - ان امر هذا الحمل امر عجب - فقد كان في رأس المقربين من الديوان
الهاتمي ، لا لعقربه بمحارة الغنم و « بالاكل » فقط ، بل لنفسه باخبار السؤ عن

نجد وابن سعود ، تلك الاخبار التي كان يتحفظ الملاك بها .
— «السنة سنة جذب في نجد . قد جفت الآبار ، وهلك الوف من البئر
(الابل) » .

— «صحيح ! سبحان الله . انت يا ابني اعلم الناس باحوال نجد » .
— «ابن سعود » مصخن « سيدي ، مضروب بالرئة . يقولون : السل .
وهذا الداء لا يعيش صاحبه » .
— «صحيح ؟ — صحيح ؟ — سبحان الله ! لا يصدقني الخبر غيرك » .
— «وقد خرجت عليه قبائل الحسا ، وهم يقولون انهم لا يبخون غير الملاك
حسين » .

— « هذا الذي اقله دائما يا ابني : ستخرج عليه القبائل كلها . وكأنا
تحييننا ان شاء الله » .

وه تكن تجارة الغنم تجارة الشربف الوحيدة . فقد كان يتقاضى المطوفين
والخبازين والجمالة قسماً من ارباحهم . ان هناك رسوماً للحكومة يدفعها الخجاج ،
وفوق تلك الرسوم كان الحسين يتقاضى المطوفين نصف ليرة عن كل حاج .
جاءه احد اولئك المطوفين ذات يوم يقول : « حجاجي كلهم فقراء لا يبذلون . . .
ما في فلوس » وقصد المطوف ان يعفى من الضريبة الشرفية . فاحابه الشربف :
« اي يا ابني كلهم اولادنا . والفقراء نساعدهم . لا تأخذ شيئاً منهم . ولا تطالبهم
بشيء . كلهم اولادنا ويجب ان نساعدهم » .

عمل المطوف بامر مولاه فأعفى حجاجه من الزيادات . ولكنه بعدئذ أمر
بدفع الرسم نصف ليرة عن كل حاج ، فدفع المال من كيمسه .
وهناك باب آخر من ابواب هذه التجارة العجيبة . قد كان الخجاج الذين
يبخون الزيارة يدفعون خمس عشرة ليرة اجرة الجمل من مكة الى المدينة المنورة ،
يدفعونها لعمال الملاك ، فيدفع جلالتهم للجبال خمس او ست ليرات . اما ما تبقى
فمحطسه للاسد ويسيره للاجفال .

كثيرة هي القصص التي تروى في الحجاز ، دليل حب الحسين للمال ، ودليل

حرصه الشديد عليه . سألت مرة احد عبيد القصر عن الاجرة التي يتناولها فقال :
 « قلما نقبض شيئاً من المال . ونخشى ان نطلب لان جلالة الملك لا يجيب
 الطالب ، وبوجعنا . قد ردني مرة بلطف ونصحني الا احمل المال . هو يقول :
 المال يفسد الرجال الحسين ؟ هذا الحسين ! ! » .

افصح العبد عن فكره بقبضة يده ، ثم قال : « ولكنه صاحب عقل والله .
 عقل كبير . هو يكتب في الجريدة اشياء عجيبة . . وكلها من رأسه والله . هو
 من الدواهي وصاحب فراسة . لا يمكنك ان تخفي شيئاً عنه . ياتي عليك نظرة ،
 فتعطيه مراك حلاً . واذا ما اخذ شيئاً من لسانك ، يستنطق اهداب عينيك
 والله ، ولكنه » — اعاد العبد تلك الاشارة وهو يهز قبضة يده . « ومع ذلك هو
 يقول : المال يفسد الرجال » .

اني خاتم هذا الفصل بقصة اخرى قصها علي احد عماله الكبار . مما هو معروف
 ان الحكومة البريطانية كانت في الحرب العظمى تمد الحسين بالمال ، ويرجع
 العاملون بشؤون الحجاز والثورة العربية ان يحمل ما ارسلته اليه هو مليون ومئتا
 الف ابرة . على ان الدفعات الاولى ، التي كانت الواحدة منها تبلغ مئة وخمسة
 وعشرين الف ابرة ، لم تكن حسب ادعائه كافية لانجند . فنفذ احد مزارعيه الى
 مصر ليقابل العميد البريطاني هناك ، يومئذ سرور جبار . وغيت ، فبعده بلامر
 وباب ضعف القيمة .

جوزير ، وكن في طيه بنيعا . فبرق السيد الى حكومته بلندن
 فسمعت الحكومة ، واجبت بعض الطلاب ، فاضاف خمسة ومائتين الف جنيه الى
 القيمة التي كانت ترسل الى جدة .

ابرق الوزير الى صاحب الجلالة الهاشمية ، وهو سرور بهسا اغوز ، لانه
 كان يرجو منه زيادة في راتبه القليل . وبعد ايام عاد الى جدة على ظهر مدرعة
 الكايزنة . هي أهبة الحرب . يالها من أهبة !

وعندما وصل الى جدة استقبلته الحكومة استقبالا فخماً ، وسار في موكب
 عظيم الى مكة ، فوصلها قبل غروب الشمس ، فامره صاحب الجلالة ان يبقى

خارج البلد ، لتتمكن الحكومة في صباح اليوم التالي من استقباله استقبالا يليق بمقامه .

• وكان صاحب الاقبال الوزير المحترم يفكر دائما بما ستكون قسمته من الخمسة وسبعين الف ليرة . • واحد بالمئة فقط ؟ او زيادة قليلة في راتبه ؟ انه لراض بذلك .

دخل مكة دخول الفاتحين . وبعد ان قابل مولاه ، واستراح من اتعاب السفر ، جاء الى زميله وزير المالية يسأله اذا كان جلالة الملك امر بشيء . فاجابه الوزير : « قد امر بان نحسم من حسابك راتب شهرين مدة غيابك » .

الفصل الثاني والاربعون

الآباء يأكلونه المحصرم.

في الحديث الذي دار على المساتف بين مكة وجدة يوم الانقلاب رفض الملك حسين بتاتا ان يتنازل لابنه علي . ويذكر القاري . قوله : اذا كنت انا لا انفع فعلي لا ينفع . وقوله : خير ابني وشره عائدان لي . والاصح ان تعكس هذه الكلمة . فان خير الحسين وشره عائدان لابنائهم ، وخصوصا في هذا الموقف لعلي . الآباء يأكلون المحصرم والابناء يضرسون .

اما اذا كان قد اشفق الوالد على ولده من هذا الارث المهلك الذي يدعى الملك الهاشمي فكلمته ثمرة عرفان يكاد يكون وحيا ، واشفاقه زهرة احسان طيبة . انها في هذه الحال الغريزة الابوية التي قلما تخطأ في حسها .

اقام الملك علي اسبوعا في مكة ، فادرك ان قوات الدفاع لديه لا تكفي لرد جيش نجد ناهيك بغلبته . بل رأى جنوده مشتين شاردين ، ولم يبق منهم غير مثنين كانوا في الدفاع مترددين .

وكان الاخوان قد وصلوا في ٥ اربيع الاول (١٤ أكتوبر) الى قرية انزيمه التي تبعد ست ساعات عن مكة ، وهم مصممون على الحصار ^(١) فانسحب الملك علي ليلة ذاك اليوم بنحو مثنين من الجنود ومثنين من الشرطة ، ووصلوا في صباح اليوم التالي ، الاربعاء ، الى سبيل جدة ، يوم كان الشريف حسين يتأهب للرحيل . ولكن عليا ظل خارج المدينة فلم يجتمع بوالده ، ولا كان من المودعين .

(١) قد استفتت القيادة علماء الرياض في ان يحرم الجنود ويدخلوا مكة منكمسي البنادق . فان لاقوا من صدهم عن البيت قاتلوه ، وان لم يلقوا احدا دخلوا . ولكن العامة ممنوعون عن ذلك قائلين ان دخول الحرم بقصد القتال فيه لا يجوز .

وفي ليلة اليوم الذي دخل فيه الى جدة ، اي في ١٧ ربيع الاول ، وصلت
شرازم من الجيش النجدي الى مكة . ثم مشى في صباح اليوم التالي الشريف
خالد يقود بقية الجنود ، فدخلوها محرمين ، وطافوا ، وسعوا ، واستولوا بعد فك
الاحرام على البلد المقدس ، وهم ينادون فيه : الامان الامان ! .

لو استمرت يومئذ القيادة في الزحف غرباً لدخلت جدة بسرية واحدة
صغيرة دون ان تلتقي من الحكومة فيها او من الاهالي اقل مقاومة . ولكنها وقفت
في مكة عملاً بالاوامر العالية التي كانت موجهة في جدة . لذلك استحوذ على
الناس وعلى الحكومة الذعر والخوف وكان الكثيرون حتى من الجنود ينتظرون
الباخرة الاولى للفرار .

ولكن الباخرة الاولى التي وصلت في ١٩ ربيع الاول من العقبة كانت تحمل
الى الملك علي نجدة من شرقي الاردن . جاءت « رضوى » ثقل كتيبة من الجنود
عدد هم ثلاثمائة ، ومئة من عرب شمر النازحين الى الشرق العربي ، بقيادة امير اللواء
تحسين باتا الفقير ، وقد جندهم الامير عبدالله بمساعدة بعض الانصار في
فلسطين . انعشت هذه النجدة امال الملك علي ، وشدت ازر جنوده المهزومين .
الا انها لم تغير في نفسية المدينة ، ولا اضرمت في الاهالي شيئاً من الحماس .

— الاخوان جايون ، والجنود منهزمون ، وعلي متأهب للرحيل . فما لنا اذن
غير التسليم . خير البر عاجله . تألف لذلك وفد ليذهب الى مكة فيفاوض القائدين
سلطاناً وخالداً في شروط الصلح ، وكان الملك علي عالماً بذلك . فسافر في ٢ ربيع
الثاني اوفد المؤلف من عشرة من وجهاء جدة وبعضهم من المناوئين لبيت الحسين .
هؤلاء ، عند وصولهم الى مكة ، بايعوا ابن سعود « دهنوا » . وقد عاد الوفد يحمل
شروط الصلح وهي : خلع الملك علي واخراجه من البلاد ، او اجباره على الخروج
من المدينة للحرب .

لم يكن شيء من ذلك . ولكن القيادة النجدية انتفعت ولا ريب بمجيء هذا
الوفد ، فعلمت اشياء كانت تجهلها . ومما لا ريب فيه ان جلالة الملك كانت
شديد الرغبة في مصالحة ابن سعود وموالاته . فقد ارسل بعد ان بويع بالملك

برقية عن طريق البحرين الى السلطان عبد العزيز جاء فيها : « ان اقصى رغبتى ان يسود السلام في الجزيرة ، وان تعود السكينة ما بين نجد والحجاز . واني باسط لك رأيتي في السلم ، ومقترح عليك عقد مؤتمر للرجوع الى اتمام المفاوضات التي بدأت في مؤتمر الكويت ولازالة بواغث الخلاف » .

على انه اشترط في عقد المؤتمر جلاء الجنود النجدية عن الحجاز ، فاجابه السلطان بالايجاز : « ان شروطي الاخيرة هي ان لا صلح بيننا ما دام ابناؤنا ايكم يتوارثون الملك في الحجاز . وانتم تعامون ان الحجاز للعالم الاسلامي ، فلا ميزة لطائفة من المسلمين على طائفة اخرى » .

وكان الحزب الوطني الحجازي برئاسة الشيخ محمد الطويل ، ناظر الجمارك يومئذ ، قد اصدر بلاغا عاما ينهى بخلع الحسين ، وبيعة الملك علي على ان يكون ملك الحجاز فقط ، وابقى الى جمعية الخلافة في الهند يقول : « قد ارسل الحجازيون كتابا رسميا الى الامام ابن سعود وطلبوا منه ان يرسل مندوبا لعقد الصلح . ان الحجازيين بعد نشرهم هذا الاعلان العام يلقون تبعة ما يحدث على عاتق العالم الاسلامي ، اذا كان لا يسعى لتخليص الارض المقدسة واهلها ، ويمنع جند نجد من التقدم » .

اما العالم الاسلامي الذي كانت تمثله يومئذ لجنة الخلافة ، حسب ادعائها ، فقد ابرق بامم رئيسها شوكت علي الى سلطان نجد يخبره برقية اهل الحجاز وبلاغهم ، ثم يقول : « ان مسلحي الهند لا يوافقون على بقاء الشريف حسين ولا ابنائه في الحجاز . وان حكومة الحجاز يجب ان تكون حكومة ديمقراطية حرة ، خاضعة لرأي العالم الاسلامي ، وان جمعية الخلافة لا تعترف بامارة الشريف علي » . ولكن المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين ، الذي كان قد ابرق الى السلطان عبد العزيز متوسطا بالسلم بينه وبين الملك حسين ، لم يكن من رأي العالم الاسلامي . وقد ارسل السلطان الى سماحة المفتي رئيس المجلس الجواب الاتي : « امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى بالقدس .

يحزننا ان تكون جاءت وساطتكم في وقت متأخر . فانا منذ سبع سنين

نتوسل بجميع الوسائل لاحلال الصلح والوفاق محل الجفاء والشقاق ، فلم نسمع مساعينا . وكنا كلما لنا للحسين تجافى . فتصريحاته المتكررة في شرقي الاردن . التي تبرهن عن نواياه الاكيدة في بلادنا ، ومنعه رعايانا مست سنين من اداء فريضة الحج ، وحركاته المستمرة فتنها في بلادنا من عسير وغيرها ، ومعاملته كافة حجاج بيت الله ، وعجزه عن تقرير الامن في الحجاز ، مما اجبرنا ان نتخذ التدابير الفعالة لتستقر الحالة في بلاد الحرمين وليأمن مستقبل بلادنا . وانا نرغب في وجود ادارة في الحجاز تكفل حقوق جميع المسلمين بوجه المساواة ، وتضمن راحة الحجاج ، وتزيل عنهم المظالم كلها » .

بعد هذه البلاغات والتوسطات والجوابات ، رأى الملك علي ان يغير اللهجة في ما أقرقه الى ابن سعود ، خصوصاً ان نجدات اخرى صغيرة تلت النجدة الاولى من الشرق العربي ، فكتب اليه هذه المرة يقول انه مستعد للحرب ، ويمكنه اخراج جنود نجد من مكة اذ رفضت حكومة نجد الصلح . وكان جواب السلطان واحداً وما تقدمه : « الحسين مسؤول عن اخالة . ويجب اخلاء الحجاز من اولاد الحسين ، وانتظار حكم العالم الاسلامي الذي له الحق في الفصل في امر الاماكن المقدسة وطريقة ادارتها » .

هذه الوثائق تثبت اذن ما يلي : اولاً - ان المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين سعى في سبيل السلم . ثانياً - ان الملك علياً عرض الصلح على السلطان عبد العزيز . ثالثاً - ان ابن سعود رفض السلم ما دام احد اولاد الحسين في الحجاز . رابعاً - ان جمعية اخلافة في الهند كانت تتكلم باسم العالم الاسلامي ، وانها كانت معادية للحسين واولاده . خامساً - ان ابن سعود ، وقد استنصرته تلك الجمعية ، تنزع يتكلم كذلك باسم العالم الاسلامي الذي يطلب اخراج الحسين واولاده من الحجاز . سادساً - ان الحزب الوطني الحجازي استنصرخ العالم الاسلامي ووضع تبعة الحالة في الحجاز على سائفه . فالعالم الاسلامي ، والحال هذه ، كان ضائعاً بين اهند ونجد والحجاز . ومع ذلك فقد وضع السلطان عبد العزيز الققة النامة به ، وركن الى احكامه ، بدليل الرقية التالية :



الملك علي في موكبه

« البحرين في ١٦ نوفمبر ١٩٢٤ »

الشريف علي بن الشريف حسين .

اني احترم شخصكم احتراماً عظيماً . ولكن معاملة والدكم لاهل نجد
وسائر المسلمين هي التي جعلتنا نقف هذا الموقف . فاذا كنتم تحبون السلام ،
وحقن الدماء ، احلوا الحجاز ، وانتظروا حكم العالم الاسلامي . فان
اختاركم ، او اختار غيركم ، فنحن نقبل حكمه بكل ارتياح . اما اذا بقيتم في
ارض الحجاز فان مسؤولية ما يقع من الحوادث تقع على عاتق غيرنا .
سلطان نجد «

.....

الاباء يا كلون الحصرم ، والابناء يضرسون !

الفصل الثالث والأربعون

رسالة السلام

قد اسلفت القول ان جلالة الجيوش ، قبيل سقوط الطائف ، عين وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيراً لدى حكومة ايران . فبادر السفير الجديد الى التأهب للسفر ، وهو مسرور بوظيفته هذه ، مغبوط من زملائه عليها ، وركب البحر من جدة ، مصحوباً بكتاب سره ، وترجمانه ، وياوره ، ومرافقه ، وعبيده . وقد لحق به آخر هو القدر قادر كه في الشرق العربي . اذ ما كاد يصل الى عمان ، في طريقه الى بغداد فطهران ، حتى وصلته دفعة واحدة اخبار الحجاز كلها ، من سقوط الطائف الى تنازل الحسين !

ثم جاءه امر من الحكومة الجديدة ، حكومة الملك علي ، بالرجوع الى وظيفته السابقة ، فقبل الشيخ فؤاد قسمة الجبار فيه وهو يقول : سأكون هذه المرة وزير الخارجية لا ترجمانها . وقد أوحى اليه انه بصفته هذه العالية يستطيع ، اذا استعان بصديقه مؤلف هذا التاريخ ، ان يسعى في سبيل السلم بين البلادين نجد والحجاز سعيًا موفقًا . لذلك ابرق اليّ يقول انه ينبغي مقابلتي ، وانه غير مأذون بالدخول الى سورية . فهل يمكنني ان اوافيه الى عمان .

تكررت البرقيات بيننا ، فاتفقنا على الاجتماع في حيفا . وبعد المفاوضة هناك زرنا سمو الامير عبد الله في مقره بعمان ، فرغب اليّ عقب المذاكرة بالتوسط بين جلالة اخيه وعظمة السلطان . وقد اطلعني الشيخ فؤاد في اليوم التالي على بريقة جاءته من الملك علي يرحب فيها برسول السلام .

قبلت المهمة لاسباب ثلاثة : اولاً — لاني على اتصال بعظمة السلطات وعالم بعض ما يرمي اليه في سياسته العربية . ثانياً : لاني منذ البدء في رحلتي

العربية رسول السلم والتضامن بين ملوك العرب . ثالثاً : لاني كنت قد اقترحت على عظمته اقتراحاً لحل مشكلتي الحجاز سلاً فجاءني منه جواب يستحسن الاقتراح ، ويشجع على السعي في سبيل تحقيقه . اصف الى ذلك ان عدداً كبيراً من وجهاء المسلمين في بيروت اجتمعوا على التوسط بين العاهلين العربيين وقرروا ان اكون رسولهم اليهما .

سافرت والشيخ فؤاد الخطيب الى السويس ، ومنها الى جدة ، فوصلناها في ٧ ربيع الثاني (٥ نوفمبر) . وكان قد سبقنا اليها رسول آخر من رسل السلام ، هو المستعرب الانكليزي المستر فلي^(١) الذي كان سابقاً وكيل دولته السياسي في شرقي الاردن .

قد كانت الاشاعات بخصوصه عديدة ، واطورها انه قادم بصفة رسمية او شبه رسمية من قبل الحكومة البريطانية للتوسط بين علي وابن سعود . ولكن المعتمد الانكليزي بجدة المستر بولارد^(٢) كذب هذه الاشاعة رسمياً . وقد اكد لي ان المستر فلي ، وان كان رغم اقالته من وظيفته لا يزال في سلك الموظفين ، هو متطوع للخدمة التي جاء من اجلها . وانه لا يمثل غير نفسه . وقد اثبت ذلك الملك علي اذ قال : « هو صديق لابن سعود وصديق لنا . وقد عرض خدمته بواسطة وكيل الحكومة العربية السابق بلندن فقبلناها » .

اجتمعت بزميلي بُعيد وصولي ، ثم تكررت الاجتماعات والمباحثات ، فكنا في الموضوع منفقين — منفقين في وجوب التوسط بالسلم . بل في وجوب السلم لخير العرب بين نجد والحجاز .

واكن الرجل الذي جئنا تفاوضه لم يكن قد وصل الى مكة ، ولا كان مقره يومئذٍ معروفاً . هل هو باق في الرياض ام هو في الطريق الى الحجاز ؟ واذا كان لا يزال في الرياض فهل هو قادم الى مكة ام لا ؟ واذا كان ينوي القدوم فمضى يا ترى يتحرك من عاصمة نجد ؟

H. St. John Philby (١)

R. W. Bullard (٢)

هذه سوالات كنا نقائلها . ولم يكن في جدة ، لا في الحكومة ، ولا في دور القناصل ، ولا بين التجار ، من يستطيع ان يجيب عليها . لم يكن في جدة شخص واحد يعرف شيئاً عن ابن سعود .

وكان المستر فليبي قد كتب الى احد قائدي الجيش النجدي بمكة مستخبراً ، فلم يحظَ بجواب . وقد كتبت انا الى القائدين كليهما ، الى سلطان بن بجاد الذي يعرف ابي صديق عظمة السلطان والى الشريف خالد ، فلا جاء الجواب من احدهما ، ولا عاد الرسول . ثم خطر لي ان أبقى الى عظمته بواسطة وكيله في البحرين . وقد كنا تباحثنا انا والمستر فليبي في السفر براً عن طريق الطائف الى الرياض ، فنجتمع بعظمته في العاصمة او في الطريق ، وعقدنا النية على ذلك . فامرقت الى القصبي في البحرين اولاً وتانياً فجاءني منه جوابان الواحد بالعربية : — « ارسلنا برقيتك الى الامام » والاخر بالانكليزية : — « قد سافر الامام الى الحجاز » . وهذه الرقية الانكليزية اول نبأ وصل الى جدة نبيءً بسفر السلطان ، فسربه الملك ، وُسرت الحكومة والقناصل ، بل مرت المدينة بامرها . كيف لا ولسان حالها وحالنا واحد — لا بد في قدوم السلطان ان تتغير الحال فيضع عظمته حداً لتلك الفظائع التي كانت تروى اخبارها في جدة . والسلطان رجل عاقل حكيم يمكننا ان نقام واياه .

بتنا والحال هذه ننتظر وصول عبد العزيز . وفي ذاك الحين علمنا ان رسولا آخر من رسل السلم هو قادم الى جدة ، وانه من كبار المسلمين . سرنا الخبر انه من المسلمين ، فيحيى موازناً لمسيحية زميلي الانكليزية ومسيحيي العربية . والظاهر ان الفكرة هذه خطرت لجلالة الملك ، فقبل بتوسط السيد طالب النقيب الذي كان يومئذ في الاسكندرية . والسيد طالب ، الذي جاء ذكره غير مرة في هذا التاريخ ، هو صديق للسلطان عبد العزيز . وهو كذلك صديق للمستر فليبي الذي عرفه في العراق يوم كان من المستشارين هناك ، وكان السيد وزيراً طالباً للعرش . فاذا كان السلطان لا يقبل بتوسط المستر فليبي ولا بتوسطي ، وهو في البلد المقدس وفي ظل الكعبة ، فلا بد ان يأذن

يازيارة في الاقل لمن اجتمع به مراراً في الكوفة وفي البصرة ، وكان ضيفه في القصيم ، بل لمن توسط مرة بينه وبين الترك ، لصديقه الحميم السيد طالب النقيب .

عندما وصل السيد طالب كان خط الدفاع حول جدة ، بما فيه من الاستحكامات والمتاريس والخنادق والاسلاك الشائكة والالغام ، قد تم كله .

وهو في شكل هلال طوله من البحر الى البحر نحو ستة اميال . وكان الملك علي قد استعاد شيئاً من الامل والاطمئنان ، بل كانت ثقته بالفوز ، سلباً او حرباً ، تزداد يوماً فيوماً مع ازدياد عدد الجيش النظامي وقوته ، لان الشريف والده كان يبذل المال والامير اخاه يبذل المهمة في سبيل التطوع في الشرق العربي « للدفاع عن بيت الله الحرام » . . . وهذا خط الدفاع يا عبد العزيز ، وهؤلاء اصداؤك واصدقاؤنا رسل السلام .

الفصل الرابع والأربعون

الى مكة

في العشر الاول من ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ ، يوم كانت جدة ودوائر السياسة فيها تجهل مقر السلطان عبد العزيز ، وتجهل مقاصده الحربية او السلمية ، كان هو في الرياض يتأهب للسفر الى الحجاز . وقد أم العاصمة في ذاك الحين رؤساء القبائل والاعيان ليودعوه فخطب فيهم قائلاً : « اني مسافر الى مكة لا للتسلط عليها ، بل لرفع المظالم التي ارهقت كاهل العباد . اني مسافر الى مهبط الوحي لبسط احكام الشريعة وتأبيدها . . . ان مكة للمسلمين كافة وسنجتمع هناك بوفود العالم الاسلامي ، فنتبادل واياهم الرأي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية وسيكون الحجاز مفتوحاً لكل من يريد عمل الخير من الافراد والجماعات » .

وقد ارسل قبل السفر الى الامام يحيى وغيره من امراء الاسلام المستقلين الكتاب الاتي : « اما بعد فقد استقبلت الطريق الى مكة غير باغٍ ولا آثم . فليفضل الاخ العظيم بارسال من يمثله في مؤتمر مكة حياً بنشر السلام بين ام الاسلام . سلطان نجد : عبد العزيز » .

هذا فيما يختص بشؤون البلاد الخارجية . اما شؤونها الداخلية فقد جعل والده الامام عبد الرحمن مرجعها الاعلى ، وانا بمكانه في العارض ابنه سعوداً على ان يعمل بمشورة جده . ثم كتب الى اهل بريدة وعنيزة والى بعض المهجر من الاخوان ان يوافقوه بألويتهم وجموعهم الى اماكن عيبتها . وفي ١٣ ربيع الثاني (١١ نوفمبر) خرج من العارض بكوكبة من .

الفرسان ، وبجاشيته المؤلفة من كتاب السر وبعض العلماء ، وفيهم من آل الشيخ الشيخ عبدالله بن حسن قاضي جيشه ، والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف إمامه . وقد رافقه في هذه الرحلة اخواه محمد وعبدالله ، وابناء محمد وخالد ، وغيرهم من آل بيته ، ونفر من آل السبهان وآل الرشيد ، وغيرهم من وجهاء نجد . ثم انضم الى الموكب الشاعر عبد الرحمن النقيصة وراوية نجد المشهور عبدالله العجيري . وكان مع عظمتهم من المستشارين السوريين الدكتور محمود حمدي ومحمد النحاس وبوسف ياسين وجمال الغزي .

اما الاولوية التي لحقت بالموكب السلطاني في الطريق فعددها خمس عشرة لواء ، خمسة الوية من اهل القصيم — من بريدة وعنيزة والبكيرية والمذنب والخبراء — وهؤلاء من الحضر ، وعشرة الوية من هجر الداهنة ودخنة ونقي والشبيكة وغيرها .

ان الطرق المعروفة بين نجد والحجاز كثيرة ، اقصرها من الرياض ، بعد الخروج من وادي حنيفة ، هي الطريق الجنوبية التي تبدأ من ضربة فتمر بالركيبة ، ومسافتها الى مكة نحو خمسمئة ميل . ولكن السلطان اختار الطريق الشمالية التي تمر بالوشم واطراف وادي السر ، ثم بالشعرة ، وهي تزيد نحو مئة ميل على الاولى ، ويستغرق قطعها عشرين يوماً للقوافل ، ومن الخمسة والعشرين الى الثلاثين يوماً للجند . اما النجباء حامل البريد فيمكنه ان يقطع المسافة بين مكة والرياض بعشرة ايام .

سار الموكب سيراً معتدلاً ، لا كلقوافل ولا كالجيش . وكان يقف يوماً او يومين على بعض المياه القريبة من العمران ، فتجي الوفود تسلم على الامام ، وتجي معهم في بعض الاحايين التكايات التي كان يسميها ويمهد سبيل العدالة لاصحابها . اربعة وعشرين يوماً ظل الموكب في الطريق . وكان يمشي سيراً واسراً من الثماني ساعات الى الخمس عشرة ساعة كل يوم ، ويمشي حتى في البادية بنظام عسكري .

قد دونت الاديب يوسف ياسين^(١) بعض اخبار هذه الرحلة السلطانية ، ونشرها تباعاً في جريدة «ام القرى» فذكر اسماء الاماكن التي مروا بها ، والمضارب والمياه والتعاب والادوية ، وردّها الى ما جاء من ذكرها في دواوين الشعر وكتب الاقدمين . وقد وصف الموكب من ساعة الادلاج الى ساعة الاناخة الاخيرة كل يوم فاخبرنا كيف كان السلطان ورجاله يقضون ساعات النهار والليل في السير والسرى .

قلت ان للموكب نظاماً عسكرياً في السير . وما سوى ذلك فلا دليل على الحرب في ما كان يحمل ، ولا اثر للحرب في ما كان يُسمع في صفوفه . اءا هو رهط من الناس خرجوا للسياحة ، وفي سياحتهم رياضة مزدوجة بل منلثة اي رياضة روحية ، وجسدية ، وادبية .

يسوح الاوروبيون فيحملون في حقائبهم الكتب يطالعونها في ساعات السفر . وما نحن في السادية — عرب في فيافي العرب — ومعنا من الكتب الدينية والادبية والتاريخية للمطالعة في النهار وفي الليل . اجل ، ترانا سمر ونحن في السرى . فاذا ما طال الليل ومل الحادي ، سمعنا صوت السلطان ينادي العجيري . وقد يكون راوبة مجد معتزلاً الركب كما هي عادته ، فيكرر احد الرجال كلمة السلطان : العجيري ! — يا عجيري تقدم . فيحت الراوبة راحلته ، وبعد ان يدبو من عبد العزيز يسلم ويتسرع بقراً ؟ اجل ، انك اذا كنت لا تراه تظنه يقرأ في كتاب من كتب الادب والشعر . ولكن العجيري لا يحمل كتاباً . العجيري يحمل في رأسه « الاعاني » و « الكامل » و « البيان » والتبيين » و « الكشكول » وبضعة دواوين من الشعر . له ذاكرة يقيّلها اذا كتبت خاطرٌ سريع . واه ادب لا يقيد به محرف ما يروي ولا يعده عن معناه . وله

(١) يوسف ياسين عربي صميم من اللادقية ، أمّ شه الجزيرة متطوعاً لخدمة القصبة العربية واس سعود . فوصل الرياض قبل خروج السلطان منها ، وكان من الرفاق المقربين في الرحلة . ثم تولى تحرير جريدة « ام القرى » بمكة ، وعين وكيل الخارجية باليامة اثناء نعي الوكيل مع الامير فيصل في اوروة ، وهو اليوم من المستشارين في ديوان جلالة الملك



الملك عبد العزيز
يوسف ياسين • الطيب المرازى • محمد نصيف

صوت ويطق وطريقة في الالقاء تدهش اكبر المعتلين .
 — ماذا ينبغي الامام ؟ فصلاً في مكارم الاخلاق ؟ — فصلاً في الشجاعة
 والاقدام ؟ — فصلاً في البر والتقوى ؟ — فصلاً في بؤادر الملوك ؟
 واداً ما بدأ في الرواية كان كالساحر يتمشى في حدائق الادب والشعر
 والتاريخ ، فيقلها بازهارها ، وبطيب ثنائها ، الى البادية ، فتنعتى الركان ،
 وتطرد العاس من الاجعان .

قال يوسف ياسين : « قد اقام لنا الدليل على ان ما روي عن احبار الرواة
 الاولين ، وما كانوا يحفظونه من الشعر والثر ، امثال حماد والاصمعي ، لم يكن
 حياً شعرياً . وان امالي ابي علي القالي واضرابه لم تكن الا من قيل ما كان
 يرويه لنا الشيخ المعيري في الطريق » .

وفي ساعة الادلاح ، بعد ان تمتسي الحملة وامامها العالم والى حاسبه راكب
 يحمل قديلاً ميراً ، نسمع الصوت يادي : المعيري . فيدنو الراوية من عظمة
 السلطان ويطفق يرتل طائفة من الذكر ترتيلاً حميلاً ايّاقاً « تكاد تعد منه
 حروفه » . ثم يؤذن المؤذن صلاة الفجر .

وبعد الصلاة والقهوة يستأنف الموكل السير فيادي السلطان : ان الشيخ ،
 فيليه احد العلماء ويتسرع يتلو شيئاً من القرآن . ثم بعد الصبح يدعو تاية ،
 او يدعو غيره من العلماء ، قارئ الرحلة ملاً ، فيسلم هذا قياد راحله الى حادم
 يقودها ، ويساؤل من حميد السيرة السونة ، او صحيح مسلم ، او تاريخ ابن الاثير ،
 او كتاب الترمذي والترهيب ، فيطفق يقرأ ساعة او ساعتين بصوت عالٍ يسمعه
 المتقدمون في الموكل والمآخرون .

ويطل الموكل سائراً بنظام لا يخرج في الصورة الاحمالية عنه ، بتقديمه
 كوكبة الفرسان ، وتكاد احباً تحمي عن الانظار ، فاحرى بها ان تدعى
 كوكبة الكتافة . ثم علم السلطان وورائه الحملة ، اي حملة الموت والامتعة
 والمواعين ، وهي تمتي قبل الموكل السلطاني ساعة او ساعتين ، فسحتفي بعض
 الاحابين مثل كوكبة الفرسان . اما الموكل فتقدمه الاعلام ، اعلام الحيوش

المنظمة اليه ، وكلها تمشي في صف واحد ، وبعدها الموكب ، والسلطان حيناً على رأسه وحيناً في الوسط ، فمسير امامه او ورائه الكبير والصغير بدون تمييز وبدون نظام .

وها هوذا قد اناخ في مرات بلدة امرى القيس ، نجاءته الوفود من الوشم ومسير مسلمة عليه . وها هوذا جالس في فسطاطه يسمع اخذ الشعراء يتلو قصيدة في مديح الامام وانتصار جيوش التوحيد في الحجاز . وها هوذا في صراحته المعتادة يقول للشاعر : « احب سماع الشعر ولكن نوعين منه لا احبهما ، الهجو والغلو في المديح » . ولا وقت لدينا لتقف نبكي من ذكرى الاحباء والمنازل ، ولكننا نمر بسقط اللوى ، والعجيري يتلو علينا شيئاً من اخبارك يا ابن حجر الكندي .

توكلنا على الله ! اركب يا ابن مطرف — اركب يا عبد الرحمن . وعبد الرحمن بن مطرف هو اول من يعلو راحلة في الموكب ، هو راعي الراية ، راية السلطان .

وها نحن بعد خروجنا من ديرة امرى القيس نشرف على اماكن نتاظرها ولو في الكتب جلال القدم والذكرى . هذه الجبال والشعاب والمياه — وضع الحلى والنيّر والخفاف — قد طلما زانت في غابر الزمان قوافي الشعراء ، وافسدت عيش سادة العرب . هاهنا كانت تتطاحن القبائل ، وهاهنا كانت تندب الشعراء المنازل والاحباب . وهوذا ريع الريان ، ذاك الشعب الخصب الذي نخرج اليه من التمرة ، محط رحال التجار والقوافل بين الحجاز والقصيم والعارض ، وما دون الشعب الجبل الذي قال فيه جرير :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

وهو الذي حن كذلك الى اهله الشريف الرضي :

ايا جبل الريان ان تعرف منهم فاني ساكسوك الدموع الجواريا

ولا نزال مسندين — مصعدين — من الريان الى وادي الرّشا ، بين جبال شهلان والحوار ، فتبدو اعالي نجد في ابهى الحلل من الاخضرار ، تلك البلاد

التي يتغنى الشعراء بعراها ، وبطيب هوائها ، وبفسيح ارجائها .
 حينئذ الى ارض كأن ترائها ، اذا امطرت ، عود ومسك وغنبر
 بلاد كأن الاقحوان يروضه ونور الاقاحي وثي بدر محبر
 احن الى ارض الحجاز وحاجتي خيام بنجد دونها الطرف يقصر
 في وادي الرشا نعلو نحو الف واربعمئة قدم عن البحر ونستمر مسندين ،
 فنصل الى ماء يدعى المصاوم (بالصاد) وهناك يلتقي الركب بنجاب من مكة
 يحمل البريد الى السلطان ، وفي البريد كتاب من قناصل الدول يجده الى قواد
 الجيش النجدي بمكة يعلمونهم بموقف دولهم الحيادي في النزاع بين نجد والحجاز ،
 فارسل اليهم السلطان الجواب الآتي :

» بسم الله الرحمن الرحيم
 السلطنة النجدية ولاحقاتها

في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣ (٢٢ نوفمبر ١٩٢٤) عدد ١١٤
 من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الى حضرات الكرام
 قناصل الدول العظام في جدة ، معتمد الدولة البهية البريطانية ، وقناصل
 جبرال الدولة الايطالية ، ووكيل قنصل جنرال الجمهورية الفرنسية ، ونائب
 قنصل ملكة هولندا ، ووكيل قنصل شاه ايران المحترمين .
 بعد اهداء ما يليق بمجاكم من الاحترام ، نحيط علمكم باننا احطنا علماً
 بكتابكم المؤرخ في ٤ نوفمبر المرسل الى امراء جيشنا خالد بن منصور وسلطان
 بن بجاد بخصوص موقف حكوماتكم ازاء الحرب الواقعة بين نجد والحجاز .
 كنت اود من صميم قلبي ان تحقق الدماء ، وتنفذ رغائب العالم الاسلامي الذي
 ذاق المناعب في السنوات الثمانية الاخيرة . ولكن الشريف علي بن حسين
 بموقفه في جدة لم يجعل انا مجالاً للوصول الى اغراضنا الشريفة . ولذلك فاني
 حياً بسلامة رعاياكم ، ومحافظاً على ارواحهم واملاكهم وما قد يحدث لهم من
 الاضرار احببنا ان نعرض عليكم ما يأتي :

١ - ان نخصصوا مكاناً ملائماً لرعاياكم في داخل جدة او خارجها

وتخبرونا بذلك المكان لترسل اليهم من رجالنا من يقوم بحفظهم ورعايتهم
 ٢ — اذا احببتم ان ترسلوهم الى مكة ليكونوا في جوار حرم الله
 بعيدين عن غوائل الحرب واطارها فاننا نقبلهم على الرحب وننزلهم المنزلة
 اللائقة بهم . وانا نرجوكم ان ترسلوا كتابنا طيه الى اهل جدة حتى يكونوا
 على بينة من امرهم . وانا لا نعد انفسنا مسؤولين عن شيء بعد بياننا هذا
 وتقبلوا في الختام تحية خالصة مني » .
 وهذا نص الكتاب الى اهل جده .

« من عبد العزيز آل فيصل آل سعود الى اهالي جده كافة .
 السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فلا بد انه بلغكم ان اغلب
 العالم الاسلامي قد ابدى عدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين
 واولاده . وانا حبا بسيادة الاسلام ، وحقن الدماء ، نعرض عليكم انكم
 في عهد الله وامانه من اموالكم وانفسكم اذا سلكتم مسلك اهل مكة .
 وبالنظر الى وجود الامير علي بين اظهركم وخروجه على الرأي الاسلامي ،
 فاننا نعرض عليكم الخروج من البلد والاقامة في مكان معين ، او القدوم الى مكة
 سلامة لارواحكم واموالكم ، او الضغط على الشريف علي واخراجه من بلادكم .
 فان فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور او بولائه فتحن معذرون امام العالم
 الاسلامي ، وتبعة ما قد يقع من الحوادث تكون من المسبب والسلام » .

الختم

كان الذين يسافرون في البادية ، فينقلون بيوتهم كل يوم ، ينسون ان
 بيوت اهل الحضر من حجر وطين ، وان لمصالحهم وتجارتهم جذوعا متأصلة بين
 تلك الاجمار وتحت تلك البيوت . ومع ذلك فقد ارسل السلطان الكتابين الى
 القناصل والى اهل جدة بواسطتهم ، وامر ثلاثة من حاشيته بان يتقدموه الى مكة
 فيطمثون الناس ، فراحوا يبشرون بقدومه .

سار الموكب ، بعد ان اجتاز جبل النير ، جنوبا بغرب الى الدفينة ، وهي في
 رأس الحرة التي تعلو نحو اربعة الاف قدم عن البحر ، وفيها بقية طريق معبدة ،

غير السكة السلطانية اي سكة زبيدة القديمة . وفي هذه الحرّة اعلام منصوبة
تدل على الارض الوعرة التي لا تُتسلك ، بل تحذر القوافل من اخطارها . وهاك
بعد ان نجتاز الحرّة سالمين بيوتاً متهدمة في وسط بساتين من الاثل ونخيل الدوم .
هي مران التي وصفها ياقوت بقوله انها قرية غناء كبيرة ، كثيرة العيون والابار
والنخيل ، وقد كانت لبني هلال . ولكنها اليوم للاضمحلال :

مردنا على مران ليلاً فلم نعج على اهل آجام بها ونخيل
وفي اليوم الثالث والعشرين وصل الموكب الى عشيرة التي تنتهى اليها طرق
نجد كلها ، والتي تعلو اربعة الاف قدم عن البحر . فاقام السلطان فيها يوماً
يستقبل الوفود التي جاءت من جهات الحجاز للسلام . ثم ادلى الركب من عشيرة
مصعدين الى قرية السيل (٤٥٠٠ قدم) اعلى نقطة في هذه الرحلة ، فأحرموا
هناك وانحدروا في وادي السيل ، بين جبال جرداء ملساء سمحاء ، فمروا بقرية
الزيمة ، وأناخوا في مكان يبعد ساعتين عن الاميال . ثم تقدموا بعد الظهر
مكبرين ملبين .

لبيك اللهم لبيك !

لا شريك لك لبيك !

ملأت هذه الجموع البيضاء الشباب ، وتزاحمت بين الهضاب ، وتصادت

اصوات الملبين ، فتصادمت في الفضاء ، فرددت صداها الجبال والوهاد .

لبيك الله لبيك !

لا شريك لك لبيك !

الفصل الخامس والاربعون

اشاعات وعفاني

مرضنا ونحن في جدة تنتظر وصول السلطان عبد العزيز الى مكة . مرضنا حقيقة ومعنى — مرضنا كتنا ، الملك علي ، والسيد طالب ، والمسترفلي ، والمؤاف — بالمالاريا وغيرها من الامراض السارية . وكنا في ذلك الاثناء نسمع من الاخبار — اخبار الاخوان — ما لا يزيل الكربة بل يزيد بها .

يا لهول الاخوان ! ويا للفظاعة ويا للعار ! — قد عاهدوا « الجداعين » وأمنوهم على حياتهم واولادهم ، ثم ذبحوهم عن بكرة ابيهم . — قد عاهدوا بني جابر وبعض الاشراف الذين « دينوا » وأمنوهم ، ثم حملوا عليهم فذبحوهم كلهم الرجال منهم والنساء والاطفال . — الاخوان يضربون اهل جاوه بمكة ويمنعونهم عن الصلاة ، وعن التدريس في الحرم . — الويل لمن يرى الاخوان سيكارة بيده ، فانهم يشبعونه شتاً وضرباً . — الاخوان يحجزون البيوت بمكة ويبيعونها . — الاخوان يهدمون بيت مولد النبي ، وبيت السيدة فاطمة الزهراء ، وضريح السيدة خديجة . — الاخوان هدموا كل قبور الصحابة والاولياء وآل البيت في المعلاة — وهدموا مسجد حمزة ، ومسجد ابي قبيس . — وهدموا مرحباً بالاشاعات . فانها مثل المصائب بعضها ينسي الناس البعض الآخر .

قد انسانا الاخوان — الى حين — الخبر بسقوط حائل . قالوا انها سقطت بيد قبائل شمر ، وقالوا ان سلطان الدويش قد استولى بمساعدة شمر على حائل .

ومرحباً بالمكذابين . لا صحة للاشاعة بان مشايخ رابغ « دينوا » وان رابغ اصبحت في حوزة الاخوان . كذلك كانت الاخبار تترامى الينا ، ونحن على فراش الحى نملدل ونقول : عجل الله قدومك يا عبد العزيز . ولكننا في تجوالنا

ايام النقه سمعنا من مصادر شتى ، وتحققنا بعدئذ ، ما يقرب من الحقيقة في ما تقدم من الاشاعات . سنعود اذن اليها فتمحصها للتاريخ .

عندما دخل الاخوان مكة جاء عربان الجدعان وبني جابر وبعض الاشراف الى الامير خالد بن لؤي موحدين طائعين . دخلوا في دين التوحيد « دينوا » فاعطاهم خالد الامان على ارواحهم واموالهم ، وافنهم بالرجوع الى منازلهم التي تبعد مرحلة ومرحلتين عن جدة الى الشرق الجنوبي .

ولكنهم بعد ان عادوا من مكة جاؤوا يقدمون الطاعة للملك علي ، وشرع بعضهم يقطع الطريق بين جدة ومكة . فارسلت القيادة النجدية سرية عليهم للتأديب ولجمع السلاح . ابى الجدعان ان يسلموا سلاحهم ، فنشبت بينهم وبين الاخوان معركة دامية انتهت بهزيمة الجدعان وفرارهم في السنايك الى جدة . اما بنو جابر فمنهم من سلموا سلاحهم ، ومنهم من فروا هاربين ، فركبوا البحر مثل الجدعان ، وجاؤوا جدة بحريمهم وعيالهم ، فانزلهم الملك علي خارج السور ، وبذل في سبيلهم المستطاع .

اجتمعنا في قنصلية هولندية ببعض الجاويين العائدين من مكة ، فسألناهم ان يصدقونا الخبر ، فقال احدهم : « اقمنا حفلة لتتلاوا المولد النبوي ، كما هي عادتنا كل سنة ، فنصنأ قبة للاجتماع . وعندما حضر عالمنا لتلاوة سيرة المصطفى ، جاء الاخوان فطردونا ، وهدموا القبة . — لا ، لم يضربوا احداً . ولكنهم كانوا يشتموننا ويدعوننا مشركين — نعم ، التدخين ممنوع في الاسواق . ولكني ما رأيتهم يضربون احداً يدخن . هم يستمون من يدخن ، ويدفعونه جزاء ربح مجيدي » .

التقينا ذات يوم عند السور باثنين عائدين من مكة ، الواحد ضابط تركي كان في خدمة الحسين ، والثاني عربي من البدو . فسألنا عن فظائع الاخوان فقال الضابط : « حجزوا البيوت ، ونهبوها ، وباعوها والله . وهدموا المقامات كلها ، حتى مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام » . فقاطعه الاعرابي قائلاً : « لا والله . الذنب ذنبنا نحن العرب ، والخيانة منا . يحى الواحد الى خالد يقول : هذا بيت

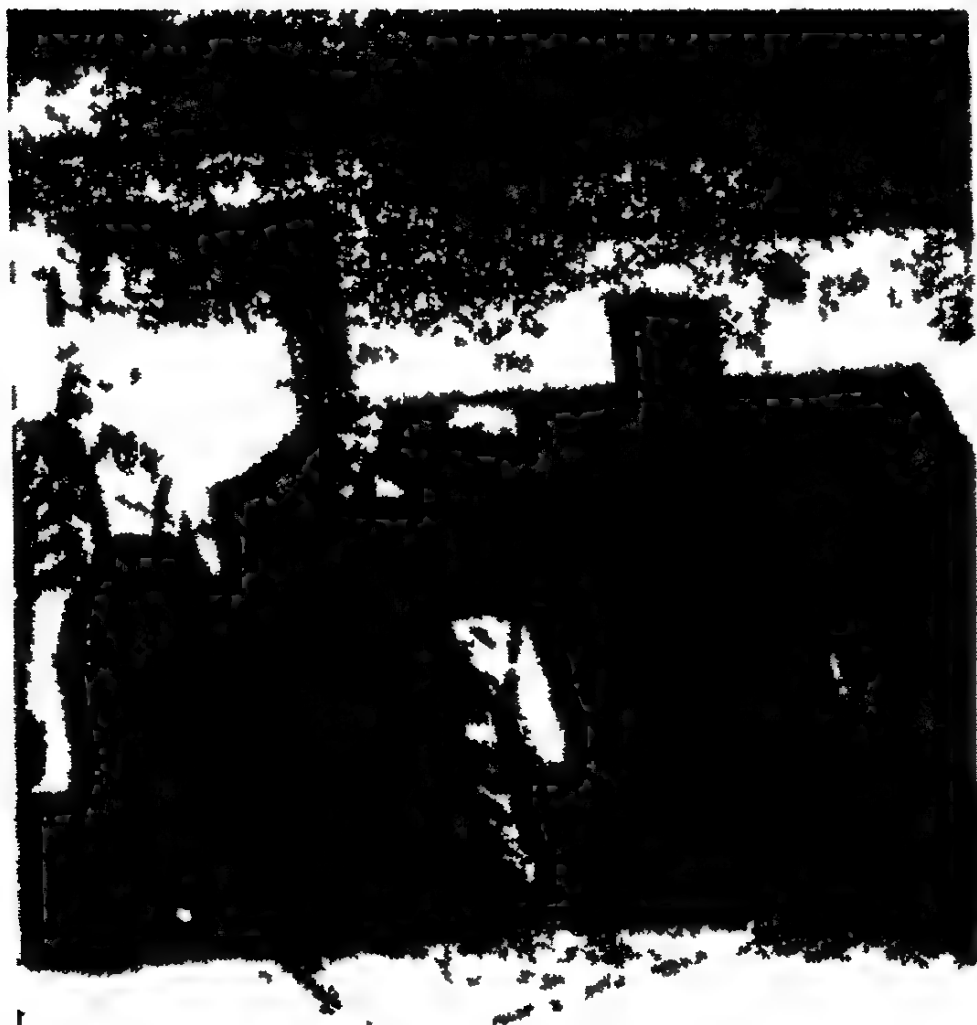
الشريف ، وهذا بيت هم الشريف ، وهذا بيت احد عبيد الشريف ، فيحجز الاخوان هذه البيوت ، ويبيعونها بعد ان يخرجوا منها الاثاث . ما مستوا والله غير املاك الشريف ودور الحكومة » .

اما هدمهم القبور والمقامات فما انجحت الحقيقة فيها الا بعد ان زار وفد جمعية الخلافة مكة فرأوا باعينهم ما هدم منها ، وما لم يهدم . وقد قال السيد سليمان الندوي رئيس الوفد في تقريره : « ان القباب والبيبان التي كانت على القبور هدمت وكسرت . ولكن القبور موجودة سالمة كما شاهدنا . والقبه التي كانت على قبر حمزة هدمت والمسجد سالم » . اما مسجد ابي قبيس فقد هدم قسم منه ، فاسف السلطان عبد العزيز لذلك ، وامر بترميمه .

لا تثار للاخوان على المساجد . ولكن في القباب مصيبة الدين الكبرى . قال محمد بن عبد الوهاب : « المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت اوثانا تعبد من دون الله ، والاحجار التي تقصد للتبرك والنذر والتقبيل ، لا يجوز ابقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على ازالته » . وقد ذكر بالحديث : خير القبور الدوارس .

ولكن السخافة في الناس لا تتغير الا في شكلها . ان هادمي القبور ومقدسيتها لمن امة واحدة ، وان غصبة للحجارة مثل غصبة عليها لا تصالح الامم . كيف لا نستأنس اذن بالاشاعة التي تنسينا اشاعات القبور ؟ كل من في جدة صدق الخبر بسقوط حائل الا المسترقلي والمؤلف . واظن ان بعض الناس شاركونا الرب ، واستمروا مع ذلك في نشر الاشاعة . فقد سمعنا جلالة الملك في مجلسه ذات ليلة يقول لقائد فرقة النصر تحسين باشا الفقير : « الخبر بسقوط حائل صحيح ، جاءنا اليوم الاثبات من عمان » . اي من المصدر الاعلى في ما كان يروى عن نكبات نجد وابن سعود . ولكن عليا من الناس الذين لا يحسنون التمويه ، فقد خائنه اللهجة التي ظهر فيها انه مشكك بما يقول .

وقد كان يشكك حتى بمن يقسمون اليمين المغلظة من البدو — والله بالله نحن رجالك يا علي ونفديك بدمنا ! فهل يقال بعد هذا ان ابن مبيريك صاحب



الملك علي في « الورشه » بجده امام احدى المصنعات

رابع ومتناجحه كلهم « ديبوا » ؟ وان رابع اصحت في حورة الاخوان ؟
 ها كلهم في القصر يقدمون الطاعة للملك .
 وها كلهم في مكة يابعون ابن سعود !
 اشاعات وحقائق ، تتلو الواحدة الاخرى كأدوار من الحمى . وقد كسا ، بين
 الحمى وبينها ، سترحم الله للعرب اجمعين .

الفصل السادس والاربعون

الكتاب والسنه - والسيف

اوضحت في ما تقدم خطة السلطان عبد العزيز السياسية والدينية ، النجدية والحجازية . فقد ارسل من البادية ، وهو في الطريق الى مكة ، يؤمن الاجانب في جدة ، ويعرض الامان على اهلها اذا هم أخذوا الى السكينة . وكتب قبل ان غادر الرياض الى امراء الاسلام الحاكمين يدعوم لعقد مؤتمر في ام القرى ، ثم مهد سبل الحج وامن الطرق الى الحرمين . الا ان هذا التطور في الحكم السعودي خلق لصاحبه مشاكل جديدة ، فعالج بعضها علاجا عسريا ، وحل بعضها حلا مرضيا ، وهو لا يزال في منتصف الطريق ، وراءه ماضٍ مجيد ، وامامه مستقبل نصفه مكتوب وان بدا غامضا ، والنصف الاخر صفحة بيضاء .

على ان المؤرخ لا يسبق التاريخ ، وليس من شأنه النظر في المستقبل قبل ان يدون في الاقل المهم من حوادث الماضي . نعود اذن الى حيث تركنا الموكب السلطاني . عندما وصل الى الابطح مساء اليوم السابع من جمادى الاولى سنة ١٣٤٣ (٤ ديسمبر ١٩٢٤) اناخ السلطان عبد العزيز ذلوله وركب حصانا ، ونزل تتبعه حاشيته الى قلب المدينة ، فترجلوا عندما قربوا من المسعى ، ومشوا الى الحرم ، فدخلوه من باب السلام وطاقوا ، وصلوا ، وسعوا تلك الليلة ، ثم عادوا الى الخيم في المعابدة .

وفي صباح اليوم التالي - الحمة - استعرض السلطان الجيش من خيالة ومشاة ، ثم جلس في السرادق الكبير الذي نصبته البلدية ، وفرشته بالطنافس وحرقت فيه البخور ، فاستقبل اولاً الاخوان ، وكان بينهم كثيرون لا يعرفون الامام ، فكانت المشاهدة الاولى ، وقد تهافتوا عليه يصافحونه ، ويقبلونه في

خشمه وفي جبينه ، وهم يكون من شدة السرور . ثم جاء من اهل مكة بعض اعيانها وتجارها يسلمون ، فبادروا الى يده يريدون ثقليلها فمنعهم قائلاً : « المصافحة من عادات العرب . اما عادة التقبيل فقد جا-تنا من الاجانب ، ونحن لا نقبلها » . وقد خطب فيهم خطبة صغيرة فاعاد ما قاله في خطبة الوداع لرؤساء نجد قبل سفره من الرياض .

بعد ذلك طلب اليه امين مفتاح الكعبة الشيخ عبد القادر الشيبى ان يعين وقتاً للاجتماع بعلماء مكة ، فضرب لهم موعداً في اليوم التالي ، وكان الاجتماع في الحميدية ، حضره علماء البلد الحرام من اهله ومن المجاورين له ، فخطب فيهم السلطان عبد العزيز خطبة دينية ، اجتماعية ، سياسية ، خطبة طويلة بليغة تقنطف منها ما يلي :

— « ان افضل البقاع هي البقاع التي يقام فيها شرع الله ، وافضل الناس من اتبع امر الله . وان لهذا البيت شرفه ومقامه ، منذ رفع سمكه سيدنا ابراهيم عليه السلام . وقد عظم العرب امره في جاهليتهم . . . فتعالوا نتعاقد ونتحد .

ان الفضول تعاقدوا وتعاهدوا ان لا يقر بطن مكة ظالم والله وبالله وتالله ورب هذا البيت ! لقد كان من احب الامور عندي ان يقيم الحسين بن علي شرع الله في هذا البيت المبارك ولا يعمل لايادتنا من لوجود ، فاجيئه مع الوافدين احب (اقبل) على يده واساعده في جميع الامور لا ينفعنا غير الاخلاص في كل شيء . الاخلاص في العبادة لله وحده ، والاخلاص في الاعمال كلها . والذي ابغيه في هذه الديار ان يعمل بما في كتاب الله وسنة نبيه في الامور الاصلية . اما في الامور الفرعية فاختلف الائمة فيها رحمة » . الى ان قال وفيه لب الاخلاص : « والان انا بدمتكم وانتم بدمتي . ان الدين نصيحة . وانا منكم وانتم مني . وهذه عقيدتنا في الكتب التي بين ايديكم . فان كان فيها ما يخالف كتاب الله فردونا عنه ، وسلونا عما يشكل عليكم فيها . والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة اننا لم نطع ابن عبد الوهاب وغيره الا في ما ايدوه بقول من كتاب الله وسنة

رسوله . لما احكامنا فهي طبق اجتهاد الامام احمد بن حنبل . اذا كان هذا مقبول عندكم تعالوا نتبايع على العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده » .

بعض الحضور : كلنا نبايع .

السلطان : قولوا لنا بصريح القول ما عندكم .

بعض الحضور : ما عندنا غير هذا .

السلطان : اعيدكم بالله من التقية ، فلا تكتتموا علينا شيئاً .

احد العلماء : اجمعنا بعلماء نجد يا حضرة الامام فنتباحث وايام في

الاصول والفروع وتقرر ما نتفق عليه ان شاء الله .

السلطان : زين . قريباً تجتمعون .

وبعد يومين ، في ١١ جمادى الاولى ، اجتمع خمسة عشر من علماء مكة بسبعة من علماء نجد ، فتباحثوا في الاصول والفروع ، ثم اصدر علماء مكة بياناً جاء فيه : « قد حصل الاتفاق وبيننا بين علماء نجد في مسائل اصولية . منها : من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه ، يدعوم وبرجوم في جلب نفع او دفع ضرر ، فهذا كفر يستتاب ثلاثاً فان تاب والا قتل . ومنها : تحريم البناء على القبور وامراجها واقامة الصلاة عندها لان في ذلك بدعة محرمة في الشريعة . ومنها : من سأل الله بجاء احد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراماً . في هذه المسائل تباحثنا واتفقنا فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشرة علماء الحرم الشريف وبين اخواننا اهل نجد » .

اي انهم اقرؤا المسائل الجوهرية في المذهب الحنبلي الوهابي وقبلوها . وفي يوم اجتماع العلماء صدر البلاغ الآتي مطبوعاً في مطبعة جريدة القبلة^(١) « لمن في مكة وضواحيها من سكان الحجاز الحضر منهم والبدو :

(١) قد كانت هذه المطبعة للاتراك يطبعون فيها جريدة الحجاز الرسمية ، فاستولى عليها الحسين في بداية الثورة وشرع يطبع فيها جريدة القبلة ، ثم استولى عليها ابن سعود واصدر جريدة ام القرى .

لم تقدم من ديارنا اليكم الا انتصاراً لدين الله الذي انتهكت محارمه ،
 ودفعاً لشروركان يكيدها لنا ولبلادنا من اسبىد بالامر فيكم .
 كل من كان من العلماء في هذه الديار ، من موظفي الحرم الشريف او
 المطوفين ، ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل ان لم تزد . الا
 رجلاً اقام الناس عليه الحجة انه لا يصلح لما هو قائم عليه فهو ممنوع مما
 كان له من قبل . وكل من له حق ثابت في بيت مال المسلمين اعطيناه
 حقه

لا كبير عندي الا الضعيف حتى آخذ الحق له . ولا ضعيف عندي الا
 الظالم حتى آخذ الحق منه . وليس عندي في اقامة حدود الله هوادة ولا
 اقبل فيها شفاعاً » .

في هذا البلاغ ، وفي بيان العلماء ، حل للمشكل الديني مبني على القاعدة ان
 الجزاء من نفس العمل . ولا فرق اي من الاثنين ، البيان او البلاغ ، صدر
 قبل الآخر . كأن احد الفريقين قال : لانفس حقوقكم التقليدية . فقال الثاني :
 اذن نقبل اركان مذهبكم ونعمل بها .

بعد هذه الاجتماعات الخاصة بين السلطان والعلماء عقد اجتماع عام حضره
 العلماء والاعيان والتجار ، فخطب فيهم السلطان ، فقال :

« اربد رجالاً يعملون بصدق وعلم واخلاص ، حتى اذا اشكل علي امر من
 الامور رجعت اليهم في حله وعمات بمشورتهم ، فتكون ذمتي سالمة ، وتكون
 المسؤولية عليهم . واربد الصراحة في القول . ثلاثة اكرههم ولا اقبلهم ، رجل
 كذاب يكذب علي تعمداً ، ورجل ذو هو ، ورجل متعلق . هؤلاء انقض
 الناس عندي » .

بهذه الخطبة الوجيزة الصريحة افتتح عظمتة الاجتماع لتأسيس مجلس اعلي
 شوري . فاجتمع الناس ثانية في دار البلدية ، وانتخبوا من الاعيان والعلماء
 والتجار مجلساً مؤلفاً من اربعة عشر عضواً برئاسة عبد القادر الشبيبي
 على ان هناك مشاكل لا تحل بتأسيس مجلس الشورى ولا باتفاق العلماء ،

كالمشكل الاقتصادي مثلاً ، وقد حال خط الدفاع في جدة دون تموين مكة من ثغرها الاول او الاقرب . ولم يقطع الملك علي الاقوات عن « جيران بيت الله الحرام » الا عندما تم ذاك الخط ، لان بدو حرب ، من الذين كانوا يجيئون صباحاً كل يوم الى القصر بجدة ، او من اولئك الذين « دينوا » ، كانوا يقطعون الطريق الى مكة وينهبون القوافل . هو بعض السبب في حمل الاخوان عليهم .

وقد كان السلطان عبد العزيز اصدر الاوامر ، حتى قبل ان يسافر من الرياض ، الى عماله وقواده بفتح طريق بل طريقين الى البحر ، وكانت القنفذة اول الثغور التي احتلتها جيوشه من عسير . ولكن القنفذة تبعد اكثر من مئتي ميل عن مكة ، والليث اقرب منها ^(١) . لذلك بادرت القيادة في الحجاز الى احتلالها . على ان السرية التي مشت الى ذاك الثغر لقيت من اشرف « ذوحسن » بعض المقاومة ، فاشتبكت واياهم في معركة دامت بضع ساعات ، وكانت الغلبة فيها على « ذوحسن » ، ففر منهم كثيرون ، وسلم الآخرون ، واصبحت الليث في حوزة ابن سعود .

اما عرب رابغ ^(٢) فقد اشرنا في الفصل السابق الى ما كان من سلوكهم سلوك الثعالب . والحقيقة انهم عصوا حكومة جدة فارسلت عليهم خمسين جندياً بقيادة حمدي بك . ركبوا باخرة الطويل التي كانت قد سلحت بثلاثة مدافع صغيرة ، واجبروا الى رابغ ، فنزلوا الى البر ولم يلقوا من عربانها او مشايخها شيئاً من المقاومة . بل سلم المشايخ ومعهم ابن عم عامل رابغ ابن مبيريك وجاؤوا مع الجنود الى جدة ، فاقسموا يمين الطاعة لعلي فعفا عنهم ، واذنهم بالرجوع الى بلدتهم . وفي ذلك الاثناء تصادم الاخوان وفريقاً آخر من العربان ، في الطريق بين مكة ورابغ ، تصادماً يستوجب البيان . في تهامة الحجاز يقطن بطون من حرب فتعتمد ديارهم الى المدينة المنورة . وقد كانت هذه القبائل في مواسم الحج تعتدي

(١) الليث هي على مسافة تسعين ميلاً من مكة غرباً نحو

(٢) رابغ تبعد تسعين ميلاً عن جدة الى الشمال ومئة وعشرة اميال عن مكة الى الغرب الشالي .

على الحجاج ، ونهب القوافل ، وتناقصى الحكومة ، فوق ذلك ، رواتب معلومة .
فعندما دخل الجند النجدي مكة جاء بعضهم الى الشريف خالد يطالبون بما
ادعوا انه حقهم الشرعي ، فقال لهم خالد : « اذا «دينتم» كنتم وكافة المسلمين
سواء . والا فعندنا الكتاب والسنة ، وعندنا السيف » .

استمر هؤلاء الحروب عاصين ، فارسل خالد عليهم سرية من الاخوان
فالتقوا بجماعة منهم في عسفان ^(١) بين مكة ورايح ، على طريق المدينة ، فضربوهم
ضربة شديدة وازالوهم من ذاك الطريق . وفي حملتهم هذه قُرب الاخوان من
رايح ، ففكر العامل اسمعيل ابن مبيريك في امره ، وجاء مكة اولاً وثانياً يعاهد
الشريف خالداً ويوحد الله ، فلبث ينتظر قدوم السلطان الذي عين له ولمشاينحه
رواتب على شرط ان يمنعوا التعدي على الحجاج ، ويحموا الطريق من البحر الى
مكة . هذه هي قصة رايح وعربانها الذين جاؤوا جدة وراحوا الى مكة ، وأقسموا
اليمنين ، وفاوضوا وساوموا الفريقين ، ثم تبعوا الاقوى والاكرم .

وما كان ابن مبيريك فريداً في سلوكه . فقد تبع الاقوى والاكرم كثيرون
غيره من العرب . ومنهم من الاشراف الحرث والفعور الذين تهافتوا على السلطان
عبد العزيز عند وصوله الى مكة . ولكنهم رغم تزلفهم منه عوملوا معاملة
السوى . وقد ارضى السلطان الجميع في تأليفه مجلس الشورى الذي سيذكر
في ما بعد . على انهم جاؤوه شاكين قلة الاقوات وغلائها ، وما يعاينيه الاهالي
بسبب ذلك من الشدة والذيق . فقال لهم انه قد اتخذ التدابير لمنع الاحتكار
اولاً ، ولجلب الاقوات عن طريق اللين . وانه ورجاله وجيوشه لا يكفونهم
من هذا القبيل شيئاً ، لان الاقوات تبيثهم من نجد . « هي قليلة ولكننا
اهل نجد نكتفي بالقليل . . . عليكم بالصبر وقريباً ترد الارزاق من الثغور التي
يبدنا ان شاء الله » .

ثم استأذنوه بارسال كتاب الى الملك علي عليه بسمع شكواهم فلا يمنع

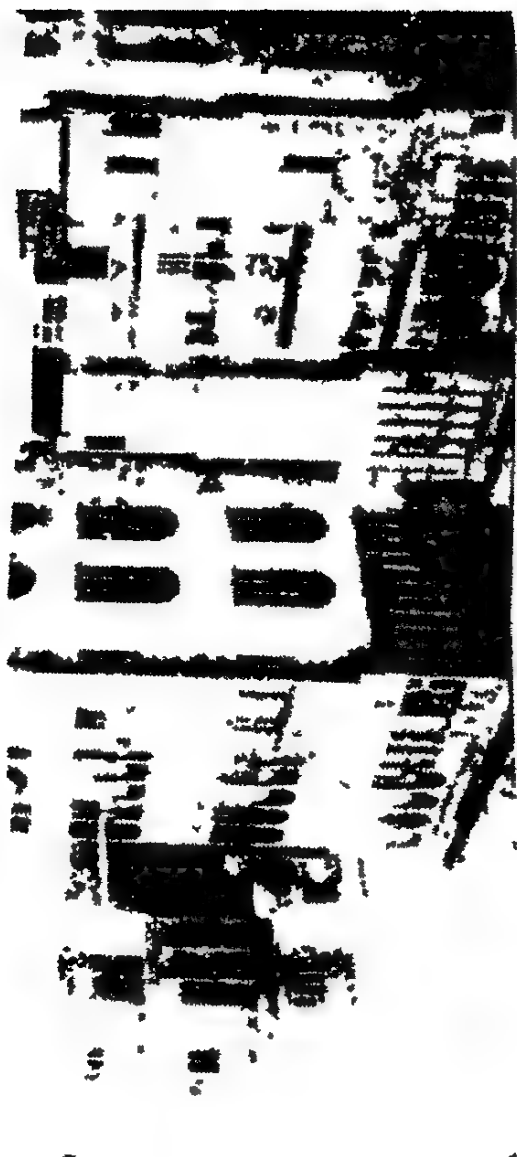
(١) نية عسفان وهي من امنع الاماكن .

عنهم الارزاق . فقال السلطان : « هذا لا يفيد . علي لا يسمع شكواكم وقد يظنها شكوانا ملبسة . ومع ذلك هاتوا كتابكم ارسله » .
وفي هذا الكتاب ، المذيل بامضاءات ستين من اهل مكة ، لوم وتعنيف ، ورجاء بان لا يمنع الارزاق عنهم وهم جيران بيت الله الحرام الذين قال فيهم تعالى (اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) . « وما السبب في التضييق علينا ؟ فان كنا مجرمين من جهة الحكومة النجدية فلسنا المسؤولين في دخولهم مكة ولا قوة لنا على اخراجهم انا نسألكم واحداً من امرين ، اما ان تقدموا بجيوشكم وتخرجوا الحكومة النجدية حتى نفتتح لمكة طريق رزقها ، او ترقأوا شيئاً من الاسباب التي تمكنتنا من جلب معاشنا » .

فاجابهم الملك علي : « لم نمنع الارزاق عنكم الا مكرهين . فالقواعد الحربية تقتضي ذلك ، ولا قصد لنا غير احراج مركز العدو وعدم تموين جيوشه » .
وقد شكوا الاهالي الى السلطان عبد العزيز امر الاخوان ، وتضييقهم على الناس ، وشتيمهم وضربهم الناس في بعض الاحاوين . فطيب السلطان بالهم ، ولكنه سمع من الاخوان ايضاً كلمة لا تُرد : « هم يدخنون ، يا عبد العزيز ، ولا يصلون . لا يصلون » ؟ فامر السلطان بان يغرم كل من يدخن غرامة مالية — الشتم ممنوع والضرب ممنوع . وان يُنبّه ذوو الامر الى وجوب المواظبة على الصلاة . فاخرجت البلدية منادياً ينادي بوجوب اجابة داعي الله . « فاذا سمع الناس المؤذن يبادرون الى الصلاة في الحرم الشريف ، ومن كان بعيداً عن الحرم فليصل في اقرب مسجد منه . وقد جعلنا من رجال البلدية وغيرها من يناظر المتأخر عن الصلاة لتقرير الجزاء الشرعي عليه » .

ثم ولّى عظمة السلطان الشريف خالداً ، الذي كان يقيم في قصر الحسين ، شؤون الاخوان ، وامر الشريف هزاع من العبادلة على بدو الحجاز ، واقام بينه وبين اهالي مكة احد مستشاريه يعاونه بعض السوربين ، الذين اتحدوا سراي الحميدية مقرأ لهم .

يمثل هذا نظم عظمته بعض الشؤون الداخلية وحل بعض المشاكل الدينية



جده . الحى النبائى

والسياسية في مكة . اما شؤونه الخارجيه فاهمها يومذاك كان يتعلق بقناصل الدول
بجدة . وقد جاءه منهم بُعيد وصوله جواب الكتاب الذي ارسله اليهم من
البادية . وهاكه بنصه :

« من ممثلي الدول الموقعين ادناه الى حضرة صاحب العظمة عبدالعزيز
بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود سلطان نجد الاكرم . بعد تقديم
واجبات الاحترام . قد وصلنا كتابكم المؤرخ في ٢٤ ربيع الثاني عدد ١١٤
وما ذكرتموه صار معلوماً لدينا . اما بخصوص الاقتراحات المتعلقة بحفظ رعايانا
وتأمينهم من خطر الحرب نرى من اللازم ان تذكر عظمتكم بان احترام
رعايانا مبني على حقوق دولية متبعة في ايام الحرب . فبناءً عليه ندعوكم باسم
حكوماتنا جميعها الى احترام اشخاص رعايانا مع اموالهم . وإلا تكونون
مسؤولين بجميع ما يقع عليهم في اي وقت وفي اي مكان كان . اما بخصوص
الكتاب المرسل باسم اهل جدة فنحن لا يمكننا تسليمه نظراً لقاعدة الحياد
التي تتبعها والتي لا تسمح لنا بالتدخل في اي وجه كان . فعليه نعيده
اليكم . وفي الختام ثقبلوا فائق الاحترام .

القائم بشؤون القنصلية وكيل قنصل حلاله معتمد وقنصل
الافرنسية شاه ايران بريطانية العظمى

قنصل جنرال وكيل قنصل
ملاك ايجاليه هولانده

اما فحوى الكتاب الى اهل جدة فقد كان حديث السوق يوم وصوله . وقد
نشر بعدئذ رسمياً في جريدة « ام القرى » فاهم السلطان ان القناصل أرجعوه .
ولكنه قطب وتضجر عندما فض اكتب التي جاءت مع كتاب
القناصل . — وهذا كتاب من المستر فلي . وهذا كتاب من السيد طالب
النقيب . وهذا كتاب من امين الريحاني . ما الذي جاء بهم الى جدة في هذه
الايام ؟ وما الذي ينفونه غير السلام ؟ !

الفصل السابع والاربعون

المفاوضات

الحارس على الباب الشرقي لخط الدفاع يكلم بالهاتف القيادة في القشلة : « عاد النجাব من مكة ومعه كتب الى القناصل والى السيد طالب والريحاني وفلي » .
القيادة بالهاتف الى القصر : « عاد النجاب من مكة » . رئيس الديوان الهاشمي بالهاتف الى رسل السلام : « عاد النجاب »

بادرنا الى القصر ، فادخلنا الحاجب غرفة الملك علي الخاصة ، فاستقبلنا فيها وزير الخارجية . ثم دخل جلالته متعمماً بعمامته البيضاء ذات الذؤابة ، لابسة جبة سوداء فوق انباز من الحرير ، ويده كتب ثلاثة اعطانا اياها مختومة ، فقال احدنا : الملك اليوم موزع بريد . فضحك جلالته وامر بالقهوة .
قرأ كل منا كتابه ، وقدمه للملك فقرأه واعاده دون ان يفوه بكلمة . ثم تبادلنا الكتب كذلك ساكتين . فاطلع كل منا على ما كتبه السلطان عبد العزيز الى الآخر .

قال في كتابه الى « الصديق العزيز المستر فلي » :
« اذا كنتم حضرتم لمقابلتنا ومباحثتنا في بعض الشؤون الخاصة بنا فعلى الرحب والسعة . وسنسهل الطريق للاجتماع بكم خارج الحرم . اما اذا كنتم تنوون التدخل في مسائل الحجاز فلا ارى في البحث فائدة
وانه ليس من مصلحة الخاصة ومصلحتك يا صديقنا جعلكم وسيطاً في هذه المسئلة الاسلامية المحضة » .

وجاء في كتابه الى « حضرة الاخ المحترم السيد طالب النقيب »
« لقد ذكرتم انكم تودون مقابلتنا فنحن نرحب بكم . ولكن يجب ان نعرف

هل المقابلة شخصية ودية ام هي للوساطة في مسألة الحجاز . فاذا كان الغرض من الزيارة التوسط في هذه المسئلة فاني لا ارى فائدة من ذلك واذا كان الشريف علي يود حقيقة حقن الدماء فعليه ان يتخلى عن جدّة . اما اذا قبله العالم الاسلامي وانتخبه حاكماً للحجاز فمحله غير مجهول »

وقال في جوابه على كتاب المؤلف :

« ذكرتم انكم موفدون من قبل جماعة في سوربة وانكم يحملون كتاباً منهم اليّنا . ارحب في كل حال بصديقنا العزيز امين الريحاني ، ولكن احب ان الفت نظركم الى امر هام . وهو اذا كان البحث يتناول المسئلة الحجازية فلا ارى فيه فائدة ، لان مشكل الحجاز يجب ان يحله المسلمون . وترك الامر لهوى انفسنا ليس مما تجيزه المصلحة الاسلامية ولا العربية وفي كل حال اني احب توضيح الامر وجلاءه قبل المقابلة » .

لا سبيل اذن للتوسط . ولكن طريقة السلطان في رد كل منا اختلفت باختلاف الصفات والاحوال . فالمستر فلي تأكد ان عظمته لا يمانم اذا غادر جدّة في اول باخرة — « ان المسئلة اسلامية محضة وليس من مصلحته ولا من مصلحة ابن سعود ان يتدخل بها » . وكن للسيد طالب بصفته مسلم بقية من الامل — « وكيف لا يسمح ابن سعود بزيارة في الاقل بمكة ؟ ومتى تواجهنا تباحثنا ، والمواجهة نصف الحجة في الاقاع » . اما المؤلف فالسلطان ترك له باباً مفتوحاً اذ قال : « اني احب توضيح الامر وجلاءه قبل المقابلة » .

عدنا انكرة على العظمة السعودية ، فكتب المستر فلي مودعاً ، وكتب السيد طالب مستأذناً بزيارة « شخصية ودية » وملاحاً بالاسراع لانه مضطر ان يعود الى مصر قريباً . وكتب المؤلف كتاباً يستوجب بعض البيان .

قد أمر الي احد الاصحاب في القصر شيئاً عن السيد طالب مستغرباً مضحكاً ، واكد لي انه جاد في ما قال . ليس السيد خهم الملك فيعمل اخي الملك علي ؟ او ليس السيد صديق ابن سعود ؟ فلا يستغرب اذا اتفق الاثنان على خصميهما مليكي العراق والحجاز . قلت لصديقي ان تصويره وان كان سياسياً تصور

شاعر - ومع ذلك فقد وضعت ارتيابه موضع الجد . وبما اني ظننت انه اسهل على السلطان ان يقابل طالباً بمكة من ان يخرج في تلك الاحوال الى حداء مثلاً ليقابل صديقه العربي المسيحي ، صممت على ارسال رسولا مسلماً لاصل اليه برسالي قبل السيد . وفي كل حال لم يكن في الامكان ان اؤدي كتابة الرسالة كلها . لذلك كتبت الى عظمتي اقول :

« ان لصديقي حسين العويني التاجر السوري ^(١) في جدة علاقات تجارية في مكة المكرمة ، وهو يحضر للتجارة وللزيارة ، فيتشرف بمقابلتكم اذا اذنتم ويحمل الى عظمتكم بعض خبري . اني اثق بحسين افندي كل الثقة . وفي اليسير الذي سينوب عني به ما يغني عن البياض . فاذا اذنتم بقدومه مروا من يلاقيه الى منتصف الطريق ويصعبه محافظاً الى مقامكم العالي » .

ارسلنا الكتب هذه في ١٢ جمادى الاولى وبتنا ننتظر الاجوبة . فر الاسبوع ولم يعد النجاب . عندئذ ارسل الملك علي يدعونا للمفاوضة فحضرنا نحن الثلاثة ، ولم يكن غيرنا في المجلس ، ففتح جلالاته الحديث قائلاً : « دعوتكم لا بسط ما جد في الحالة واستشيركم . قد جئتم ايها الافاضل الى جدة لخير الفريقين ، بل لخير العرب . ويسوء في والله ان تمس كرامتكم من اجل احد منا — انا والله مخجول . قدم الاسبوع ولم يجئكم الجواب من ابن سعود . والرحل متحرك ، فهو الان يفسد القبائل علينا . ورجاله منعوا عرباننا من ارسال الفحم كالعادة الى جدة . ونحن هنا ماسكون انفسنا . خط الدفاع يزداد منعة كل يوم ، وجودنا مستعدون للحرب ، والطيارات كلها اصبحت صالحة للعمل . لذلك قد قررنا ان نرسل غداً بلاغاً الى اهل مكة بالطيارة ، ثم نرسل سرب الطيارات لرمي

(١) حسين العويني اديب سوري ووطني عربي ثابت العقيدة ، صريح الكلمة ، صادق اللهجة ، صلب الدود . وقد آدت به وطنيته العربية ، في اول عهد الفرنسيين في سورية ، الى المنفى بالكورة ، فقتضى وبعض وجهاء بيروت في الاسر هناك بضعة اشهر . ثم جاء الحجاز تنجاذبه السياسة والتجارة ، فتعاطى الثانية ولم يهجر كل الهجر الاولى . كان اول من اجتمعت بهم من السوريين عند وصولي الى جدة ، فدعاني للعطام في اليوم التالي ، فلقيت بيته رحباً ، وكل ما فيه من فرش وذوق لامعاً ، فنزات ضيقاً عليه . وكنت كل يوم ، لما بدا لي من اخلاصه وصديق وطنيته ، ازداد حباً له ، واعجاباً به . فآخينا وتعاوننا في سبيل السلم والعرب .

القنابل في الابطح ، عل ذلك يوصلنا الى نتيجة فاصلة . وقد دعوتكم لاستشيركم في المسئلة » .

تكلم السيد طالب اولاً فقال : «هل قنابلكم صالحة ؟ هل انتم متأكدون انها تنفجر . فاذا كانت قديمة ولا تنفجر تعود بالضرر عليكم ، فلا يخشى العدو بعدئذ الطيارات . يجب ان تجربوها قبل ان تقدموا على العمل ، فاذا كانت صالحة فلا بأس » .

ثم تكلم المستر فلي : « من رأيي يا جلالة الملك ان تنتظروا الى ان يجي الجواب . ومثل هذا العمل الحربي قبل ذلك في الاقل لا يأتي بفائدة » .
اما المؤلف فلم ير من الحكمة ان ترسل الطيارات الى مكة بصفة حربية . « انكم وان امرتم برمي القنابل في الابطح فقط تضرون بمصلحتكم حتى وان قيد الطيارون بأمر القيادة العليا . نحن نعرف ان الابطح ساحة خارج مكة الى الشمال الشرقي منها ، ولكن العالم لا يعرف ذلك . واول قنبلة تقع هناك بطير البرق خبرها ، فتشره الجرائد خصوصاً المعادية لكم بالقلم العريض . — الملك علي يطر مكة ناراً من الطيارات — طيارات الملك علي تطير فوق الكعبة وترمي قنابلها في قلب المدينة ! وهذا مضر بامم جلالتم ومضر بالمصلحة العربية » .
قد وافق المستر فلي على رأيي وأوماً الملك برأسه انه مقتنع . ولكنه ظل متمسكاً بنظرته ان الطيارات تخرج ان سعود من مكة ، وتحمله على الفصل في الامر . فطابنا تأجيل العمل ثلاثة ايام ، فاجاب جلالته الطلب . ثم قال السيد طالب : « واثناء ذلك تجربوا القنابل » .

ولكن التجربة لم تكن ضمن خط الدفاع بل في الطريق الى مكة ، فوق بحرة ، وقبل ان تنتهي مدة الانتظار . فغضب المستر فلي غضبة انكازية وقلنا على الصلح السلام . على ان النجاء عاد في صباح اليوم التالي ، اي العاتر ، يحمل الاجوبة من السلطان ، وفيها لصديقه المستر فلي الدعاء بالسفر الميمون — بامان الله . وفيها للاخ المحترم السيد طالب ان مكة في حال من الاضطراب لا تجوز معها المخاطرة براحته . « وستصلكم وانتم في مصر اخبارنا الطيبة ان شاء الله » .

سوفيها في جوابه على كتابي :

« قد سمحت لصديقكم حسين العويني بالقدوم الينا ، فزودوه بكل ما لديكم من الكتب والافكار والاراء وانا نرجوا ان يحسن نقل افكار صديقنا امين الريحاني . . . واني اشكرك على تجشمك المشاق الجسيمة في خدمة العرب وفي سبيل قضيتهم » .

قد جلا هذا الجواب جو القصر فبش الملك واستبشر الوزراء ، كما انه لطف به روح الجندية خارج السور . والجندية طبعاً وصفة عدوة السلام .

بادرنا الى الجواب والعمل ، فكتبت الى عظمة السلطان اقول : « اني مرسل مع العويني كتاباً من وجهاء المسلمين في بيروت ، ومذكرة ضمنيتها ارائي في الحالة الحاضرة ، واثرت الى نقاط يتوسع في شرحها العويني . فاذا كنت مصيباً فلولاي وصديقي عبدالعزيز لا يتبع غير الصواب . وان كنت مخطئاً فحي واخلاصي يشفعان بما قد يعد نقصاً في علمي . اما اذا كان في ما قدمت مزيج من الخطأ والصواب فانا اول من يرغب في التمهيع . واني اقبل الحقيقة من السوق ، فكيف لا اقبلها من الملوك . علموني يا طويل العمر اذا كنت مخطئاً ، واسمعوا لي اذا كنت مصيباً » .

لم يشأ العويني ان يسافر من جدة الاحرم ، فاشفقنا عليه من برد دسمبر ، خصوصاً في الليل . ولكنه أصر على الاحرام وهو يقول : « لوجه الله وللقضية العربية » .

ثم اعطاني ساعة الوداع غلاماً محتوماً وقال : « اذا لم ارجع يا امين فهذا الغلاف لأمي في بيروت » . عندئذ ادركت حقيقة الخطر ، خطر الطريق في الاقل ، واحسست بشيء ثقيل حل في قلبي . ولكنني موته ما لي وانا اسر اليه الكلمة الاخيرة .

ودعناه امام القصر ، بعد ان ودع جلالة الملك ، فركب البغلة التي كانت تحمل حقائبه وسار بعد الغروب بامان الله يصحبه خادمه والنجاب ورفيقي آخر . بامان الله . ولكن الطريق لم تكن آمنة . فقد لقي صديقي ورفاقه في بحيرة تلك

الليلة ، في القهوة المهجورة المظلمة التي أووا إليها ، ما يروّج حتى البدو . دخلوا بعد نصف الليل ليناموا ، او يستريحوا قليلاً ، فاحس العويني عندما التقى بيده الى الارض ان هناك شيئاً مائعاً لزجاً ، فاشعل عوداً من الكبريت فاذا به دم واذا بالدم لا يزال طرياً . فاشعل عوداً آخر فاذا بالجثة — جثة اعرابي — قريبة منه ! ولكنّه ورفاقه ، بعد استراحة قصيرة في العراء ، ادخلوا من ذلك المكان سالمين ، فوصلوا في ظهر اليوم التالي الى المخيم السلطاني بالشهداء^(١)

وكان العويني رسولاً مكرماً ، وفي احاديثه مع السلطان مقنعاً ، فلم يبطىء عظمته هذه المرة بالجواب . غاب العويني ثلاثة ايام فقط ، فعاد في الخامس والعشرين من شهر دسمبر . وصل الى جدة مساء ذاك اليوم ، فوقف في باب الردهة التي كنا ننتظره فيها ، وهو يحمل حقيبته ويتنسم ابتسامة خفقت لها القلوب سروراً . وقد كانت ساعتئذٍ مع الملك رئيس الحكومة الشيخ عبدالله سراج ، ووزير الخارجية الشيخ فؤاد الخطيب ، ورئيس الديوان الهاشمي السيد احمد السقاف . سلم العويني وجلس على السجادة ، فاخرج من حقيبته كتاب السلطان ودفعه الي ، فقرأته وقدمته لجلالة الملك ، فطالعه ونور الجدل يكسو محياه . — « قضي الامر . وما تبقى غير الجزئيات . بارك الله فيك يا حسين . بارك الله فيك يا امين » . قال هذا وقبلنا نحن الاثنين . ثم نزع عن رأسه العقال والكوفية ونادى : هاتوا شاي يشهد الله اني لا احب ان تهرق نقطة واحدة من دم العرب .

كان جلالاته تلك الليلة في بهجة قلما شاهدناه في مثلها . ولا غرو ، فمن سجاياه الشريفة انه رجل مسالم محب للسلم .

(١) كان قد نقل المخيم من المعابدة بالابطح الى الشهداء خارج مكة في طريق جدة . والشهداء سهل يبعد عن جردل اي طرف مكة الغربي نصف ساعة .

الفصل الثامن والاربعون

الطيارات

كان هناك اناس لا يرضون بالسلم ، منهم في مكة الاخوات وبعض الاشراف ، ومنهم في جدة الجندية وجماعة من وجهاء الاهالي المناوئين للبيت الهاشمي . وقد كان لكل فريق من هؤلاء ، في مكة وفي جدة ، غرض خاص في مقاومة المتوسطين وافساد مساعيهم . على ان غرض الاخوان اطهرهم لانه ناشيء عن عقيدة راسخة في النفس ، ومجرد عن المنافع الشخصية . اما الآخرون ، اي الجندية والمناوئون للبيت الهاشمي في جدة ، فقد كانوا ينشدون اما الشهرة ، واما الانتقام ، واما المنفعة . وسنسردها بالحوادث تبياناً وبرهاناً .

عندما جاء الاذن من السلطان عبد العزيز بارسال رسولي العويني اليه ، كمر الملك علي اوامره الى القيادة العالية في ان تؤجل ارسال المنشور الحربي الى اهالي مكة الى ان يصدر امر آخر بخصوصه ، وان تحتفظ بالنسخ فلا تأذن بنشر نسخة واحدة منه ، وان تشدد على الطيارين بان لا يتجاوزوا في استكشافهم بحرة .

ولكن القيادة العالية تجاوزت الامر الملكي . ففي اجمادى الثانية (٢٧ ديسمبر) اي بعد يوم من سفر النجباء وهو يحمل الى عظمة السلطان جوابي وفيه التمس ان يعين مكاناً لاجتماع وفود السلم ، بعد ظهر ذاك اليوم طارت طيارة الى مكة ، ورمت في الابطح وفي الخيم السلطاني بالشهداء نسخاً من منشور الملك علي ، المنشور الحربي الى الاهالي ^(١) .

(١) جاء في هذا المنشور : « لقد جمعنا شعبنا واقبل اخوانكم الينا من كل حذب وصوب حتى اصبح لدينا والحمد لله من الرجال والعتاد ما يرد كيد العدو في نصره . ولقد جهزنا جندنا بكل الوسائل الفنية والمعدات الحربية ، وما نحن على اهبة الرحيل اليكم ونطهير بلادنا من المفتصب لها . ستبدأ طياراتنا بالتعليق في جوكم لتمطر العدو وابلا من القذائف النارية . كونوا على ما نعهد فيكم من الثبات والطمأنينة والشجاعة . . . ولا تجعلوا



حسين العويني

وكانت قد طارت منذ يومين ، اية قبل انقضاء مدة التأجيل التي امر بها الملك ، فتأهدها العوفي بعد خروجه ذاك اليوم من الخيم السلطاني وعند وصوله الى التسمية . سارعت الى القصر واجه الملك ، فادهشني منه انه جهل الامر . وما كان الوزراء ولا رئيس الحكومة عالمين به . ففرع جلالته الجرس الصغير على المائدة الصغيرة امامه ، فجاء احد كتبة الديوان فقال له : « نادي تحسين باشا ليحضر حالاً » . جاء تحسين ، وأقر ان الطائرة تجاوزت بحيرة ، ولكنه انكر انها رمت نسحاً من المنشور .

اما السبب في تجاوز الاوامر — كلام الباشا — هو ان خلافاً صغيراً في المحرك حمل السائق على الاسراع في السير ليقبى الطائرة من السقوط الى الارض ، فطارت بحكم الاسمرار في خط مستقيم طيرة طويلة ، فلم يتمكن اتناء ذلك من ضبطها وردّها . لم يفه جلالته بكلمة . انما اوما برأسه انه مقتنع ، فقلت وفي صدري غضب مكوم : « لا اظن يا باشا ان هذا السبب كافٍ لتبرير التجاوز . وانت ادرى بنتيجة المخالفة للاوامر العالية في ايام الحرب » .

فقال تحسين : « ما هو بالامر المهم » .

فقلت : « كل امر ملكي مهم يا باشا » .

فكلم اذ ذاك حالاته محاصبا القائد بالركية ، فنهض مسالماً . احترف . وفي اليوم التالي حآ تي فحاصيل احداث ، فاستت ضي ان تحسباً . يصدق المثل لحر ، فبادرت الى القصر وكلمت حلاله قائلاً : « ماذا يقول السلطان

للعنود سبلا الى الفرار . . . واعملوا لتخليص وطنكم بكل ما اوتيتم ، فالوطن اعلى من كل شيء لديكم » .

وفي جواب الملك علي علي كذاب اهل مكة الذي يطلبون فيه الارزاق . المؤرخ في ٢٥ حادي الاولى ما يلي : فان كان هو [ابن سعود] وادناه يحترمون حرم الله وحيراه ويعملون مثل عملي ويخرجون الى خارج الحرم فهاك تظهر حقائقهم ان شاء الله ويرون كيف يكون الذود عن الحاض والدفاع من الحورة . وان لم يجرحوا ولوا . مكاشم حامدين ماشا سوايهم من بين ايديهم ومن خلفهم . ومن فوقهم [العيارات] حتى تكون كلمة الله هي العليا

قد سكان في القصر كما كان في القشة اناس لا يملك الملك علي قيادهم

بعد ان يقرأ كتابي ثم يشاهد طيارتكم ويقرأ منشوركم الحربي ؟ لا شك انه يقول
اتي اما مخدوع واما مخادع . ان هناك مؤامرة يا مولاي لافساد مساعيها السلمية ،
ونقطة الدائرة لتلك المؤامرة هي القشة . نعم ان هناك زمرة من الضباط وغيرهم
لا يريدون السلم . وانا اسعى بكل ما عندي من القوة ، ومن الحب والاخلاص
لكم ولابن سعود ، في سبيل السلم . فاذا كنتم حقاً تبغون السلم فعليكم بالشدة في
تنفيذ اوامركم . القيادة العليا لجلالتكم لا لتحسين الفقير واركان حربه . ويجب ان
توقفهم عند حدودهم . يجب ان تتخذوا خطة العزم والشدة في تنفيذ اوامركم .
وحقي ان اطلب ذلك ما زلت ساعياً في سبيل السلم وما زلت انتم راضين بسعيي »
عند ذلك اخذ جلالتيه يدي بيده وقال : « اتي اميل الى حسن الظن
بالناس ، ولا امي* الظن الا بعد التثبت والتحقيق . وقد تحققت اشياء — تحققتها
يا امين — وسياسر فلان وفلان وفلان في الباخرة القادمة . وساوبخ تحسين
باشا ، ولكني افضل ان يكون ذلك في مجلس خاص له » .

خرجت والشيخ فؤاد اذ ذاك من المجلس وعرجنا على مكتب رئيس الديوان .
ثم جاء تحسين امثالاً لامر جلالتيه وخرج من المجلس الخاص متغيظاً . وفي
ذاك اليوم صدر امر ملكي بنقل اعداد المنشور كلها من القشة الى القصر
وبحبس ضابط المراقبة عشرة ايام .

اجتمعت بعدئذ بهذا الضابط ، وهو عبد الفتاح اللاذقي ، فسألته ان
يصدقني الخبر ، فقال : « عملت والله باوامري . نعم طرنا فوق الابطح والشهداء
ورمينا المناشير » .

اعود الى مذكراتي في تلك الايام

٣ جمادى الثانية (٢٩ دسمبر)

لم يعد النجباء . اخشى ان يكون المنشور قد اثار غضب السلطان فيعدل عن
خطته السلمية .

وكأني احسست وانا في جدة بما هو جار في مكة . فقد عقد في ٤ جمادى
الثانية بالشهداء مجلس حربي ترأسه السلطان وحضره جمع من القواد والاخوان ،

«فتكلم فيه ابو حميد ابن بجاد مخاطباً الامام عبد العزيز :
 « اننا نعلم ان لا صلاح في امر دين ودنيا للمسلمين عموماً ولهذا البيت واهله
 خصوصاً بوجود الحسين واولاده في الحجاز . فاذا كان هذا ثابت عندنا ونعتقده
 ديناً فما المانع من الزحف عليهم وقتالهم ؟ فان كنت تخاف على احد من رعايا
 الاجانب او احد من اهل جدة فلك منا العهد والميثاق اننا لا نهمهم بشر — الا
 من يبرز منهم لقتالنا او بلانا بنفسه ، ونحن كما تعلم نتجنب ما تأمرنا بتجنبه . . .
 والآن فلا بد لنا من احد امرين . الاول ان تعلمنا الطريق الذي يجب ان نسير
 فيه ونحن نكفيك مؤونة الامر . الثاني اذا سكنت لا توافق في الزحف لما تراه
 من الامور التي انت اعلم بها منا ، فلا يجوز ان نظل بعيدين عن اعداء الله هذا
 البعد . بل يجب ان تقترب منهم ونضيق عليهم الخناق حتى يحكم الله بيننا وبينهم .
 اما الامر الاول فهو مرامنا ، واما الثاني فليس الامر ضاة لخاطرك « يا لأمام » لان
 الله اوجب علينا طاعتك » .

ثم تكلم خالد بن لوّي فقال :

« يا عبد العزيز اني اقول كلمة وان كانت تغيظك . كنا نتحدث فيما بيننا
 ونقول : قد بدل عبد العزيز الشجاعة بالجبانة وكنا قبل قدومه نتمنى قدومه .
 اما اليوم فصرنا نقول : ليتة ظل في بلده بعيداً عنا . فان كان هناك دليل شرعي
 يؤخرنا عن القوم فينبه لنا حتى تتبعه . وما نحن الا خدام الشرع . واذا كان لا
 قصد لك غير الشج بانهضنا عن الموت فما من احد يموت قبل يومه . وما نتمنى
 والله ان نموت الا شهداء . فاي قتال تراه افضل من قتال الحسين واولاده ؟
 واي عمل جاء فيه الضرر للاسلام والمسلمين اكثر من عمل الحسين
 واولاده ؟ » .

هذه من اخبار مكة الرسمية . اعود الان الى مذكراتي .

٧ جمادى الثانية (٢ يناير ١٩٢٥)

غيمة سوداء في سماء السلم . كنت في مجلس المالك صباح اليوم عندما وصل
 رسول من مكة يحمل الى جلالته كتاباً مرياً من احد انصاره هناك ، فاخبر

الرسول ان جنود خالد تقلت من الابطح ، ولا يدري احد اين توجهت ، وان
خالداً هو عند السلطان بالشهداء ، وان السلطان يتأهب لثقل الخيم الى بحره .
كان الملك قد قرأ الكتاب ووضع وهو عابس مضطرب في جيبه . ثم
اخرجه واعاد قراءة شيء منه على مسمع رئيس الحكومة ووزير الخارجية
ومسمعي . — اجتمع ابن سعود بالاشراف — اشراف الحرث والفعور
والعبادلة . وتباحثوا في انتخاب ملك الحجاز . وكان الاجتماع في قصر الملك
حضره من المعروفين الشريف شرف عدنان والشريف باشا العبدلي والشريف
هزاع بن قن بن منصور .

هؤلاء اعداء السلم في الجهة الاخرى بمكة ، فترام وقد ناصروا ابن سعود ،
يخافون على انفسهم اذا عاد علي . وقد قالوا للسلطان عبد العزيز : « اتصالح من
عاديناه من اجلك ؟ انتركنا في بلادنا ينكل بنا ونحن الان من رجالك ؟ »
٧ جمادى الناية منشاء الجمعة .

وصل جماعة من اهل جاوه من مكة فاخذوا ان ابن سعود ومعه نحو الف
من جنوده وصلوا الى حداء .

في مجلس الملك : دخل تحسين باشا الفقير وعارف باشا الادلي ووزير الحرية
والبحرية وعلى وجهيها سيماء الغضب والاضطراب .
احد الوزراء : « سلمنا ان الاخوان مشوا من بحرة ، وقريباً يصلون الى
الرعاة » .

الوزير الآخر : « يجب ان نرسل عليهم الطيارات ، لعنهم الله ولعن
اجدادهم » .

الوزيران : « غداً صباحاً نرسل الطيارات كلها عليهم فتمطرهم النار
والرصاص وتقضيهم ان شاء الله » .

ثم احتدم الجدل ، فقال وزير الحرية : « هذه المساعي السلمية تحول
دون تنفيذ خطتنا العسكرية » .

وزير البحرية : « بل افسدت علينا خطتنا واضرت بمصلحة جلالكم ومصالح

«البلاد» .

فقلت : « ومن افسد المساعي السلمية يا باشا ؟ والله لو كنتم مخلصين لمصلحة جلالة الملك ومصالح البلاد لتقيدتُم باوامره العالیه » .
الملك : « قد تغيرت الوضعية يا استاذ — ويجب ان نحتاط للامر . يجب ان نباشر الان الدفاع » .

الوزيران : « غداً صباحاً تطير الطيارات » .

— « قبل ان يعود النجاب ؟ » .

— « النجاب لا يعود » .

— « قلتم هذا القول في المرة السابقة . ثم عاد النجاب وسرکم الجواب » طلبتُ ان تؤجل الحركات العسكرية يومين آخرين ، الى اللاحد ، فأجيب طلي على شرط ان اكتب في تلك الساعة الى ابن سعود استعجل جوابه . فكتبت اقول : « علمت هذا المساء ان رجال عظمتكم وصلوا الى حدباء في صورة حربية ، فاخذني من ذلك العجب . وارجو ان يكون الخبر مكذوباً . في كل حال التمس الجواب العاجل » . ثم كتبت الحاشية الآتية : « الطيارة التي اشرفت على مكة تجاوزت الاوامر فعوقب الطيار بالحبس » .
السبت في ٨ جمادى النانية .

طار الطيار الرومي صباح اليوم الى وادي فاطمة ، فخلق فوق بحيرة وحداء والشمسية ، وعاد يقول انه لم ير ابن سعود ولا جنوده ولا احداً من البشر او الحيوان في الطريق . — اين الاخوان الزاحفون من بحيرة ؟
الاحد في ٩ جمادى النانية صباحاً .

نائب قنصل هولانده على الهاتف : « وصل جماعة من مكة في هذه الساعة ولك ان تستخبرهم اذا شئت » . . . بادرت الى القنصلية فعلمت انهم عادوا من مكة يوم الجمعة بعد الصلاة في الحرم ، ولم يكن هناك كثيرون من المصلين ، وانهم عند خروجه من جردل رأوا قافلة من الجمال وفيها بين الاحمال ثلاثة مدافع ، وانهم عند وصولهم الى حداء رأوا فيها خياماً عديدة ، نحو مئتي خيمة . هناك وقفت

القافلة وهناك بات الجاويون . وفي صباح اليوم التالي السبت ، رأوا طيارة تطير فوق حداء وقد اطلق عليها الاخوان بنادق . هي الطيارة التي طارت الى الشميسة كما ادعى الطيار والمراقب وقالوا له . لم ير يا احداً في الطريق) .

جئت من القنصلية الى القصر ، فقال الملك بعد ان اخبرته عن الطيارة التي اطلق الاخوان عليها الرصاص : « قد تكون الغيوم حالت دون رؤيتهم » . وكيف انها لم تحل دون الطيارة ونظر الاخوان ؟

دخل اذ ذاك الحاجب يقول : الوكيل الانكليزي . وكان الوكيل قد جاء بهنيء الملك بصحته . وبعد قليل دخل تحسين باشا فدق مهازي جزمته دقة مربعة شديدة ، وسلم ، ثم استأذن بكلمة خاصة . فقال الملك : مهمة ؟ فاجابه : مهمة جداً ، ومشى وراء جلالته الى الغرفة المحاذية للمجلس . وما هي الا دقيقة فعاد الاثنان يتسلمان والملك يقول : « جاؤوا — نحو مئتين خيال منهم . رأيتهم القيادة خارجين من بين الجبال » . وقال تحسين يحاطب الوكيل الانكليزي : « انا رأيتهم بعيني . صاروا في السهل » .

صدر الامر باطلاق المدافع عليهم ، وبادر كل من في القصر ، من الشريف محسن الى اصغر العبيد ، الى البندقية وزنار الخرطوش ، ووقف جلالته وبعض حاشيته في شرفة القصر يراقبون السهل بالنظارات .

دعاني الوكيل الى دار الوكالة لان له منظرة تشرف على السهل كله ، فخرجنا من القصر ونحن نلامس ، رغم الاستعداد ، الخوف والدعر . وقد ظن الناس ان الاخوان يهاجمون خط الدفاع في ذاك اليوم ويحترقونه فيدخلون المدينة . لذلك اقلت المخازن ولجأ الاكثرون الى بيوتهم .

وكانت المدافع تطلق الطلقة تلو الاخرى على الاخوان . واين الاخوان ؟ كنا نرى من منظرة دار الوكالة البريطانية غباراً هنا وهناك ، في اطرافه السهل ، غباراً تشير القنابل المتفجرة ، ولا احد في جوارها .

ثم خرجت الخيالة من بين الجبال ، فعدت تجاه الخط الى الجنوب . وظهرت فرقة اخرى في الشمال الشرقي من السهل . هي خيالة التوحيد ! نحو ثلاثمئة منهم .

جالوا في ذاك السهل في رابعة النهار جولات عدة ، وقنابل المدافع ثير الغبار بينهم حيناً واحياناً وراءهم . وقد كان هناك قطيعاً من الغنم فساقوه امامهم وهم يتراجعون . وكان قد خرج اليهم ثلاثون من خيالة الدروز في الجيش الحجازي ، فجالوا مثلهم بضع جولات ، ووصلوا الى نزلة بني مالك التي ظنوها مكاناً لبعض الاخوان ، فلم يجدوا احداً هناك .

وفي ذاك اليوم ، ساعة الظهر ، وصل النجباء عائداً من مقر السلطان يحمل اليّ جواباً هو ، لما تقدم من الاسباب ، عكس جوابه الاول .

الفصل التاسع والاربعون

علينا وعلى رسل الرمة

عاد السيد طالب النقيب من جدة حائقاً على ابن سعود . وعاد المسترفلي مريضاً فكان حنقه على جدة وكل من فيها . وسافرت انا منها حاملاً في حقيقتي قنبلة من قنابل المدفعية النجدية .

ولكني قبل ان ظفرت بها عرضت نفسي لقنابل الغضب السلطاني . ذلك لاني لم اقطع الامل وازمع الرحيل قبل ان استنفدت كل ما في الوسع ، واغتمنت كل فرصة سنحت ، في سبيل ما جئت جدة من اجله .

نعم ، كنت اعتقد واثقن ان الخير كل الخير في الصلح بين نجد و الخجاز . وما همني ان تحرح كرامتي في هذا السبيل . لا والله . فما كرامة المرء اذا قيست بكرامة الامة ؟ وما ضر امري اذا صد في سبيل وطني شريف . بل ما ضره اذا استطاع ولو في تعريض نفسه للاهانة ، ان يحقق دماء المتحاربين من اهل وطنه ؟ ان اصالة الرأي في مثل هذه الحال لفي التضحية الشخصية ، والذي يحزن المجاهد المخلص هو اخفاق السعي لا امتهان الحرمه .

كتبت الى عطمة السلطان عبد العزيز مظهراً دهشتي من الانقلاب السريع في خطته ، كتبت اليه مكالوماً ، وكتبت اليه مالوماً . فاجابني بلهجة فيها اثر للغيظ ولكنها لا تحلو من العطف ، ولا تملو حتى من امل كنت اقرأه بين السطور . فلم يقفل الباب على الثالث من رسل السلام الا في كتابه الاخير . وقد كان يكرر قوله : « ان الشريف علي دعانا للمناجزة ^(١) فليباه لم نشأ ان نحمل الشريف علي مؤونة القدوم الى الحرم ، فزحفنا اليه وامرنا ان

(١) اشارة الى المشور الحربي الذي رمته الطيارات في الابطح بمكة وفي المخيم السلطاني



٣٦٠ - ٣٦١

مقر الملا الأحمر

يكون قسم من جندنا على كشب منه . فليبر بوعده اذا كان من الصادقين » .
ومع ذلك ظلت مقيماً على ظني ان الصلح ممكن حتى بعد المناوشات الاولى
خصوصاً لان في العشرة الايام التي تلت الهجوم الاول لم تبدُ من الاخوان حركة
ما ، ولا ظهر شيء من طلائعهم في سهل جدة . وعندما حضر طيب التكية
المصرية بمكة وهو عائد بالاجازة الى مصر ، اجتمعت به في مخيم الهلال الاحمر
فظهر لي من حديثه انه عالم بشيء مما كتبت الى عظمة السلطان . ونقل الي
بعض كلمات دلت على انه من الذين يحضرون مجلس عظمتهم الخاص . وبما قاله :
« السلطان يحترمكم وينوه دائماً بذكركم ، فاكتبوا اليه مرة اخرى ولكن لطفوا
اللهجة » . ثم تطرق الى ذكر الهلال الاحمر وسألني بل الح علي ان اسعى لدى
الحكومة لتأذن بارسال قسم من البعثة الى مكة .

الهلال الاحمر المصري يستوجب كلمة في هذا التاريخ . فقد ارسلت الجمعية
المركزية في القاهرة بعثة الى الحجاز مؤلفة من ستة اطباء وصيدي وثمانية ممرضين
واربع ممرضات وحكيمة واحدة ، وكات البعثة مزودة بكمية وافرة من الادوية
والعقاقير ، وبمستشفى متنقل مؤلف من ستين مريضاً بمعداتها اللازمة .

نصبت هذه البعثة خيامها في الطرف الجنوبي من جدة عند وصولها ، ثم
نقلت الى الطرف الشمالي ، الى مكان اطف وافصح من الاول ، على شاطئ
البحر ، وراء القنصلية الفرنسية ، وامام البيت الذي كنت مقيماً فيه . فكنت
ورئيسها الدكتور حسن حلمي كرايه تتزاور من حين الى حين .

وعندما ظهرت طلائع الجيوش النجدية في ٤ يناير ، وقطع الناس الامل
بمفاوضات الصلح ، طلب الدكتور كرايه من الحكومة ان تأذن بارسال قسم من
البعثة الى الجهة الاخرى لتتم وظيفتها ، فرفضت الحكومة قائلة ان الطريق غير
آمن وانها لا تستطيع تأمينه . فجاء رئيس البعثة يسألني ان اعرض المسألة على
الملك فوعده بذلك . وفي ذاك الصباح ، بعد خروج الدكتور ، زارني رئيس
الحكومة فكلمته في الموضوع وبيّنت له الخطأ في رمض الطالب ، لان المشروع
خيري ولا دخل فيه للسياسة ، الى ان مات : « هؤلاء رسل الرحمة فلا يجب

ان يقال فيكم انكم صدقتموه عن العمل الذي انتدبوا له .
وعدني عطوفة الرئيس خيراً ، ولكنه بعد يومين ، عندما راجعته في
الموضوع ، قال معتذراً : « لا جمال عندنا لنقل البعثة واحمالها . » من
لهجته ان هناك غير هذا العذر مما لا يجوز التصريح به .

ثم جاء طبيب التكية بمكة يحدد الطلب ، فسأله : « وهل يرسل السلطان الى
منتصف الطريق جمالاً لنقل احمال البعثة ؟ » فاجاب : « نعم هو يرسل خمسين
جمالاً » فذهبت اذ ذاك الى القصر وعرضت الامر على الملك علي . سأله باسم
الانسانية ان يأذن بارسال جزء من البعثة الى ما دون الخط ، وقلت انها فرصة
اغتنمها لاكتب الى السلطان مرة اخرى في موضوع السلم . بل هي فرصة يجب
ان يغتنمها جلالته ليظهر ان لا حقد في قلبه على المصريين . واذا لم تأت بفائدة
سياسية فلا اظن انه يحول دون فائدتها الاصلية الشريفة . الهلال الاحمر
خير محض ، لا سياسة له ، ورجاله رسل الرحمة .

فقال الملك ، وقد وضع يده بلطف على يدي : « هل هو محض خيري
يا استاذ ؟ » ثم امر اليّ السبب الحقيقي في رفض الطلب . — « قد جاءني
كتب من مصر يحذرنى اصحابها من هذه البعثة الخيرية . اكيد يا استاذ انها
ليست محض خيرية . ان لها صبغة سياسية ، وان لم تظهر للعيان . واث تعلم
موقف مصر السياسي تجاه الحجاز في السنين الاخيرة . فهل ألام ، والبلاد في
حرب ، اذا تحذرت ؟ وهل كنت انت لتساهل في الامر لو كنت من المسؤولين
في الحكومة ؟ » .

سمعت كلام الملك ولكنني لم اقتنع . وحزنت لانني لم استطع ان اقنع
جلالته بما اعتقده في تجرد البعثة عن السياسة . وهب ان ما جاء الملك علي من
المعلومات هو محقق كله افما كان في وسعه وهو المعروف بكرم الاخلاق ،
المتصف بالتساهل ، ان يحسن معاملة اعضاء البعثة فيستميلهم اليه ؟ لم ار مرة في
مجلسه احداً من الاطباء المصريين . وما علمت انه مرة دعا رئيسها للطعام مثلاً
في القصر .

نعم قد كان في امكانه ان يكتسب ثقة رجالها ويستخدمهم ، اذا فرضنا ان ذلك ممكن ، لغرضه . قد كان في امكانه ان يصلح من هذا القبيل ما افسده والده ، فيغتني الفرصة التي سنحت البعثة بها ليعقد حبل الولاة بينه وبين مصر ، وليفتح باباً جديداً للسلم بينه وبين ابن سعود .

عدت من القصر يائساً . ولكنني مع ذلك كتبت الى السلطان عبد العزيز كتاباً آخر اقول فيه اني لا ازال في جدة وعمل في بقائي ، نظراً لتطور الامور ، فائدة لعظمته ، فجاءني منه الجواب الذي فيه فصل الخطاب .

ثم ختمه في صباح اليوم التالي بقنبلة انفجرت في الشارع امام البيت الذي كنت مقيماً فيه . وتلتها قنبلة انفجرت خارج السور ، في مخيم الهلال الاحمر !

ان الحرب قائمة ، وهي ذي قنابلها تنذر رسل السلام ورسل الرحمة معاً .

الفصل الخمسون

المنابر والمطالعات

قبل ان نسرد المهم من حوادث هذه السنة ، سنة الحصار ، اي بعد ظهور الاخوان للمرة الاولى في سهل جعدة الى يوم التسليم ، يجب ان نحيط القاري علماً بقوات الفريقين وبخططها الحربية .

عندما بويغ الامير علي بالملك ، بعد تنازل الملك حسين ، ارسلت الحكومة الهاشمية الى الامير عبد الله في عمان اربعين الف ليرة ليبنذها في التجنيد ، وفي شراء العدد الحربية من اوروبا ، خصوصاً الطيارات والسيارات المصفحة .

باشير الامير التجنيد بمساعدة بعض الزعماء بفلسطين ، فجاءت ١٣٤٣ هـ
١٩٢٤ - ٢٥ م فرقة المتطوعين الاولى في ربيع الاول من هذا العام ، كما اسلفنا القول ، وتلتها فرق اخرى حتى بلغ الجند النظامي نحو الف جندي يوم كنت هناك . ثم جاء في شهر رجب فرقة عددها مئتان وثلاثون ، وفي رمضان فرقة اخرى عددها خمسمئة .

ولكن هذا الجيش كان معرضاً لعاملين مستمرين في تنقيص عدده هما المالاريا والذنتاريا ، ثم الوفيات والاصابات في المناجزات . والذي يقال في النظام يصح في البدو وعددهم في اعلى درجة لم يتجاوز الالف والخمسمئة مقاتل . اما المال فلم يكن للحكومة ، بعد ان تفدت خزينتها ، غير مصدر واحد هو الحسين في العقبة . فقد جاءت « الرقمتين » في شهر رجب تحمل صندوقين فيهما خمسة عشر الف ليرة ، وجاءت في رمضان بخمسة آلاف اخرى ، ثم في شوال ابجرت « رضوى » من العقبة وهي تحمل لمساعدة الجيش عشرين الفا من الذهب .

وفي هذه الاثناء فرضت الحكومة على التجار قرضاً قيمته اثنا عشر الف ليرة . ثم نقل الحسين من العقبة — بعد عن جدة والبعد جفاء — فلم يرسل بعد ذلك غير دفعة واحدة صغيرة اي خمسة آلاف ليرة . فاخذ العسر المالي منذ ذاك الحين يشتد يوماً فيوماً ، حتى اضطر الملك علي في صيف هذا العام ان يرهن اطيانه الخاصة في مصر لقاء قرض قيمته خمسة عشر الف جنيه .

ومع ان مجموع ما صرف في سنة واحدة من الحرب لا يتجاوز المتني الف ليرة ، فلولا الاسراف — والاختلاس — في شراء العدد الحربية والذخيرة لكان العسر المالي اخف على الملك وحكومته . لا نذكر غير مثل واحد من الفحش في ارباح الوكلاء والسماحة . فقد دفعت الحكومة سبعة آلاف ليرة انكليزية ثمن ثلاث طيارات قديمة جاءت من لندن ، وهي لا تساوي بالاكثير غير الف وخمسمئة ليرة . قبل ان جاءت هذه الطيارات كان عند الحكومة الهاشمية خمس ايطاليات لا يصلح منها للعمل غير واحدة . ثم جاءها من المانية في الصيف ست طيارات جديدة تحمل الواحدة من البنزين ما يكفيها لتطير ست ساعات ، وهي مجهزة بالمدافع الرشاشة ، ومعها قنابلها الخاصة بها .

اما الطيارون فقد كانوا في اول الحرب روسيين من الحزب القيصري ، وكانوا في اخرها من الالمان . ولكن فترة شمالات محي * هؤلاء وذهاب اولئك فتوقفت فيها حركة الطيران . وهناك اسباب اخرى لما كنت في هذا السلاح الحربي من القمص وعدم الكفاءة . فالطيار الاجنبي حريص على حياته فلا يطير واطناً ليصيب اذا رمى ، او ليري اذا طار مستكشفاً . ولم يكن لدى القيادة العامة في بادىء الامر قنابل خامسة ، فاصطنعت من القذائف ما لا تأثير كبير لها ، اللهم اذا انفجرت طبق الحساب . ولكن اكثرها كان ينفجر قبل او بعد الوقت المعين . ناهيك بالبنزين فلم يكن لدى الحكومة دائماً الكمية الكافية منه . وقصة المصفحات شبيهة بقصة الطيارات من وجهين هما غلاء الثمن وقلة الفائدة . فالسيارات الخمس الاولى ، التي خاضت معارك الحرب العظمى ، جاءت وصفائحها مفككة ، فظل العمال في « الورشة » يشتغلون شهراً في تاليفها وتركيبها . وهي

لأتسير غير ساعتين سيراً متواصلاً فتحتاج اذ ذاك الى الماء . اما الاثنان
اللتان جاءتا بعدئذ فجددتان هما ، ومجهزتان بالرشاشات . وقد كانت القيادة
تبني عليهما آمالها العالية .

ولكن السيارات التي افادت أكثر من سواها هي تلك النقالة من صنع
« فرد » فكانت لنقل الذخيرة من المدينة الى القشلة والى الخط ، ونقل الجنود
المصابين بالمalaria والذنتاريا ، وبعدئذ الجرحى من الخط الى المستشفى في المدينة .
اما المدفعية فقد كان في الاستحكامات ، يوم كنت في جدة ، اثنا عشر
مدفعاً صغيراً وكبيراً ، وعشرة رشاشات كلها صالحة للعمل . ثم جاء من ينبع
ومن العقبة مدافع اخرى صحراوية وجبلية واثنا عشر رشاشاً ، وجاء من المانية
مع المصفحتين عشر رشاشات والى الف وخمسمئة بندقية مع حرايبها ، فاصبح على
الخط نحو عشرين مدفعاً وأكثر من ثلاثين رشاشاً .

وقد كان لدى الجيش الهاشمي القنابل الكشافة التي تنير المكان الذي تنفجر
فيه ، كما انه استخدم الابوار الكشافة لكشف حركات العدو في الليل . اخف
الى ذلك كله ما وضع عند ابواب خط الدفاع امام الاسلاك الشائكة من
الالغام ، ثم الاسلاك نفسها .

وقد مدت هذه الاسلاك على عمد من خشب طولها متر واحد في خط مفرد
من البحر شمالاً الى الكندرة شرقاً بجنوب ، ومنها جنوباً ثم غرباً بجنوب الى
البحر ، فبلغ طوله في هذا الشكل ، شكل الهلال ، نحو ستة اميال . ثم حُفرت
وراء الشريط الخنادق ، واقيمت الاستحكامات . وبين الخنادق ووراءها ربي
ومكامن استخدمت للكشف والدفاع . وقد قسم هذا الخط الى مراكز ستة ،
مرتبطة كلها بواسطة الهاتف بالقيادة العامة في القشلة . وهذه المراكز هي ابو
بصيلة ، والشرفية ، والكندرة ، والمشاط ، والعقم ، والطاية اليمنية . فالطاية
هي جناح الجيش الايمن وابو بصيلة جناحه الايسر .

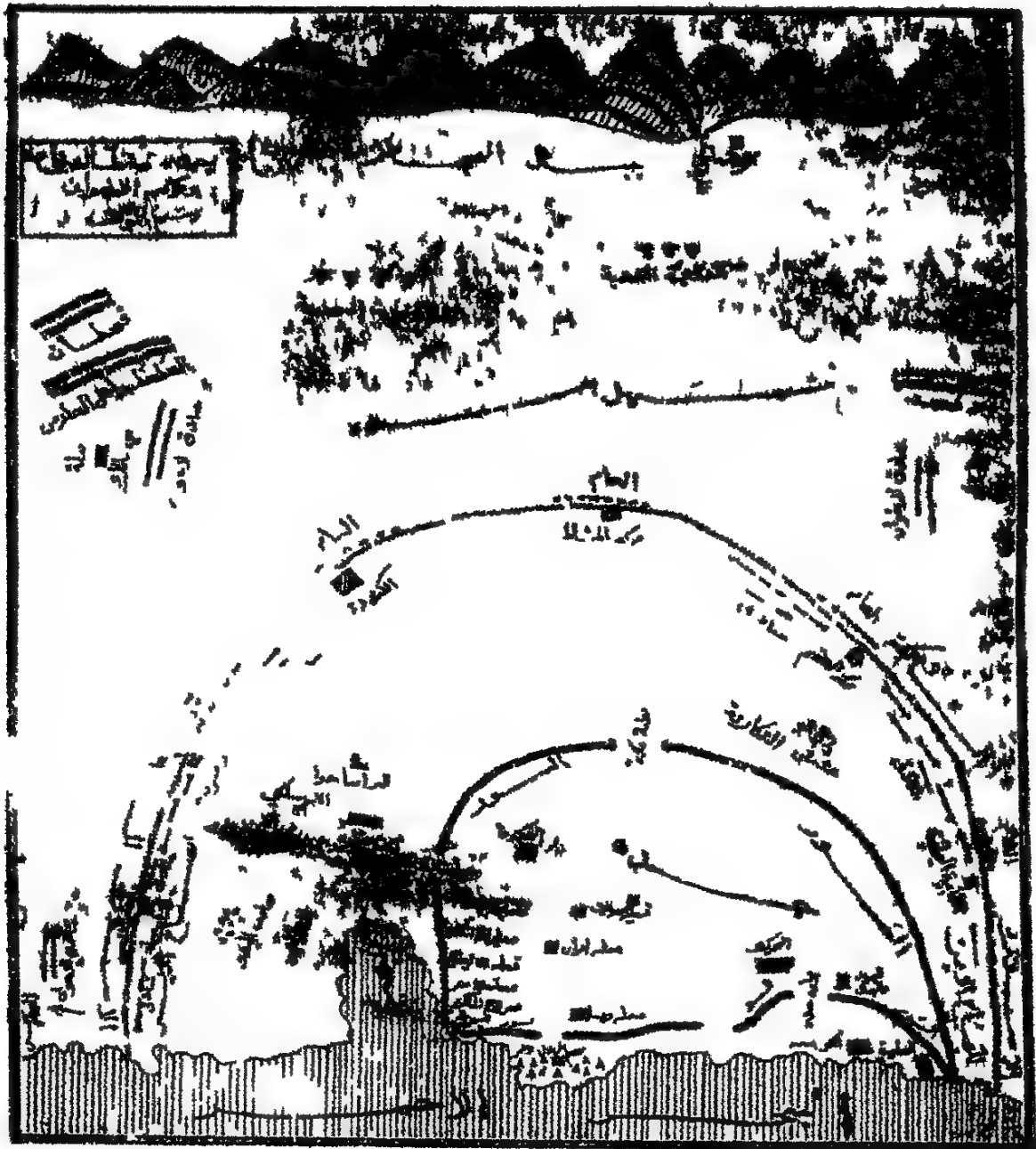
وهناك خارج الخط النزلة اليمنية ، وهي قرية مهجورة على مسافة ميلين من
جدة الى الشرق الجنوبي ، وفيها حامية من البدو صغيرة ، مئة نفر لا غير .

ونزلة بني مالك على مسافة ميلين من جدة الى الشمال الشرقي ، وفيها حامية اخرى صغيرة من البدو ، تم الرويس وهي اقرب القرى الى جدة من الشمال . هذي هي قوات الجيش الهاشمي وعمده في الدفاع . اما عمده الجيش النجدي فقد كانت محصورة بالمدفعية والبنادق والرشاشات . ان في القصر بالرياض مدافع كثيرة من انواع مختلفة ، ولكن السلطان عبد العزيز لم يأمر بجلب شيء منها الى الحجاز . اما المدافع التي استخدمها في هذه الحرب فقد غنم جيشه بعضها في الطائف والهدى ، ووجد اكثرها في مكة ، وكلها صالحة للعمل . وهي من المدافع الصحراوية والجبلية من عيار ٦٠ و ٧٠ ، وعددها لا يقل عن العشرين مدفعاً ، كانت تظهر تدريجاً ، او بقدر ما يمكن الاستعمال منها في وقت واحد . وكان لدى الجيش النجدي رشاشات كثيرة وكية وافرة من الذخيرة وجدوا اكثرها في قلعة جباد بمكة .

اما الجنود فقد كانت القوة في المعسكر يوم الزحف الاول اربعة الاف ، والقوة الزاحفة مثلها ، وفيها من الاخوان القططة ، واهل ساجر ، واهل دُخنه ، وقحطان ، والداهنة ، ورُكبه ، وغيرهم . وفيها من الحضرة الوبة من اهل القصيم ، واهل العارض .

ثم جاء في رمضان فيصل الدويش امير الارطاوية بجيش من مطير ، وتلاه اهل سبيع والسهول ، وبعد هؤلاء وصل الامير فيصل عائداً من نجد بنجدة كبيرة فبلغ عدد الجيش في الجبهة ووراءها نحو عشرة الاف . اصف الى ذلك الجنود الذين كانوا محاصرين المدينة والسرايا التي كانت مرابطة حول ينبع والوجه والعلاء ، فيدنو مجموع الجيوش النجدية في الحجاز من الانبي عشر الف مقاتل . وقد كان توزيع الجيوش في جبهة جدة على الشكل الاتي : عسكرت فرقة النخبط في الجناح الايمن (جناح الحجاز الايسر) ، واهل دخنة سيف الجناح الايسر (جناح الحجاز الايمن) ، واهل ساجر في جبهة معاونة للجناح الايسر . وعسكر في القلب لواء فحطان من الهياتيم ، ووراء هؤلاء كلاً سرية من احيانة . ثم التحق بهم الجيش الذي كان في اليمن من اهل الداينة ورُكبه ، فاصبح في

لجبة مجو اربعة الاف مقاتل .



رسم خط الدفاع وما دونه من مراكز الجيش السعودي
وقد نقل قسم من المدفعية بعدئذ الى نزلة بني مالك والرويس

مشى هذا الجيش من مكة ومعه الاوامر بان يحيط بجدة ويهاجم خط الدفاع فيناوش الجنود هناك . لما الهجوم بقصد اختراق الخط والدخول الى المدينة فلم يكن ليقدّم عليه بدون اذن من القيادة العليا . مشى بموجب اوامره ، فاحتل سيفه اواخر جمادى الثانية النزلة الثانية ، ونزلة بني مالك ، والرويس . ولكن الاخوان الذين احتلوا النزلة الثانية اخلاها فريقتان بعد وقعات مع جنود الحجاز ، ثم عادوا فاستولوا عليها . وبعد ان خربت — ضربها تحسين باشا بالمدافع وحرق الاخوان قسماً منها — اخلاها الفريقان .

على ان الاخوان ظلوا مرابطين في الجبهة الجنوبية امام الجناح الايمن من خط الدفاع ، وقد اصطدموا مراراً بفقرزات من الجيش الهاشمي كانت تخرج تارة للكشف وطوراً لاحتلال ابار الماء في تلك الناحية .

وبعد ان استولى الاخوان على هذه المراكز خارج خط الدفاع تقدموا في العراء وباشروا حفر الخنادق . ثم اقاموا عندها استحکامات حصونها باكيان من الرمل ، فصاروا يحاربون الجنود النظامية بالرشاشات والبنادق معاً . هي اول مرة على ما نعلم حارب الاخوان بطريقة منظمة حرب الخنادق . وكانت قد بدأت في آخر جمادى الثانية حرب المدفعية ايضاً ، فلم يتفرد فريق من الفريقين بالمفاجآت .

ولكن الحكومة الهاشمية في هذا الشهر خسرت في ما سبّرت للدهش والارهاب خسارة تعد في البلاد العربية جسيمة . ففي اصيل اليوم الثالث والعشرين من جمادى الثانية طارت الطيارة التي كان يسوقها الطيار الروسي «تشاريكوف» وفيها المراقب الضابط اللاذقي ، والكاتب عمر شاكر الذي دخل الى المطار خلصة ، كما قالت القيادة العامة ، فحشر نفسه مع الضابط السوري في مجلس واحد . وقد نزا بشاكر قلبه الى ضرب الاخوات من علي ولو بقنبلة واحدة . فعندما دنوا من المعسكر في الرغامة انفجرت القنبلة في الطيارة وهي تعلو فوق القين قدم عن الارض فتحطمت في الجو . وقد شاهدناها من القشلة تطيح ومن فيها بين يدي الموت والفناء . ذهب هؤلاء الثلاثة ضحية الاهمال في تنفيذ الاوامر

العسكرية . وكانت تشاريكوف الطيار الروسي الثاني الذي مات هذه الميته الفظيعة في الحجاز . اما الاول فهو الذي طار الى الطائف عندما دخلها الاخوان ، فسقطت طيارته بينهم ، فكانت خاتمة الوجود له ولها محزنة مرعبة .

لنعد الى حرب الاخوان . الذين كانوا يهجمون غالباً في الليالي المظلمة . وذلك لغرضين : ليلقوا في قلوب الاهالي الرعب والدعر فينهضون على الحكومة ، لويهجرونها ، وليحملوا الجنود على الاسراف بالذخيرة . وقد نجحوا في هذه الخطة بعض النجاح . على انهم كانوا يهجمون غالباً هجمات هوجاء ، مستبسلين مستشهدين ، فلم تُصرف عبثاً في كل حال ذخيرة الجنود الهاشمية . وقد كانوا يقربون جداً من الخط . حتى ان رصاص بنادقهم وقع قرب قصر الملك ، وحق انهم قطعوا بعض الشريط واخذوه الى المعسكر العام .

اما الاهالي فقد كان الرعب مميهم ، والدعر جاليسهم ، في تلك الليالي ، لانهم جهلوا القصد الحقيقي من الاغارات ، فظنوا ان الاخوان يحاولون اخذ اوراق الخط ، لذلك كانوا يسمرون كل ليلة ليلاً على انغام الرشاشات والبنادق . يقولون : الليلة يدخلون البلد .

على انهم كانوا يشاهدون لأول مرة اشياء جديدة في هذه الحرب . الفنية معاً ، خصوصاً عندما كانت المدافع تطلق على العدو القذائف . كانت في سهل جدة ظلمات تبدو هنيئة كالاقمار المكسرة . ناهيك بالانوار الكشافات التي كانت ترسل في ذاك السهل اسهماً بيضاء من اشعتها ، فيتهدي بها الاخوان الى طريقهم — الى الابواب في الاسلاك الشائكة ، والى الالمام ! — والى الواصفين في الخنادق . هناك كنت تسمعهم ينادون : « يا اخوانا يا اهل الشام ، ويا شمر ، ويا حرب ، ويا عقيلات ، اخرجوا من الخط وانتم في وبي الله وجه ابن . لا تخافوا . والله ما نريد لكم غير الخير — تعالوا الينا ونحن نراكم والله يا اخوانا » ولكن كثيرين من اولئك الجنود كانوا يجاربون عملاً باعقادهم ان الالهة العربية لا تقوم الا بالبيت الهاشمي . اما الآخرون الذين اصطيدوا في عمات والعقبة ، والذين جاؤوا جدة مرثقين ، فقد كانوا بين نارين ، ولم يكن لهم راحة .

«ان يختاروا اصغر الشرين .
والى القارىء ، اتماماً لصورة الحوادث في تلك الايام والليالي ، امثلة تأخذها
من التقارير الرسمية :
« تعرضت قوة من البدو على جناحنا الايسر في الساعة الخامسة (١١ افرنجية)
من الليل فاصلتها مدافعنا ورشاشاتها نارا شديدة ، فانهزمت من حيث اتت تاركة
عدداً من القتلى » .

♦ ♦ ♦ ♦

« بدأت مدافع العدو ساعة الفجر بالرعي المعتاد فقابلتها مدافعنا قدر ساعتين
واسكنتها » .

♦ ♦ ♦ ♦

« طارت الطائرة الساعة ١ صباحاً لضرب معسكرات العدو وموضع مدافعه ،
غالقت اربع قنابل وعادت » .

♦ ♦ ♦ ♦

وهاك امثلة من تقارير القيادة النجدية :
« في هذه الليلة هربت طائفة من جندنا الى حدود العدو ، فاطلقت عليه
النار فظن ان الاخوان يهاجمون على طول الجبهة ، فاخذ يوالي اطلاق المدافع
والرساتات والبنادق من جميع المراكز . واستمر كذلك ثلاث ساعات دون ان
يصيب احداً من المهاجمين » .

♦ ♦ ♦ ♦

« اخرجت القيادة الهاشمية مفرزة لكشف مراكز الاخوان فخرجوا من
كامنهم اليها ، واعملوا فيها النار ، فسقط منها سبعة قتلى وفر الباقون » .

♦ ♦ ♦ ♦

كذلك في شهري رجب وشعبان كانت تحيا الليالي المظلمة بين المتحاربين .
ما في النهار فقد استعرت بينهما حرب المدفعية التي استغوت في بادىء امرها
هل جده ، فكانوا يسارعون الى خارج السور ليشهدوا قنابلها تنفجر عند الاسلاك

الشائكة ، وفي اطراف السهل بظل الجبال .
 هناك شرقي الكندرة ، وعلى طريق مكة ، نصبت المدافع السعودية في
 الاشهر الاولى من سنة الحصار . فكانت تصل قنابلها في البدء الى ما بين مئة
 ومئتي متر من الاسلاك ، ثم داخل الاسلاك ، وهي تنقل الى الامام بعد حفر
 الخنادق ، ثم عند سور المدينة ، ثم داخل السور ، فحُرم اهل جدة اذ ذاك
 مشاهدة نارها ، ولكنهم لم يجرموا مفعولها . وقد كانت مسافة الرمي تتراوح بين
 الثلاثة والاربعة اميال .

حطقت القنابل فوق خط الدفاع فتساقطت في قلب البلد ، وقد اصيب مرتين
 بيت الوكالة البريطانية ، فاخترقت قنبلة جدار غرفة النوم وقنبلة دخلت مكتب
 الوكيل . وقد اصيب ايضا بيت وكالة السوفيت فتكسر العلم فوق السطح .
 واستمرت تتقدم في تقدم المدفعية حتى وصلت الى الطرف الغربي من المدينة اي
 الى شاطئ البحر ، فزارت القنصلية الفرنسية وتفجرت في مخيم الهلال الاحمر !
 عندما اصيبت الوكالة البريطانية والوكالة الروسية عقد القنابل مجلسا
 للبحث في المسئلة فقرروا ان يظلوا رغم هذه احوال على الحياذ . وقد أبرق رئيس
 الهلال الاحمر الى الجمعية المركزية في القاهرة يستأذن بالرحيل ، فلم تأذن
 الجمعية بذلك .

كان الضرب يبدأ صباحاً فيدلي الفريقان الفجر ويتبادلان بالقنابل السلام
 ساعتين او ثلاث ساعات ، ثم يُستأنف العمل بعد الظهر فيستمر حتى غروب
 الشمس ، فيوكّل اذ ذاك كبيرُ المخترعين بالوداع . — وهذه قنبلة من
 « الاوبوس » يا اخوان ! — وهذه من عيار ١٢٠ يا ايها الشوام ! .

عندما اشتدت هذه الحرب المدفعية في شهر رجب وشعبان ، نصب النجديون
 مدفعاً في الرويس ، فصارت قنابلهم تقع في الجهة البحرية من المدينة
 وفي قلبها ، فخرج وقتل عدد من الناس ، واستولى الرعب على الاهالي فشد
 كثيرون منهم للرحيل . بدأت الهجرة الى سواكن ومصوع وعدن في المراكب
 التجارية ، ثم طفق الناس يرحلون في السنايك الى الليث ، ومنها يرجعون الى

مكة . وكانت الحكومة راضية بهذه الهجرة لما فيها من توفير بالماء والزاد للجنود .

على ان تلك الحرب المدفعية التي كانت يتفرج اهل جدة عليها ثم صاروا يفرون منها ، وتلك المناوشات في ظلمات الليالي ، لم تكن غير مقدمات للوقعة الكبيرة التي يجب ان تدعى بوقعة المصفحات . وهي المرة الاولى والاخيرة التي برز فيها في رابعة النهار القسم الاكبر من الجيش الحجازي لمنازلة الاخوان . في ضحى اليوم الثامن عشر من شعبان (١٤ مارس ١٩٢٥) شرع الخط يطلق مدافعه الكبيرة والصغيرة على الرويس ، وبعد نصف ساعة من هذا الضرب الشديد المتواصل خرجت خمس مصفحات من بوابة الكندرة فسارت ثلاث منها تجاه نزلة بني مالك واشتلتان تجاه الرويس . ثم مشى من مركزي الكندرة وابي بصيلة نحو الف من جنود النظام والبدو مقسومين الى ثلاثة اقسام ، تتبعهم سرية من الخيالة .

اما الاخوان فقد كانت فرقة من اهل دخنة في الرويس ، وفرقة اخرى في بني مالك . وكان اهل العارض والغطف في الحط الثاني ، كما انه كان من الفريقين في الجبهة الامامية اي في الخنادق ، وعدد الجميع لم يتجاوز يومذاك الالفين . عندما خرجت المصفحات تقدمت القوة الاحتياطية النجدية نحو مراكز الجيش المرابط ، واكسبهم لم يباشروا الرمي لاهم ولا المخندقون حتى خرجت العساكر الهاشمية كلها الى السهل وكادت المصفحات تصل الى النزلة ، فدارت عندئذ رحى الحرب في الناحيتين ، تجاه الرويس وتجاه بني مالك ، ودوت البنادق والرشاشات . اما المصفحات فقد كان من مهمتها ان تمنع وصول المدد الى الجبهة الامامية فسارت شرقا بشمال ، تاركمة النزلة الى يسارها ، لتصد اهل الغطف والعارض عن الهجوم ، فاشتبكت واياهم في قتال عنيف ، ولكنها لم تتمكن من صدوم . وقد رأى من شاهدوا المعركة من جدة كيف كان الاخوان يمارعون هذا المصفحات مستشهدين ، فيدورون حولها وهم يطلقون البنادق عليها وعلى من فيها ، وهي ترش الرصاص من رشاشاتها في كل جانب . حتى ان عبداً من العتاريس

دنا من احداها ، بعد ان جال حولها كأنها فارس من الفرسان ، فتمسك به
وصعد الى سطحها وهو يطلق مسدسه ، فأصيب وهو هناك برصاصة ، فهوى الى
الارض .

ظل الاخوان يماركون هذه المصفحات حتى أبطلت الرشاشات فصار الجنود
داخلها يطلقون الرصاص من مسدساتهم . وقد أصيب بعضهم برصاص العدو
الذي كان يدخل من الكوى ، وجرح جراحاً بليغة اثنان من السواق الروس .
تراجعت المصفحات ، وقد تمزقت وتكسرت جوانب بعضها ، وسارع اهل الغطط
والعارض الى نجدة اخوانهم ، فحاضوا معركة دامت ساعتين في اشد حالاتها ،
ثم ساعتين في قتال متقطع ، حتى انتهت ، الساعة الثالثة بعد الظهر ، في رجوع
الجنود الحجازية والمصفحات الى داخل الاسلاك ، ورجوع الاخوان الى مراكزهم .
اما من بقي في ساحة القتال ، وهم القتلى ، فلا يقل عددهم عن الثلاثمئة .

جاء في التقرير الحجازي الرسمي : « خسر العدو بين قتيل وجريح اكثر من
مئتين ، وخسر جيشنا خمسة عشر قتيلاً وأصيب منه خمسون » .

وجاء في التقرير النجدي الرسمي : « قد تحقق ان خسارة العدو كانت في
الاقل ثلاثمئة وعشرين قتيلاً ، بدليل بنادقهم التي غنمها رجال جيشنا واحضروها
الى المعسكر العام . اما خسائرننا فقد كانت خمسة قتلى وخمسة جرحى فقط » .

ومما لا ريب فيه ان قد قتل في معركة المصفحات لا اقل من ثلاثمئة من
العرب ! ومن المحقق ايضاً ان المصفحات لم تنجح في مهمتها الاولى ، وهي قطع
الطريق على المدد ، ولا كانت في مهمتها الثانية اشد فعلاً من الجيش المهاجم .
فقد شغلها رجال الغطط والعارض حتى نفذ الماء والذخيرة فيها ، فرجعت اذ ذاك
ادراجها .

أخفقت القيادة الهاشمية في هذا الهجوم العام . فقد كانت خطتها ان
تضرب الاخوان المرابطين امام جناحها الايسر فتقضي عليهم ، ثم تعود شرقاً
بجنوب ، وقد امنت مؤخرها ، فزحف الى المعسكر في الرغامة ، فتستولي عليه ،
وتستمر في خطة الهجوم ، فتمشي ظافرة الى مكة . — سنعيد رمضان بمكة !

هي كلمة الجيش الهاشمي في تلك الايام . وقد كتب احد ضباطه الى المؤلف « قبيل هذه الواقعة ، يقول : « وغداً ندعوك لزيارتنا في الطائف » .
واذا فرضنا ان الاخوان امتنعوا عن اختراق الخط ومهاجمة المدينة لعجزهم
موهوه بالاغارات والمناوشات ، فقد كان العجز اظهر في خطة الجيش الهاشمي بعد
وقعة المصفحات .

وبعد هذه الواقعة خمدت في الجانبين نار الحرب . خف ضرب المدافع ،
وقل الهجوم في الليل ، وكان في شهر رمضان شبه هدنة تبعها في شوال مناوشات
في الليالي المظلمة . ومم انه كان قد شاع في جدة ان المعركة الفاصلة ستكون
في شوال فقد ولّى شوال والنقارير الرسمية تقول : « سكون تام على الخط » .
على ان القتال استؤنف في الشمال . فالقيادة النجدية ارسلت حملة الى ينبع
لتأديب بعض عربات جهينه الذين اعتدوا على قوافل تحمل ارزاقاً الى مكة .
وكان ابن رفاة الشيخ ابراهيم ، كبير مشايخ جهينه ، قد خرج على الملك علي
وعاهد ابن سعود على الطاعة والتوحيد ، فارسلت حكومة جدة الى قائمقام الوجه
الشريف حامد ثلة من الجنود النظامية وبعض الرشاشات لتأديب ابن رفاة وجماعته .
وكانت قد ارسلت الامير شاكر الى ينبع ليحمل على الاخوان في بدر ويستردّها .
اما في المدينة المنورة فقد كانت صالح بن عدل معسكراً في الحناكية ، وقد
التحق ببنيش لواء جاء من جهة حائل . وكان قدم من هذا الجيش ، واكثره من
الحضر بقيادة ابراهيم النسي وكييل ابن عدل ، مرابطاً حول المدينة ، وهو
مأمور بان يحاصرها فقط ، وان لا يدخلها بدون امر من القيادة العليا .
اما وقد علمت ذلك فسقط عليك على بعض البرقيات التي كانت ترد الحكومة
الهاشمية في تلك الايام :

« المدينة ٢١ ذي القعدة .

جلالة الملك المعظم . جهزنا عبدكم ولدنا مع عسكره وبعض من حرب
على النسي فكسروه واسروا اربعة انفار من جماعته . ابشركم بذلك سيدي .
قائمقام المدينة : تنجات » .

« العلاء ٢٧ ذي القعدة .

جلالة الملك المعظم . صباح اليوم الجمعة هجمت على مداين صالح ثلاثة يبارق ودامت الحرب بينهم وبين العدو الى العصر والحمد لله انقلب خاسراً تاركاً جرحاء وقتلاه مولاي .
قائمقام العلاء . «

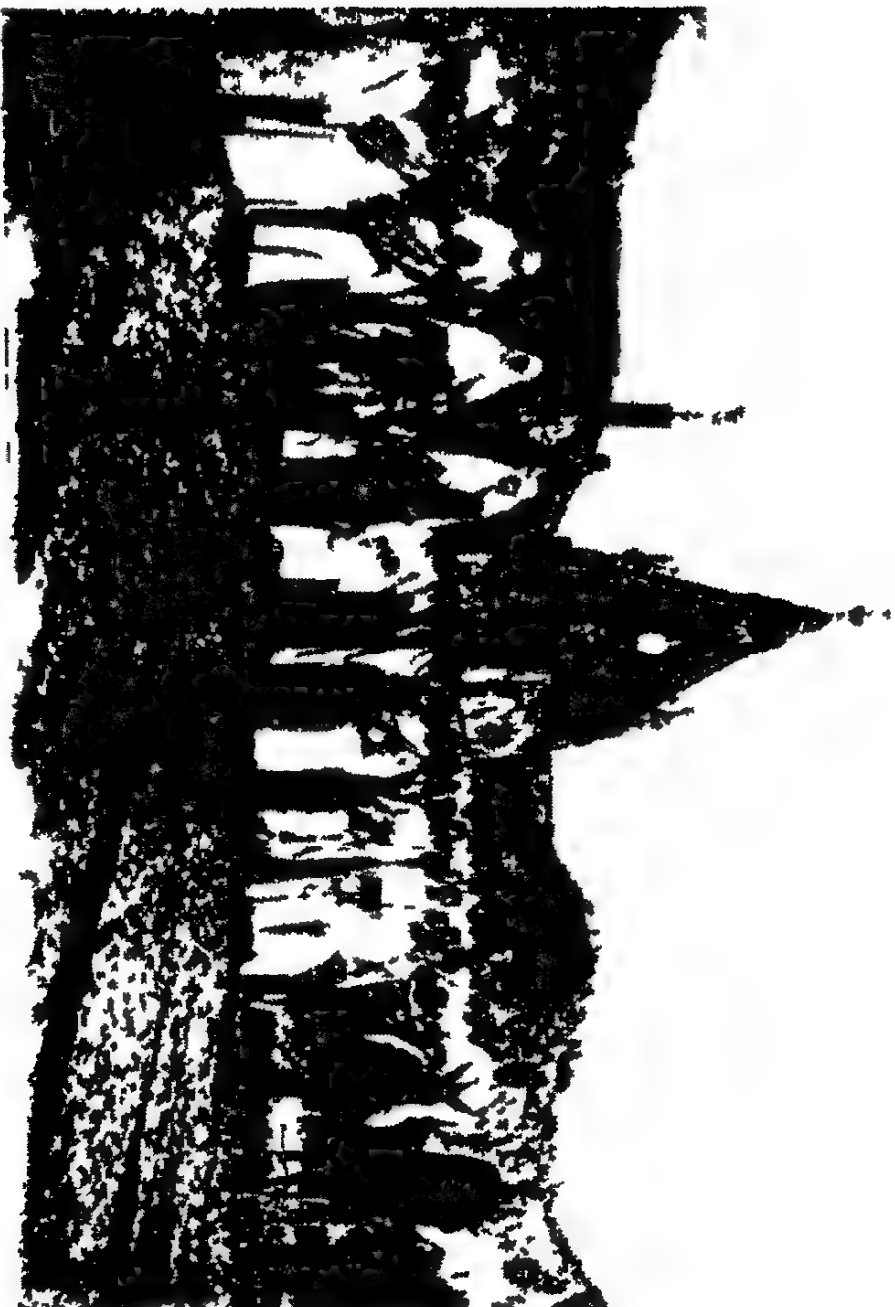
« ينبع ٢٦ ذي القعدة .

جلاله الملك المعظم . احتلنا بدرأ وغنمنا جميع ما فيها . انهزم احمد سالم (صاحب بدر) ومعه اربعون بغيراً محملة .
الامضاء : شاكر »

ولكن السلطان عبد العزيز جهز في هذا الشهر حملة الى الشمال بقيادة ابن عمه سعود بن عبد العزيز المعروف بسعود العرافة والامير خالد بن لؤي . فالتقت هذه الحملة في طريقها من رابغ باحمد بن سالم ، فقص على القيادة قصته ، فحوقل خالد وامر سالماً بالرجوع . فمضى مع الحملة التي استدرت في طريقها الى بدر ، وبعد ان ضربتها واستبكت في وقعة مع المدافعين ، رجال الامير شاكر فيها ، كتب لها النصر واستولت عليها . ثم اعادت احمد بن سالم الى مركزه ، ومشت الى ينبع النخل فعسكرت هناك تنتظر الاوامر الجديدة من القيادة العليا . وكانت قد ارسلت تلك القيادة فيصل الدويش ايضاً الى الشمال فاحتل بجيشه العوالي ، حول المدينة ، بدون مقاومة .

اذن قد كانت الحالة في الشمال في آخر هذا العام ، عام ١٣٤٣ ، حالة حصار يتخللها شيء من القتال . فكان الاخوان مرابطين حول الوجه وينبع ، وكان جيش من الحضر محاصراً المدينة ، وكان سعود العرافة وخالد بن لؤي معسكرين في ينبع النخل ، وفيصل الدويش في العوالي ، وصالح بن عدل في الحناكية . والغرض الاكبر من هذه التعبئة هو الضغط على اهل المدينة ليحملوا اولياء الامر فيها على التسليم . ذلك لان القيادة العليا فضلت الحصار على القتال ، ولم تكن الجيوش هناك مسلحة بغير البنادق .

اما حكومة الملك علي فقد استبشرت بهذه الحال في الشمال ، وعزت سكون الجنود النجدية الى العجز . ومما أثبت ظنهما وزادها املاً بالفوز ، رغم ما كانت



٢٧٧ — ٢٧٦

الحمل المصري

فيه من العسر ، هو ان السلطان عبد العزيز امر جنوده بالاسحاب من جبهة حدة
ليتمكنوا من الحج . فلم يبق هناك غير قوة صغيرة من الحياة والمهابة لتشرّف
على الرعاية .

كان اهتمام السلطان بالحج في هذين الشهورين اكثر من اهتمامه بالحرب .
بل كان قد بدأ منذ ثلاثة اشهر يمدد للحج السبل ، فارسل في عرة شعاع
فداء « الى جميع المسلمين في مشارق الارض ومعاربها » يخبرهم بان السطام قد
ساد في الدابة المطهرة ، واستتب الامن فيها . وانه يرحب بحجاج بيت الله الحرام
من المسلمين كافة في موسم هذه السنة ، ويتكفل بتأمين راحتهم ، والمحافظة على
جميع حقوقهم ، وبتسهيل سفرهم الى مكة المكرمة من احد المواني السلاطة اي رابغ
والبيت والقنفذة . وقد كانت تحيي هذه المواني كل خمسة عشر يوما بواحر هندية
وخديوية وايطالية ، تحيئها من عدن ومصوع والسويس ، حاملات الارزاق .
لم تتمكن الحكومة الهاشمية التي ضربت في اول احرب نطاقا بحريا من القنفذة
الى رابغ ، وحاولت تنفيذه بواسطة الباحرة المسلحة « الطويل » ان تصدر الا
قليلا مما كانت يصل من هذه التعور الى مكة . وما كانت دائما موفقة حتى
لذاك القليل .

فقد صادرت « الطويل » مرة خمسة سايك ، ايلنايه ، متحجرة . صوع الى اليب
وحالت بها الى جدة . ولكن الحكومة الايطالية احتجت واسطة قضاها السبيور
فارس على هذا العمل ، واذرت الحكومة الهاشمية انها تسحب قضاها من حدة ،
وتتخذ الطري الداوية لحفظ حقوقها ، اذ كانت لا تعيد كل ما حدرته من
السنايك الرافعة العلم الايطالي . فعقد الوزاء بحسباً للمطار في الامر ، قرأ
بعد الحب ان يجيوا طلب الحكومة الايطالية .

عند هذا احادت بصرا سياسيا لان سعيد . كما ان تحي ، لة كلاف من
حجاج الهد ، ورجوعهم بعد الحج سالمين عن طريقي رابغ هو نصر سياسي حر .
وهذاك حادت ال ، حدث في هذا الصنف ، لا يقل اهمية من اوحدة السياسية
عن احادس الاولين ، الا هو بل انما احسن من العقبة الى قبرص . وقد

يكون أهم الحوادث لما كان فيه من الفائدة لابن سعود ، لأنه اقصى عن الملك علي ذلك المورد الذي كان يتكفل كل الاتكال عليه . اجل ، قد اشتدت الازمة المالية في حكومة جدة بعد سفر الحسين الى قبرص . وهناك خسارة اكبر للحجاز كانت تتعلق بسفر الحسين ، وكان الامير عبدالله يسعى لها . فهو الذي اقنع اخاه وحكومة اخيه بان يسلموا بضم العقبة ومعان الى شرقي الاردن . وقد ضرب الامير يومئذ على الوتر الحساس اذ قال في احدي مذكراته الى جلالة اخيه ما معناه : سلموا بضم العقبة ومعان وانا اضمن لكم من الانكاي ما يأتي ، اي ثلاثمائة الف ليرة تعويض الضم ، ومئتا الف ليرة ثمن الاملاك الغير المنقولة ، وقرض قيمته خمسمائة الف ليرة يُعقد حالاً . ثم ابعاد ابن سعود عن الحجاز حتى تربة والخرمة ، وجعل الخط الحجازي رهن اشارتكم في كل وقت .

اية حكومة في موقف تلك الحكومة الهاشمية لا تقبل بيع قطعة من املاكها بهذا الثمن ؟ واي ملك في مركز الملك علي لا تفره تلك الارقام ؟ ولكنها ارقام ، في كتاب الاحلام .

لم تنحصر انتصارات ابن سعود في اواخر هذه السنة وطلائع سنة ١٣٤٤ بالحوادث الثلاثة التي تقدم ذكرها . فقد فتح ابوابه للوفود ، وبدت منه رغبة في المكالمات لغرض من الاغراض الحربية والسياسية التي يجهلها الناس ايام الحرب ، ولا يقيمون لها وزناً بعدها . على ان عظمة السلطان كان الحبيب لا الطالب . واول من استأذن في رمضان بزيارة الحرم والحج بالعمرة ، وطى القصد الديني قصد حسن آخر ، هم القناصل المسلمون في جدة ، اي عبد الكريم حكيه ف معتمد حكومة السوفيت ، ورادين براويرا نائب قنصل هولانده ، واحمد افندي لاري وكيل قنصل ايران ، فاذن السلطان ودعاهم بعد زيارتهم الحرم لزيارته في مقره بالوزيرية .

وبينما كانوا هناك يتكلمون بالصلح هجم الاخوان في الليل كالعادة على جناح خط الدفاع الايسر ، من البحر الى الكندرة ، هجمة هوجاء ، واستمرت البنادق والرشاشات تدوي دويًا منقطعًا حتى الفجر . وما معنى زيارة القناصل ؟ ان ابن

سعود مرت من استمرار السلم والحرب يعجز عن كشفه الانس والجن !
القناصل : « اننا نتكلم مع عظمتكم في هذه المسئلة بصفتنا الشخصية ، لا
باسان حكوماتنا ، لاننا شرقيون يهمننا الاصلاح والاتفاق بين الشرقين » .
السلطان : « كأن القوم لم يدركوا حتى اليوم غايتنا ومرامنا . فما زال
الشريف علي في جدة فلا سبيل الى الصلح . اما اذا اخلاها وترك المسئلة للعالم
الاسلامي ، فنحن تقبل بما يقرره بشأن الحجاز » .
ثم سئل عظمته اذا كان يأذن بقدم وزير الخارجية الشيخ فؤاد الخطيب
للبحث في المسئلة ، فاجاب انه يرحب بمن اراد القدوم اليه سواء كان الشيخ
فؤاد ام غيره .

وعند رجوع القناصل المسلمون الى جدة كتب وزير الخارجية الى عظمة
السلطان يقول ان بعض الاصحاب انبأوه « بما حقق الامل المعقود » ويطلب
منه تعيين يوم للمقابلة . فاجاب عظمته بالايجاب على شرط ان يكون سعادة
الوزير مفوضا ليوافق على ما يلى عليه من الشروط « ثقلت وطأتها ام خفت » .
فرد الشيخ يقول ان المأمول من قدمه « اولاً — شرف التعرف الى شخصكم
الجليل المعظم . ثانياً — التمهيد لايجاد جو صالح تسود فيه الطمأنينة المنشودة
ليكون محور الاعمال في ما يحسن التفاهم عليه » . فقال عظمته في كتابه الاخير
« اكون مسروراً بمواجهتكم » .

نظن ان الشيخ فؤاد شعر بمثل هذا السرور بالرغم عن عقم تلك المكلمة في
الحجيم السلطاني بالوزيرة ، تلك المكلمة التي تحوات الى استنطاق من قبل
السلطان ضاقت فيه لدى الوزير الشاعر حيل السياسة كلها .

— « ومن هو الضامن لهذه التعهدات ؟ »

— « انت الضامن » .

— « وكيف يكون ذلك ؟ انت تقبل بالشروط وانا ضمن التنفيذ ؟ »

الشيخ فؤاد : « اطلب الضامن الذي ترهبه ونحن تقدمه لك » .

السلطان : « لا اعلم ضامناً له سلطة وأثق به يتكفل بما اطلب . فالدول

كلها على الحياء ، ولا تقبل مداخلتها في الاماكن المقدسة كما ترى .
تحوّل الحديث بعدئذ الى مواضيع اجتماعية وادبية ، فكان الشيخ فؤاد فيها لامعاً باهراً . ثم عاد من الوزارة راكباً بغلته ، حاملاً مظلمته ، والقناصل والحكومة والجنود في جده يتساءلون : ماذا عسى ان يكون تحت تلك المظلة من الامل ؟ لم يكن تحتها غير شاعر أبهر في احاديثه الادبية في الخيم السلطاني ، وُغلب في المكالمات السياسية .

عندما سافر القناصل المسلمون للحج بالعمرة قلق زملاؤهم المسيحيون ، فارسل الوكيل الانكليزي كاتبه الهندي المسلم منشيء احسان الله الى مكة لاشغال تحتص بالحجاج الهنود ، فافانم هناك اسبوعاً ، وعرج في رجوعه على المقر العالي بالوزارة ، فنزل ضعيفاً على السلطان . اما المكلمة فقد كانت ولا تزال مرعبة . بيد انه كان معلوماً ان الحكومة البريطانية كانت تفكر يومئذ في احتلال العقبة ومعان ، وان ابن سعود كان يفكر في ارسال حملة الى تلك الناحية لاجراج الحسين منها .

— نحن ننقل الحسين من العقبة ولا تكفك مؤونة الحملة عايه .

— الحملة ماتية فعليكم ان تعجلوا .

وفي الحقيقة كانت الحملة قد مشت من حائل ، فامر عظمته قائدها بان يتوقف في الزحف .

وقد نلت المكالمات بالوزارة مكالمات اخرى في مكة ، وكتب في لائحة المتوسطين الطويلة اسم كبير من حكام العرب . اجل ، قد جاء من صنعاء اليمن ، من حضرة الامام يحيى بن حميد الدين الموكل على الله ، بواسطة قنصل ايطالية بجدة ، بوقينان الواحدة الى الملك علي والاخرى الى السلطان عبد العزيز ، يطلب منها ايقاف القتال ، واحترام الاراضي المقدسة ، وقبوله حكماً بينهما . فجواب الملك علي بالايجاب وارسل السلطان جواباً مآله اننا دعونا المسلمين لمؤتمر يبحث في امر الحجاز فترجو ان يحضر مندوبوك معهم .

وفي الاشهر الثلاث الاولى من هذا العام جاء السلطان عبد العزيز ثلاثة

وفود من المسلمين والمسيحيين ، ما عدا الوفدين الذين جاءا مع الحجاج من الهند . اما الوفد الاول فقد جاء من مصر ، من قبل الملك فؤاد ، للتحقيق في ما قد شاع من اخبار المدينة والطائف ، وللتوسط كما قيل في امر الصلح . كان هذا الوفد مؤلفاً من الشيخ محمد مصطفى المراغي قاضي قضاة القطر المصري ومحمد بك عبد الوهاب كاتب سر الملك الخاص ، وكان ولا شك له غير ما ذكر من الاغراض . فان الخلافة كانت تثقل يومئذ بالملك فؤاد وقلبه ، فاحب ان يستطلع في امرها رأي ابن سعود .

اما الوفد الايراني الذي كان مؤلفاً من سفير مصر وقنصل سورية العام فقد كان غرضه ظاهراً وباطناً التحقيق في مسائل الطائف والمدينة . وبعد ان زار الوفد مكة ، وكالم السلطان عبد العزيز في ما انتدب له ، عاد السفير الى مصر وسافر القنصل حبيب الله خان عين الملك الى المدينة ليتم مهمته .

وقد جاء ايضاً في هذا الشهر ، اي في ربيع الثاني الوفد الانكليزي ، او بالحري السر غلبرت كلايتن ^(١) وكذب سره وترجمانه وتوفيق بك السويدي مستشاره العراقي ، فاجتمع بهم السلطان في بحرة . وهناك كان المؤتمر الذي استمر خمسة وعشرين يوماً ، اي من ٩ اكتوبر الى ٣ نوفمبر ، فعقدت الاتفاقيتان سميت الاولى اتفاقية بحرة وهي بين العراق ونجد ، والثانية اتفاقية حداء ، وهي بين نجد ونهرقي الاردن ^(٢)

وعندما كان السلطان عبد العزيز في بحرة جاءه من المدينة المنورة رسول اسمه مصطفى عبد العال يحمل كتاباً من امير المدينة الشريف تحات يعرض فيه التسليم ، على شرط ان يؤمن الاهلون والموظفون على ارواحهم واموالهم ، ثم يسأل السلطان ان يرسل احد افراد العائلة السعودية لهذه الغاية .

عاد عظمته الى مكة فجهز نجله الصغير الامير محمداً الذي مشى بفرقة من الجند الى المدينة في ٢٣ ربيع الثاني . وعندما دنا من اسوارها عرض على الحكومة

Sir Gilbert Clayton (١)

(٢) في الملحق نص هاتين الاتفاقيتين .

والاهاالي ما كان قادمًا من اجله ، فأبت قيادة الحامية التسليم لانها كانت تنتظر المدد من جدة ، وقد ابرقت في ٥ جمادى الاولى الى جلالة الملك نقول : « الذي يهمننا الارزاق للجند . وعدتمونا بارسال الدراهم المتيسرة بالطيارة . الى الان لم نرَ اثرًا لها . دبروا وارسلوا لنا دراهم ولو يبيع احدى البواخر فقبرون منا ما يسركم » .

وكان الامير الصغير محمد يشدد الحصار على المدينة بدون قتال ، عملاً باوامر والده ، فابرقت القيادة في ١٣ من هذا الشهر الى جلالة الملك بجدة نقول : « انقضى الامر ، ولم يبق في اليد حيلة . الجنود ما عندهم ارزاق الا لثلاثة ايام . اذا لم تصل الطيارة غدا الظهر سنفاوض العدو . الامضاءات : عزت . عبدالله عمير . عبد المجيد حمد » .

فجاء الجواب انه يستحيل ارسال الطيارة قبل عشرة ايام لعدم وجود بنزين .

مرت الايام الثلاث فنفدت مؤونة الحامية . ومع ذلك فقد صبر الجنود ثلاثة ايام اخر ، ثم في صباح الجمعة بعث القائد عزت ورئيس ديوان الامارة عبدالله عمير كتابًا الى الامير محمد بن عبد العزيز بن سعود يطلبان ملاقاته ، فارسل الامير خيالة لاستقبالهما . وقد فاضاه بالتسليم على شرط ان يعطي الجنود والاضباط والاهاالي الامان ، ويعلن العفو العام .

وفي صباح اليوم التالي ، اي يوم السبت الواقع في ١٩ جمادى الاولى (٥ ديسمبر ١٩٢٥) سلمت المدينة بعد حصار دام عشرة اشهر .

الفصل الحادي والخمسون

الملك علي يرسل

قبل ان سقطت المدينة المنورة بشهرين كانت الحالة في جدة تزداد عسراً من كل الوجوه ، فقصرت الفوضى اطنابها في الجند ، وعرا الحكومة الانحلال ، وعم الضنك والبؤس الاهالي . فلا مال ، ولا ذخيرة ، ولا زاد يكفي لحفظ شبه السيادة والقوة ان في الملكية او في الجندية . ولا مال في السوق ، ولا آمال تقوم مقامه . فقد كادت تنفد الارزاق لان التجار في الخارج توقفوا عن التوريد . تخيمت المجاعة في اطراف المدينة بين مضارب البدو وعشش التكرانة ، ومدت يدها الى القلب ، فامست على الاهالي اشد ويلاتاً من الحرب .

وبما ان السلطان عبد العزيز كان قد اعلن في ربيع الاول العفو العام — كل من كان في خدمة الحسين او غيره هو في امان الله اذا اراد ان يرجع الى مكة — وبما ان الطريق انفتحت بين ام القرى وجدة بعد الحج ، اخذ يزداد عدد الفارين عن طريق الليث ورابع الى ام القرى ، وعدد القادمين منها . فكان هذا الاتصال بين المدينتين خير واسطة لتعجيل العمل الذي فيه الفرج .

واننا نعيد ما طالما قاله السلطان في مجالسه الحربية التي كان يحضرها امراء الجيش والعلماء : ثلاثة آخرته عن الهجوم ، وحملته على تفضيل الحصار على القتال ، وهي الحرص على جنوده وسمعتهم ، والمحافظة على الاجانب ، والفرصة المنتظرة . أضف الى ذلك ثقته بالنتيجة المرغوبة في ما اقدم عليه ، ثقته بولاء الفرصة المنتظرة .

وها قد دنت تلك الفرصة ودنا يومها . كيف لا وفي منتصف جمادى الثانية بلغت الحالة في جدة اشدها ، فنقد المالك ، ونقد الزاد ، ونقر الجند ،

خصوصاً الفرقة اليمانية ، الى التمرد والعصيان . وكان السلطان عبد العزيز ، شأنه في مثل هذه الاحوال ، متبعا حداث التطور متنبها لما فيها مما يمكنه الانتفاع به ، فنشر في هذا الوقت بلاغا عنوانه « لراة الذمة » عرض فيه الامان على من في جدة من ضباط وجنود اذا هم احبوا الخروج الى معسكره ، وعرض فوق ذلك المساعدة المالية على من احب منهم السفر الى وطنه . كان لهذا البلاغ التأثير السريع المطلوب ، فسرحت القيادة الهاشمية عدداً كبيراً من الجنود الفلسطينيين الذين سافروا في الباخرة « الطويل » الى العقبة .

لا مال ولا زاد ، و« فرقة النصر » تنقص يوماً فيوماً . وها قد عاد الاخوان الى معسكرهم في الرغامة وفي سفح الجبال ، عادوا بامر السلطان عبد العزيز ، يقودهم اخوه الامير عبدالله وابنه الامير فيصل .

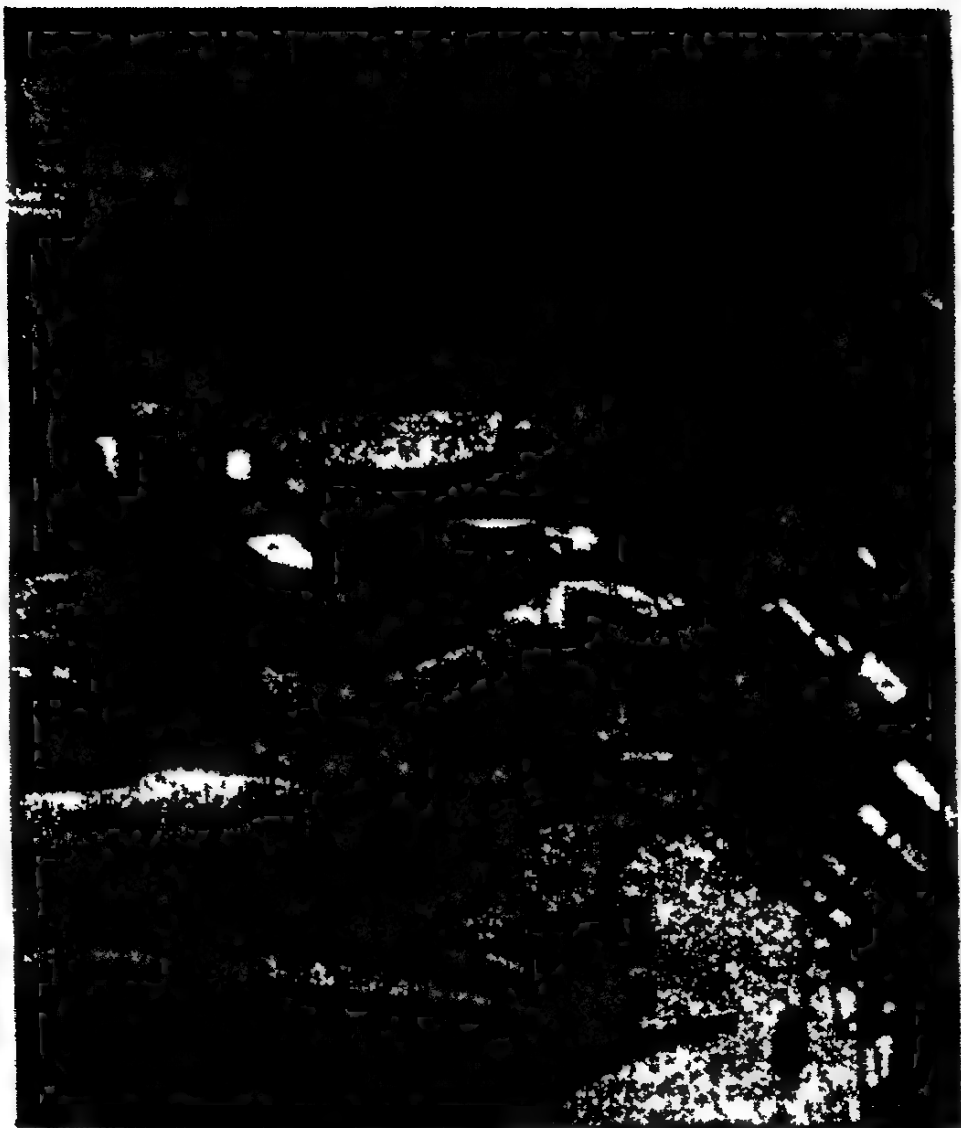
هي الفرصة المنتظرة قد دنا يومها . وهل يجيء هذا اليوم بالسلم ام بالهجوم العام ؟ لم يكن بوسع احد ان يجيب على هذا السؤال غير واحد في القيادة العامة كلها ، هو السلطان عبد العزيز . ومما بات في قيد اليقين انه كان مصمماً على الهجوم ليخلص حدة من اجماعة والفوضى والخراب التي كانت تنذر الحالة بها . اما الملك علي فقد كنت حواسه في اضطراب دائم ، وكذب اعدائه في هياج مستمر مما كان يسمعه ويتأذنه في قصره ، وفي حكومته ، وفي بيئته ، وفي بلده ، كل يوم ، بل كل ساعة . فلم ير مهرباً والحالة هذه من ذاك العمل الاخير الذي فيه راحة باله ، في الاقل ، وصون صحته وشرفه .

هي الفرصة المنتظرة قد دنا يومها ، بل قد دنت ليلتها . فقد جاء الملك علي مساء الثلاثاء في ٢٩ جمادى الاولى الى دار الاعتماد البريطانية يعرض على المعتمد ، حقناً للدماء ودفعاً للعسر المستحوز على البلد والاهالي . ثم ذكر جلالته شروط التسليم ، فابرق المعتمد الى حكومته في الحال يستأذنهم بالتوسط .

وفي ظهر اليوم التالي الواقع في ٣٠ جمادى الثانية (١٦ ديسمبر) ركب السلطان عبد العزيز سيارته وخرج من مكة ، تتبعه الحاشية وفصيلة من الجند ، يقصد الى الرغامة . وقد بدت ، وهو في منتصف الطريق ، نتيجة الزيارة الملكية

٣٨٤-٥٧٩

الملك عبد العزيز في المطار وامامه المؤلف



الى دار الاعتاد البريطانية اليلة البارحة ، بدت في سيارة قادمة من جدة ، البقي
بها الموكب في بحرة وهي تنشر العلم البريطاني وفيها رجل بلوح بالعلم
الابيض .

وقفت سيارة السلطان ، ونزل الرجل من سيارته فاذا هو المنشئ احسان
الله — وقد كان في تلك الساعة احساناً من الله — يحمل من المعتمد بحجة
الكتاب الآتي :

« جده في ١٦ ديسمبر ١٩٢٥

حضرة صاحب العظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود
سلطان نجد .

بعد الاحترام . مراعاة للانسانية ولأجل تسهيل عودة السلام والرفاهية
بالحجاز اكون مسروراً اذا تفضلتم عظيمكم بالموافقة على مقابلي في الرغبة
غدا يوم الخميس قبل الظهر او بعد ذلك بأسرع ما يمكن . هذا وتفضلوا
بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام .

نائب معتمد بريطانيا العظمى

وكيل قنصل ، جوردن «

فأمر عظمته عند وصوله الى الرغبة بكتابة الجواب الآتي :

« الرغبة في ٣٠ جمادى الاولى سنة ١٣٤٤

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى سعادة المعتمد البريطاني المستر
جوردن المفخم .

تحية وسلاما . قد تناولت كتابكم المؤرخ في ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٥
وفهمت ما تضمنه . وقد حضرنا لمقابلكم في المحل الذي يخبركم به المنشئ
احسان الله . هذا وتقبلوا فائق احترامي « .

عاد احسان الله مسرعاً الى جده ، وفي الساعة العاشرة من صباح الخميس
وصل المعتمد البريطاني الى مقر السلطان ، وقال بعد السلام ان الحكومة
البريطانية لا تزال مقيمة على الحياد في قضية الحجاز . ولكنه بالنظر لما تجسم

من حالة جدة ، وبالنظر لمعرفة ان عظمة السلطان يفضل السلم على الحرب ، ويرغب في راحة المسلمين وحقق دمائهم ودماء الاجانب ، يتقدم الى عظمته بناء على طلب الملك علي وحكومته في التسليم . وان توسطه في تقديم هذه الشروط انما هو لغاية انسانية صافية . فاجاب السلطان قائلاً : « هذا احب ما عندي على شرط ان تكون الشروط موافقة لنا » .

عرضت الشروط فقبلها السلطان مبدئياً بعد شيء من التعديل . واهم ما فيها ان الملك علي يتنازل عن الملك وبيارج الحجاز ، ولا يأخذ معه غير امتعته الشخصية ومنها سيارته وبمجايدته وخيوله ، وان كل ما في الحجاز من الاسلحة ، والعدد الحربية ، والذخائر ، والطيارات وغيرها ، تسلم الى السلطان عبد العزيز ، وان البواخر التي هي ملك الحجاز تصير ملكاً له .

ولقاء ذلك يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والعسكريين والاشراف والاهالي عموماً سلامتهم الشخصية وسلامة اموالهم ، ويعلم العفو العام ، ويتعهد ان يرخل الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم ، وان يوزع بنسبة معتدلة على كل الضباط والعساكر الموجودين بمجدة خمسة آلاف جنيه .

قد امضى السلطان هذه الاتفاقية ^(١) في عصر ذاك اليوم ، وامضاها الملك علي في المساء ، فاعتبرت نافذة من تلك الساعة .

هي الفرصة المنتظرة . وقد تلا يوم الاتفاقية ثلاثة ايام هادئة راتقة استعدت فيها جدة للتسليم . ومساء الاحد عاد المعتمد البريطاني الى الرغامة ليخبر السلطان ان الامير علياً قد اقام في البارجة البريطانية « كورن فلاور » وانه قرر السفر الى عدن ومنها الى العراق . ثم جاء صباح اليوم التالي ومعه رئيس الحكومة الموقرة القائمقام عبدالله زبيل ، ورئيس العسكرية الضابط صادق بك ، فخطب السلطان قائلاً ان مهمته في التوسط قد انتهت ، وانه يقدم رئيس الملكية ورئيس العسكرية ليكونا مسؤولين امام عظمته .

(١) اثبتناها كاملة في الملحق

عاد حضرة الوكيل الى جدة محبوراً مشكوراً . وظل الرئيسان عند السلطان تلك المذاكرة في شؤون الحكومة وتسليم ممتلكاتها . ثم في صباح اليوم التالي ارسل -عظمته طليعة من حاشيته الى جدة لمباشرة العمل في ما يختص بالمهمات العسكرية -حوامير الجنود والضباط .

وفي ذاك الصباح ايضاً ، يوم الثلاثاء في ٦ جمادى الثانية ، ابجرت البارجة « كورن فلاور » نقل الامير علياً الى المنفى الذي اختاره لنفسه .

اما السلطان عبد العزيز فلم ينقل من مخيمه في الرغامة حتى صباح اليوم التالي ، فتقدمه فريق من جند المشاة ورهط من الخيالة بقيادة اخيه الامير عبد الله الى الكندرة لاستقباله فيها . وهناك امام ذاك البيت القائم على طرف من خط الدفاع المحاذي للاسلاك الشائكة ، امام ذاك البيت الذي كان يجتمع فيه رسل السلام الثلاثة الاولون ليتباحثوا في خير الطرق التي تضمن للعرب السلام والفلاح ، حيت البلاد السلطان عبد العزيز بمئة مدفع ومدفع .

وفي ذاك البيت جلس عظمته للوفود المساحين المهنيين ، فاستقبل معتمدي الدول والقناصل ، ثم ضباط الجند ، ثم اعيان المدينة . وقد تكلم قنصل ايطاليه السنيور فارس باللغة العربية مهنيًا السلطان فقال : « نظراً لكوني كبير القناصل سنًا انقدم بالنيابة عن نفسي وبالوكالة عن رفاقي بتقديم تهنئتنا لعظمتكم بدخولكم جدة في هذه الطريقة السلمية التي حققت بها الدماء . ونتمنى لعظمتكم التوفيق الدائم والسعادة » . فاجابه السلطان قائلاً انه لم يبطىء في الاعمال الحربية الا لهذه النتائج السلمية . ثم شكر للمعتمد البريطاني مسعاه ، واعرب للقناصل عن سروره بما كان من موقفهم في الانقلاب الاخير فتم سلاماً كما تمناه .

بعد ان اقام يومه في الكندرة دخل جدة في صباح الخميس ، في ٨ جمادى الثانية (٢٤ ديسمبر) ، بعد سنة واحدة من يوم أشرف عليها للمرة الاولى من الرغامة ، ونزل في بيت الوجيه العالم الشيخ محمد نصيف ، ثم باشر العدل في إعادة اليسر والطمانينة الى الحجاز .

الفصل الثاني والخمسون

عبد العزيز ملك الحجاز

قبل ان غادر السلطان عبد العزيز الرياض ، في ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ ، دعا العالم الاسلامي لعقد مؤتمر في مكة بقرار مصير الحجاز . وقد كرر هذه الدعوة بعد ذلك ، ثم عززها في ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ بكتاب خاص ارسله الى الحكومات والشعوب الاسلامية ، فكانت صرخة في واد ، لم يلبها غير فريق من مسلمي الهند وجمعية الخلافة هناك . ولكن اولئك المسلمين يريدون للحجاز ما لا يريده اهلهم . هم يرتآون في حكم البلاد المقدسة رأياً لا يوافقهم عليه اهل الحجاز ، وقد قاوموه عندما جاء الوفد الاسلامي الهندي الاول الى جدة ، واستمروا في مقاومته حتى نهاية الحرب ، الشريفيون والسعوديون على السواء . الحجاز للحجازيين ، هي كلمة الجميع . ولا نغان احداً في الحجاز يرغب في هيئة تحكمه مؤلفة من ممثلي الشعوب الاسلامية في العالم .

لذلك طلبوا من السلطان عبد العزيز ، بعيد دخوله جدة ، ان يكون لهم الحرية ، تلك الحرية التي وعد بها العالم الاسلامي ، والحجاز ركن منه ، ليقرروا مصير البلاد بلادهم ، فاجاب السلطان الطلب .

عندئذ تألف في جدة لجنة من اعيانها عددها عشرون ، فسافروا الى مكة واجتمعوا هناك بلجنة من اهلها عددها ثلاثون . وفي ٢٢ جمادى الثانية عقد اعضاء اللجنتين مجلساً قرروا فيه باجماع الرأي مبايعة السلطان عبد العزيز ملكاً على الحجاز ، وانفقوا على شروط البيعة ونصها . ثم قدموها الى عظمة السلطان ليرى رأيه فيها ، وطلبوا منه ، اذا حازت القبول ، ان يمين الوقت لعقد البيعة فاجاب الطلب .

وبعد صلاة الجمعة ، في ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤ (١٠ يناير ١٩٢٦) اجتمع الناس في المكان الممد للحفلة عند باب الصفا من المسجد الحرام ، وجاء عظمة السلطان في موكبه في الساعة الواحدة بعد الظهر . كان المشهد عربياً صافياً اي بسيطاً ديمقراطياً . فلم يكن هناك غير سجادة وقف عليها السلطان وكرمي للخطيب الذي تقدمه المناادي قائلاً : ان الله وملائكته يصلون على النبي . يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً . ثم اعتلى الكرسي الخطيب فحمد رب البيت المعظم ، وشكر وسبح ، وبعد ذلك قال :

« ايها الاخوان : ان الله سبحانه وتعالى قد انعم علينا بالامن بعد الخوف ، وبالرخاء بعد التدة . فقد انقشعت غيمة الحروب ، وقد توحدت الكلمة بحول الله تعالى وقوته ، فتعطف علينا عظمة هذا السلطان المحبوب بقبول البيعة المشروعة الواجبة علينا واني اتلوها على مسامعكم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . نبأبعك يا عظمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود على ان تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم ، والسلف الصالح والائمة الاربعة رحمهم الله ، وان يكون الحجاز للحجازيين ، وان اهلهم هم الذين يقومون بادارة شؤونه ، وان تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم » .

وعندما كان الخطيب يتلو البيعة كانت قلاع مكة تطلق مدافعها ، ما طلقت مئة مدفع ومدفع . وكان الناس اثناء ذلك يتزاحمون حول تلك السجادة الواقف عليها السلطان ليتقبل البيعة . فتقدم اولاً الاشراف ، ثم الوجهاء والاعيان ، وتلاهم المجاس الاهلي ، فالحكمة الشرعية ، فالائمة والخطباء ، فالمجلس البلدي ، فاهل المدينة المنورة ، فاهل جدة ، فبقية خده اخرى ، فالمطوفون

والزمزمة ، فشايع جاوه ، فاهل الحرف ، فشايع الحارات واهل المحلات (١) .
وبعد الحفلة مشى جلالة الملك الى البيت الحرام فطاف به سبعا ، وصلى في
المقام ، ثم جلس في مرادق دار الحكومة للمهنيين والخطباء .

— « لا بد للبلاد من ملك مستقل يكون قادراً على صيانة الحجاز من
الداخل والخارج . والذي يستطيع القيام بهذا الامر هو عبد العزيز بن عبد
الرحمن آل سعود » .

— « وما اعطاك الله هذا العطاء يا عبد العزيز الا لانك سائر في مرضاته » .
وقال آخر بعد اطرائه الامة العربية في زمن السلف الصالح : « علينا ان
نحمسك بذلك الجبل المتين ليرجع للمسلمين ما كان لهم من السؤدد والعز » .
ان في هذه الكلمات الثلاث مثالا من عقلية القوم ونزعتهم السياسية والدينية .
ثم خطب الملك السلطان فقال :

« اسمع خطباءكم يقولون : هذا امام عادل . وهذا كذا وكذا — فاعلموا
ان ما من رجل ، مهما بلغ من المنازل العالية ، يستطيع ان يكون له اثر وان
يقوم بعمل جيد ، اذا كان لا يخشى الله . واني احذركم من اتباع الشهوات
التي فيها خراب الدين والدنيا . واحثكم على الصراحة والصدق في القول ،
وعلى ترك الرياء والملق في الحديث . لم يفسد الممالك الا الملوك واحفادهم ،
وخدامهم ، والعلماء المملقين واعوانهم . ومتى اتفق الامراء والعلماء ليستر
كل منهم على صاحبه ، فيمنع الامير المنح ، والامراء يدلسون ، ضاعت
حقوق الناس وفقدنا والياد بالله الاخرة والاولى » . الى ان قال خاتماً كلامه :
« واني احمد الله الذي جمع الشمل وامن الاوطان . ولكم علي عهد الله وميثاقه
اني انصح لكم كما انصح لنفسي واولادي » .

فهتف الناس اذ ذاك قائلين : « جزاك الله خيراً ، جزاك الله خيراً ! »

(١) وقد جاءت بعدئذ برقيات بالبيعة من المدينة المنورة ومن ينبع والوجه وضبا والعلاء .
وكانت حكومة السوفيت (الروسية) اول الدول التي اعترفت بملك الحجاز وساططان نجد
ومملحاتها ، ثم اعترفت به حكومات بريطانيا العظمى ، والجمهورية الافرنسية ، وهولندة
الجمهورية التركية .

وفي مساء ذلك اليوم دعا جلالته الى بيته اعضاء المجلس الاهلي ، والوفد
الذي قدم من جدة ، وبعض اهل الوجاهة في ام القرى ، فخطبهم بما معناه :
اننا الان في وقت العمل وفي ساعة التأسيس . ولا يستقيم الامر الا بحسن
التدبير وبالصدق والنزاهة . انتم ارباب الرأي والفكر في بلادكم ، فعليكم ان
تقرروا شكل الحكومة ، وتضعوا دستوراً لها ، وتحددوا العلاقات بين نجد والحجاز ،
وتبحثوا في ما ينبغي ان يكون موقف الحجاز تجاه الدول .
ثم امر بان يؤلف من مندوبي مكة وجدة مجلس تأسيسي ، فينضم اليه مندوبون
من بلدان الحجاز الاخرى ، للنظر في ماذكر من المسائل ونقريها .
وبعد ان تألف هذا المجلس انتخب بالاقتراع السري لجنة لوضع القانون
الاساسي ، ثم عرض اسماءها على جلالة الملك ، فامر بان يرأس اللجنة الشيخ عبد
القادر الشيبني ، حامل مفتاح بيت الله الحرام ، وان يضم اليها خمسة آخرون ،
انتخبهم جلالاته ، من الاشراف والتجار .
كذلك في هذا الشرق الجديد يصلح التعيين الاقتراع ، ويكمل الحاكم الفرد
ما ينقص في حكم الشورى .

انتهى

اهم الوقعات وتواريخها

- وقعة الصريف في ٢٦ ذي القعدة ١٣١٨ (١٦ فبراير ١٩٠١)
 احتلال الرياض في ٥ شوال ١٣١٩ (١٥ يناير ١٩٠٢)
 فتح عنيزة في ٥ محرم ١٣٢٢ (٢٣ مارس ١٩٠٤)
 وقعة البكيرية في ١ ربيع الاول ١٣٢٢ (١٦ مايو ١٩٠٤)
 وقعة الشنانة في ١٨ رجب ١٣٢٢ (٢٩ سبتمبر ١٩٠٤)
 وقعة روضة مهنا (ذبحة ابن الرشيد) في ١٨ صفر ١٣٢٤ (١٤ ابريل ١٩٠٦)
 وقعة الطرفية في ٥ شعبان ١٣٢٥ (١٤ سبتمبر ١٩٠٧)
 احتلال بريدة وكسرة ابي الخيل في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٢٦ (٢٣ مايو ١٩٠٨)
 وقعة هديّة في ١ جمادى الثانية ١٣٢٨ (١٠ يونيو ١٩١٠)
 فتح الحساء في ٥ جمادى الاولى ١٣٣١ (١٣ ابريل ١٩١٣)
 وقعة جراب في ٧ ربيع الاول ١٣٣٣ (٢٤ يناير ١٩١٥)
 وقعة ترّبة في ٢٥ شعبان ١٣٣٧ (٢٥ مايو ١٩١٩)
 الاستيلاء على عسير في شوال ١٣٣٨ (يوليو ١٩٢٠)
 وقعة الجهري في ٢٦ محرم ١٣٣٩ (١١ اكتوبر ١٩٢٠)
 سقوط حائل في ٢٩ صفر ١٣٤٠ (٢ نوفمبر ١٩٢١)
 سقوط الطائف في ٧ صفر ١٣٤٣ (٧ سبتمبر ١٩٢٤)
 احتلال مكة في ١٨ ربيع الاول ١٣٤٣ (١٨ اكتوبر ١٩٢٤)
 وقعة المصفحات في ١٨ شعبان ١٣٤٣ (١٤ مارس ١٩٢٥)
 تسليم المدينة (بعد حصار دام عشرة اشهر) في ١٩ جمادى الاولى ١٣٤٤
 (٥ ديسمبر ١٩٢٥)
 تسليم جدة (بعد حصار استمر سنة كاملة) في ٦ جمادى الثانية ١٣٤٤
 (٢٢ ديسمبر ١٩٢٥)

الملحق

- فتوى علماء نجد في تعصب بعض الاخوان
- الامر السلطاني المبني على فتوى العلماء
- اتفاقية بحرة
- اتفاقية حداء
- اتفاقية مكة المكرمة
- المعاهدة بين بريطانيا العظمى والحجاز ونجد
- اتفاقية تسليم جدة
- لائحة الهُجَر
- القود السعودية

فتوى علماء نجد

في تعصب بعض الاخوان

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن عبد اللطيف وحسن بن حسين وسعد بن حمد بن عتيق وعمر بن محمد بن سليم وعبد الله بن عبد العزيز العنقري وسليمان بن مسمان ومحمد ابن عبد اللطيف وعبد الله بن بليهد وعبد الرحمن بن سالم الى الاخوان كافة من اهل الهجر وغيرهم ، وقفنا الله واياهم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا واياهم من حزه واولياء امين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ذلك انكم تفهمون ما من الله به علينا وعليكم من نعمة الاسلام وتجديد هذه الدعوة ، والذي علينا وعليكم شكر الله واتباع اوامره ، واجتناب نواهيه . ولا يخفى عليكم ما جرى من الاختلاف وكثرة الشبهة وهي على ثلاثة امور .

الاول — وهو الاكثر طلب الخير والاجتهاد ووقوع الناس في امور تخل في دينهم ودنياهم ، لانهم يأتون ذلك محبة للدين بغير دليل .

الثاني — لا بد ان في بعض الاخوان المتقدمين شدة وتعصباً بغير دليل . فلما تبين له الامر وسأل طلبه العلم ، وتحقق عنده ان تعصبه خطأ ، استنكر منه اخوانه وصار بينه وبينهم اختلاف بغير سؤال ولا تبين حقيقة ما عنده .

الثالث — أتوا به اناس من الذين يدعون طلب العلم من الحضرة وهم جهال يدخلون على بعض الاخوان اموراً مشتبهاً . يريد احدهم الحق وهو مخطئه واخر يرغب في معرفة الامور المخالفة .

فلما تحقق ذلك عند ولاية الامر وعند العلماء احبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم وولاية الامر منهم . فلما حضروا سمع الحاضر بنفسه ، والغائب نبلفه بهذا الكتاب . فقد سألنا الامام عبد العزيز بحضرتهم عن امور هي :

الاول : هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين باوامر الله ونواهيه ام لا .

الثاني : هل من فرق بين لابس العقاب ولابس العمامة اذا كان معتقدهما واحداً ام لا .

الثالث : هل في الحضرة الاولين وفي المهاجرين الآخرين فرق ام لا .

الرابع : هل في ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ، ودربه دربههم ، ومعتقده معتقدهم ، وفي ذبيحة الحضرة الاولين او المهاجرين فرق حلال او حرام ام لا .

الخامس : هل للمهاجرين امر او رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا ، فيضربونهم او يؤذونهم او يهددونهم او يلزمونهم بالمهجرة ام لا . وهل لاحد ان يهجر احداً بدوياً كان او حضرياً بغير امر واضح او كفر صريح او شيء من الاعمال التي يجب هجره عليها بغير اذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي ؟

فاجبنا بحضور الحاضر من المسلمين ان كل هذه الامور مخالفة للشرع ، وما امرت بها الشريعة . وان الذي يفعلها ينهى عنها ويحذر ، فان تاب واقر بخطئه فيعفى عنه . وان استمر على امره وعانده ، فيجب عليه تأديب ظاهر بين المسلمين . وان لا يعادى ولا يصادق الا على ما امرت به الولاية او حكم به حاكم الشرع . والذي يفعل ما يخالف ذلك فطريقته غير طريقة المسلمين . وهذا الذي ندين به ، ونشهد الله عليه ، ونرجوه ان يوفقنا واياكم للخير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . سنة ١٣٣٧

الامر السلطاني

المبني على فتوى العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز آل فيصل الى الاخوان كافة وفقنا الله واياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات امين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك تفهمون ان الله سبحانه انعم علينا بنعمة الاسلام ومن علينا ان جعلنا من اهله . ولا يخفى عليكم ما مضى على اسلافكم من الامور التي تغضب الله وتحالف الشريعة . وحيث ان الله منّ عليكم بهذا الامر فيجب عليكم ان تذكروا ذلك بالشكر ، واعظم الشكر واكبره هو ان تنقيدوا باتباع اوامر الله واجتناب نواهيه . ثم لا يخفى عليكم ما جرى من النزاع والاختلاف الذي يخشى علينا منهما اخفاق الاعمال والفتنة . وليس قصدنا غير تقويم الشريعة ، ونجاة انفسنا من عذاب النار . ولا يتم هذا الا بالاقتصاد واتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلماء المسلمين اولهم وآخرهم .

وربما يلتبس عليكم الامر في بعض ائمة المسلمين واعتقاداتهم ، فاحبت لذلك ان اشرح لكم العقيدة التي ذكرها المشايخ في فتواهم . وهو ان معتقد المسلمين واحد حضرم وبدويهم . وتعلمون ان اصل المعتقد كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف الصالح من بعدهم ، وثم ائمة المسلمين الاربعة ، الامام مالك والامام الشافعي والامام احمد والامام ابو حنيفة . فاعتقاد هؤلاء واحد في الاصل ، وهو انواع التوحيد الثلاثة ،

توحيد الربوبية ، وتوحيد الالهية ، وتوحيد الاسماء والصفات كما هو مقرر في كتب العلماء ، التي يمكنكم مراجعتها والحمد لله في كل ساعة . فهم في هذا الاصل سواة . قد يكون بينهم اختلاف في الفروع وكلهم ومن هذا حذوهم على حق ان شاء الله الى يوم القيامة .

ونحن يا اهل نجد كافة على مذهب الامام احمد بن حنبل في الفروع . واما في الاصل فنحن والمذكورون اعلاه على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . على انه في اخر الامر اظهر الله شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم ثم من بعدهما الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، رحمهم الله وتقع بهم الاسلام والمسلمين ، ارسلهم كلهم ، وخصوصاً محمد بن عبد الوهاب ، عندما اندرست اعلام الاسلام وكثرت الشبهات والبدع .

فلما رأى اسلافنا موافقة اقوالهم وافعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله قبلوا ذلك وقاموا بما اظهره الله على ايديهم . ونحن ان شاء الله على سبيلهم ومعتقدهم ، نرجو ان يحمينا على ذلك ويميتنا عليه . وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في الاعتقاد ، والعمدة على ما ذكره . فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وقصده في هجرته وانتسابه الى الخير دورة ما عند الله ، فليعتمد على ذلك قولاً وفعلًا . ولا يحيط فيه لبس . وليترك مخالفته . ومن اشكل عليه شيء من الامور فليرده الى طالب العلم المنسوب عنكم بامر الولاية ورضى المشايخ . ونحن نعتقد ان ليس عندهم ما يخالف ذلك ان شاء الله ، وان قصدكم رضى الله . انما من الشفقة عليكم احببنا التبيين لكم بذلك انذاراً للمخالف او المتكلم بضده . وان من خالف ذلك بقول او بفعل فذمتنا وذمة المسلمين بريئة منه ، ولا يأمن البطش بنفسه وبجلاله . هذا حكمنا عينا . ومن انذر فقد اعذر . نرجو الله ان يوفقنا واياكم للخير ، وينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويجعلنا واياكم من انصار دينه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . سنة ١٣٣٧ الختم

اتفاقية بحرة

نظراً للمعاهدة المعقودة بين حكومتي العراق ونجد ابتغاء تأمين الصلات
الحسنة بينهما والمعروفة بمعاهدة المحمرة التي قد وقعت في اليوم السابع من شهر
رمضان المبارك سنة ١٣٤٠ الموافق ٥ ماي سنة ١٩٢٢ ،

ونظراً للبروتوكولين المعروفين بالبروتوكول رقم ١ والبروتوكول رقم ٢ اللذين
أضيفا الى معاهدة المحمرة المذكورة اعلاه والموقع عليهما في العقير في اليوم الثاني
عشر من شهر ربيع الثاني المبارك سنة ١٣٤١ الموافق ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ،
ونظراً لايام المعاهدة والبروتوكولين المذكورين آنفاً طبقاً للعادة من قبل
حكومتي العراق ونجد ،

ونظراً لما تعهد به كل من حكومتي العراق ونجد في المادة الاولى في معاهدة
المحمرة المذكورة بان يمنع كل منهما عشايره عن التعدي على عشاير الحكومة
الآخري ، وان يعاقب كل من الحكومتين من يتعدى من العشاير التابعة للحكومة
الآخري ، وان تتذاكر الحكومتان اذا حالت الظروف دون قيام احدهما بالتأديب
اللائق في امكان اتخاذ تدابير مشتركة طبقاً للصلات الحسنة السائدة بينهما ،
ونظراً لاعتقاد حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومتين المذكورتين
بانه يحسن لهاتين الحكومتين ، حرصاً على الصداقة وحسن الصلات بين العراق
ونجد ، وضع اتفاقية بخصوص بعض المسائل المعلقة بينهما ،

نحن الموقعين ادناه سلطان نجد وملحقاتها عبد العزيز بن عبد الرحمن آل
فيصل آل سعود والسرجلبرت كلايتون المندوب المفوض من قبل حكومة صاحب
الجلالة البريطانية والمخول بان ينوب عن الحكومة العراقية في الاتفاق والتوقيع
قد انفقنا على المواد الآتية :

المادة الاولى — تعترف كل من دولتي العراق ونجد ان الغزو من قبل العشاير

القاطنة في اراضيها على اراضي الدولة الاخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها وان رئيس العشيرة المتعدية يعد مسؤولاً

المادة الثانية — (١) تؤلف محكمة خاصة ، بالاتفاق بين حكومتي العراق ونجد ، تلتئم من حين الى آخر للنظر في تفاصيل اي تعدٍ يقع من وراء حدود الدولتين ولا حصاء الاضرار والخسائر وتعيين المسؤولية . ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساوٍ من ممثلي حكومتي العراق ونجد وتعهد رئاستها الى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية و نافذة .

(ب) بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الاضرار والخسائر الناشئة عن الغزو ، واصدار المحكمة قرارها بذلك ، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر ، وبمعاينة المحكوم عليه كما جاء في المادة الاولى من هذه الاتفاقية .

المادة الثالثة — لا يجوز لعشائر احدي الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الاخرى الا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم ، وبعد موافقة الحكومة الاخرى ، مع العلم انه لا يحق لاحدي الحكومتين ان تمتنع عن اعطاء الرخصة او الموافقة اذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعى عملاً بمبدأ حرية الرعي .

المادة الرابعة — نتعهد حكومتا نجد والعراق بان نقفا بكل ما لديهما من الوسائل ، غير الطرد واستعمال القوة ، في سبيل انتقال كل عشيرة او فخذ من احدي القطرين الى الاخر ، الا اذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتهم ورضاهما ، ونتعهد الحكومتان بان تمتنعا عن تقديم الهدايا اياً كان نوعها للمتجثئين من البلاد التابعة للحكومة الاخرى ، وبان ننظرا بعين السخط على كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعين للحكومة الاخرى ، او تشجيعهم على الانتقال من بلادهم الى البلاد الاخرى .

المادة الخامسة — ليس لحكومتي العراق ونجد ان تتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الدولة الاخرى في الامور الرسمية او السياسية .

المادة السادسة — لا يجوز لقوات العراق ونجد ان تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقيب المجرمين الا يرضى الحكومتين^(١) .

المادة السابعة — لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية او لهم رايات تدل على انهم قواد لقوات مسلحة ان يظهروا راياتهم في اراضي الدولة الاخرى .

المادة الثامنة — اذا طلبت احدى الحكومتين من عشائرها النازلة في اراضي الدولة الاخرى تجريدات مسلحة فالعشائر المذكورة احرار في تلبية دعوة حكومتهم على ان يرحلوا بعائلاتهم واموالهم بكل سكينه .

المادة التاسعة — اذا انتقلت عشيرة من اراضي احدى الحكومتين الى الاراضي التابعة للحكومة الاخرى ، وشنت الغارات بعد انتقالها على البلاد التي كانت تقطن فيها ، يحق للحكومة التي تقيم العشيرة في اراضيها ان تأخذ منها ضمانات كافية ، حتى اذا تكررت منها مثل ذلك الاعتداء تكون هذه الضمانات عرضة للمصادرة ، وذلك عدا العقاب المنصوص عليه في المادة الاولى ، وعدا ما قد تفرضه المحكمة المنصوص عليها في المادة النامية من هذه الاتفاقية .

المادة العاشرة — تتعهد حكومتا العراق ونجد بان تقوموا بمذكرات ودية ، لعقد اتفاقية خاصة بشأن تسليم المجرمين ، طبقاً للعادات المرعية بين الدول المتحابة وذلك في مدة لا تتجاوز السنة اعتباراً من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة من قبل حكومة العراق .

المادة الحادية عشرة — النص العربي هو النص الرسمي الذي يرجع اليه في تفسير مواد هذه الاتفاقية .

المادة الثانية عشرة — تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية بحره .

وقعت هذه الاتفاقية في محرم بحرة في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤ الموافق اول نوفمبر سنة ١٩٢٥
الامضات

(١) وفي بروتوقول العقير المادة الثالثة « تتعهد الحكومتان كل من قبلها الا تستخدم الابار الموجودة على اطراف الحدود لاي فرض حربي كوضع قلاع عليها ، وان لا تعين جنوداً في اطرافها » .

اتفاقية حداء

نظراً للعلاقات الودية السائدة بين الحكومة البريطانية السامية من جهة وسلطنة نجد وملحقاتها من جهة أخرى ، ونظراً لرغبتها في تعيين الحدود بين نجد وشرقي الاردن وتسوية بعض المسائل المتعلقة بذلك ، اختارت الحكومة البريطانية السامية السرجلبرت كلايتون ، كي ، بي ، إي . مي ، بي ، مي . ام ، جي . وعينته مندوباً مفوضاً عنها ليعقد اتفاقية في هذا الشأن مع السلطان عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود بالنيابة عن نجد . وبناء عليه قد انفق السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود والسرجلبرت كلايتون وتعاهدا على المواد الآتية :

المادة الاولى — يبتدىء الحد بين نجد وشرقي الاردن في الجهة الشمالية الشرقية من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٩ (شرقي) ودائرة العرض ٣٢ (شمالي) حيث تنتهي الحدود بين العراق ونجد ويمتد على خط مستقيم الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٧ (شرقي) بدائرة العرض ٣٠ ، ٣١ (شمالي) فيتبع دائرة الطول ٣٧ (شرقي) الى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٢٥ ، ٣١ (شمالي) ثم يمتد من هذه النقطة على خط مستقيم الى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) بدائرة العرض ٣٠ (شمالي) تاركاً ما برز من اطراف وادي ، مرجان لنجد ثم يتبع دائرة الطول ٣٨ (شرقي) الى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٣٥ ، ٢٩ (شمالي) اما الخارطة التي يرجع اليها في هذه الاتفاقية فهي الخارطة المعروفة بالدولية « آسيا مقياس واحد على مليون » .

المادة الثانية — تنعهد حكومة نجد بان لا تقيم اي حصن في (كاف) والا تستعملها والمنطقة في جوارها كنقطة عسكرية .
اما اذا رأت حاجة في حين من الاحيان الى اتخاذ تدابير استثنائية بجوار

الحدود للمحافظة على الامن ، او لاي غرض اخر يستوجب حشد القوات العسكرية المسلحة ، فتتعهد بان تنبذ حكومة صاحب الجلالة البريطانية بذلك في اقرب وقت . وعلاوة على ذلك تنعهد بان تمنع قواتها من التعدي على اراضي شرقي الاردن بكل ما لديها من الوسائل .

المادة الثالثة — منعاً لسوء التفاهم الذي قد يحصل في الحوادث التي تقع قرب الحدود ، وتوثيقاً لعري الثقة المتبادلة بين الطرفين والتعاون الكلي بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة نجد ، ينفق الطرفان على القيام بمذاكرات متواصلة بين المعتمد البريطاني في شرقي الاردن او مندوبه وبين حاكم وادي السرحان .

المادة الرابعة — تنعهد حكومة نجد بصيانة جميع الحقوق التي تتمتع بها في وادي سرحان القبائل غير التابعة لنجد سواء كانت حقوق الرعي او السكن او الملكية او ما يشبه ذلك من الحقوق الثابتة بشرط ان تخضع تلك القبائل ، مادامت نازلة ضمن حدود نجد ، للقوانين الداخلية التي لا تمس هذه الحقوق . وتعامل حكومة شرقي الاردن نفس المعاملة رعايا نجد المتمتعين بحقوق ثابتة في شرقي الاردن شبيهة بالحقوق المذكورة .

المادة الخامسة — تعترف كل من نجد وشرقي الاردن ان الغزو من قبل العشائر القاطنة في اراضيها على اراضي الحكومة الاخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها ، وان رئيس العشيرة المتعدية يعد مسؤولاً .

المادة السادسة — (١) تؤلف محكمة خاصة ، بالاتفاق بين حكومتني نجد وشرقي الاردن ، تلتئم من حين الى آخر للنظر في تفاصيل اي تعدي يقع من وراء الحدود ولا حصاء الاضرار والخسائر وتعيين المسؤولية . ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساوٍ من ممثلي حكومتني نجد وشرقي الاردن ، وتعهد رئاستها الى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين . يثنق على اختياره الحكومتان . وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافاذة .

(ب) بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الاضرار والحسائر الناشئة عن الغزو ، و اصدار المحكمة قرارها بذلك ، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لمعادات العشائر ، وبمعاقبة المحكوم عليه كما جاء في المادة الخامسة من هذه الاتفاقية .

المادة السابعة — لا يجوز لعشائر احدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الاخرى الا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم ، وبعد موافقة الحكومة الاخرى ، مع العلم انه لا يحق لاحدى الحكومتين ان تمتنع عن اعطاء الرخصة او الموافقة اذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعي ، عملاً ببدا حربة الرعي .
المادة الثامنة — تتعهد حكومتا نجد وشرقي الاردن بان تقفا بكل ما لديهما من الوسائل ، غير الطرد واستعمال القوة ، في سبيل انتقال كل عشيرة او فخذ من احد القطرين الى الآخر ، الا اذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتهم ورضاهما ، وتتعهد الحكومتان بان تمتنع عن تقديم الهدايا اياً كان نوعها للمتجشئين من البلاد التابعة للحكومة الاخرى ، وبان تنظرا بعين السخط الى كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعين للحكومة الاخرى ، او تشجيعهم على الانتقال من بلادهم الى البلاد الاخرى .

المادة التاسعة — ليس لحكوتي نجد وشرقي الاردن ان تتفاوض مع رؤساء وشيوخ عشائر الحكومة الاخرى في الامور الرسمية او السياسية .

المادة العاشرة — لا يجوز لحكوتي نجد وشرقي الاردن ان تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقيب المجرمين الا برضى الحكومتين .

المادة الحادية عشرة — لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية او لهم رايات تدل على انهم قواد قوات مسلحة ان يظهروا راياتهم في اراضي الحكومة الاخرى .

المادة الثانية عشرة — على كل من حكوتي نجد وشرقي الاردن ان تمتنع حربة المرور لجميع المسافرين والحجاج ، بشرط ان يخضع هؤلاء للقوانين الخاصة بالسفر والحج المرعية في نجد وشرقي الاردن ، وعلى كل من هاتين الحكومتين ان

تخبر الحكومة الاخرى باي قانون قد تسنه في هذا الخصوص .
 المادة الثالثة عشرة — تنعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية ان تضمن حرية المرور في كل حين للتجار من رعايا نجد لقضاء تجارتهم بين نجد وسورية ذهاباً واياباً ، وان تحصل على الاعفاء من الضرائب الجمركية وغيرها لجميع الاموال التي تجتاز منطقة الانتداب في مرورها من نجد الى سورية او من سورية الى نجد ، على ان يخضع التجار وقوافلهم لما قد يلزم من التفتيش الجمركي ، وان يكونوا حاملين وثيقة من حكومتهم تشهد انهم تجار مشروعون . وبشروط ان تتبع القوافل التجارية ذات الاموال المحملة طرقاً معروفة سيتفق عليها فيما بعد للدخول في منطقة الانتداب والخروج منها ، مع العلم ان هذه القيود لا تسري على القوافل التجارية التي تقتصر تجارتها على الابل والحيوانات ، ولا على العشائر التي تنتقل بمقتضى المواد السابقة من هذه الاتفاقية . وتنعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بان تحصل على غير ذلك من التسهيلات الممكنة للتجار من رعايا نجد المارين بمنطقة انتدابها .

المادة الرابعة عشرة — تبقى هذه الاتفاقية نافذة ما دامت حكومة صاحب الجلالة البريطانية مكافئة بالانتداب على ثمرقي الاردن .

المادة الخامسة عشرة — قد دوت هذه الاتفاقية باللغة الانكليزية واللغة العربية ، ووقع كلا الطرفين المتعاقدين نسختين من النص العربي ونسختين من النص الانكليزي ، ويكون للنصين قيمة رسمية واحدة . ولكن اذا وقع اختلاف بين النصين في تفسير مادة من مواد هذه الاتفاقية فيرجع الى النص الانكليزي .
 المادة السادسة عشرة — تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية حداء .

وقعت هذه الاتفاقية في حداء في الخامس عشر من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤

الامضاءات

الموافق ٢ نوفمبر ١٩٢٥

معاهدة مكتة المكرمة

الحمد لله وحده

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها وبين الامام السيد الحسن بن علي
الادريسي .

رغبة في توحيد الكلمة ، وحفظاً لكيان البلاد العربية ، وثقوبة للروابط بين
امراء جزيرة العرب ، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود وصاحب السيادة امام عسير السيد
الحسن بن علي الادريسي على عقد المعاهدة الآتية :

المادة الاولى : يعترف سيادة الامام السيد الحسن بن علي الادريسي بأن
الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ المنعقدة بين سلطان
نجد وبين الامام السيد محمد بن علي الأدرسي ، والتي كانت خاضعة للأدارة
في ذلك التاريخ ، هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها
بموجب هذه المعاهدة .

المادة الثانية : لا يجوز لامام عسير ان يدخل في مفاوضات سياسية مع اي
حكومة ، وكذلك لا يجوز ان يمنح اي امتياز اقتصادي ، الا بعد الموافقة على ذلك
من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الثالثة : لا يجوز لامام عسير اشهار الحرب او ابرام الصلح الا بموافقة
صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

المادة الرابعة : لا يجوز لامام عسير التنازل عن جزء من اراضي عسير
المبينة في المادة الاولى .

المادة الخامسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية امام
عسير الحالي على الاراضي المبينة في المادة الاولى مدة حياته ومن بعده لمن يتفق

عليه الادارسة واهل العقد والحل التابعين لأمامته .

المادة السادسة : يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بان ادارة بلاد عسير الداخلية ، والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق امام عسير على ان تكون الاحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين .

المادة السابعة : يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعدٍ داخلي او خارجي يقع على اراضي عسير المبينة في المادة الاولى ، وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة .

المادة الثامنة : يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها .

المادة التاسعة : تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين .

المادة العاشرة : دونت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقبتين .

المادة الحادية عشرة : تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة .

وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

الختم الملكي

امام عسير

الحسن بن علي الادريسي

الختم

تم ذلك بحضور راقم هذه

الاحرف خادم الاسلام

احمد الشريف السنوسي

الختم

المعاهدة

بين بريطانيا العظمى والحجاز ونجد

جلالة ملك بريطانيا ودارلنده والممتلكات البريطانية من وراء البحار امبراطور الهند من جهة ، وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة اخرى
 رغبة في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها ، وتأمين مصالحهما وثقوبتهما ، قد عزموا على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم . لذلك اوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السر جلبرت فلكنجهام كلايتون مندوباً مفوضاً عنه ، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن عبد العزيز فحمله ونائبه في الحجاز مندوباً مفوضاً عنه بناء على ما تقدم وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها قد اتفقا ، سمو الامير فيصل بن عبد العزيز وحضرة السر جلبرت كلايتون ، على المواد الاتية :
 المادة الاولى — يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لمالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

المادة الثانية — يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بان يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر ، بان يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للاعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر .

المادة الثالثة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل اداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والاشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين اسوة بسائر الحجاج ، ويعلن جلالته الملك بانهم يكونون آمنين على

أموالهم وانفسهم اثناء اقامتهم في الحجاز .

المادة الرابعة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفاً ، والذين ليس لهم في بلاد جلالته اوصياء شرعيون ، الى المعتمد البريطاني في جدة او من ينتدبه لهذا الغرض ، لا يصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين ، بشرط ان لا يكون تسليم تلك المخلفات الى الممثل البريطاني الا بعد ان تتم المعاملات بشأنها امام المحاكم المختصة ، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية او النجدية .

المادة الخامسة — يعترف صاحب الجلالة البريطاني بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية او البلاد المشمولة بحماية جلالته . وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الاشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، على ان تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة .

المادة السادسة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على الصلات الودية والسلمية مع الكويت والبحرين ومشايخ قطر والساحل العماني ، الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

المادة السابعة — يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بان يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق .

المادة الثامنة — على الفريقين المتعاقدين ابرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الابرام باقرب وقت .

وتصير المعاهدة نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الابرام ، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ . وان لم يعلن احد الفريقين المتعاقدين الفرق الآخر ، قبل انتهاء السنوات السبع بستة اشهر ، انه يريد ابطال المعاهدة

تبقى نافذة . ولا تعتبر باطلة الا بعد مضي ستة اشهر من اليوم الذي يعلن فيه ابطالها من احد الفريقين الى الفريق الاخر .

المادة التاسعة — تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ت ١ سنة ١٩١٥ يوم كان جلالتها حاكماً لنجد وما كان ملحقاً بها اذ ذاك ملغاة ابتداءً من تاريخ ابرام هذه المعاهدة .

المادة العاشرة — دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والانكليزية ، والنصين قيمة واحدة . اما اذا وقع اختلاف في تفسير اي قسم منها فيرجع الى النص الانكليزي .

المادة الحادية عشرة — تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة .
وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ١٣٤٥ هجرية الموافق عشرين ايار سنة ١٩٢٧

الامضاءات

اتفاقية تسليم جدة

- ١ — بالنظر لتنازل الملك علي، ومبارحته للحجاز، وتسليم بلدة جدة، يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والحريين والاشراف واهالي جدة عموماً والعرب والسكان والقبائل سلامتهم الشخصية وسلامة اموالهم .
- ٢ — يتعهد الملك علي ان يسلم في الحال اسرى الحرب الموجودين بجدة ان وجد .
- ٣ — يتعهد السلطان عبد العزيز بان يمنح العفو العام لكل المذكورين اعلاه
- ٤ — يجب على جميع الضباط والعساكر ان يسلموا في الحال الى السلطان عبد العزيز بجميع اسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطيارات وخلافه وجميع المقاتل الحربية
- ٥ — يتعهد الملك علي وجميع الضباط والعساكر بان لا يحربوا اي شيء من الاسلحة والمقاتل الحربية جميعها او يتصرفوا بها .
- ٦ — يتعهد السلطان عبد العزيز بان يرذل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة الى اوطانهم ويتعهد باعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم .
- ٧ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة الاف جنيه .
- ٨ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يقي جميع موظفي الحكومة الملكيين الذين يجد فيهم الكفاءة في تأدية واجباتهم بامانة في مراكزهم .
- ٩ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح الملك علي الحق ان يأخذ معه الامتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك سيارته وسجانيده وخيوله .
- ١٠ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط ان تكون هذه الممتلكات من الموروثة فعلاً ، ولا تشمل على الاملاك النابتة المحولة من الاوقاف بمعرفة الحسين الى شخصه ، ولا على المباني

التي يكون الحسين قد بناها في اثناء ملكه لما كان ملكاً على الحجاز

١١ — يتعهد الملك علي ان يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساءً .

١٢ — جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي (الطويل ورشدي والرقمتين ورضوى) تصير ملكاً للسلطان عبد العزيز ، ولكن السلطان يسمح ان لزم الامر للباخرة رقتين ان تستعمل لنقل الامتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع .

١٣ — يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بان لا يبيعوا او يخربوا اي شيء من املاك الحكومة مثل المنتات والسنايك وخلافه .

١٤ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين بينبع الحقوق والامتيازات المذكورة سابقاً الا فيما يختص بتوزيع النقود .

١٥ — يتعهد السلطان عبد العزيز ان يمنح العفو للاشخاص المذكورة اسماؤهم ادناه ايضاً ضمن العفو العام ، وهم عبد الوهاب ومحسن وبكري ابنا يحيى قزاز ، وعبد الحي بن عابد قزاز ، واحمد وصالح ابنا عبد الرحمن قزاز ، واسماعيل ابن يحيى قزاز ، والشيخ محمد علي صالح بتاوي واخوانه ابراهيم وعبد الرحمن بتاوي ابنا محمد علي صالح بتاوي وابنائهم وابناء عمهم حسن وزين بتاوي وابناء محمد نور والشيخ يوسف خشيرم والشيخ عباس ولد يوسف خشيرم والشيخ ياسين بسيوفي والسيد احمد السقاف وعائلات واموال جميع المذكورين آنفاً .

١٦ — ان كان الملك علي او رجائه في حال من الاحوال يخالفون او يقصرون في تنفيذ اي مادة من المواد التي تقدم ذكرها فان السلطان عبد العزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤولاً عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية .

١٧ — يتعهد الطرفان السلطان عبد العزيز والملك علي ان يكفيا عن اي حركة عدائية اثناء سير هذه المفاوضات .

الخاميس في ١ جمادى البانية سنة ١٣٤٤ الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٢٥

الامضاءات

لائحة المهجر

كل عدد من الاعداد المذكورة ادناه ، اي عدد من يلبون دعوة الجهاد من كل قرية ، يضاف اليه ضعف الاول ، وهم البدو اي الذين يرعون المواشي ، والضعف الاخر المحترفون اي الذين يبقون في البلدة ليقوموا بصناعتها وتجاريتها وزراعتها . والمجموع عدد سكان الذكور في كل هجرة .

بلاد نجد وضعا هي من القصيم الى وادي حنيفة .

بلي الجهاد من نجد فقط اربعة الاف . وهؤلاء مسلحون متأهبون دائما ، وهم بمثابة العسكر النظامي ، يدفع لهم السلطان كل ثلاثة اشهر قيمة مرضية غير معينة من المال . وكذلك المجاهدون من هجر حرب .

هجر قطان		هجر مطير	
عدد المجاهدين		بلي الجهاد منها	
الهيثم	٠٨٠٠	الارطاوية	٢٠٠٠
الهيثم — بادية	١٠٠٠	مبايض	١٠٠٠
الجبعة	٠٣٠٠	فريتان	١٠٠٠
الحصاة	٠٨٠٠	مأبيح	٠٢٠٠
الرين الاسفل	٢٠٠٠	العمار	٠٢٠٠
الرين الاعلى	٢٠٠٠	الاثلة	١٠٠٠
	٦٩٠٠	الارطاوي	٠٦٠٠
هجر الدواسر		مسيكه	٠٨٠٠
مشيرقه	١٥٠٠	خريجه	٠٨٠٠
الوسيطه	٠٨٠٠	قرية العليا	١٥٠٠
	٢٣٠٠	قرية السفلى	١٠٠٠
			١١١٠٠

هجر حرب [حرب نجد]

دُخنة	٢٥٠٠
الشبيكية	١٠٠٠
الدُّليمية	١٠٠٠
القُرَيْن	٠٧٠٠
الساقية	٠٦٠٠
حَايِفَه	٠٣٠٠
حَذِيظَل	٠٧٠٠
البرود	١٠٠٠
قَبَه (تلفظ اجْبه)	٢٠٠٠
القَوَّارَه	١٠٠٠
	<hr/> ١٠٨٠٠

هجر العوازم

ثَاج	١٥٠٠
الحَسِي	١٠٠٠
الحَنَات	١٠٠٠
العُمَيْيق	٠٧٠٠
	<hr/> ٤٢٠٠

هجر بني مَرَه

الشِّبَاك	١٠٠٠
أَبِيرِي	١٥٠٠
عين دار (بنو هاجر)	١٠٠٠
	<hr/> ٣٥٠٠

هجر الرُّوْقَة [من عَتِيْبَة]

الداھنا	٢٠٠٠
الصَّوْح	٠٣٠٠
ساجر	٠٨٠٠
عرجا	٢٠٠٠
عَسِيلَة	٠٣٠٠
نَقِي	١٥٠٠
	<hr/> ٦٩٠٠

هجر بَرْقَة [من عَتِيْبَة]

مُعرّوة	١٠٠٠
السنام	١٠٠٠
الروضة	٠٧٠٠
	<hr/> ٢٧٠٠

الغَطَّة ط [من عَتِيْبَة]

هجر المعجمان

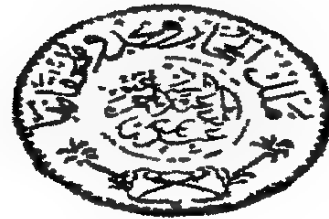
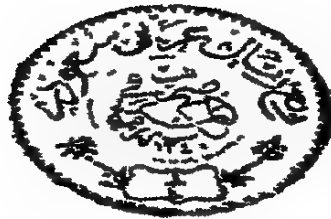
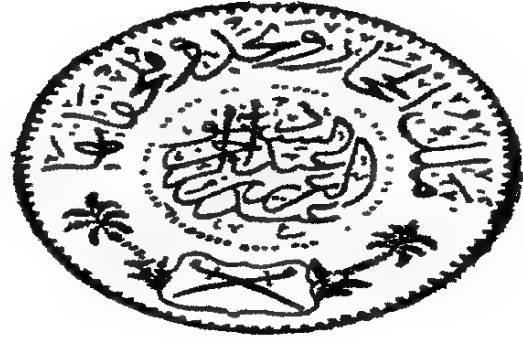
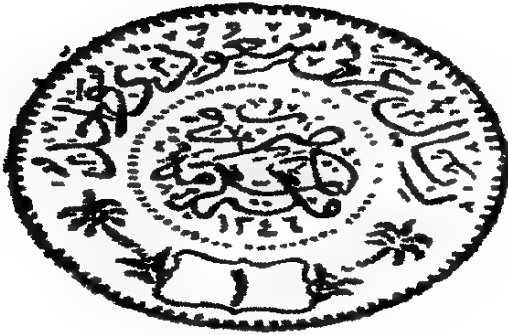
الصَّرَّار	٢٠٠٠
مُحْذِيذ	١٠٠٠
الصحاف	٠٨٠٠
العَقِير	٠٧٠٠
عُورِيَه	١٣٠٠
	<hr/> ٥٨٠٠

المهجر التي في المخرج

بمجموع المجاهدين من الهجر

مطير	١١١٠٠	حرب نجد	١٠٨٠٠
قحطان	٦٩٠٠	العوازم	٤٢٠٠
الدوامر	٢٣٠٠	بنو مرة	٣٥٠٠
الروقة — عتيبه	٦٩٠٠	شمر	١٣٨٠٠
برقه — عتيبه	٢٧٠٠	الخرج	٣٥٠٠
النفط — عتيبه	٥٠٠٠		
العجمان	٥٨٠٠		
		<hr/>	
		٧٦٤٥٠٠	

بعض القود المربية السعودية



ريال وربع ريال فضة حجم الاصل

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٢	٧	حضن	حضن
١٦	٧	شرقاً	شرقاً بجنوب
٤٢	١٥	من ذا الذي يشفع الا بأذنه	من ذا الذي يشفع عنده الا بأذنه
٤٤	١٣	او يعتقد	او ما يعتقد
١٤٠	١٨	الحفر	الحفر
٢٠٤	١٣	وزحفوا	وزحف
٢١١	١١	١٣٣٤ هـ	١٣٣٥ هـ
٢١٥	٧	حتى وعلى والمواربة	وحتى على المواربة
٢٣١	٨	اثنتا عشر	اثنا عشر
٢٥٩	١٧	فيذلونها	فيذلونها
٢٦٥	٨	فصالحه	فصالحه
٢٧٠	١١	١٩٢١	١٩٢٠
٢٨٥	١٠	ويشار كونهم معهم	ويشار كونهم

وهناك بعض اغلاط مطبعية اخرى لا تخفى على القارىء

فهرس الا علام

راجع اسماء البلدان في التبتة الاولى (نواحي نجد) واسماء الهجر في لائحة المهجر -
اما اسم الملك عبد العزيز واسماء الرياض ومحمد فلم تذكرها في هذا الفهرس لانها وردت
في أكثر صفحات الكتاب

ابراهيم باشا المصري ٤ ٣٢ ٦٤ ٧٠	ابن جلوي (عبد الله) ١١٠ ١١٢
٨٠ — ١٢٨	١١٣ ١١٦ ١١٧ ١٢١ ١٢٤
ابراهيم بن صالح بن عيسى ٣ ٨٤	١٦١ ١٧٢ ١٩٠ ٢٤٣
ابراهيم فصيح الحيدري ٧	ابن دجين (عريس) ٣٤ ٥٢ — ٥٦
الابطح ٣٣٨	ابن الدواس (دهام) ٣٢ — ٣٤
ابن بجاد (سلطان) ٢٢٨ — ٢٣١	٥١ — ٥٥ ٧٩ ٢٣٣
٢٩٤ ٢٩٩ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٢٤	ابن ربيعان ١١٥
٣٣١ ٣٥٥	ابن رخيصة (فتاد) ٨٨ ٨٩
ابن بشر (عثمان بن عبد الله) ١ ٥ ٨	ابن رفاده (الشيخ ابراهيم) ٣٧٥
٢٦ ٣١ ٥٢ ٥٦ ٥٩ ٦٠ ٧٠	ابن سالم (احمد) ٣٧٦
— ٧٦ ٧٢	ابن سحيم (سليمان بن محمد) ٣٢
ابن ثاني (احمد) ١٣٨ ١٣٩	(عبد الله) ٢٤ ٤١
(قاسم) ٩٠ ١٠٠ ١٠٣	ان سليم (امير عنيزة) ١٥٣
١٠٩ ١٣٨ ١٧٤ ١٩٠	ابن سويلم (احمد) ٢٩ (عبد الرحمن)
ابن تليان (احمد) ١٨٦ ١٨٨ ٢٧٧	٩ ١٨٨ ١٩٠ (مسعود) ١٣٠
(عبد الله) ٨١	ابن الشعلان (نواف بن نوري) ٢٤١
ابن توبني ٣٢	(نوري باشا) ١٦٣ — ١٦٩ ٢٤١
ابن جلوي (عبد العزيز بن مساعد)	ابن صويط (حمود) ١٧٧ — ١٧٩
١٢٦ ٢٧٠ ٢٩١	٢٧٥ ٢٧٦

١٩٥ - ٢٤٠ - ٢٦٠ - ٢٦٢ - ٣٧٦

(عبدالله بن متعب) ٢٤٢ ٢٤٩

٢٥١ ٢٥٤ ٢٥٩ ٢٦٣ (طلال)

٢٥٧ ٩٧ ٨٢ (بن عبد الله)

(بدر بن طلال) ٩٧ ٢٥٧

٢٥٨ (بندر بن طلال) ٨٤

٩٠ ٩٧ ١٦٠ ٢٥٧ (محمد بن

طلال) ٢٥١ - ٢٥٥ - ٢٦٣ -

٢٦٥ (عبدالله بن طلال) ٢٤١

٢٥١ ٢٦٢ (ماجد بن حمود)

١٢٣ - ١٢٦ ١٦٣

آل سبهان ١٦٠ ٢٤٢ ٢٦٢ ٣٢٧

(ابراهيم) ٢٥٥ (زامل) ١٧٤

٢٤٠ ٢٦٠ (سالم) ٨٨ ١١٦

(الست فاطمة) ٢٤٢ ٢٦١ -

٢٦٣ (فييد) ١٢٣

آل سعدون (ابو عجمي) ١٠٤

١٦٥ ١٦٩ ١٧٨ ١٨٣ ٢١٥

(عبدالمحسن) ٢٨٦ يوسف

المنصور (١٦٢ ٢٧٥ - ٢٧٧

آل سعود (سعود الاول) ٥٢ ٢٢٥

(محمد بن سعود الاول) ٢٩ -

٣٥ ٥١ - ٥٣ (ثيان اخو محمد)

٢٨ ٥١ (مشاري اخو ثيان

ومحمد) ٢٨ - ٣٠ ٥١ ٧٧ -

الافلاج (ناحية) ١٣ ٥٠ ٨٥ ١١٥

١٧٥

آل ابراهيم يوسف ١٠٣ ١٠٤ ١٠٧

١٣٥

آل ابي الخليل آل منها ٨٦ ١٢٢

١٣٨ ١٥٢ ١٥٧ ١٥٩

آل ابي الخليل (محمد آل عبد الله)

١٤٣ ١٤٩ - ١٥٩

آل ابي الخليل (محمد آل علي) ١٣٣

آل بسام ١٢٣ ١٨٩ (عبد الله)

٦ ٨ ٣٤

آل خليفة ١٠٠ ١٨٩ ٢٧٣ (الشيخ

عيسى) ١٨٩ ١٩٨

آل الرشيد (عبدالله) ٧٩ ٢٥٦

(محمد الكبير) ٤٧ ٨٦ - ٩٠

٩٧ ١٠٣ ١٦٠ ٢٥٨ (عبد

العزيز بن متعب) ٩٨ ١٠٦ -

١٠٨ ١١٥ - ١٤٢ ١٥١ ٢٥٨

٢٦٢ (متعب بن عبد العزيز)

٨٤ ٩٧ ١٤٣ ١٥١ ٢٥٧

(سلطان بن حمود) ١٢٨ ١٣٦

١٥١ - ١٥٨ ٢٥٩ (سعود

بن حمود) ١٦٠ ٢٥٩ (فيصل

بن حمود) ١٥٧ ٢٥٩ - ٢٦١

٢٦٥ (سعود بن عبد العزيز)

الرحمن (٣٢٧ ٣٤٨ ٣٨٧)
 (سعود ابن الملك عبد العزيز)
 ٢٤٩ — ٢٥٢ (فيصل ابن الملك
 عبدالعزيز) ٢٧١ — ٢٧٣ ٣٨٤
 ٤٠٧ (محمد ابن الملك عبدالعزيز)
 ٣٢٧ ٣٨١ العرائف : (سلمان
 ابن محمد) ٨ ٩ (سعود بن عبد
 العزيز) ١٥ ١٢٤ ٢٠٣ ٣٧٦
 (سعود بن محمد) ١٢٤ (فيصل
 ابن سعد) ١٢٤ ١٧٥ سعود
 ابن عبدالله (١٧٥ ١٧٦) (تركي
 ابن سعود) ١٧٨ ١٨٠

آل سليم ١٠٥ ١٢٢ — ١٢٤
 آل الشيخ (راجع آل بن عبد الوهاب)
 آل صباح (مبارك) ٨٤ ٩٥ ٩٩
 ١٠٣ — ١٠٩ ١١٤ — ١١٩
 ١٢٢ ١٣٢ — ١٤٢ ١٥٣ ١٦٠
 ١٦٣ — ١٧٠ ١٧٨ — ٢١٢
 ٢٣٣ ٢٤٣ (سالم بن مبارك)
 ٢٠٤ ٢٤٣ — ٢٤٨ ٢٥٢
 (جابر بن مبارك) ١١٩ ١٦٦ —
 ١٧٠ ١٩٢ ٢٠٦ ٢٠٩ ٢٤٣
 (احمد الجابر) ٢٤٨ (علي بن
 خليفة) ١٧٨ (سلمان بن حمود)
 ١٧٨ (جراح) ٩٥ (حمود اخو

٨٠ (عبد العزيز بن محمد الاول)
 ٥٣ — ٥٥ ٢٣٣ (سعود الكبير)
 ٤ ٢٦ ٣١ ٣٥ ٥٨ — ٦٧
 ٧٧ ١٧٣ ٢٥٦ ٢٦٩ ٢٧٤
 (عبدالله بن سعود الكبير) ٥ ٦٠
 ٧٠ — ٧٧ (فيصل بن سعود
 الكبير) ٦٨ ٧٤ (خالد بن سعود
 الكبير) ٨٠ ٨١ (تركي بن
 عبدالله) ٧٧ — ٧٩ ٢٠١ ٢٥٦
 (فيصل بن تركي) ١٧ ٢٠ ٦٨
 ٧٤ ٧٨ — ٨٢ ٨٦ ١٥٧ ٢٠١
 ٢٥٦ (عبدالله آل فيصل) ٦٠
 ٧٠ — ٧٧ ٨٣ — ٨٩ ٩٧
 ١٠٤ ١٣٨ ١٥٦ ١٧٤ ٢٥٨
 ٢٧٠ ٢٩٦ ٢٩٧ ٣٧٤ (سعود
 آل فيصل) ٨٣ — ٨٨ ١٢٤
 (محمد آل فيصل) ٣ ٨٣ — ٨٩
 (عبد الرحمن آل فيصل) ٨٥ —
 ٩١ ١٠٥ ١١٥ ١٢٠ ١٣٢
 ١٦٢ ٢١١ ٢٤٣ ٢٩٤ ٣٢٦
 (سعد بن عبد الرحمن) ١١٥
 ١١٧ ١٦٧ ١٧١ ١٧٤ ٢٠٣
 (محمد بن عبد الرحمن) ١١١
 ١١٥ ١١٦ ١٣٩ ٢٠٣ — ٢٠٥
 ٢٥٠ ٣٢٧ (عبدالله بن عبد

امين الريحاني ٣ ٣٤٥ — ٣٥٤	مبارك (١٠٤ ١٠٥) (دعيج)
انكلترة ١٠٧ ١٨٩ ١٩١ ٢٠٦	٢٤٤ ٢٤٥
٢٠٨ ٢١٤ ٢٢٠ ٢٢٥ ٢٨٠	آل عائض ٢٦٨ — ٢٧٣ ٣٠٨
٢٨٨ ٢٩٨ ٣١١ ٣٨٥ ٣٩٠	(عائض بن مرعي) ٨٢ ٢٦٩
انطونيوفارس ٣٧٧ ٣٨٧	(حسن ومحمد) ٢٦٩ — ٢٧٣
انور باشا ١٩١	آل عبده (ماجد بن عجيل) ٣١٥
اون (كولونل) ٢١٤ ٢١٥	٢٨٥
ايراث ٢٩٠ ٣٢٢ ٣٣١ ٣٧٨	آل العظيم (عبد الله باشا) ٥٨
ايطالية ١٨١ ٣٨٠ ٣٨٧	آل عليان ٨٦ ١٣٨ (راشد الدربي)
ب	العنقري (٨٦)
بادياي لبلخ اي علي بك العباسي ٤	آل علي (امراء حائل) ٢٩١ ٢٥٦
٨٢ ٦٦ ٦٤ ٥	آل قرطاس عبد الوهاب ١٩٣ ١٩٤
باريس ٦٥	المانية ٣٦٥ ٣٦٦
البترا ٥٨	آل محمد (سليمان رئيس بني خالد) ٢٩
البحر الاحمر ١٢ ٢٠٧	٣٤ ٢٣
بحره ٣٥٣ ٣٥٦ ٣٨٥ ٣٨٨ ٣٩٣	آل منها (صالح الحسن) ١٣٢ ١٣٤
٤٠٠ — ٣٩٨	١٣٨ — ١٤٥
البحرين ٨ ٩ ٨٤ ٩٩ ١٠٠ ١٨٨	آل هزان ١٦٢ ١٧٤ (راشد) ١٦٢
١٩٠ ٢١٤ ٢٧٦ ٢٧٩ ٣١٩	١٧٦ ١٨٣ (عبدالعزيز) ١٧٥
٤٠٨ ٣٣٤ ٣٢١	الالوسي (محمود شكري) ٦ ١٢ ١٩٦
بدرا (بلدة) ٣٧٦	١٩٧
البدور (عشيرة) ١٦٧	الامام يحيى بن حميد الدين ١٣٢
براويرا (رادين) نائب قنصل هولندا	١٣٤ ١٨١ ٣٠٨ ٣٢٦ ٣٨٠
٣٧٨	ام القرى (جريدة) ٣٢٨ ٣٤٥
	امرو القيس بن حجر الكندي ٣٣٠

٢٤٥ ٢٤٤ (ماء) بلبول	السريسي كوكس ٢٠٦ — ٢٠٩
بلغراف ٨٢	٢١٢ ٢٥٤ ٢٧٥ — ٢٨٦
البكيرية ١٨ ١٢٥ — ١٢٨ ٦٣١	برقه ٢٢٣
٣٢٧ ١٥٨ ١٥٧ ١٤٦ ١٤٤	بركهارت ٤ ٦٧
بنبان (ماء) ١١٧	البره (بلدة) ١٦ ٨٤
بنو ثقيف (قبيلة) ٢٩٩	بريد ٣ ١٨ ١٩ ٣٥ ٥٤ ٥٦ ٧٣
بنو تميم ١٥	١٢٤ ١٢٢ ١٠٥ ٨٧ ٨٦ ٨٢
بنو جابر ٣٣٥ ٣٣٤	— ١٥٩ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٣٥
بنو حنيفه ١٦٠	٣٢٧ ٣٢٦ ٢٥٩
بنو خالد ٢٠ ٧٤ ٨٣ ١١٩ ٢٠١	بريطانيه العظمى (راجع انكثرة)
بنو دليم ٢٦٩	البريه (عمان) ٥٧
بنو زبد ٢٦٩	بسل ٦٨ ٦٩
بنو سالم ٦٩	البشوك (ماء) ١٣٩
بنو سفيان ٣٠٢	البصرة ٧ ٢٧ ٣٢ ٣٥ ٥٦ ٧٤
بنو شهر ٢٦٩ ٢٧١	١٢٥ ١٠٩ ١٠٧ ١٠٥ ١٠٣
بنو لؤي ٢٢٥	١٧٩ ١٧٣ ١٧٠ ١٦٥ ١٣٢
بنو مالك ٢٦٩ ٣٥٩	١٩٠ ١٨٩ ١٨٦ ١٨٣ ١٨٢
بنو مره ١٣ ٨٣ — ٨٥ ١٠٥ ١٠٨	٢١٢ ٢٠٨ ١٩٧ ١٩٦ ١٩٣
١٨٤ ١٣٩ ١٣٨ ١١٩ ١١٦	٣٢٥ ٢٣٢ ٢١٦ ٢١٥
بنو مغيط ٢٦٩	بغداد ٢٠ ٢٠ ٨٤ ٥٦ ١٠٤ ١٠٧
بنو هاجر ١٣ ١١٩	١٤٧ ١٤٦ ١٣٢ ١١٤ ١٠٨
بنو هلال ٣٣٣	١٨٦ ١٨٥ ١٨٣ ١٧٧ ١٧١
بنو يام ١٤	٢٩٠ ٢٧٧ ٢٧٥ ٢٤٩ ٢١٥
بور سودان ٢١١ ٢١٠	٣٢٢ ٢٩١
بولارد (قنصل انكثرة) ٣٢٣	البقوم (عرب) ٢٢٥ ٢٢٦ ٣٠٠

ج

جاوى ٣٥٦ ٣٩٠
 الجبرتي ٥
 جبيل ١٩١ ١٩٤ ٢٤٤
 الجبيلة ١٦ ٢٨ ٥٢ ٧٣
 الجثامية ٢٥٠ — ٢٥٣
 جده ٦ ١٢ ٥٧ — ٦٩ ٢٠٧ — ٢١٥
 ٢٣٠ ٢٣١ ٣٠٤ — ٣٩٣
 جديله (قبيلة) ٥١
 جراب (وقعة) ١٩٨ — ٢٠٣ ٢١٧
 ٢٥٢
 الجربا ٢٥٦ ٢٧٤
 الجريفه (بلدة) ١٨ ١٢٣
 الجزائر ٦٤
 الجزيرة او شبه الجزيرة ٣٥ ٥٠ ٦٦
 ٩٥ ٢٠٦ ٢١٤
 الجعدة (قبيلة) ٢٢٢
 جلاجل (بلد) ١٨ ٧٩ ١٢١ ١٢٢
 جمال باشا ١٨٣ ١٨٥ ١٨٨ ٢١٠
 جمال الغزي ٣٢٧
 جميمة ١٦٨
 الجوف ١٩ ٥٨ ١٥٧ ١٨٤ ٢٤١
 ٢٢٥ ٢٦١ ٢٦٣ ٢٧٠ ٢٧٤
 ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٨ ٢٩٦

بونابرت (يوسف) ٦٥

بيت الفقيه ٥٨

بيروت ٢٩٢ ٣٥٠

بيشة النخل ٥٧ ٦٩ ٢٦٩ — ٢٧١

بيوك باشا ٣٩٧

ت

تقليث (ناحية) ١٤

تحسين باشا الفقير ٣١٨ ٣٣٦ ٣٥٣

٣٥٨ — ٣٩٩

تربه ٥٧ ٦٨ ٢٢٠ — ٢٣٢ ٢٤٠

٢٤٣ ٢٨٩ ٢٩٩ ٣١٠ ٣٧٨

تركية ٢٩٠ ٢٩٢ ٣٩٠

ترعة السويس ٢١٠

تشاريكوف الروسي ٣٦٩ ٣٧٠

تشرشل الوزير الانكليزي ٢٤٩ ٢٨٤

تغز (اليمن) ٦٦

تهامة ٥٨ ٦٩ ٨١ ٨٢ ٢٦٩ ٢٧٢

٢٧٣ ٣٠٨

تميريم ١٨

توماس كيث ٦٤

تويم ١٨ ١٢٢

تويني بن عبدالله ٥٢

تادق (ناحية) ١٧ ١٢٢ ١٢٣

ثرمداء ١٨ ٨٦ ١٢٠ ١٢١

حرّة خير ١٢٥
 الحرّة الصغيرة ١٢ ٥٦ ٥٧ ٢٢٦
 الحرث ٢٩٩
 الحريق ١٥ ١٨ ١١٥ ١١٧ ١٦٣
 ١٧٤ ١٨٣

حرملة ١٧ ٢٦—٢٨ ٣٢ ٥٢ ٨٥
 ١٢١ ٢٧١
 الحساء ٨ ١٢ ٢٠ ٢٧ ٢٩ ١٨٤—
 ١٨٩

حسن حلمي (الدكتور) ٣٦١
 الحسي (ماء) ١١٥ ١٣٣
 حسين بن جرّاد ١٢٣
 الملك حسين ١٦٩—٣٨٣ ٤١٠ ٤١١
 حسين العويني ٣٤٨ — ٣٥٣
 حضن (جبل) ٢٢١ ٢٢٦
 الحفر ٣ ١٠٧—١٢٠ ١٤٠ ١٧٨
 ٢٤٨ ٢٧٦

حكيموف (عبد الكريم) ٣٧٨
 حلبان (ماء) ١١٥
 الحمّاد ١٦ ٨٧

حمد العسكر امير الجمعة ١٢١
 حمدي بك ٢٧٢ ٣٤٢
 حمزة (مسجد) ٣٣٤ ٣٣٦
 حمض (ماء) ٢٤٤
 الحميدان (من عرب مطير) ١٣٩

الجهرة ١٠٧ ١٨٠ ٢٤٤—٢٤٦
 جهينه (عرب) ٦١ ٣٧٥
 جوردن قنصل انكلترة ٣٨٥
 جيزان ٢٠٦ ٢٠٩

ح

حائر سبيع ١٥ ١٦ ٥٣ ١١٧ ٢٢٥
 حائل ١٩ ٧٩ ٨٠ ٨٧ ٨٨ ٩٧
 ١٠٣ ١١٥ ١٢٤ ١٢٦ ١٣٢
 ١٣٦ ١٤٣ ١٤٦—١٤٨ ١٥١
 — ١٦١ ١٨٣ ٢١٦ — ٢٢٠
 ٢٤١ — ٢٤٣ ٢٤٩ — ٢٦٤
 ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٥ ٢٧٨ ٢٨٥
 ٢٩١ ٣٠٨ ٣٣٤ ٣٧٥ ٣٨٠
 حبيب الله خان قنصل ايران ٣٨١
 الحجاز ٤ ٦ ٢٧ ٨ ٣١ — ٣٦
 ٥٠ ٥٥ ٥٩ ٦٢ ٦٤ — ٧٠
 ١٠٢ ٢٩٩ — ٣٩٣ ٤٠٥ —
 ٤١١

الحبّور (ماء) ٢١٧
 حجلة (مكان) ٢٧٠ ٢٧٢
 حذاء ٣٥٦ — ٣٥٨ ٣٨١ ٣٩٣
 ٤٠١ ٤٠٤ ٤٠٨ — ٤٩١
 الحديد ٥٨ ٣١٨
 حرب (قبيلة) ٧١ ٧٤ ١٤٣ ١٤٦

خورشيد باشا ٨٠	الحناكية (ماء) ٧١ ١٤٠ ٣٧٥ ٣٧٦
خير ٢٨٩ ٢٩٨	حوران ١٥٨ ٢٨٨
دارين (جزيرة) ٢٠٧ ٢٠٩	حوطة بني تميم ١١٥ ١٦٢ ١٧٤
الدهانا (هجرة) ١٧ ٧٩ ٣٢٧ ٣٦٧	الحويطات (قبيلة) ٢٩٦
دحنة ٢٣٦ ٣٢٧ ٣٦٧ ٣٧٣	الحوبة (قرية) ٢٩٩
الدرعية ١٦ ٢٨ ٥٠ — ٥٦ ٦١	حيفا ٢٢٢

٧٣ — ٧٧ ٢٥٦ ٢٧٣
دكسون (مايجر) ٢٨١
الدم ١٥ ٥٤ ٨٠ ٨٥ ١١٧
دمشق الشام ٥٨ ٦٥ ٢١٠ ٢٩٦
الدهناء ٣٤ ٨٥ ١٠٥ ١١٩ ٢٣٥
الدواسر (قبيلة) ١٠٩ ١١٥ ١٧٧
الدواسر (وادي) ٣٥ ٥٣ ٨١ — ٨٤
دوطي (هنري) ٧
الدويش (سلطان) ٣٣٤
الدويش (فيصل) ١٤٠ ١٤٤ ١٤٨
١٥٢ ١٦٨ ١٧٧ ١٨٠ ١٨٣
٢٤٤ ٢٥١ ٢٧٦ ٢٩١ ٣٧٦

ذ ر

ذو حسن (اشراف) ٣٢٢
رأس الحرّة ٣٣٢ ٣٣٣
رأس السيل (قرية) ١٢
رابغ ٣٣٢ ٣٣٧ ٣٤٢ ٣٧٦ ٣٨٣
راشد بن علي الحنبلي ٦

خ د

خالد بن لؤي ١٧٣ ١٩٦ ٢٢٥
٢٢٧ — ٢٣١ ٢٩٩ ٣١٨ ٣٢٤
٣٣٥ ٣٤٣ ٣٥٥ ٣٧٦
خالد بن منصور ٣٣١
خالد بن الوليد ١٥ ٥٤
الخبراء ١٨ ١٢٧ ١٢٨ ١٥٥ ٣٢٧
الخرج ١٥ ٣٥ ٥٢ ٧٦ ٨٠ ٨٨
١١٤ — ١١٨ ١٧٢ ١٧٨ ٢٠٣
الخرم ٥٧ ١٧٣ ٢٢٠ — ٢٢٨ ٢٣١
٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩٩ ٣٧٨
خزعل بن مرداؤ (الشيخ) ٩٦ ٩٩
١٦٠ ١٦٥ ١٩٣
الحفس (ماء) ١٨٤ ١٨٥
الخايج الفارسي ٨ ٥٧ ٦٦ ٨٢ ٩٦
١٣٥ ١٨٩ ١٩٠ ٢٤٤ ٢٧٨
خميس مشيط ٣٣ ٢٦٩ ٢٧٠
الحوار (جبل) ٣٣٠

رديف باشا ٢٦٩

الرس ٧٠ ١٢٥ — ١٣٨ ١٥٢

رشدی (البخرة) ٤١١

الرشودي (فهد) ١٢٨ ١٢٩

رضوى (البخرة) ٣١٨ ٣٦٤ ٤١١

الرغامة ٣٥٦ ٣٦٩ ٣٧٤ ٣٨٧

رغية (مكان) ٧ ١١٦ ١١٩

الرقمتين (البخرة) ٣٦٤ ٤١١

رنية (قرية) ٥٧ ٦٨ ٢٢٦ ٢٩٩

روضة سدير ١٨ ١٠٤ ١٢١

روضة منها ٢٥ ١٤١ ١٤٣ ٢٥٩

الروقة (من عرب عتية) ٧٩ ٢٢٣

الرولة (قبيلة) ١٩ ١٦٣

الرويس ٣٦٧ — ٣٧٣

الريان (جبل) ٣٣٠

ز س

الزبارة (بلد) ٢٧٣

زبيد (بلد) ٣١

الزبير (بلد) ١٠٤ ١٣٢ ١٧٩ ١٩٥

زخور العازار (الدكتور) ٩٠

الزلفي (بلد) ١٧ ٥٢ ٨٧ ١٢٢ ١٤٠

زهران (جبل) ٦٩

زهران (قبيلة) ٢٦٩ — ٢٧١

الزواوي (الشيخ) ٣٠١

زويمر (الدكتور) ٥٧

زيتسن الرنج (الحاج موسى) ٦٦

زيد بن الملك حسين (الامير) ٢٩١

الزيمة (قرية) ٣١٧ ٣٣٣

زهنل (عبدالله) ٣٨٦

ساجر ٣٦٧

سامي باشا الفاروقي ١٤٤ — ١٤٦

سبيع (قبيلة) ١٤ ٦٨ ٨٤ ١٠٨

١١٩ ١٦٩ ٢٢٥ — ٢٢٧ ٣٦٧

ستورس (رونالد) ٢١٣

سدير (ناحية) ٦ ١٧ ٢٨ ٥٢ ٧٤

٨٧ ١٠٩ ١١٥ ١٢١ ١٥٢ ٣٣٠

السديري (احمد) ١١٧ ١٢١ ١٧٥

السر ١٢٣ ١٥٣ ١٦٨

سراة (جبل) ٢٦٨ ٢٧٠

سفوان ماء ١٧٩ ١٨٠

سكاكة (قرية) ١٩ ٢٨٨

سلطان الحمادي ٨

سلمى (جبل) ١٥٨ ٢٥٣ ٢٦٨

سلم الاول (السلطان) ٢٠

سلم الثالث (السلطان) ٥٨

سليمان بن حازي (ولد) ٢٩٦

سليمان شفيق كالي باشا والي البصرة

٥٦٧ ١٨٢ ١٩٣ ١٩٥ ٢٦٩

سليمان الندوي ٣٣٦

الشريف عبدالله بن حمزة ٢٧٢
 الشريف عبدالله بن عرن ٢٧٠
 الشريف عبدالله بن محمد ٢٢١
 الشريف عون بن هاشم ٢٣٣ ٢٣٠
 الشريف غالب بن مساعد ٣٦-٧٠
 الشريف محسن ٣٥٨
 الشريف ناصر ٣٠٦
 الشريف هزاع ٣٤٤ ٣٥٦
 الشريف يحيى بن سرور ٦١
 الشريعة (ماء) ١٢٣
 الشعرة (مكان) ١٢ ١١٥ ١٧٢
 ٣٢٧
 الشبيب (ناحية) ١٧ ١١٥ ١٣٠
 الشعبية (ماء) ١٦٠ ١٦١
 شقرا ٣ ١٨ ٧٣ ١٣٠ ٢٧٢
 الشقة (القصيم) ١٣٩ ١٤١ ١٤٨
 شاهوب ١٤٨ ١٤٩
 شمر (قبيلة) ١٩ ٥٥ ٨٧ ٩٧
 ١١٥ ١٢٤ ١٤٣ ١٥٣ ١٦١
 ١٩٨ ٢١٨ ٢٤٠ ٢٩٠ ٣١١
 شوكت علي ٣١٩
 الشوكة (ماء) ١٠٥ ٢١٦
 التسبسية ٣٥٣ ٣٥٢ ٣٥٨
 النناة ١٢٥ ١٣٨ ١٢٩ ١٣١
 الشهلان (جبل) ٣٣٠

السليمية (قرية) ١٥ ١١٨
 السماوة ٥٥ ١٠٥
 سواج (جبل) ١٥٧
 سواكن ٣٧٢
 السودان ٤ ١٠١
 السويدي (عبد الرحمن) ٤٢
 سوربة ٥٨ ٢٠٧ ٢١٥ ٢١٨
 ٢٨٩-٢٩٨ ٣٢٢ ٣٤٧ ٣٨١
 سوق الشيوخ ٢٧٦
 السويدي (توفيق بك) ٣٨١
 السهول (قبيلة) ١٥ ٨٤ ١٠٩ ١١٩
 السويس ٣٢٣ ٣٧٢
 السيج ١٤ ١٧٥
 السيل (وادي) ٣٣٢

ش ص

الشام ٣١ ١٨٤ ٢١٩ ٣١٠ ٣٧٠
 شبرا (الطائف) ٣٠١
 شرقي الاردن ٢١٨ ٢٨٨ ٤٠١
 الشريف باشا العبدلي ٣٥٦
 الشريف حامد ٣٧٥
 الشريف خالد ٢٤٤
 الشريف شاكر ٢٢٥ ٢٣٠ ٣٧٥
 الشريف تيمات ٣٧٥ ٣٨١
 الشريف شرف عدنان ٣٠٠ ٣٥٦

الطرفيه ١٩ ١٠٥ ١٥٤ — ١٥٧
طيران ٢٩٨ ٣٢٢
طوسون باشا (بن محمد علي) ٥٩-٧٢
طوبق (جبل) ١٣-١٨ ٢٥ ١١٩
الطوبل (الباخرة) ٣٧٧ ٣٨٤ ٢١١
الطوبل (محمد) ٣٠٨ ٣١٩
الظفير (قبيلة) ١١٥ ١٦٦ ١٧٧
١٨٣ ٢٠٢ ٢٧٥ ٢٧٩ — ٢٨٣

ع

عارف باشا الادلي ٣٥٦
العارض ٦ ١٢ ١٦ ٢٦ ٢٨ ٣٢
٥١ ٧٦ ٨٩ ١٢٦ ٢٦٣ ٢٧٤
٣٢٦ ٣٣٠ ٣٦٧ ٣٧٣

عباس باشا الاول ٨٢
عباس حلبي ٣٠٦
عبد الحميد (السلطان) ١٢٧ ١٦٥ ١٧١
عبد الرحمن العجيري ٣٢٧ — ٣٣٠
عبد الرحمن النفيسة ٣٢٧
عبد العزيز الحسن ١٥٣ ١٩٤ ٢٤٥
عبد العزيز الرشيد ٧
عبد القادر السبي ٣٠١ ٣٣٩ ٣٩١
عبد اللطيف باشا المنديل ١٧٠ ١٨٦
١٩٠ ١٩١ ٢٨١
الامير عبد الله ابن الملاك حسين ١٩٦

الشيحية ١٢٥ ١٣٤ ١٤٣ — ١٤٥
شيكسبير ١٩٠ ١٩٦ ٢١٧
صادق بك (ضابط عربي) ٣٨٦
صالح العدل ١٣٨ ١٨٣ ٢١٠ ٣٧٥
صبري باشا ٢٩٩
صبيح نشأت ٢٨٠
الصبيحية ٨٥ ١٩١ — ٢٧٧
صدي باشا التركي ٩٩ ١٣٢ — ١٤٣
الصريف ١٠٥ — ١٠٧
الصعيد (مصر) ٧١
الصمات ا بادية (١٣ ١٠٥ ١١٩
صنعا ٣١ ٦٦ ١٢٢ ٣٠٨ ٣٨٠

ض ط ظ

ضبا (بلد) ٣٩٠
ضرمه (بلد) ١٦ ٧٣ ٨٥ ٨٧
١١٦ ١٢٠ ١٧٢ ٣٢٧
الطائف ٤ ١٢ ٥٧ ٦١ ٦٧ ٦٩
٢٢٦ ٢٣١ ٢٦٨ ٢٩٩ ٣٠٤
٣٠٧ ٣١٠ ٣٦٧ ٣٧٠ ٣٨١
طالب النقيب (السيد) ١٩١ — ١٩٧
٣٢٤ ٣٤٥ — ٣٤٨ ٣٦٠
طامي بن شعيب ٥٨ ٦٨
ظاهر الدباغ (الشيخ محمد) ٣٠٥
ظاهر القرمطي (الشيخ) ٢٣٢

العلاء ٣٦٢ ٣٩١
 الملك علي ابن الملك حسين ٢٢٠ ٣٠٠
 — ٣٨٧ ٤١٠
 عُمان (قطر) ٨ ١٧ ٣١ ٥٧ ٨٤
 ١٨٤ ٢٦٨ ٤٠٨
 عُمان ٢٠٧ ٢٨٨ ٢٦٠—٢٩٦
 ٣٢٢ ٣٣٦ ٣٦٤ ٣٧٠
 الإمارات ٢٧٨ — ٢٨٣
 عودة ابوتايه ٢٤١
 عريدار (خليط من العرب) ١٠٩
 ١١٩ ٢٤٤
 عنزي ١٩ ٣٤ ٨٣ ٨٦ ١٦٢ ٢٧٨
 عنيزة ٣ ٦ ٧٢ ٨١ ١٢٣ — ١٣٤
 ١٣٩ ١٤٦ ١٥٣ ١٦٣ ٣٢٦
 عين النجا (الحسا) ٩٠
 العينية (بلد) ١٦ ٢٦ ٣٠ ٥١ ٧٤

غ ف ق

الفاط ١٧ ١٢٠
 غالب باشا ٢١٠
 غالب بن عنيز ٢٢٢
 غامد (قبيلة) ٦٩
 الغطف ١٦ ٢٢١ ٢٣٠ ٢٣٦ ٢٩٩
 ٣٦٧ ٣٧٣
 غوان (ادوار) مؤلف ٥ ٧١

٢٠٤ ٢١٩ — ٢٢٧ ٢٢٥ —
 ٢٣٢ ٢٩١ ٣١٨ ٣٦٤ ٣٧٨
 عبدالله الدملوجي (الدكتور) ٦ ٢٨١
 عبدالله سراج ٣٥١
 عبد الوهاب بن محمد بن سلمان (والد
 ابن عبد الوهاب ٢٦ ٢٧
 عتيبة (قبيلة) ١٧ ٧٤ ٨٣ — ٨٨
 ١١٥ ١٢٧ ١٣٩ — ١٥٧ ١٧١
 ١٨٣ ٢١١ ٢٣٦ ٢٩٩ ٣٠٢
 عجلان (الامير) ١١٠ — ١١٣
 العجيان ٨ ٨٣ — ٩١ ١٠٥ ١١٦
 ١٣٨ ١٦٣ — ١٦٩ ١٧٧ ١٨٠
 ١٩٨ ٢٠٠ — ٢٠٦ ٢١٩ ٢٤٣
 عدن ٦٦ ٢٠٨ ٣٧٢ ٣٧٧ ٣٨٦
 العراق ٣١ ٤٢ ٥٠ — ٥٩ ٨٥
 ١٠٤ ١٢٣ ١٤٦ ١٥٩ ١٦٤
 ١٧٧ — ١٩٨ ١٩٥ — ٢١٦
 ٢٤٥ — ٢٥٦ ٢٧٤ — ٢٩٣ ٣١١
 ٣٤٧ ٣٨١ ٣٩٨ — ٤٠١
 عسير ٢٠ ٥٠ ٦٨ ٨١ ١٨٢ ٢٠٦
 ٢٦٨ — ٢٧١ ٣٠٨ ٣٤٢ ٤٠٥
 عشيرة ١٨ ١٠٩ ٢٢١ ٣٣٣
 العقبة ٣٠٩ ٣٦٤ — ٢٧٠ ٣٧٧ ٣٨٠
 العقير ٢ ٨ ١٢ ٨٤ ١٨٨ —
 ٢١٢ ٢٧٧ — ٢٩٠ ٣١٠ ٣٩٨

القطفيف (ناحية) ٩ ٢٠ ٣٢ ٥١

٢٤٤ ٢٠٧١٩٠ ١٨٨ ٧٩

قنا (بلدة) ٧١

القنصلية (ماء) ٢٣١

القنفذة (اسكلة) ٦٨ ٢٧٢ ٣٤٢

ك ل

كابدة (ماء) ١٧٩

كاسب بن خزعل ٢٤٨

كاف (قرية) ٢٨٨ ٤٠١

كربلا ٥٤ ٢٧٧

كرة (جبل) ٣٠٢

كرد علي (محمد) ٥٢

الكرك ٥٨ ٢٨٩

كلايان (السر جيلبرت) ٣٨١ ٣٩٨

الكندرة (بجدة) ٣٦٦ ٣٨٧

كهفة (قرية) ١٩ ١٣٢ ٢٣ ١٥٣

الكوت (الهفوف) ١٨٦ ١٨٨

الكويت ٢ ٧ ٥٠ ٨٣ ١٣٦

١٥٣ ١٦٣ — ٢١٦ ٢٤٣ —

٢٩٦ ٣٠٨ — ٣٢٥ ٤٠٨

الكويبية (ماء) ١٧٤

لبده (عرب) ١١٨

اللاحيه (اسكلة) ٥٨

لندن ٤ ٢٣١ ٢٤٧ ٣١٥ ٣٢٣

نحري باشا ٢١٩

فلي ٧ ٢١٤ — ٢١٧ ٣٢٣ ٣٣٤

٣٦٠ ٣٤٨ — ٣٤٥ ٣٣٦

فلسطين ٥٨ ٢١٥ ٢١٨ ٢٩٢ —

٢٩٨ ٣١٨ — ٣٢٠ ٣٦٤

فؤاد الاول (ملك مصر) ٣٨١

فؤاد الخطيب ٢٩٨ ٣٢٢ ٣٥٠ ٣٧٩

الملك فيصل ابن الملك الحسين ٢١٠

٢٤٩ ٢٧٥ ٢٨١ — ٢٩٠ ٣٤٧

فيضي باشا ١٣٢ — ١٣٤ ١٨٦

القاهرة ٥٨ ٦٧ ٧٥ ٢٠٦ ٢١٤

٢٤٩ ٣٦١ ٣٧٢

القبلة (جريدة) ٣٤٠

قبة (بلدة) ١٩ ١٦١ ٢٥٢

قحطان (قبيلة) ١٣ ٥٥ ٨٣ — ٨٥

١٠٤ ١١٥ ١٢٢ ١٥٣ ١٦٩

٢٠١ ٢٣٦ ٢٧٠ ٢٩٩ ٣٦٧

القدس ٢٨٩ ٣١٩

قريات الملح ١٩ ٢٨٨ ٢٩٦

قرية (ماء) ٢٤٤ ٢٤٥

القصيم (ناحية) ٦ ١٩ ٣٥ ٥٤ ٧٠ —

٧٦ ٨١ — ١٢٨ ١٣٢ ٢٢٥

٢٥٠ ٢٩١ ٣٢٥ ٣٦٧ ٤١٢

قطر (ناحية) ٨ ٩٠ ١٠٠ ١٣٨

١٧٤ ١٩٠ ٢٠٣ ٢٧٣ ٤٠٨

١٥٦-١٦١ ١٩٦ ٢١٩-

٢٢٤ ٢٣٤ ٢٤٠ ٢٥١-

٢٥٤ ٢٦٠ ٣٤٢ ٣٧٥ ٣٨١

المذنب (بلدة) ١٨ ٧٣^{٢١} ١٥٣ ٣٢٧

مسقط ٨ ٥٧

مسيلمه ١٦ ٢٥ ٢٣٢ ٢٣٣

مصر ٥٩^{٥٠} - ٨٠ ٢٠٧ ٢٥٧

٢٩٢ ٣١٠ ٣٦١-٣٦٥ ٣٨١

مصطفى عبد العال ٣٨١

المصاوم ٣٣١

مصوع ٣٧٢ ٣٧٧

مطير (قبيلة) ٥٥ ٧٢ - ٨٩ ١٠٩

١١٩ ١٣٩ ١٥٣ ١٦٨-١٨٥

٢٣٥ ٢٤٤ ٢٥١

معان ٣٧٨ ٣٨٠

مكة المكرمة ٤ ١٢ ٣٥ - ٦٩

٨٢ ١٦٩ -- ١٨٣ ٢٠٦ ٢٣٨

٢٧١ ٢٩٣ ٣٠٠ - ٤٠٥

المليده (وقعة) ٩٠ ١٢٢

المناصير (عرب) ١١٩

المنتفق (عشائر) ٣٥ ١٦٢ - ٢٧٥

منشيء احسان الله ٣٨٠ ٣٨٥

المنفوحة ١٥ ١٦ ٢٨ ٥١

مورا (مايجر) ٢٤٧ ٢٨٠ ٢٨٣

الموصل ٥٤ ١٨٠ ٢٧٩ ٢٨٥

لينشمن (جرلد) ١٨٤ ١٨٥

الليث (بلد) ٣٤٢-٣٧٢ ٣٨٣

ليلي (بلدة) ١٤ ١٧٥

م

مانجن لويس ٥

ماع (جد آل سعود) ٥١

المبرز (الحسا) ٢٠ ٥٦ ٩٠ ١٨٨

الجمعة (بلدة) ٣٥ ٨٧ ١٢١ ١٥٢

محمد السباعي ٣

محمد بن سليمان (جد ابن عبد الوهاب)

٢٦

محمد بك عبد الوهاب ٣٨١

محمد علي (خديوي مصر) ٥٤ - ٨٠

٢٥٧ ٢٦٩

محمد مصطفى المراغي ٣٨١

محمد النحاس ٣٢٧

محمد نصيف ٣٨٧

الحمة ٩٦ ٢٤٨ ٢٧٧ ٢٩١ ٣٩٨

الحمل (ناحية) ٧٧ ٨٧ ١١٥ ١٢٠

محمود حمدي ٣٢٧

المنحا (اسكلة) ٢٦٩

مدان صالح ٢٨٩ ٣٧٦

مدحت باتا ٢٠ ٨٤

المدينة المنورة ٦٥-٧٥ ١٣٢ ١٤٨

ن ه

نابولي ن الثالث ٨٢
 نابليون بوناپرت ٦٥ ٦٤ ٦٠
 الناصرية ٢٧٦ ٢١٥
 نجران ٢٠١ ٨٣ ٥٨ ٥٣ ١٤
 النجف ٢٧٧ ٢٥٣ ٢٣٢ ٢٥
 نؤلة بني مالك ٣٦٧ — ٣٦٩ ٣٧٣
 النزلة اليبانية ٣٦٦ ٣٦٩
 نو كس (الكولونل) ٢٨٧ — ٢٨٩
 هاشم الرفاعي (السيد) ١ ٢
 الهدى ٣٠٠ — ٣٠٤ ٣١١ ٣٦٧
 هذيل (قبيلة) ٣٠٢
 هردبغ (اللورد) ١٩٧
 الهفوف ٢٠ ٥٦ ٩١ ١٨٦ ٢٠٣
 همذان ٢٠١
 هملمن (كولوبل) ٢١٤ ٢١٥
 الهند ١٩١ ١٩٧ ٢٤٧ ٣١٠ ٣٧٧
 هوغرت (دي . دجي) ٦٤ ٧٦ ٢١٣
 هولنده ٣٣١ ٣٥٧ ٣٧٨ ٣٩٠

و ي

وادي حنيفة ١ — ١٤ ١٦ ٢٥ ٢٨
 ٥٢ ٧٣ ٨٤ ٣٨٨ ٤١٢

وادي الرشا ٣٣٠ ٣٣١
 وادي الرمه ١٦ ١٢٥ ١٣١
 وادي السبيع ٢٢٥
 وادي السر ١٨ ٥٥ ٧٣ ١٣٩
 ١٤٦ ١٥٣ ٣٢٧
 وادي سرحان ١٩ ٢٨٩ ٢٩٦ ٤٠١
 وادي شهران ٢٦٨
 وادي فاطمة ٣٥٧
 وادي قحطان ١٥٢
 واحة جبرين ١٠٩ ١١٠ ١٨٤
 جورج والن (المستشرق) ٢٥٧
 الوجه ٣٦٧ ٣٧٦ ٣٩٠
 الوزيرية ٣٧٨ — ٣٨٠
 الوشم ١٣ — ١٨ ٣٤ ٥٢ ٧٣ —
 ٧٧ ٨٢ ٨٧ ١١٥ ١١٩ —
 ١٢٣ ١٧٢ ٢٢٥ ٣٢٧ ٣٣٠
 ونغت (السر ريچنيلد) ٣١٥
 ياطب (ماء) ٢١٨ ٢٥١
 اليمامة ١٣ — ١٦ ٣٥ ٥١
 اليمن ٢٠ ٤٤ ٥٠ ٦٦ ٦٩ ١٣٢
 ١٩٨ ٢٦٨ ٣٦٧

ينبع ٤١١

ينبع النخل ٦٠ ٧١ ٣٦٦ ٣٩٠
 يوسف ياسين ٣٢٧ — ٣٢٩

To: www.al-mostafa.com